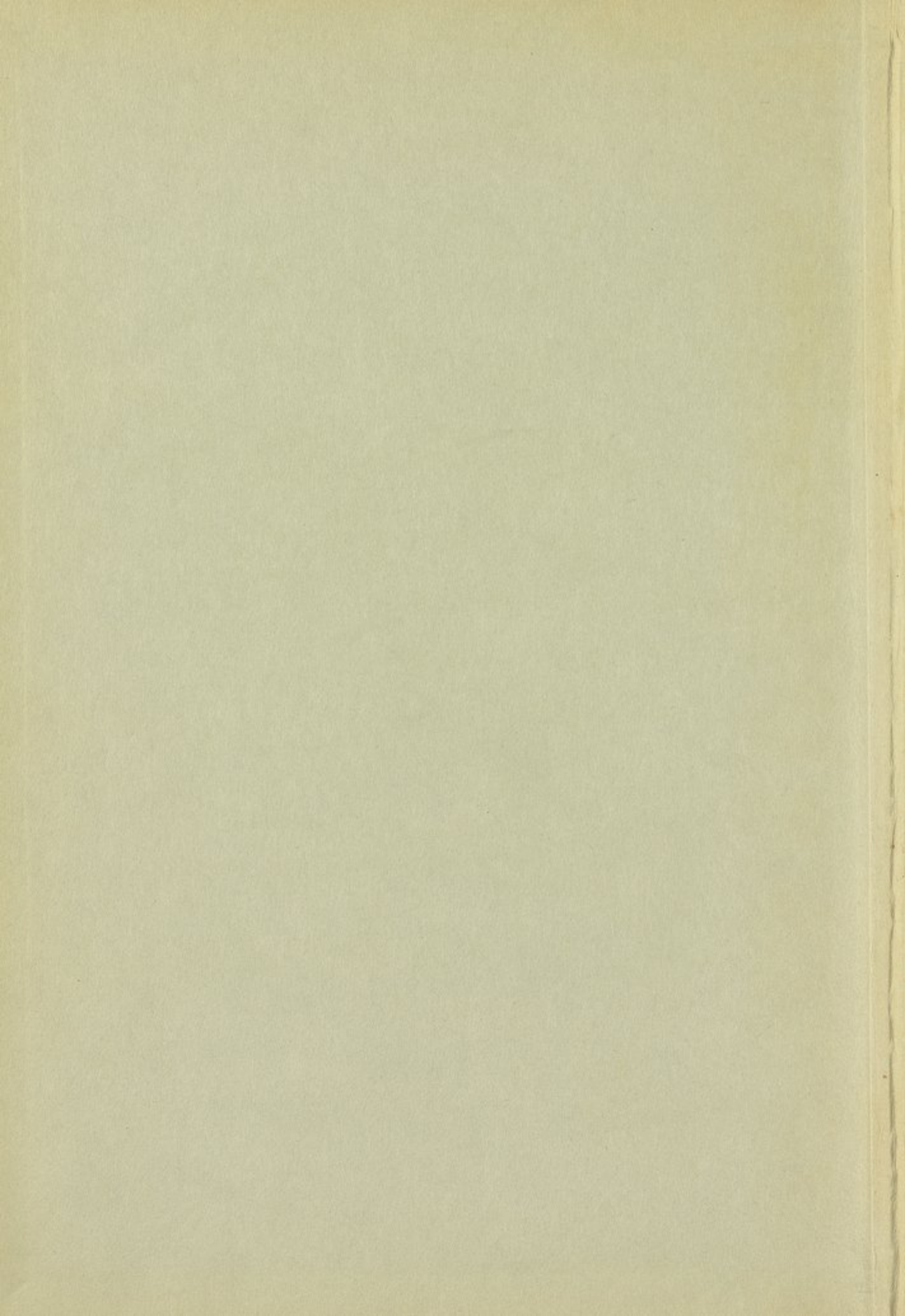


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





بجته التأليف والترجمة والنشر

كِتَابُ

العَقْدُ الْفَرِيدُ

تَأْلِيفُ

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته

ورتب فهرسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري

الجزء الرابع

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

893.78

Ih 533

v.4

بِسْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

25056

بِسْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الجزء الرابع من العقد الفرید

(١) فرش كتاب المجنبه في الأجوبه

- قال أحمد بن [محمد بن] عبد ربه: قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأجواب التي هي أصعب الكلام كله متركباً، وأعزّه مطلباً، وأغمضه مذهباً، وأضيقه مسلكاً؛ لأن صاحبه يعجل مُناجاة الفكرة، وأستعمال القرينة؛ يرؤم في بديهة، نقض ما أترم في روية (٢)؛ فهو كمن أخذت عليه الفجاج، وسدّت عليه المَخارج؛ قد تعرّض للأسنّة، وأستهدف للرامي؛ لا يدرى ما يُقرع به فيتأهب له، ولا ما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله. ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه، بعد أن روى فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأي يغب حتى يَحْتَمِر؛ فقد كرهوا الرأي الفطير، كما كرهوا الجواب الدبري (٣)؛ فلا يزال في نسج الكلام وأستئناسه، حتى إذا اطمأن شارده، وسكن نافرته، صكّ به خصمه جملة واحدة؛ ثم إذا قيل له: أجب ولا تخطئ، وأسرع ولا تبطل، تراه يجاب من غير أناة ولا أستعداد، يطبق التفاضل، وينفذ [إلى] المقاتل؛

(١) زيد في قبل هذا العنوان: «بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

(٢) في بعض الأصول: «في بديهته...» في رويته. وهو تحريف.

(٣) الرأي الدبري: هو الذي يسنج أخيراً بعد فوات الحاجة.

كما يُرْمَى الجُنْدَلُ بالجُنْدَلِ ، وَيُقْرَعُ الحَدِيدُ بالحَدِيدِ ؛ فَيَحْتَلُّ بِهِ عُرَاهُ ، وَيَنْقُضُ بِهِ مِرَاتِهِ ، وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى كَلَامِهِ ^(١) ، كَسَجَابَةِ لَبَدَتْ عَجَاجَةً . فَلَا شَيْءَ أَعْضَلُ مِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ ، وَلَا أَعَزَّ مِنَ الْخَصْمِ الْأَلَدِّ ، الَّذِي يَقْرَعُ صَاحِبَهُ ، وَيَضْرَعُ مُنَازَعَهُ * بِقَوْلِ كَمِثْلِ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزَلِ *

لأبي الحسن
في أسرع
الناس جواباً .
وكلام في جواب
عثمان . ثم حديث
ابن الأَهم
والزبيرقان مع
الرسول صلى
الله عليه وسلم

- ٥ قال أبو الحسن : أسرعُ الناس جواباً عند البديهة قریش ثم بقیة العرب ؛ وأحسنُ الجواب كُله ما كان حاضراً مع إصابة معنی وإيجاز لفظ . وكان يُقال : أتقوا جوابَ عثمان بن عفان . وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الأَهم : أخبرني عن الزبيرقان ؛ قال : مُطَاعٌ في أدانيه ^(٢) ، شديدُ العارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره . قال الزبيرقان : والله يا رسول الله ، لقد عَلِمَ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنْ حَسَدَنِي . قال عمرو بن الأَهم : أما والله يا رسول الله ، إنه لَزَمِرٌ ^(٣) المُرْوَةِ ، ضَيِّقُ الْعَطَنِ ^(٤) ، أَحْمَقُ الْوَالِدِ ، لَثِيمُ الْإِخَالِ ؛ [والله يا رسول الله] ما كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ؛ رَضِيتُ عَنْ ابْنِ عَمِّي فَقَلْتُ فِيهِ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ ، وَسَخَّطْتُ عَلَيْهِ فَقَلْتُ أَقْبَحَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إن من البيان لَسِحْرًا .

١٥ جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لَمَّا قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، أَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ وَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ ^(٥) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا [غَيْرَ] حَافِظَ

لعقيل مع معاوية
في تفصيل أخيه
على

(١) في بعض الأصول : « أكثر كلامه » .

(٢) يريد عشيرته الأقربين . وفي ي : « إجابته » .

(٣) زمر المروءة : قليلها . وفي بعض الأصول : « لزم » .

(٤) العطن للإبل ، كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الأرض . ويكفي بضيقة عن ضيق الصدر .

(٥) كان عقيل قد خرج إلى معاوية مفاضباً لأخيه علي ، وذلك حين سأل عقيل أخاه علياً أن يقضى عنه دينه ، فأمهله على حتى يخرج إليه عطاؤه ، فظن عقيل أنه يسوفه ، فتركه وذهب إلى معاوية . (انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤) وشرح نهج البلاغة

ج ٣ ص ٨٤) .

لك ، قَطَعَ قَرَابَتِكَ وَمَا وَصَلَكَ وَلَا أَصْطَنَعَكَ . قَالَ لَهُ عَقِيلٌ : وَاللَّهِ لَأَقْدُ أَجْزَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَعْظَمَهَا ، وَوَصَلَ الْقَرَابَةَ وَحَفِظَهَا ، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ إِذْ سَاءَ بِهِ ظَنُّكَ ، وَحَفِظَ أَمَانَتَهُ وَأَصْلَحَ رَعِيَّتَهُ إِذْ خُنِمَتْ وَأَفْسَدَتْمْ وَجُرْتُمْ ، فَكَفَّفَ لَا أَبَا لَكَ ، فَإِنَّهُ عَمَا تَقُولُ بِمَعْرُزٍ . وَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا : أَبَا يَزِيدَ ، أَنَا لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ عَلِيٍّ . قَالَ : صَدَقْتَ ، إِنَّ أَخِي آتَرَ دِينَهُ عَلَى دُنْيَاهُ ، وَأَنْتَ آتَرْتَ دُنْيَاكَ عَلَى دِينِكَ ، فَأَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَخِي ، وَأَخِي خَيْرٌ لِنَفْسِهِ مِنْكَ ^(١) . وَقَالَ لَهُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ ^(٢) : أَبَا يَزِيدَ ، أَنْتَ اللَّيْلَةَ مَعَنَا ؛ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَوْمَ بَدْرٍ كُنْتُ مَعَكُمْ ^(٣) .

بين عقيل
ورجل اتهمه
بغيانة أخيه
ثم بينه وبين
معاوية

وقال رجل لعقيل : إنك لخائنٌ حيثُ تركتَ أخاك وتَربغ إلى مُعاوية .

قال : أَخُونُ مَنِي وَاللَّهِ مَنْ سَفَكَ دَمَهُ بَيْنَ أَخِي وَأَبْنِ عَمِّي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا

أَمِيرًا . وَدَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ كَفَّ بَصْرُهُ ، فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى

سَرِيرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ

مَعْشَرَ بَنِي أُمَيَّةٍ تُصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ . وَدَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَوَسَّعَ لَهُ

مُعَاوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقِيلٍ ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ عَقِيلٌ : مَنْ هَذَا الَّذِي أَجْلَسَ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : أَخُوكَ وَابْنُ عَمِّكَ عُتْبَةُ . قَالَ : أَمَا إِنَّهُ إِنْ

كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنِّي إِنْ لَأَقْرَبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَمَنْهُ ،

وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضٌ وَنَحْنُ سَمَاءٌ . قَالَ عُتْبَةُ : أَبَا يَزِيدَ ،

أَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَمِيرُ

الْمُؤْمِنِينَ عَالِمٌ بِحَقِّكَ ، وَلَكِ عِنْدَنَا مِمَّا تُحِبُّ أَكْثَرُ مِمَّا لَنَا عِنْدَكَ مِمَّا نَكْرَهُ .

(١) في البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٧٤) : « أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَأَنْتَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ » .

(٢) ليلة الهرير ، من ليالي صفين ، استحر فيها القتال بين المسلمين ، وقتل فيها على يده خلقا كثيرا . وكان ذلك ليلة الجمعة ، وبعدها رفعت المصاحف ، ثم كان التحكيم . (انظر مروج الذهب للمسعودي) .

(٣) لم يسلم عقيل إلا عام الحديبية . وقد أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين . (انظر السيرة لابن هشام والاستيعاب) . يعرض بهم مشبهًا موقفهم من علي بموقفهم من الرسول صلى الله عليه يوم بدر .

ودخل عَقِيلٌ على مُعَاوِيَةَ ، فقال لأصحابه : هذا عَقِيلٌ عَمَّه أَبُو هُبَ . قال له عَقِيلٌ : وهذا مُعَاوِيَةُ عَمَّتُهُ سَمَّالَةُ الْحَطَبِ ؛ ثم قال : يا مُعَاوِيَةَ ، إذا دخلت النار فأَعْدِلْ ذاتَ الْيَسَارِ ، فإنك سَتَجِدُ عَمِّي أَبَا هُبَ مُفْتَرِشًا عَمَّتِكَ سَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فانظُرْ أيهما خَيْرٌ : الفاعلُ أو المَفْعُولُ به ؟ وقال له [معاوية] يوماً : ما بَيْنَ الشَّبَقِ فِي رِجَالِكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ ! قال : لَكِنَّهُ فِي نِسَائِكُمْ أَيْنُ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ .
 وقال له مُعَاوِيَةُ يوماً : وَاللَّهِ إِنْ فِيكُمْ لَخَصَلَةٌ مَا تُعْجِبُنِي يَا بَنِي هَاشِمٍ ؛ قال : وما هي ؟ قال : لَيْنٌ فِيكُمْ ؛ قال : لَيْنٌ مَاذَا ؟ قال : هُوَ ذَاكَ ^(١) ؛ قال : إِيَّانَا تُعَيِّرُ يَا مُعَاوِيَةُ ! أَجَلُ وَاللَّهِ ، إِنْ فِينَا لَلَّيْنَا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَعِزًّا مِنْ غَيْرِ جَبْرُوتٍ ؛ وَأَمَّا أَنْتُمْ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ ، فَإِنَّ لَيْنَكُمْ عَدْرٌ ، وَعِزُّكُمْ كُفْرٌ ؛ قال مُعَاوِيَةُ : مَا كُلُّ هَذَا أَرَدْنَا يَا أَبَا يَزِيدَ . قال عَقِيلٌ :

لذِي اللَّبِّ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
 قال معاوية :

وإن سِفاهُ الشَّيْخِ لَا حِلْمٌ بَعْدَهُ ^(٢) وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّمَاهَةِ يَحْلُمُ

وقال مُعَاوِيَةُ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : لِمَ جَفَوْتُمْوْنَا يَا أَبَا يَزِيدَ ؟ فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

١٥ إني أَسْرُوْ مَتَى التَّكْرَمُ شِيْمَةٌ إِذَا صَاحِبِي يَوْمًا عَلَى الْهُونِ أَضْمَرَ

ثم قال : وَأَيْمُ اللَّهِ يَا مُعَاوِيَةَ ، لَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مَهْدَتِكَ مِهَادَهَا ، وَأَظَلَّتْكَ بِحِذَافِيرِهَا ^(٣) ، وَمَدَّتْ عَلَيْكَ أَطْنَابَ سُلْطَانِهَا ، مَا ذَاكَ بِالَّذِي يَزِيدُكَ مِنِّي رَغْبَةً ، وَلَا تَحْشَعُ الرَّهْبَةَ . قال مُعَاوِيَةُ : لَقَدْ نَعَمْتُهَا أَبَا يَزِيدَ نَعْمًا هَشَّ لَهُ قَلْبِي ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا رَدَّانِي بَرْدَاءَ مُلْكِهَا ، وَحَبَّانِي بِفَضِيلَةِ عَيْشِهَا ، إِلَّا لِكِرَامَةِ إِدْخَرِهَا لِي ؛ وَقَدْ كَانَ دَاوُدُ خَلِيفَةً ، وَسُلَيْمَانُ مَلِكًا ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَثَالِ يُحْتَذَى عَلَيْهِ ، وَالْأُمُورُ أَشْبَاهُ ؛ وَأَيْمُ اللَّهِ يَا أَبَا يَزِيدَ ، لَقَدْ أَصْبَحْتَ عَلَيْنَا

(١) أى ابن الحديث والكلام . (٢) فى بعض الأصول : « عنده » .

(٣) الحذافير : الأعلى والنواحي ، أى أقبلت عليك بأسرها . وفى بعض الأصول :

« بحذافير أهلها » ، وفى بعض آخر : « بحذافير ملكها » .

كريمًا، وإلينا حبيبا، وما أصبحت أضمر لك إسادة .

ويقال إن امرأة عقيل، وهي بنت (١) عتبة بن ربيعة خالة معاوية، قالت لعقيل: يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبدا، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ (٢) كأن أعناقهم أباريق فضة. قال عقيل: إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك .

بين عقيل
وامرأته

جواب ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قریش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس، وكان جريئًا على معاوية، حَقَّارًا له، فبلغه عنه بعض ما عمه، فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس، كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت في الحي والحى في الميت؛ أستعملك على يا بن عباس على البصرة وأستعمل أخاك عبید الله على اليمن، وأستعمل أخاك [تماما] على المدينة، فلما كان من الأمر ما كان

بين ابن عباس
معاوية

هناكم بما في أيديكم، ولم أكشفكم عما وعت غرائرکم، وقلت: آخذ اليوم وأعطى غدا مثله؟ وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم، وقمياتكم ما أكلتم؛ [و] لا يزال يبلغني عنكم ما تبرك (٣) به

الإبل؛ وذو بكم إلينا أكثر من ذؤوبنا إليكم: خذتم عثمان بالمدينة، وقتلتم

أنصاره يوم الجمل، وحاتموني بصقيين؛ ولعمري لبنو تميم وعدى (٤) أعظم

ذؤوبًا منا إليكم، إذ صرّفوا عنكم هذا الأمر، وسنّوا فيكم هذه السنّة؛ فحقي

متى أغضى الجفون على القذى، وأسحب الذبول على الأذى، وأقول: لعل

الله وعسى! ما تقول يا بن عباس؟ قال: فتكلم ابن عباس فقال: رحم الله

أبانا وأباك، كانا صفيين متقارضين (٥)، لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل

(١) هي فاطمة (انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٤).

(٢) تشير إلى مقتل أبيها عتبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبه بيد عبيدة بن الحارث

وعلى وحمة يوم بدر (انظر السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧-طبعة الحلبي).

(٣) في بعض الأصول: «مالا تبرك».

(٤) بنو تميم: قوم أبي بكر. وبنو عدى: قوم عمر بن الخطاب.

(٥) كذا في بعض الأصول. والتقارض: المجازاة، وفي سائر الأصول: «متفاوضين»،

والمفاوضة: المشاركة.

٢٠

٢٥

أباك^(١) ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر من
 هنا أبي بإخاء أبيك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما
 استعمالُ علي إيانا ، فلنفسه دون هواء ، وقد استعملت أنت رجالاتك لالنفسك ،
 منهم ابن الحضرمي^(٢) على البصرة ، فقتل ؛ وابن بشر بن أرطاة على اليمن ، نخان ؛
 وحبيب بن مروة^(٣) على الحجاز ، فرُد ؛ والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة ،
 فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ؛ وليس الذي يبلغك عنا بأعظم
 من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغرُ ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ،
 ولو وضع أدنى عُذرتنا إليكم على مائة سيئة لحسنتها ؛ وأما أخذنا عثمان ، فلو لزمنا
 نصره لنصرناه ؛ وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ؛
 وأما حربنا إياك بصفين ، فعلى تركك الحق وأدعائك الباطل ؛ وأما إغراؤك
 إيانا بتيمة وعدي ، فلو أردناها ما غلبونا عليها ، وسكت . فقال في ذلك ابنُ
 أبي لهب :

كان ابنُ حربٍ عظيمَ القدرِ في الناسِ حتى رماه بما فيه ابنُ عباسٍ
 ما زال يُهَيِّطُه طَوْرًا وَيُضِعُّه
 حتى أَسْتَقَادَ وما بالحقِّ من باسٍ
 لم يَتْرُكَنَّ حُطَّةً مِمَّا يُذِلُّه
 إلا كَوَاهِ بِهَا فِي فَرَوَةِ الرِّاسِ

١٣٥
٢

وقال ابنُ أبي مليكة : ما رأيتُ مثلاً ابنِ عباسٍ ! إذا رأيتُهُ رأيتُ أصحَّ
 الناسِ ، وإذا تكلمَ فأعربُ الناسِ^(٤) ، وإذا أفتى فأفقه الناسِ ، ما رأيتُ أكثرَ
 صواباً ، ولا أحضرَ جواباً من ابنِ عباسٍ . ابنُ الكلبي قال : أقبل معاويةُ يوماً
 على ابنِ عباسٍ ، فقال : لو وليتمونا ما أتيتُم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب
 والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبري على

لابن أبي مليكة
 في ابن عباس
 ثم عود إلى
 ما كان بين ابن
 عباس ومعاوية

٢٠

(١) في بعض الأصول : « لأبيك » .

(٢) لعله عبد الله بن عمرو بن الحضرمي . (انظر الطبري) .

(٣) لعله حبيب بن كرة ، وكان من معاصري معاوية ، ورسول الأمويين إلى يزيد .

(انظر الطبري والأغانى ج ١ ص ٢٥ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٤) أعرب الناس ، أي أبينهم وأفصحهم .

ما صبرت عليه منكم ؛ وإني لا أريد أمراً إلا أظمأتم صدره ^(١) ، ولا آتني
 معروفاً إلا صغرتم خطره ، وأعطيتكم العطيّة فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها
 متكارهين عليها ، تقولون : قد نقص الحقّ دون الأمل ؛ فأنى أمل بعد ألف ألف
 أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أسراً بإعطائها منه بأخذها . والله لئن انخدعت
 لكم في مالي ، وذلت لكم في عِرْضِي ، أرى انخداعي كرمًا ، وذليّ حِلْمًا .
 ولو وليتمونا رَضِينَا منكم بالانتصاف ، ولانسألكم أموالكم ، لعلنا بحالنا
 وحالكم ، ويكون أبغضها إلينا وأحبها إليكم أن نعفيكم . فقال ابن عباس :
 لو ولينا أحسننا المُواساة ، وما ابتلينا ^(٢) بالأثرة ، ثم لم نفشم الحى ، ولم نشتم الميت ؛
 ولستم بأجود منا أكفًا ، ولا أكرم أنفسنا ، ولا أضون لأعراض المرؤة ؛
 ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى في الحق منكم في الباطل ،
 وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل في الرعيّة يأتيان
 على المنى والأمل . ما رضاكم منا بالكفّاف ! فلو رَضِينَا [به] منا لم ترَض
 أنفسنا به لكم ، والكفّاف رضا من لا حق له ، فلا تبخلونا حتى تسألونا ،
 ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

١٥ أبو عثمان الحزامي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم ،
 فقال : يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لممنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ،
 فلا يقطع خيرى عنكم علة ، ولا يؤصد بابي دونكم مسألة ، ولما نظرت في
 أمرى وأمركم رأيتُ أمراً مختلفاً ؛ إنكم لترون أنكم أحقُّ بما في يدي مني ،
 وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم ، قلتم : أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن
 قدرنا ، فصرتُ كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ،
 وإسعاف سائلكم . قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما ممحنتنا شيئاً

لابن عباس يرد
 على معاوية وقد
 نغر على قوم من
 بني هاشم

(١) الصدر . الصدور من الماء . وأظمأتم صدره . أى جعلتموه حقيراً لا يفتي الوارد
 ولا يبيل ريقاً ولا يشقى ظمأً .

(٢) في بعض الأصول : « وامتننا » .

حتى مدّ أُنْفَاهُ ، ولا فَتَحَتْ لَنَا بَاباً حَتَّى قَرَعْنَاهُ ، وَلَئِنْ قَطَعْتَ عَنَّا خَيْرَكَ اللَّهُ
أَوْسَعُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَغْلَقْتَ دُونَنَا بَابَكَ لَنَكْفُفَنَّ أَنْفُسَنَا عَنْكَ . وَأَمَّا هَذَا الْمَالُ ،
فَلَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا الْمَالِ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ : حَقٌّ فِي
الْغَنِيمَةِ ، وَحَقٌّ فِي النَّفْسِ (١) ، فَالْغَنِيمَةُ مَا غَلَبْنَا عَلَيْهَا ، وَالنَّفْسُ مَا اجْتَنَيْنَاهَا . وَلَوْلَا
حَقُّنَا فِي هَذَا الْمَالِ لَمْ يَأْتِكَ مَقَارِزَاتٌ ، يَحْمَلُهُ خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ ، أَ كَفَّاكَ أَمْ أَزِيدُكَ ؟
قال : كَفَّاَنِي ، فَإِنَّكَ لَا تَهْرَبُ وَلَا تَنْبَجُ (٢) .

لابن عباس يفخر
على معاوية بقومه

وَقَالَ يَوْمًا مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِذَا جَاءَتْ هَاشِمٌ بِقَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا ،
وَجَاءَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بِأَحْلَامِهَا وَسِيَّاسَتِهَا ، وَبَنُو أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَيْمِيِّ بِرِفَادَتِهَا (٣)
وِدِيَّاتِهَا ، وَبَنُو عَبْدِ الدَّارِ بِحُجَابِهَا وَلَوَائِهَا ، وَبَنُو مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدَةَ بِأَمْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا ، وَبَنُو تَيْمٍ
بِصَدِيقِهَا وَجَوَادِهَا (٤) ، وَبَنُو عَدِيِّ بْنِ قَارِقٍ (٥) وَمُتَّفَكِرِهَا ، وَبَنُو سَهْمِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ بِأَرَائِهِمْ وَدَهَائِهِمْ ،
وَبَنُو مُجَمِّحِ بْنِ شَرْفِهَا وَأَنْفِقِهَا ، وَبَنُو عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بِفَارِمِهَا وَقَرِيْبِهَا (٦) ، فَمَنْ ذَا
يُجَلِّي فِي (٧) مِضْمَارِهَا ، وَيَجْرِي إِلَى غَايَتِهَا ؟ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ قَالَ : أَقُولُ :
لَيْسَ حَتَّى يَفْخَرُونَ بِأَمْرِ إِلَّا وَإِلَى جَنَبِهِمْ مَنْ يَشْرِكُهُمْ ، إِلَّا قَرِيْبًا فَإِنَّهُمْ
يَفْخَرُونَ بِالنَّبُوَّةِ الَّتِي لَا يُشَارَكُونَ فِيهَا ، وَلَا يُسَاوَوْنَ بِهَا ، وَلَا يُدْفَعُونَ عَنْهَا ؛

١٣٦
٢

(١) الغنيمة : ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من المشركين . والنفس : ما أفاه
الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب .

(٢) في بعض الأصول : « لا تفرو لا تشج » . وهو تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « بوافدها » وهو تحريف . ثم انظر الجزء الثالث من هذه
الطبعة (ص ٣١٤) حيث عرض المؤلف لذكر ما كان لهذه القبائل في الجاهلية مع
ملاحظة أن بين ما سبق هنا وما سبق هناك خلافا .

(٤) يريد بصديقتها : أبا بكر . وبجوادها : عبيد الله بن معمر القرشي ، وله في الجود
أخبار (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٥) يريد بفاروقها : عمر بن الخطاب . وبمفكرها : زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد
أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم . وله في ذلك أخبار .
(انظر الأغاني ج ٣ ص ١٢٣ - ١٣٢ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٦) الفريم : السيد والرئيس . وكان عمرو بن عبدود فارس بنى عامر وسيدها ، ثم
كان من بعده ابنه شهيل بن عمرو . (انظر الأغاني ج ١٩ ص ٧٧ طبعة بلاق
والسيرة لابن هشام) .

(٧) في بعض الأصول : « يحمل » مكان « يجلي في » .

وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبدالمطلب إلا وهم خير بني هاشم ، ما نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إن بنا فتوح الأمر و بنا يُختم ، ولك ملك مُعجّل ، ولنا ملك مُؤجّل ، فإن يكن مُلككم قبل مُلكنا فليس بعد مُلكنا مُلك ، لأننا أهل العاقبة ،
و العاقبة للمتقين .

أبو مخنف قال : حجّ عمرو بن العاص فمرّ بعبد الله بن عباس فحَسَدَهُ مكانه وما رأى من هَيْبَةِ النَّاسِ لَهُ وَمَوْقِعِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني ولّيتني القَصْرَةَ (١) ، وكان بين عينيك دَبْرَةٌ ، وإذا كنت في

بين ابن عباس
وعمر بن العاص
في الحج ثم في
موسم من موسم
العرب

مَلَأَ مِنَ النَّاسِ كُنْتَ الْهُوَاهُ (٢) الْهُمَزَةُ ! فقال ابنُ عباس : لأنك من اللثام

الفجرة ، وقريش الكرام البررة ، لا يَنْطِقُونَ بِباطِلٍ جَهْلُوهُ ، ولا يَكْتُمُونَ حَقًّا

عَلَيْهِمْ ، وهم أعظمُ الناسِ أَعْلاماً ، وأرفعُ الناسِ أَعْلاماً . دخلت في قريش ولست

منها ، فأنت الساقطُ بين فِراشَيْنِ ، لا في بني هاشم رَحْلُكَ ، ولا في بني عبد شمس

راحِلَتُكَ ، فأنت الأثيمُ الزنيمُ (٣) ، الضَّالُّ المُضِلُّ ، حَمَلَكُ مُعاوية على رِقَابِ

الناس ، فأنت تَسْطُو بِجِلْمِهِ وَتَسْمُو بِكَرَمِهِ . فقال عمرو : أما والله إني لَمَسْرُورٌ

بك ، فهل يَنْفَعُنِي عِنْدَكَ ؟ قال ابنُ عباس : حيث مال الحقُّ مِلْنَا ، وحيث سَلَكَ

قَصْدُنَا . المدائني قال : [قام] عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى

مُعاوية بن أبي سفيان وبنى أُمِيَّةَ [وتناول بني هاشم] ، وذَكَرَ مَشَاهِدَهُ بِصِفِّينِ ،

وأجتمعت قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال : يا عمرو ، إنك بعثت

دينك من مُعاوية ، وأعطيتَه ما بيدك ، ومَنَّاكَ ما بيد غيرك ، وكان الذي أخذ منك

أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي أعطيتَه ، حتى لو كانت

نَفْسُكَ في يدك أَلْقَيْتَهَا ، وكلُّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصرُ في يدك

(١) القصرة : أصل العنق والرقبة .

(٢) الهواهة : الأحمق .

(٣) الزنيم : الدعي .

- كَدَّرَهَا عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ^(١) وَالتَّنْقِصِ^(٢)، وَذَكَرْتَ مَشَاهِدَكَ بِصِفِّينَ، فَوَاللَّهِ مَا ثَقُلْتُ عَلَيْنَا [يَوْمئِذٍ] وَطَأْتِكَ، وَلَقَدْ كُشِفَتْ فِيهَا عَوْرَتُكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لَطْوِيلَ الْأَسَانِ، قَصِيرَ السِّنَانِ، آخِرَ الْخَيْلِ إِذَا أَقْبَلْتُ، وَأَوَّلَهَا إِذَا أَدْبَرْتُ، لَكَ يَدَانِ: يَدٌ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ وَأُخْرَى لَا تَقْبِضُهَا عَنْ شَرٍّ؛ وَلِسَانٌ غَادِرٌ^(٣) ذُو وَجْهَيْنِ؛ [وَوَجْهَانِ]: وَجْهُ مُوَحِّشٌ، وَوَجْهُ مُؤَنِّسٌ؛ وَلِعَمْرِي إِنْ مِنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، ٥
لِحُرَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْهَا نَدْمُهُ. لَكَ بَيَانٌ^(٤) وَفِيكَ خَطَلٌ، وَلَكَ رَأْيٌ وَفِيكَ نَسْكَدٌ، وَلَكَ قَدْرٌ وَفِيكَ حَسَدٌ، وَأَصْغَرَ عَيْبَ فِيكَ أَعْظَمَ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ. فَأَجَابَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ مَا فِي قُرَيْشٍ أَثْقَلُ عَلَيَّ مَسْئَلَةٌ، وَلَا أَسْرُءُ جَوَابًا مِنْكَ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِلَّا أَجْبِيكَ لَفَعَلْتُ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَبِيعْ دِينِي مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَلَسَكُنْ بَعَثَ اللَّهُ نَفْسِي، وَلَمْ أَنْسُ نَصِيْبِي مِنَ الدُّنْيَا؛ وَأَمَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مُعَاوِيَةَ ١٠
وَأَعْطَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَا تَعْلَمُ الْعَوَانَ الْخُمْرَةَ^(٥)؛ وَأَمَّا مَا أَتَى إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي مِصْرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُغَيِّرْنِي لَهُ؛ وَأَمَّا خِفَّةٌ وَطَأْتِي عَلَيْكُمْ بِصِفِّينَ، فَلِمَ اسْتَشَقَلْتُمْ حَيَاتِي وَأُسْتَبْطَأْتُمْ وَفَاتِي؛ وَأَمَّا الْجَبِينُ، فَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشَ أَتَى أَوْلَى مِنْ يُبَارِزُ، وَأَسْرَءُ مِنْ يُنَازِلُ؛ وَأَمَّا طَوْلُ لِسَانِي، فَإِنِّي كَمَا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٦) لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٥

لِسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرَسَ مِنْ شِدَاةِ^(٧) عَلَيْكَ وَسَمِيْفِي مِنْ لِسَانِي أَطْوَلُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ وَنَثَرِ الدَّرَرِ لِلْأَبِيِّ فِي السِّكَاكِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: «بِالْعَزْلِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. لِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ عَمْرًا بَقِيَ وَالْيَا عَلَى مِصْرَ حَتَّى مَاتَ. (انظُرْ مَرْوَجَ الذَّهَبِ).

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ١٦٠) وَالتِّي فِي الْأَصُولِ وَالتَّنْفِيزِ.

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «غُرُورٌ».

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «لِسَانٌ».

(٥) الْعَوَانُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي كَانَتْ لَهَا زَوْجٌ. وَقِيلَ هِيَ التَّيْبُ. أَيْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجَتْ تَحْسِنُ الْقِتَاعَ بِالْخَمَارِ. وَالمَثَلُ يَضْرِبُ لِلْمَجْرِبِ الْعَارِفِ بِأَمْرِهِ.

(٦) هُوَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزْرَمِيُّ، أَخُو خَالِدٍ. (انظُرْ الْاسْتِيعَابَ وَمَعْجَمَ الشُّعْرَاءِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ).

(٧) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْاسْتِيعَابِ وَمَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ. وَالشِّدَاةُ: الْحِدَاةُ. وَفِي

سَائِرِ الْأَصُولِ: «شِبَاهَةٌ». وَشِبَاهَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ: حِدَةٌ.

وأما وجهي ولِسَانِي ، فَإِنِّي أَلْقَى كُلَّ ذِي قَدْرٍ بِقَدْرِهِ ، وَأُرْمِي كُلَّ نَاجٍ بِحَجْرِهِ ، فَمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ كَفَانِي نَفْسَهُ ، وَمَنْ جَهِلَ قَدْرَهُ كَفَيْتُهُ نَفْسِي .
وَلَعَمْرِي مَا لِأَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِثْلُ قَدْرِكَ مَا خِلا مُعَاوِيَةَ ، فَمَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ عِنْدَكَ؟ وَأَنْشَأَ عَمْرُو يَقُولُ :

١٣٧
٢

بَنِي هَاشِمٍ مَالِي أَرَاكُمْ كَأَنَّكُمْ بِنِي الْيَوْمِ جُهَالٌ وَلَيْسَ بِكُمْ جَهْلٌ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي جَسُورٌ عَلَى الْوَعْدِي سَرِيعٌ إِلَى الدَّاعِي إِذَا كَثُرَ الْقَتْلُ
وَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو نَزَالٍ ، طَبِيعَةٌ جُبَيْتٌ عَلَيْهَا ، وَالطَّبَاعُ هُوَ الْجَبَلُ (١)
وَأَنِّي فَصَلْتُ الْأَمْرَ بَعْدَ اشْتِبَاهِهِ بَدُومَةٌ إِذَا أَعْيَا عَلَى الْحَكْمِ الْفَصْلُ (٢)
وَأَنِّي لَا أَعْيَا بِأَمْرِ أُرِيدُهُ وَأَنِّي إِذَا عَجَّتُ بِكَارِكُمْ فَجَلُّ

بين عمرو وابن
عباس بعد
قتل علي

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حوَيْطِب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا الأمر ، الذي
نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ ، لَيْسَ بِأَوَّلِ أَمْرِ قَادَةِ الْبَلَاءِ ، وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ بِنَا وَبِكُمْ إِلَى مَا تَرَى ،
وَمَا أَبَقَتْ لَنَا هَذِهِ الْحَرْبُ حَيَاءً وَلَا صَبْرًا ، وَلَسْنَا لِنَلِيَتْ الْحَرْبَ عَادَتٌ ، وَلَكِنَّا
نَقُولُ : لَيْتَهَا لَمْ تَسْكُنْ كَانَتْ ، فَاَنْظُرْ فِيمَا بَقِيَ بَعْدِ الْمَضِيِّ ، فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ
بَعْدَ عَلِيٍّ ، فَإِنَّكَ أَمِيرٌ مُطَاعٌ ، وَمَأْمُورٌ مُطِيعٌ ، رُمُشَاوَرٌ مَأْمُونٌ ، وَأَنْتَ هُوَ .

١٠

١٥

مجاوبة بني هاشم [وبنو عبد شمس] لابن الزبير

بين ابن الزبير
وابن عباس

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين
وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتيت بزواج (٣) المتعة . فقال : أما
أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك (٤) ، وبننا سُميت أم المؤمنين ، وكُنَّا لَهَا

٢٠

(١) الطباع : الطبع . والجبل : الحلقة .
(٢) دومة : يريد دومة الجندل ، وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة فتحها خالد بن
الوليد ، وبها كان التحكيم بين علي ومعاوية .
(٣) في بعض الأصول : « بزواج » .
(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٨٧ طبعة أوربة) .

خيرَ بدين ، فتجاوز الله عنها . وقالت أنت وأبوك عليًا ، فإن كان علي مؤمنًا ،
فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين ؛ وإن كان علي كافرًا ، فقد بُؤتُم بسخط من الله
بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة ، فإن عليًا رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعته ينهى عنها فنهيتُ عنها ؛
وأولُ مجرمٍ سَطَعَ في المتعة مجرم آل الزبير^(١) .

الحسن وأبو
سعيد وابن الزبير
ومعاوية وعائشة

- دخل الحسن بن علي بن علي معاوية ، وعنده ابن الزبير [وأبو سعيد بن عقيل
ابن أبي طالب] ، فلما جلس الحسن ، قال معاوية : يا أبا محمد ، أيهما كان
أكبر : علي أم الزبير ؟ قال^(٢) : ما أقرب ما بينهما ! علي كان أسن من الزبير ،
رحم الله عليًا . [فقال ابن]^(٣) الزبير : ورحم الله الزبير . فتبسم الحسن . فقال
أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب : دَعْ عنك عليًا والزبير ، إن عليًا دعا إلى أمر
فأُتبع ، وكان فيه رأسًا ، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأسُ امرأةً ، فلما تراءت
الفِئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر مُهزماً قبل أن يظهر الحقُّ
فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه ، فأدركه رجل لو قيس^(٤) ببعض أعضائه
[لكان أصغر] ، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه^(٥) ، ومضى علي قُدُماً
كعادته مع ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم ، فرحم الله عليًا ولا رحم الزبير . فقال
ابن الزبير : أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم ؛ قال : إن الذي
تعرض به يرغب عنك . وأخبرت عائشة بمقاتلتهما ، فرأ أبو سعيد بفنائها فنادته :

(١) يريد متعة الحج لامتعة النساء ، فإن الزبير تزوج أسماء بكرا في الإسلام ، وزوجه
إياها أبو بكر معلنا . ويروى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما قدمنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى أن يحل . قالت :
فأحللت وتطيبت ولبست ثيابي ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ؛ فقال : قومي
عني ؛ فقلت : ما تخاف ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس . (انظر مروج الذهب) .

(٢) في بعض الأصول : « قال فقال » .

(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٧) .

(٤) في الأصول مكان : « رجل لو قيس » : « مثل » ، وما أُنبتناه عن شرح نهج
البلاغة .

(٥) هو عمرو بن جرموز ، الذي قتل الزبير يوم الجمل .

يا أحوال يا خبيث ! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا ، فقال : إن الشيطان ليرأك من حيث لا تراه . فصَحَّكت عائشة وقالت :
 لله أبوك ! ما أخبت^(١) لسانك !

بين الحسين
 ومولاه ذكوان
 ومعاوية وبين
 ابن الزبير

الشعبي قال : دخل الحسين بن علي يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قریش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريرته ، وقال : ترى هذا القاعد — يعني ابن الزبير — فإنه ليُدركه الحسدُ لبني عبد مناف . فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أن أعملك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فقلتُ . فتكلم ذكوان مولى الحسين ابن علي ، فقال : يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنعني من الكلام أن لا^(٢) يكون طلق اللسان ، رابط الجفنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غير أنه كف الكلام وسبق إلى السنان ، فأقرت بفضل الكرام ، وأنا الذي أقول :

١٣٨
٢

١٠

فِيمَ الْكَلَامِ لِسَابِقٍ فِي غَايَةٍ وَالنَّاسُ بَيْنَ مُقَصَّرٍ وَمُجَلَّدٍ
 إِنْ الَّذِي يَجْرِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ يُنْمَى بِغَيْرِ مُسَوِّدٍ وَمُسَدَّدٍ
 بَلْ كَيْفَ يُدْرِكُ نُورُ بَدْرِ سَاطِعٍ خَيْرِ الْأَنَامِ وَفَرَعِ آلِ مُحَمَّدٍ

١٥

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان ، أكثر الله في موالى الكرام مثلك . فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت ، وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ، أولئك ففنا عن جوابه إجلالاً له ، ولا جواب لهذا العبد . قال ذكوان : هذا العبد خير منك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » . فانا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن [الزبير بن] العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلاً . قال ابن الزبير : إني لست أجيـب

٢٠

(١) في شرح نهج البلاغة : « ما أذلق » .

(٢) في بعض الأصول : « إلا أن » مكان « أن لا » .

هذا، فهات ما عندك يا معاوية . فقال معاوية : قاتلك الله يا ابن الزبير ! ما أعياك وأبغاك ! أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله ! إنك أنت المتعدى إيطورك^(١)، الذي لا تعرف قدرك ، فقس شبرك بفترك ، ثم تعرف كيف تقع بين عرابين بنى عبد مناف . أما والله لن دُفقت في بحور بنى هاشم و بنى عبد شمس لقطعتك بأمواجها ، ثم لترمين بك في ليجها^(٢) . فباقواك في البحور إذا عمرتك ، وفي الأمواج إذا بهزتك^(٣) ! هنالك تعرف نفسك ، وتندم على ما كان من جرأتك ، وتمتى ما أصبحت فيه من أمان ، وقد حيل بين العير والنزان . فأطرق ابن الزبير ملياً ، ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال : أسألكم بالله ، أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأمّه هند آكلة الأكباد ؛ وجدتي الصديق ، وجدّه^(٤) المشدوخ بيدر ورأس الكفر ، وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الحطب ، وجدتي صفية^(٥) ، وجدته حمامة^(٦) ، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج عمته شر ولد آدم أبولهب سيصلى ناراً ذات لهب ، وخالتي عائشة أم المؤمنين . وخالته أشقى الأشقيين^(٧) ، وأنا عبد الله وهو معاوية . قال له معاوية : ويحك يا ابن الزبير ! كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رياسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قدناك وسدناك قديماً وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الخصوم ليعلمون أن قريشاً قد أجمعت

(١) الطور : الحد بين الشيبين . والمتعدى لظوره . الذي جاوز حده وقدره .

(٢) في بعض الأصول : « أجاجها » .

(٣) البهز : الدفع الشديد . وفي بعض الأصول : « بهرتك » بالراء المهملة .

(٤) يريد عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه ، وأم معاوية هي هند بنت عتبة هذا .

(٥) تزوجت صفية بنت عبد المطلب العوام بن خويلد بعد الحارث بن حرب ، فولدت له الزبير والسائب . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ طبعة أوربة) .

(٦) المعروف أن أم أبي سفيان اسمها صفية بنت حزن ، من قبس عيلان .

(٧) هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وكانت زوج عقيل بن أبي طالب .

(انظر الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء) .

يوم الفجر^(١) على رياسة حرب بن أمية، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته، غير منكربن لفضله ولا طامعين في عزله، إن أمر أطاعوا، وإن قال أنصتوا؛ فلم تزل^(٢) فينا القيادة وعز الولاية حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم، فأنتخبه من خير خلقه، من أسرتي لا من أسرتك، وبني أبي لابني أبيك، فجحدته قريش أشد الجحود، وأنكرته أشد الإنكار، وجاهدته أشد الجهاد، إلا من عصم الله من قريش؛ فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان ابن حرب، فكانت الفئتان تلتقي، ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا^(٣)، فمهديكم تحت راية مهدينا، وضالككم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذئاب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شره، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيماً شأنه، وفي الإسلام معروفاً مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يُعط أحد من آبائك، وإن مُنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ وكانت داره حرمًا، لا دارك ولا دار أبيك؛ وأما هند، فكانت امرأة من قريش، في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخير؛ وأما جدك الصديق، فبِتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لا بتصديق عبد العزى؛ وأما ما ذكرت من جدّي المشدوخ بيدر، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه^(٤)، فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفأوهم من بني أبيهم، فقضى الله منابهم بأيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؛ وأما عمّتك أم المؤمنين، فبينا شرّفت وسمّيت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك؛ وأما صفيّة، فهي أذنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحياً؛ وأما ما ذكرت

(١) في الأصول: «الفجر». وهو تصحيف.

(٢) في بعض الأصول: «فأنزل» مكان «فلم تزل».

(٣) في بعض الأصول: «منكم». وهو تحريف.

(٤) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٧) من هذا الجزء.

من عمك^(١) وخال أبيك^(٢) سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، وخرمهم وإرثهم لى دونك ، ولا فخر لك فيهم ، ولا إرث بينك وبينهم ؛ وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أينما أجود في الإزم^(٣) ، وأمضى^(٤) في القدم^(٥) وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك مُتَهَيِّباً حتى ترؤم من بنى عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذحول^(٦) ، وقدم إليهم الخيول ، وخدعتهم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتهم على نساءكم الشجوف ، وأبرزتم زوجته للختوف ، ومقارعة السيوف ، فلما ألتقى الجمعان نكص أبوك هارباً ، فلم يُنْجِه ذلك أن طَحَنه أبو الحسين بكلِّ كَلِّه طَحْن الحَصِيد بأيدى العبيد ؛ وأما أنت ، فألفت بعد أن سَمَشْتِك بَرائنه ونالتك مخالبه . وأيم الله ، ليقوِّمك بنوع عبد مناف بثقافها أولتصيحن منها صياح أبيك بوادى السباع^(٧) ، وما كان أبوك المرهوب جانبه^(٨) ، ولكن كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ فَرِيْسَةَ صَنِيعِمِ فَقَضَّضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَّمَا^(٩)

نازع مروان بن الحَكَم يوماً ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا معاوية : إن لك حقاً وطاعة ، وإن لك صِلَةً^(١٠) وحرمة ، فأطع الله نطعك ، فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع

لابن الزبير
يخاطب معاوية
لميله مع مروان

(١) يريد : السائب بن العوام ، وقد شهد أحداً والخنديق وقتل يوم اليمامة ، والمعروف أن إخوة الزبير ، وهم السائب وعبد الرحمن وأسود وأصرم ويعلى ، لم يعقب أحد منهم . (انظر المعارف ص ١١٣) . وفي بعض الأصول : « من ابن عمك » .
(٢) هو حمزة بن عبد المطلب . ويلاحظ أنه لم يرد في كلام عبد الله بن الزبير ذكر لابن عمه ولا خال أبيه .

(٣) الإزم : الشدائد . (٤) في بعض الأصول : « أحزم » .

(٥) القدم (بضمّتين) : المضى أمام أمام في الحرب .

(٦) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . وفي بعض الأصول : « طالعهم الدخول » .

(٧) وادى السباع : بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . وفيه قتل الزبير بيد عمرو بن جرهمز الجاشعي .

(٨) في بعض الأصول : « المدهن خده » . وهو تحريف .

(٩) الأكيلة : كالفريسة . وقضضه : كسره . وفي بعض الأصول : « تناول »

مكان « أكيلة » . (١٠) في بعض الأصول : « بسطة » .

الله ، ولا تطرق أطراق الإفعوان في أصول السخبر^(١) .

بين معاوية
وابن الزبير

وقال معاوية يوماً وعنده ابن الزبير ، وذُكر له مروان^(٢) فقال : إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ، وما أراكم بمُنْتَهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودة ، يسومكم خسفاً ، ويؤردكم تلفاً . قال ابن الزبير : إذا والله نُطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل^(٣) الجراد ، حافاتها^(٤) الأسل ، لها دوى كدوى الرياح ، تتبع غطريفاً من قريش ، لم تسكن أمه براعية^(٥) ثلثة^(٦) . قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب [، وأكلت ذريرة السنم] ، وشربت عنفوان المكرع^(٧) ، وليس للأكل [بعدى] إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرنق .

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

بين عمرو بن
الغاص والحسن
ابن علي في وفادته
على معاوية

وفد الحسن بن علي على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن الحسن لفه^(٨) ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم ، ففعل . فصعد المنبر وتكلم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم أبناءً لنبيكم^(٩) ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإن أذري

(١) السخبر : شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سخيرة . يقول : لانتقائل عما نحن فيه . وفي بعض الأصول : « الشجر » .

(٢) في الأصول : « الحسين » . وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لا تدعن مروان يرمى جواهر قريش بمشاقصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . (والمهاقص : السهام العريضة النصل) .

(٣) الرجل (بالكسر) : القطعة العظيمة من الجراد .

(٤) في بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) في بعض الأصول : « مراعية » . وهو تحريف . (انظر اللسان مادة ثل) .

(٦) الثلثة : جماعة الغنم .

(٧) المكرع : مقلع من الكرع ، والكرع (بالتحريك) : ماء السماء . وعنفوان المكرع ، أي أول الماء . أراد أنه شرب صافي الماء حين شرب غيره الكدر .

(٨) الفه : الكليل اللسان العبي عن حاجته .

(٩) في بعض الأصول : « أبناء أبيكم » مكان : « ابنا لنبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

١٠

١٤٠
٢

١٥

٢٠

٢٥

لعله فِتنة لكم ومَتاع إلى حين . فساء ذلك عَمراً وأراد أن يَقْطع كلامه ، فقال له : أبا محمد ، أَتَصِفُ الرُّطْبُ ؟ فقال : أجل ، تُلْقِحُه الشَّمال ، وتُخْرِجُه الجَنُوب ، وتُنْضِجُه الشَّمس ، ويَضْبِغُه القَمَر . قال : أبا محمد ، هل تَنْعَمُ الخِراءة ؟ قال : نعم ، تُبَعِدُ المَشَى في الأَرْضِ الصَّحْصَح (١) حتى تَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ ، ولا تَسْتَقْبِلُ القِبْلةَ ولا تَسْتَدْبِرُها ، ولا تَسْتَنْجِحُ بِالقِمامةِ والرِّمَّةِ — يريد الرُّوثَ والعَظْمَ — ولا تَبِيلُ في الماءِ الرَّاكِدِ .

بين مروان بن الحكم والحسن في مجلس معاوية ؛
بيننا معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالبَاب ؛ فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحكم : أئذن لي ، فإنني أسأله ما ليس عنده فيه جواب ؛ قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قَوْمٌ قد أَلِهُمُوا الكلامَ ، وأذِنَ له . فلما دَخَلَ وجلس ، قال له مروان : أَسْرِعْ الشيبُ إلى شاربك يا حسن ، ويُقال إن ذلك من الخُرْقِ ، فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولـكِنَّا — معشر بنى هاشم — أفواهُنا عَدْبَةٌ شِفَاهُها ، فَنَسائِونا يُقْبِلانَ علينا بأنفاسهنَّ وقَبيلهنَّ ، وأنتم معشرُ بنى أمية فيكم بَحْرٌ شديد ، فَنَسائِوكم يَصْرِفانَ أفواهُنَّ وأنفاسهنَّ عنكم إلى أَصْداغكم ، فإنما يَشيبُ منكم موضعُ العِذارِ من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بنى هاشم خَصْلَةٌ سَوَاءٌ ؛ قال : وما هي ؟
قال : العُلْمَةُ ؛ قال : أجل ، نُزِعَتِ العُلْمَةُ مِن نَسائِنَا ووُضِعَت في رِجالِنَا ، ونُزِعَتِ العُلْمَةُ من رِجالِكُم ووُضِعَت في نَسائِكُم ، فما قام لأموية إلا هاشمِي . فغَضِبَ معاوية ، وقال : قد كنتُ أَخبرتُكم فأبيتُم حتى سَمِعْتُم ما أَظلمَ عليكم بَيْتِكُم ، وأفسدَ عليكم مَجْلِسِكُم . فَخَرَجَ الحسنُ وهو يقول :

ومارستُ هذا الدهرَ خمسينَ حِجَّةً وخمسةً أَرْجِي ، قائلًا بعد قائل (٢)
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جَسِيمِها ولا في الذي أهوى كدحتُ بطائل
وقد شرعتُ دوني المَنايا أكَفَّها وأيقنتُ أني رهنُ مَوْتِ مُعاجل

(١) الصحصح : ما استوى من الأرض . وفي بعض الأصول : « الصحيح » .

(٢) أَرْجِي : أدفع .

بين الحسن
وحبيب بن
مسلمة

قال الحسن بن عليّ لحبيب بن مسامة^(١) الفهري : رَبِّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ قَالَ : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْبِكَ فَلَا ؛ قَالَ : بَلَى ، وَلَسَكُنَّكَ أَطَعْتَ مُعَاوِيَةَ عَنْ دُنْيَا قَلِيلَةٍ ، فَلَنْ كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي آخِرَتِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) ، وَلَسَكُنَّكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

بين عبد الله بن
جعفر ويحيى بن
الحكم في
حضرة عبد الملك

قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ : مَا فَعَلْتَ خَبِيثَةً^(٢) ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! يُسَمِّيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَيِّبَةً وَتُسَمِّيهَا خَبِيثَةً ! لَقَدْ اُخْتَلَفْنَا فِي الدُّنْيَا وَسَتَخْتَلِفَانِ فِي الْآخِرَةِ ؛ قَالَ يَحْيَى : لِأَنَّ أَمُوتَ بِالشَّامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ بِهَا ؛ قَالَ : أَخْتَرْتَ جِوَارَ النَّصَارَى عَلَى جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ يَحْيَى : مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ وَعُمَانَ ؟ قَالَ : أَقُولُ مَا قَالَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَيَمُنُ بِهِ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمَا : (إِنَّ تَعُدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

بين معاوية
والضحاك
وسعيد وعمرو
ابن العاص

قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا وَعِنْدَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَا أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ ؟ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ : إِكْدَاءُ الْعَاقِلِ وَإِجْدَاءُ الْجَاهِلِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ مَا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ غَلْبَةُ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ ذَا الْحَقِّ عَلَى حَقِّهِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ تُعْطِيَ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ مِنْ غَيْرِ غَلْبَةٍ .

بين قوم من
قريش فيهم
ابن العاص
وابن صفوان
وابن الحارث
وبين معاوية

حَضَرَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَجْلِسَ مُعَاوِيَةَ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ ابْنِ أُمِيَّةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ . فَقَالَ عَمْرُو : أَحْمَدُ اللَّهِ يَا مَعْشَرَ

(١) في الأصول : «سامة» . وهو تحريف .

(٢) يريد المدينة .

قُرَيْشٍ إِذْ جَعَلَ أَمْرَكُمْ إِلَىٰ مَنْ يُفْضَىٰ عَلَى الْقَدَىٰ ، وَبِتَصَامُ عَنِ الْعَوْرَاءِ ، وَيَجْرُ ذَيْلَهُ عَلَى الْخَدَائِعِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَوْلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَشِينَا إِلَيْهِ الضَّرَاءَ ، وَدَبِينَا إِلَيْهِ الْخَمْرُ ^(١) ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا مَنْ لَا يُطْعِمُكَ مَالِ مِصْرَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : يَأْمُرُ قُرَيْشٍ ، حَتَّىٰ مَتَىٰ لَا تُنْصَفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؛ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ : إِنْ عَمِرًا أَفْسَدَكَ عَلَيْنَا وَأَفْسَدْنَا عَلَيْكَ ، وَلَوْ أَغْضَبْتِكَ هَذِهِ ^(٢) . قَالَ : إِنْ عَمِرًا لِي نَاصِحٌ ؛ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَأَطْعَمْنَا مِثْلَ مَا أَطْعَمْتَهُ ، وَخَذْنَا بِمِثْلِ نَصِيحَتِهِ ؛ إِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَاوِيَةُ تَضْرِبُ عَوَامَّ قُرَيْشٍ بِأَيْدِيكَ فِي خَوَاصِّهَا ، كَأَنَّكَ تَرَىٰ أَنْ بَكَرَ أَمْرًا قَوْتِكَ ^(٣) دُونَ لثَامِهَا ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَتُنْفِرُ فِي إِنْءَاءِ فَعْمٍ مِنْ إِنْءَاءِ ضَخْمٍ ، وَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حَلَّ عِمَائِهَا عَلَيْكَ مَنْ لَا يَنْظُرُكَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بَنَ أَخِي ، مَا أَحْوَجُ أَهْلَكَ إِلَيْكَ ، فَلَا تَفْجِعْهُمْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

١٠

أَغْرَ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَتَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ مَنَى الْحَيَا وَالتَّكْرُمِ ^(٤)

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : تُفَاذِعُنِي هَذَا الْأَمْرَ كَأَنَّكَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي ! قَالَ : لِمَ لَا أَكُونُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ يَا مُعَاوِيَةُ ، وَقَدْ أَتَبَعَ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَأَتَبَعَ النَّاسُ أَبَاكَ عَلَى الْكُفْرِ ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : غَلِطْتَ يَا بَنَ الزُّبَيْرِ ، بَعَثَ اللَّهُ ابْنَ عَمَّتِي نَبِيًّا ، فَدَعَا أَبَاكَ فَأَجَابَهُ ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا تَابِعٌ لِي ، ضَالًّا ١٥ كُنْتُ أَوْ مَهْدِيًّا . الْمُتَّبِعِيُّ قَالَ : دَعَا مُعَاوِيَةَ سُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَالَ لَهُ : أَشِيرَ عَلَيَّ فِي الْحُسَيْنِ ؛ قَالَ : تَخْرُجُ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ فَتَقَطُّعُهُ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَقَطُّعُهُمْ عَنْهُ ؛ قَالَ : أَرَدْتُ وَاللَّهِ أَنْ تَسْتَرِيحَ مِنْهُ وَتَبْتَلِيَنِي بِهِ ، فَإِنْ صَبَرْتُ عَلَيْهِ صَبَرْتُ عَلَى مَا أَكْرَهُ ، وَإِنْ أَسَأَتْ إِلَيْهِ كُنْتُ قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَهُ . فَأَقَامَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، أَشِيرَ عَلَيَّ فِي الْحُسَيْنِ ؛ قَالَ : إِنَّكَ وَاللَّهِ

بين معاوية وابن الزبير ثم مشاوره معاوية مروان وابن العاص في أمر الحسين

(١) الضراء : الشجر الملتف . والحجر : كل ما وارك من شجر أو بناء أو غيره . ويقال للرجل إذا ختل صاحبه : هو يمشى له الضراء ويدب إليه الحجر .

(٢) في بعض الأصول : « لو أغضبت عن هذه » مكان « ولو أغضبتك هذه » .

(٣) في بعض الأصول : « جاروك » .

(٤) التتابع : الإسراع إلى العسر .

ما تخاف الحسين إلا على من بعدك ، وإنك لتُخلف له قِرْنًا إن صارعه ليَصْرَعَنَّهُ ، وإن سابقه ليسبقته ، فَذَرِ الحُسَيْنَ مِنْبَتَ النَّخْلَةِ ، يشربُ من الماء ، ويَصْعَدُ في الهواء ، ولا يَبْلُغُ إلى السماء ؛ قال : فما غَيَّبَكَ عَنِّي يومَ صِفِّينَ ؟ قال : تَحَمَلْتُ الحُرْمَ ^(١) ، وكَفَيْتَ الحَزْمَ ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتنا لأجبناك ، ولو أمرت لأطعنك ^(٢) ؛ قال معاوية : يأهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بنى أمية

بين عمرو بن سعيد والوليد ابن عتبة في حضرة معاوية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان واليهم بعد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمرو بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو [الذي] أمر أهل المدينة بإخراجي ، فأرسل إليهِ وتوثقهُ . فأرسل إليهِ معاوية ، فلما دَخَلَ عليه ، قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجي ؟ قال : لا ، ورحمك أبا أمية ، ولا أمرتُ أهلَ الكوفة بإخراج أبيك ، بل كيف أطاعني أهلُ المدينة فيك إلا أن تكون عصيت الله فيهم ، إنك لتَحُلَّ عُرَى مُلْكٍ شديدةٍ عَقَدْتَهَا ، وتَمْرَى أخلافَ فيقة ^(٣) سريعةٍ دَرَّتْهَا ، وما جعل الله صالحاً مُصْلِحاً كفاسد مُفْسِدٍ .

بين معاوية وخالد ابن عبد الله حين وفدت عليه أموال العراق من الحجاج

جلس يوماً عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وُضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التَّوْفِيرُ وهذه الأمانة ! لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، أستعملته على العراق فأستعمل كلَّ مُلْطٍ ^(٤) فاسق ، فأدوا إليهِ العشرة واحداً ، وأدَى إلي من العشرة واحداً ؛ واستعملت

(١) فيما مر في الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٣٤٦) : « حملت الثقل » .

(٢) كذا في بعض الأصول هنا وفيما مر في الجزء الأول ، والذي في سائر الأصول هنا : « لو ثلمت لرفنناك » .

(٣) تمرى : تمسح . والفيقة : اللبن يجتمه في الضرع ما بين الحلبتين .

(٤) الملط : الذي يمنع الحق .

هذا على خُرَاسَانِ ، وأشار إلى أُمِيَّة ، فأهدى إلى بَرْدُونِ حَطَمَيْنِ (١) ، فإن استعملتكم ضَيِّعْتُمْ ، وإن عَزَلْتُمْ قَلْتُمْ أَسْتَمَخْتُ بِنَا وَقَطَعْتُ أَرْحَامَنَا . فقال خالد بن عبد الله : أَسْتَعْمَلْتَنِي عَلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ رَجُلَانِ : سَامِعُ مُطِيعِ الْمُنَاصِحِ ، وَعَدُوُّ مُبْغِضِ الْمُكَاشِحِ ، فَأَمَّا السَّامِعُ الْمُطِيعُ الْمُنَاصِحِ ، فَإِنَّا جَزَيْنَاهُ لِيَزْدَادَ وَدًّا إِلَى وُدِّهِ ، وَأَمَّا الْمُبْغِضُ الْمُكَاشِحِ ، فَإِنَّا دَارَيْنَاهُ ضِعْفَهُ ، وَسَلَلْنَا حِقْدَهُ ، وَكَثَّرْنَا لَكَ الْمَوَدَّةَ فِي صُدُورِ رَعِيَّتِكَ ؛ وَإِنَّ هَذَا جَنَى الْأَمْوَالِ ، وَزَرَعَ لَكَ الْبَغْضَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَنْبُتَ الْبَغْضَاءُ ، فَلَا أَمْوَالَ وَلَا رَجَالَ . فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ (٢) قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا وَاللَّهِ مَا قَالَ خَالِدُ .

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام فأتى عمته آمنة بنت سعيد بن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه [خالد] فرآه ، فقال ١٠ له : مَا يَقْدِمُ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ إِلَّا أَخْتَارَ الْمَقَامَ عِنْدَنَا عَلَى الْمَدِينَةِ . فَظَنَّ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِهِ ، فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ عَلَى النَّوَاضِحِ (٣) فَفَكَحُوا أُمَّكَ ، وَسَلَبُوا مَلِكَكَ ، وَفَرَّغُوا لَطْلَبَ الْحَدِيثِ ، وَقِرَاءَةَ الْكُتُبِ ، وَمُعَالَجَةَ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، يَعْنِي الْكِيمِيَا ، وَكَانَ يَعْمَلُهَا (٤) .

لَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَنِ مِصْرَ وَوَلَّاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِي سَرْحٍ ، دَخَلَ ١٥ عَلَيْهِ عَمْرُو وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَشَوُ جَبَّتِكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : أَنَا ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتُ يَا عَمْرُو أَنَّ اللَّقَاحَ دَرَّتْ بَعْدَكَ أَلْبَانُهَا بِمِصْرَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكُمْ أَعْجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا .

بين خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو ثم
بين عثمان وعمرو
ابن العاص بعد
عزله عن مصر

وقع بين ابن عمر بن عبد العزيز وابن سليمان بن عبد الملك كلام ، فجعل ٢٠ ابن عمر يذكر فضل أبيه ؛ قال له ابن سليمان : إِنْ شِئْتَ فَأَقْلِلْ وَإِنْ شِئْتَ

بين ابن عمر بن
عبد العزيز وابن
سليمان بن
عبد الملك ثم بين
العباس بن الوليد
والوليد بن يزيد
ثم بين هشام
والوليد أيضا

(١) حطمين : هزيلين قد أسنا فضعفا .

(٢) كان خروج ابن الأشعث في شعبان سنة ٨٢ من الهجرة .

(٣) النواضح : الإبل يستق عليها الماء ، واحدها ناضح .

(٤) في بعض الأصول : « يعملها » .

فأكثر، ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي . لأن سليمان هو ولي عمر
ابن عبد العزيز^(١) . ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا
عند هشام، فذكروا الوليد بن يزيد فحَقَّقوه وعابوه ، وكان هشام يُبغضه ، ودخل
الوليدُ ، فقال له العباس بن الوليد : كيف حُبُّكَ للرُّوميات ؟ فإن أباك كان
مَشْغُوفاً بهن ؛ قال : إني لأحِبُّهن ، وكيف لا يُحِبُّهن وهُنَّ يَلِدُنَّ مِثْلَكَ ؟
قال : اسكُتْ فليست بالفحل يَأْتِي عَسْبُهُ^(٢) بمثلي ؛ قال له هشام : يا وليد ،
ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام فَخَرَجَ . فقال هشام :
هذا الذي تَزْعُمون أَنَّهُ أَحْمَقُ . وقُرِّبَ إلى الوليد بن يزيد فَرَسَهُ ، فَجَمَعَ
جَرَامِيزَهُ^(٣) وَوَتَّبَ عَلَى سَرِّجِهِ ، ثم أَلْتَفَتَ إلى وليدٍ لهشام بن عبد الملك ، فقال :
يُحْسِنُ أبوك أن يَصْنَعَ مِثْلَ هذا ؟ قال : لأبي ما تُهَّ عبد يَصْنَعُونَ مِثْلَ هذا ؛ فقال
الناسُ : لم يَنْصِفْهُ في الجواب .

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقالت :
والله لا تزوجني أبا الذئباب . فتزوجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك ليحيى :
أما والله لقد تزوجت أسود أفوه^(٤) ؛ قال يحيى : أما إنها أحببت متى ما كرهت
منك . كان عبد الملك ردىء الفم يذمى فيتمتع عليه الذئباب ، فسُمِّيَ أبا الذئباب .

الجواب القاطع

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إني لأبغض هذه
الوجوه ؛ قال له سعيد بن عثمان^(٥) : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ؛ قال : صدقت ،

بين ثابت بن
عبد الله وسعيد
ابن عثمان ثم بين
الحجاج وخارجي
وبين ابن الباهلي
وعمر

(١) يشير إلى عهد سليمان بتولية عمر ثم يزيد بن عبد الملك من بعده .
(٢) العسب : ماء الفحل . وقد كان العباس يدعى فارس بن مروان لشهامته .
(٣) الجراميز من الإنسان : جسده وأعضاؤه . وجمع جراميزه ، أى تقبض ليثب .
(٤) الأفوه : الواسع الفم ، وقيل الذى تخرج أسنانه من الشفتين مع طولها .
(٥) فى الأصول : « سعيد بن عمرو بن عثمان » . وهو تحريف . فسعيد وعمرو وأخوان ،
ثم إن عمرو بن عثمان ليس من بين أولاده من اسمه سعيد . وقد عاش سعيد هذا
إلى أيام معاوية وكان عاملاً له على خراسان ثم عزله . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

ولسكن الأنصار والمهاجرين قتلوا أباك . وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ؛ قال له : أدخل الله أشدنا بُغضاً لصاحبه الجنة . وقال ابن الباهلي لعمر بن معديكرب : إن مهزك لمُقرِف^(١) ؛ قال : هَجِين عَرَفَ هَجِيناً^(٢) مثله .

١٤٣
٢

بين الحجاج
وخارجية ثم بين
زياد وفاجر

- ٥ وقال الحجاج لأمرأة من الخوارج : والله لأعدننكم عدداً ولأحصدنكم حصداً ؛ قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق ؟ وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها القتل أيها الأمير ؛ قالت الخارجية : لقد كان وزراه صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج ؛ قال لها : ومن صاحبي ؟ قالت : فرعون ، أستشارهم في موسى ، فقالوا : أزرجه وأخاه . وأتى زياد برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول في وفي أمير المؤمنين ؟ قال : أما الذي نُسِّميه أمير المؤمنين فهو أمير المشركين ؛ وأما أنت ، فما أقول في رجل أوله لزنية وآخره لدعوة ؟ فأمر به فقتل وصلب . قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت ذلك ضررك ؟ قال : لا ؛ قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك^(٣) . نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا ابن الزنديق ؛ قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ، إذ كان لا يرث دين ديناً .

بين الأشعث
وشريح ثم بين ابن
الفضل وبعض
قرابته

- ٢٠ وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه . فأمر بها فقتلت . لقي عثمان بن عفان علي بن أبي طالب ، فقأته في شيء ، بلغه عنه ، فسكت عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟

بين الحجاج
وخارجية ثم
بين عثمان وعلي

(١) المقرِف من الخيل : الذي أمه عربية وأبو غير عربي .

(٢) الهجين : ما كان أبوه عربياً وأمه غير عربية .

(٣) في بعض الأصول : « نفسك » .

قال له علي : ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .

بين معاوية
والأحنف ثم
بين معاوية
وأنصارى

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه ، إذ أخذه البيعة ، وسكت الأحنف ، فقال له : مالك لاتقول أبا بجر ؟ قال : أخافك إن صدقت ، وأخاف الله إن كذبت .

قال معاوية يوماً : أيها الناس إن الله فضل قريشاً بثلاث ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : (وأنذر عشيرتك الأقرين) فنحن عشيرته ، وقال : (وإني

لذكر لك ولقومك) فنحن قومه ، وقال : (لإيلاف قريش إيلافهم) إلى قوله (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ونحن قريش . فأجاب رجل من

الأنصار ، فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : (وكذب به قومك) وأنتم قومه ، وقال : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون)

وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) ، وأنتم قومه ، ثلاثة بثلاثة ، ولو زدنا لزدناك ، فأخفه .

بين معاوية
ورجل من اليمن

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم) ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من

عندك فأهدنا إليه ^(١) .

٢٠ مجاوبة الأمراء والرد عليهم ^(٢)

بين معاوية وابن
قدامة ثم بينه
وبين الأحنف ثم
ابن حاتم

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ! قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ! وهي الأثني من

الكلاب ؛ قال : لا أم لك ! قال : أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا ؛ قال : إنك لم تفتحننا قسراً ، ولم تملكنا

(١) في ي بعد قوله « إليه » : « تم الجزء بحمد الله وعونه » .

(٢) في ي قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

عَنوَةً ، وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا ، وَأَعْطَيْتَنَا سَمْعًا وَطَاعَةً ، فَإِنْ وَفَّيْتَ
لَنَا وَفَّيْنَا لَكَ ، وَإِنْ فَرَزْتَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّا تَرَكْنَا وِرَاءَنَا رَجَالًا شِدَادًا ،
وَأَلْسِنَةً حِدَادًا ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَا كَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَكَ ؛ قَالَ جَارِيَةٌ :
قُلْ مَعْرُوفًا وَرَاعِنَا ، فَإِنَّ شَرَّ الدُّعَاءِ الْمُحْتَضَبِ . عَدَّدَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ

عَلَى الْأَحْنَفِ ذُنُوبًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَرُدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَعْقَابِهَا ،
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبَّيْنُ جَوَانِحْنَا ، وَالسُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا
لَعَلَى عَوَاتِقِنَا ، وَلِئِنْ مَدَدْتَ فِتْرًا مِنْ غَدْرٍ لَنَمُدَّنَّ بَاعًا مِنْ خَيْرٍ ، وَلِئِنْ شَتَّ
لَتَسْتَصْفِينِ كَدَّرَ قُلُوبَنَا بَصْفُو حِلْمِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَلُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ

لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ : مَا فَعَلْتَ الطَّرْفَاتِ يَا أَبَا طَرِيفٍ ؟ — يَعْنِي أَوْلَادَهُ — قَالَ :
قُتِلُوا ؛ قَالَ : مَا أَنْصَفَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذْ قَتَلَ بَنُوكَ مَعَهُ وَبَقِيَ لَهُ بَنُوهُ ؛ قَالَ :
لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ قُتِلَ هُوَ وَبَقِيَتْ أَنَا بَعْدَهُ ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ
لَا يُخْنَقُ فِي قَتْلِ عِمَّانَ عَنَزٌ ^(١) ؟ قَدْ وَاللَّهِ خُنِقَ فِيهِ التَّيْسُ الْأَكْبَرُ . ثُمَّ
قَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ بَقِيََتْ مِنْ دَمِهِ قَطْرَةٌ وَلَا بَدَأَ أَنْ أَتْبِعَهَا ؛ قَالَ عَدِيُّ :

لَا أَبَالِكَ ! شِمَّ ^(٢) السَّيْفَ ، فَإِنَّ سَلَّ السَّيْفِ يَسْلُ السَّيْفَ . فَالْتَفَتَ مُعَاوِيَةُ
إِلَى حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ : أَجْعَلُهَا فِي كِتَابِكَ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ .

الشُّبَيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحُبَّابِ السَّكِنْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ
بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَنَامَ خَطِيمًا ،
فَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ أَنْ لَعَنَ عَلِيًّا ، فَأَطْرَقَ النَّاسُ وَتَكَلَّمَ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ مَا قَالَ آتِفًا ^(٣) لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ فِي لَعْنِ
الْمُرْسَلِينَ لِلْعَنِهِمْ ، فَاتَّقَى اللَّهَ وَدَعَاكَ عَلِيًّا ، فَقَدِ اتَّقَى رَبَّهُ ، وَأُفْرِدَ فِي قَبْرِهِ ،
وَخَلَا بِعَمَلِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ — [مَا عَلِمْنَا] — الْمُبَرِّزَ بِسَبْقِهِ ^(٤) ، الطَّاهِرَ

الأحنف في الرد
على شامى لعن عليا
في حضرة معاوية
وحدث ذلك

شامى في الرد
على شامى لعن عليا
في حضرة معاوية
وحدث ذلك

(١) في بعض الأصول : « عنزان . قال : قد . الخ » .

(٢) شام السيف : سله وأعمده ، فهي من الأضداد ، والمراد به هنا الثاني .

(٣) ما : مفعول به لقائل . أى القائل القول الذى قاله آتيفا .

(٤) كذا في بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٣٧) . وفي سائر الأصول : « سبعة » . ٢٥

خُلِقَهُ (١) ، الْمَيِّمُونَ نَقِيبَتُهُ (٢) ، الْعَظِيمَ مُصِيبَتُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا أَحْنَفُ ، لَقَدْ أَغْضَيْتَ الْعَيْنَ عَلَى الْقَدَى ، وَقَلْتَ بِغَيْرِ مَا تَرَى ، وَأَيْمَ اللَّهِ لَتَصْعَدَنَّ الْمِنْبَرَ فَلَتَلْعَنَهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ تُعْفِنِي فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تَجَبَّرَنِي عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا تَجْرِي بِهِ شَفَتَايَ أَبَدًا ؛ قَالَ : قُمْ فَاصْعِدْ الْمِنْبَرَ ؛ قَالَ الْأَحْنَفُ : أَمَا وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ لَأَنْصِفَنَّكَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ؛ قَالَ : وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ يَا أَحْنَفُ إِنْ أَنْصَفْتَنِي ؟ قَالَ : أَصْعَدُ الْمِنْبَرَ فَاحْمَدُ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيًّا ، وَإِنْ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ اخْتَلَفَا فَأَقْتَتِلَا ، وَادْعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ يُبْغِي عَلَيَّ وَعَلَى رِفْتِهِ ، فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَقُولُ : اللَّهُمَّ أَلْعَنِ أَنْتَ وَمَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ الْبَاغِيَّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأَلْعَنِ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَّةَ ، اللَّهُمَّ أَلْعَنِهِمْ لَعْنًا كَثِيرًا ، آمَنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؛ يَا مُعَاوِيَةَ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ حَرْفًا وَلَوْ كَانَ فِيهِ ذَهَابُ نَفْسِي . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِذْنُ نَعْفِيكَ يَا أَبَا بَحْرٍ .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن علياً قد قطعك ووصأتك ، ولا يرؤيدني منك إلا أن تلعنه على المنبر ؟ قال : أفعل . فأصعد فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب ، فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ثم نزل . فقال له معاوية : إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بيني وبينه ؛ قال : والله لازدت حرقاً ولا نقصت آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

الهيثم بن عدى قال : قال (٣) معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي ؟ قال : وجد ثمانين مثكلاً ؛ قال : فكيف حُبك له ؟ قال : حُب أم موسى ،

بين معاوية وأبي
الطفيل في علي
وعثمان

(١) في بعض الأصول : « ثوبه » مكان « خلفه » .

(٢) ميمون النقيب : مبارك النفس مظفر فيما يحاول .

(٣) روى المسعودي هذا الخبر مع اختلاف في عبارته بين معاوية وضرار بن الخطاب .

وإلى الله أشكو التَّقْصِير . وقال له مرة أخرى : أبا الطُّفَيْل ! قال : نعم ؛ قال :
 أنت من قَتَلَةَ عُثْمَانَ ؟ قال : لا ، ولكنتي ممن حَضَرَهُ ولم يَنْصُرْهُ ؛ قال : وما مَنَعَكَ
 مِن نَصْرِهِ ؟ قال : لم يَنْصُرْهُ المُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ فلم أَنْصُرْهُ ؛ قال : لقد كان
 حَقُّهُ واجباً ، وكان عليهم أن يَنْصُرُوهُ ؛ قال : فما مَنَعَكَ مِن نَصْرْتِهِ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّهِ ؟ قال : أَوْ مَا طَلَبِي بدمه نُصْرَةَ لَهُ ؟ فَضَحَكَ أَبُو الطُّفَيْلِ
 وَقَالَ : مَثَلُكَ وَمَثَلُ عُثْمَانَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١) :

لَأَعْرِفَنَّكَ^(٢) بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا

بين معاوية
وسلمة بن الخطل

العُقْبِيُّ قَالَ : صَعِدَ مَعَاوِيَةَ الْمَنْبَرُ فَوَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ رَقَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ
 اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ عَمْرَ وَلَا تَنِي أَمْرًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا غَشَّيْتُهُ
 وَلَا خُنَيْتُهُ ، ثُمَّ وَلَا تَنِي الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدًا ، فَأَحْسَنْتُ وَاللَّهِ
 وَأَسَأْتُ ، وَأَصَبْتُ وَأَخْطَأْتُ ، فَمَنْ كَانَ يَجْهَلُنِي فَإِنِّي أَعْرَفْتُهُ بِنَفْسِي . فقام إليه
 سَلَمَةُ بْنُ الْخَطَلِ^(٣) الْعَرَجِيُّ^(٤) ، فَقَالَ : أَنْصَفْتَ يَا مَعَاوِيَةَ ، وَمَا كُنْتَ مُنْصَفًا .
 قَالَ : فَغَضِبَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا أَحَدَبُ ؟ وَاللَّهِ لِكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
 بَيْتِكَ بِمَهْيَعَةٍ^(٥) ، وَبَطْنُكَ تَيْسٌ^(٦) ، وَبَطْنُكَ بَهْمَةٌ . بَفَنَانِهِ أَعَزَّ عَشْرُ ،
 يُحْتَلَبِينَ فِي مِثْلِ قَوَارِيرِ حَافِرِ الْعَيْرِ^(٧) ، تَهْفُو الرِّيحُ مِنْهُ [بِجَانِبِ^(٨)] ، كَأَنَّهُ جَنَاحُ نَسْرٍ .
 قَالَ : رَأَيْتَ وَاللَّهِ ذَاكَ^(٩)] فِي شَرِّ زَمَانِنَا إِلَيْنَا ، وَوَاللَّهِ إِنَّ حَشْوَهُ يَوْمَئِذٍ لِحَسْبٍ

(١) الشاعر هو النابغة الجعدي . (انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣) .

(٢) في المروج : « لألفينك » .

(٣) في الأصول : « الخضل » . والتصويب عن الاستيعاب والإصابة وابن عساكر .

(٤) كذا في الإصابة . والذي في الاستيعاب وتاريخ دمشق لابن عساكر أنه من بني عريج ،
 فإذا صح هذا فالنسبة إليهم : عريجي .

(٥) مهية : الجحفة بين الحرمين ، وهي ميقات الشاميين .

(٦) في بعض الأصول : « تين » .

(٧) كذا في تاريخ دمشق . يريد ما يقور من باطن حافره . يصفه باللؤم لضيق محله .

(٨) والذي في الأصول : « العنز » .

(٩) بجانب ، أراد جانب البيت . وأنه في الصقر على قدر جناح النسور ، يريد تصغير
 أمره وتحقيره .

(٩) التكملة عن تاريخ دمشق . وبين الخبر هنا وهناك خلاف في بعض الألفاظ .

غير دَنَسٍ]، فهل رأيتني يا معاوية أكلتُ مالا حراما أو قتلتُ أمرا مسلما؟ قال: وأين كنتُ أراك وأنت لا تدب إلا في خمر^(١)، وأى مسلم يعجز عنك فتقته؟ أم أى مال تقوى عليه فتأكله؟ أجلس لا جلست؟ قال: بل أذهب حتى لا تراني؛ قال: إلى أبعـد الأرض لا إلى أقربها، فضى. ثم قال معاوية: ردّوه عليّ، فقال الناس: يُعاقبه؛ فقال له: أستغفر الله منك يا أحدب، والله لقد بررت في قرابتك، وأسلمت فحسُن إسلامك، وإن أباك لسيد قومه، ولا أبرح أقول بما تحب، فاقعد.

الأوزاعي قال: دخل خُرَيْمُ النَّاعِمِ على معاوية فنظر إلى ساقِيه، فقال: أى ساقين لو أنهما على جارية! قال: في مثل عَجِيْزَتِكَ يا أمير المؤمنين؛ قال معاوية: واحدة بأخرى والبادى أظلم. دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان، فقال له: أما وجدت لك أمك اسماً إلا عطاء؟ قال: لقد استكثرتُ من ذلك ما استكثرتَه يا أمير المؤمنين، ألا سمّيتني بأسم المباركة، صلوات الله عليها، مريم.

قال معاوية لصُحار بن العباس العبدى: يا أزرُق؛ قال: البازى أزرُق؛ قال: يا أحر؛ قال: الذهب أحر؛ قال: ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال: شىء يختلج في صدورنا فتقدِّفه أسنتنا كما يقذف البحر الزبد؛ قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: أن نقول فلا نخطيء، ونجيب فلا نبطيء.

وقال عبد الله بن عامر بن كُرَيْز لعبد الله بن حازم: يا بن عَجَلِي^(٢)؛ قال: ذاك اسمها؛ قال: يا بن السوداء؛ قال: ذاك لونها؛ قال: يا بن الأمة؛ قال: كل أنثى أمة، فاقصد بذرعك لا يرجع سهْمك عليك، إن الإماء قد ولدتك.

دخل عبيد الله بن [زياد بن] ظَبْيَانِ على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: وابن ظبيان

(١) انظر الحاشية رقم (١ ص ٢١) من هذا الجزء.

(٢) في بعض الأصول: «عجلاء».

ما هذا الذي يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنك لا تشبه أباك؛ قال: والله لأننا أشبهه به من الماء بالماء، والغراب بالغراب، ولكن أدلك على من لم يشبه أباه؛ قال: من هو؟ قال: من لم تفضحه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام؛ قال: ومن هو؟ قال: ابن عمي سويد بن منجوف، وإنما أراد عبد الملك بن مروان، وذلك أنه ولد لستة أشهر.

بين زيد بن علي
وهشام بن
عبد الملك

(١) دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعاً يقعد فيه، فعلم أن ذلك فعل به على عمد، فقال: يا أمير المؤمنين، [اتق الله! قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد]: إنه لا يكبر أحدٌ فوق أب يوصى بتقوى الله، ولا يصغر دون أن يوصى بتقوى الله. قال له هشام: بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة؛ قال زيد: أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله؛ وأما قولك إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، ابن أمة، من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وإسحاق، ابن حرّة، أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت. [قال له: قم؛ قال: إذن لا تراني إلا حيث تسكره]. فلما خرج من عنده قال: ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل. قال له حاجبه: لا يسمع هذا السلام منك أحد. وقال زيد بن علي:

شَرَّده الخَوْفُ وأزرى به كذاكَ مَنْ يكره حرَّ الجِلاَدِ
مُحتفى الرِّجْلين^(٢) يشكو الوجي تقرعه أطرافُ مَرَوٍ^(٣) حداد
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رِقابِ العِبادِ

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب في كناسة. وفيه يقول سديف بن ميمون
في دولة بني العباس:

(١) بين الخبر هنا وفي البيان (ج ١ ص ١٦٩) بعض الخلاف.

(٢) في البيان: «منخوق الحقيقين».

(٣) المرو: حجارة بيض رقاق.

وَأَذْكَرُوا مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا وَقَتِيًّا لَاحِقًا بِجَنَابِ الْمُهْرَاسِ (١)
 يُرِيدُ حِمَاةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمَقْتُولِ بِأَحَدٍ .

٥ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ : زُبَيْرِيُّ ! وَاللَّهِ لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبَدًا ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَجْزَعُ مَنْ فَقَدَ الْحُبَّ النَّسَاءَ ، وَلَكِنْ عَدَلًا وَإِنصَافًا . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي مَرْيَمَ الْحَنْفِيِّ ، قَاتِلَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ : وَاللَّهِ لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبَدًا حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ تَمْنَعُنِي لِذَلِكَ حَقًّا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَحَسْبِي .

١٠ دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَى أَمْرِي أَوْطَاكَ رَسَنَكَ وَسَأَطَّكَ عَلَى الْأُمَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُدْبِرٌ عَنِّي ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ عَلَيَّ لَعَظَمْتُ فِي عَيْنِكَ مَا اسْتَصْفَرْتَنِي مَتَى ؛ قَالَ : أَنْظِنِ الْحِجَابَ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ أَمْ هُوَ يَهْوَى فِيهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْحِجَابَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعَّهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شِئْتَ . وَقَالَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ لَزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ : بَلَّغْنِي أَنْ كَفَفْتَهُ تَدْعِيكَ ؛ قَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُتَّقَى رَهْبَةً وَلَا يُدْعَى رَغْبَةً .

١٥ قَالَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ لِلْحَسَنِ بْنِ دُلْجَةَ : إِنِّي أَظُنُّكَ أَحَقُّ ؛ قَالَ : مَا يَكُونُ الشَّيْخُ إِذَا أَعْمَلَ ظَنَّهُ ؟ وَقَالَ مَرْوَانَ لِحُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ : وَكَانَ كَبِيرًا مُسْنَأً . أَيُّهَا الشَّيْخُ ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُكَ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَاثُ ؛ فَقَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَمِمْتَ بِالْإِسْلَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ كُلِّ ذَلِكَ يَعُوقُنِي عَنْهُ أَبُوكَ وَيَنْهَانِي وَيَقُولُ : يَضَعُ مِنْ قَدْرِكَ ، وَتَتْرِكُ دِينَ آبَائِكَ لِدِينِ مُحَدَّثٍ ، وَتَصِيرُ تَابَعًا . فَسَكَتَ مَرْوَانَ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمَ بِكَ حَيْثُ كَانَ يَشْتُمُّكَ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتُمُّنِي لِأَنِّي كُنْتُ أَنْهَاهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ مَكَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ بَهُمَا ؛ أَمَا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا النَّبِيَّ

(١) المهراس : ماء بأحد .

صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه ، حتى سيرهم ، يعرض بالحكم بن أبي العاصي طريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه ؛ قال له : عليك لعنة الله .

بين معاوية
وتيمى ثم بينه
وبين قيس بن
سعد

جلس معاوية يُبايع الناس على البراءة من عليّ ، فقال له رجل من بني تميم : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم ؟ فالتفت معاوية إلى زياد فقال : هذا رجل فاستوص به . قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، لم تطلبون ما عندي ، فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً مع عليّ ، ولقد فلتتم حدى يوم صفيين ، حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم ، ولقد هجوت مؤنني بأشد من وخز الأسل ، حتى إذا أقام الله منّا ما حاولتم ميّله ، قلتُم أزع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيهات ! أبي الحقيين العذرة^(١) . فأجابه قيس بن سعد ، قال : ١٠
أما قولك حينئذ نطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافي به الله^(٢) لا بما تمت به إليك الأحزاب ؛ [وأما استقامة الأمر ، فعلى كره منّا كان] ؛ وأما فلئنا حدك يوم صفيين ، فأمرنا لا نعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتها عنك ؛ ١٤٧
وأما هجاؤنا إيتاك ، فتقول يثبت حقه ، ويرؤل باطله ؛ وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن به يحفظها من بعده ؛ [وأما قولك : يا أبي الحقيين العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منّا] ^(٣) ، فدونك أمرك يا معاوية ، فإنما مثلك كما قال الشاعر :

يا لك من قُبْرَةٍ بمَعْمَرٍ خَلَا لك الجَوْ فَبِيضِي وَأَصْفِرِي

(١) الحقيين : المحبوس . والعذرة : العذر . يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له .

وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستقام لبنا وعندهم لبن فوضعه في وطب ، واعتلوا عليه واعتذروا ، فقال هذا المثل ، يريد أن هذا الحقيين يكذبكم .

(٢) في بعض الأصول : « فعد ما سواه » مكان « به الله » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والمروج (ج ٢ ص ٦٣) .

(٣) في مروج الذهب بعد هذا : « فقال معاوية يموه : ارفعوا حوائجكم » ، ولم يذكر البيت هنا ، وإنما ذكره منسوباً للحسين يخاطب به ابن الزبير حين تم الحسين

٢٥ بالانتقال إلى الكوفة تاركاً ابن الزبير بمكة .

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال :
 فينا وفي خلفائنا من ربعة . قال سليمان^(١) : الذي تحالفتما عليه أعزُّ منكما .

مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرَّوا ، وثبت
 ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم فأخافك ،
 ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسع لك . وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن
 حاتم : متى فقت عيئك ؟ قال : يوم قتل أبوك ، وهربت عن خالتك^(٢) ، وأنا
 للحق ناصر ، وأنت له خاذل . وكان فقت عينه يوم الجمل .

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخطباء في ربعة ؟ قال : نعم ،
 ولكن منابرهم الجدوع . كان المسور بن مخرمة جليلاً نبيلاً ، وكان يقول في
 يزيد بن معاوية : إنه يشرب الخمر . فبلغه ذلك ، فكتب إلى عامله بالمدينة
 أن يجلده الحد ، ففعل . فقال المسور في ذلك :

أيشربها صرفاً يفض ختامها أبو خالد ويجلد الحد مسور

قال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول ؟

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :

لا أحسب الجور ينقضى وعلى أمة وال من آل عباس

قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم^(٣) ، قال : يُنفي إلى السند ، وإنما

مزحنا معك .

قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع^(٤) : أنشدني قولك في الخمر :
 كميت إذا شجبت^(٥) وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب

(١) في بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » مكان « سليمان » .
 (٢) يريد : عائشة ، فهي أخت أمه أسماء .
 (٣) في مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٢٩) : « ابن أبي نعيم » .
 (٤) في الأغاني : « فضت » .

(٥) الشعر للأقيصر ، والحديث بينه وبين عبد الملك . (انظر الأغاني ج ١٠ ص ٩٣ طبعة بلاط)

بين سليمان بن
 عبد الملك وعدي
 ابن الرقاع ثم بين
 بلال وخالد بن
 صفوان

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

تُريك القَدَى من دُونِهَا وهى دُونَهُ لَوَجْهٍ أَخِيهَا فى الإِنَاءِ قُطُوبٌ
فَأَنشَدَهُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : شَرِبْتَهَا وَرَبَّ السَّكْمَةِ ؛ قَالَ عَدَى : وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَنْ رَأَيْتُكَ وَصَفَى لَهَا قَدْرَ ابْنَتِي مَعْرِفَتِكَ بِهَا . فَتَضَاحَكَا وَأَخَذَا
فى الْحَدِيثِ . الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : لِمَا وَلى بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ الْبَصْرَةَ بَلَغَ ذَلِكَ
خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ ، فَقَالَ : * سَحَابَةٌ صَيِّفٍ عَنِ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ *
فَبَلَغَ ذَلِكَ بِلَالًا فَدَعَا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :

* سَحَابَةٌ صَيِّفٍ عَنِ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ ؟ *

أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقَشَّعُ حَتَّى يَصِيدَكَ مِنْهَا شُؤْبُوبٌ بَرَدٌ ، فَضَرَبَهُ مَائَةً سَوْطًا . وَكَانَ
خَالِدٌ يَأْتِى بِلَالًا فى وِلايَتِهِ ، وَيَغْشَاهُ فى سُلْطَانِهِ ، وَيَغْتَابُهُ إِذَا غَابَ عَنْهُ ،
وَيَقُولُ : مَا فى قَلْبِ بِلَالٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا مَا فى بَيْتِ أَبِي الزَّرْدِ الْحَنْفِيِّ مِنَ
الْجَوَاهِرِ . وَأَبُو الزَّرْدِ رَجُلٌ مُفْلِسٌ .

دَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْقَسْرِيِّ بَعْدَ حِجَابٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ عُتْبَةُ رَجُلًا سَخِيًّا ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ ، يُعْرَضُ
بِهِ : إِنْ هَا هُنَا رَجَالًا يُدَايِنُونَ فى أَمْوَالِهِمْ ، فَإِذَا فَنَيْتَ يُدَايِنُونَ فى أَعْرَاضِهِمْ .
فَعَلِمَ الْقَرَشِيُّ أَنَّهُ يُعْرَضُ بِهِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ رَجَالًا تَكُونُ أَمْوَالُهُمْ
أَكْثَرَ مِنْ مُرُوتِهِمْ ، فَأَوْلَيْتُكَ تَبْقَى أَمْوَالُهُمْ ، وَرَجَالًا تَكُونُ مُرُوتُهُمْ أَكْثَرَ
مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَإِذَا نَفَدْتَ إِذَانَا عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ . فَخَجَلَ خَالِدٌ وَقَالَ :

١٤٨
٢

أَمَّا إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتَ . كَانَ شَرِيكَ الْقَاضِي يُشَاحِنُ الرَّبِيعَ صَاحِبَ شُرْطَةِ
الْمَهْدِيِّ ، [فَحَمَلَ الرَّبِيعُ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ] ، فَدَخَلَ شَرِيكَ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ لَهُ
الْمَهْدِيُّ : بَلَغْنِي أَنَّكَ وُلِدْتَ فى قَوْصَرَةٍ^(١) ؛ فَقَالَ : وُلِدْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِخِرَاسَانَ وَالْقَوَاصِرَ هُنَاكَ عَزِيزَةً ؛ قَالَ : إِنْى لِأَرَاكَ فَاطِمِيًّا حَبِيبًا ؛ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّى
لَأُحِبُّ فَاطِمَةَ وَأَبَا فَاطِمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّهُمَا ، وَلَسْ كُنِّى

(١) يريد بالقوصرة : وعاء من قصب . وأهل البصرة يسمون المنبوذ . ابن قوصرة ،

ووجد فى قوصرة أو فى غيرها .

بين عبة وخالد
القسرى ثم بين
شريك والمهدى

بن قاصر
بن قاصر
بن قاصر
بن قاصر

رَأَيْتُكَ فِي مَنَامِي مَصْرُوفًا وَجْهَكَ عَنِّي ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِبُغْضِكَ لَنَا ، وَمَا أَرَانِي إِلَّا قَاتِلَكَ لِأَنَّكَ زَنْدِيقٌ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الدَّمَاءَ لَا تُسْفَكَ بِالْأَحْلَامِ ، وَلَيْسَ رُؤْيَاكَ رُؤْيَا يَوْسُفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ بِأَنِّي زَنْدِيقٌ ، فَإِنَّ لِلزَّنَادِقَةِ عِلْمًا يَعْرِفُونَ بِهَا ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : بِشُرْبِ الْحَمْرِ وَالضَّرْبِ بِالطَّنْبُورِ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَيْكَ .

بين عمر بن الخطاب وعمر بن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر: لقد سرت سيرة عاشق؛ قال: والله ما تأبطنني الإمام^(١)، ولا حملتني البغايا في غبرات المال^(٢)؛ قال عمر: والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، والبيضة منسوبة إلى طرفها^(٣)، وقام عمر فدخل. فقال عمرو: لقد فحش علينا أمير المؤمنين.

قتيبة بن مسلم وابنه عبد الله والحضين بن المنذر

وتزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما أفتتح سمرقند أفضى إلى أنثى لم ير مثله، وإلى آلات لم يسمع بمثله، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم، ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم، فأمر بدار ففرشت، وفي صحتها قدور أشتمت، تزتقي بالسلام. فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل، والناس جلوس على مراتبهم، والحضين^(٤) شيخ كبير، فلما رآه عبد الله ابن مسلم قال لقتيبة: إنذن لي في كلامه^(٥)؛ فقال: لا تردّه، فإنه خبيث الجواب. فأبى عبد الله إلا أن يأذن له — وكان عبد الله يضعف^(٦)، وكان قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك — فأقبل على الحضين، فقال: أمن الباب دخلت

(١) أي أنه لم تتول الإمام تربيته .

(٢) المال: خرق الحيز ، وغبرات المال ، أي بقاياها .

(٣) يعرض بعمر ، إذ كانت أمه النابغة من مغنيات مكة ، وكان يأتيها غير واحد .

فلما ولدت عمرو ألحقت بالعماس لشبهه به . (انظر ج ٢ ص ١٢٠ من هذه الطبعة) .

وانظر نثر الدرر للآبي في الكلام على عمر بن الخطاب .

(٤) في الأصول : « والحسن » . وهو تحريف .

(٥) في الكامل : « ومعاتبته » .

(٦) يضعف : يوصف بالضعف في عقله ورأيه .

يا أبا ساسان؟ قال: أجل؛ ضَعْفٌ ^(١) عَمَّكَ عن تسوّر الحيطان؛ قال: أ رأيت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من أن لا ترى؛ قال: ما أحسب بكبر بن وائل رأى مثلها؛ قال: أجل، ولا عَيْلان ^(٢)، ولو كان رآها سُمِّيَ شَبَعان ولم يُسمَّ عَيْلان؛ قال له عبدُ الله: أتعرف الذي يقول:

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَاها تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ؟ ^(٣)

قال: أعرفه وأعرف الذي يقول:

[وَخَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةَ بْنِ يَعْمُرَ وَالرِّبَابِ]

يُرِيدُ: يَا خَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ. قال له: أتعرف الذي يقول:

كَانَ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟ ^(٤)

قال: نعم. وأعرف الذي يقول:

قَوْمٌ قَتِيْبَةٌ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قَتِيْبَةٌ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قال: أما الشعر، فأراك ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: أقرأ منه الأكثر: (هَلْ أُنَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكَورًا). قال: فأغضبه، فقال: والله لقد بلغني أن امرأة الحُضَيْنِ حملت

إليه وهي حُبلى من غيره. قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى، ثم قال على

رسله: وما يكون! تلد غلاماً على فراشي، فيقال: فلان بن الحُضَيْنِ، كما يقال:

عبدُ الله بن مُسَلِمٍ. فأقبل قَتِيْبَةَ على عبد الله، فقال: لا يُبعد الله غيرك.

والحُضَيْنِ هذا هو الحُضَيْنِ بن المُنْذِرِ الرَّقَاشِيِّ، ورَقَاشُ أُمُّهُ، وهو من بني شَيْبَانَ

ابن بكر بن وائل، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصيفين

على ربيعة كلها، وله يقول علي بن أبي طالب:

(١) في الكامل: «أسن».

(٢) عيلان: جده الأكبر، وذلك أن باهلة أخت غني بن يعمر بن سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر.

(٣) هذا الشعر لحارثة بن بدر الغدافي.

(٤) الفقاح: جمع فقحة، وهي الدبر. وهذا البيت للفرزدق.

لمن رايةٌ سوداءٌ يَحْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضِينَ تَقَدَّمَا
يُقَدِّمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَهَا^(١) حِيَاضَ الْمَنَايَا تَقَطِّرُ الشَّمَّ وَالِدَمَا
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءَ بِفَضْلِهِ رِبِيعَةً خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

١٤٩
٢

بين المنذر وعمرو
ابن العاص ثم بين
خالد ورجل من
عبد الدار

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أى رجل أنت لو لم
تَكُنْ أُمَّكَ ، مَنْ هِيَ ؟ قَالَ : أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، لَقَدْ فَكَّرْتُ فِيهَا الْبَارِحَةَ ،
فَجَعَلْتُ أَنْتَلِّهَا فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَمَا خَطَرْتُ لِي عَبْدُ الْقَيْسِ بِيَالٍ . قَالَ خَالِدُ بْنُ
صَفْوَانَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَسَمِعَهُ يَفُخِّرُ بِمَوْضِعِهِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُ
خَالِدٌ : لَقَدْ هَشَمْتِكَ هَاشِمٌ ، وَأُمَّتُكَ^(٢) أُمِيَّةٌ ، وَخَزَمَتُكَ مَخْزُومٌ ، وَجَمَحَتُكَ
جُمَحٌ ، وَسَهْمَتُكَ^(٣) سَهْمٌ ، فَأَنْتَ ابْنُ عَبْدِ دَارِهَا ، تَفْتَحُ الْأَبْوَابَ إِذَا أُغْلِقَتْ ،
وَتُغْلِقُهَا إِذَا فُتِحَتْ .

٥
١٠

جواب في هزل

بين المغيرة
وأعرابي يؤاكله
ثم بين بن عنبسة
وابراهيم في
حضرة هشام

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي - وهو والى الكوفة - جدى يُوضع على
مائدته ، فَحَضَرَهُ أَعْرَابِيٌّ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْجَدَى ؛ وَجَعَلَ يُسْرِعُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ
الْمَغِيرَةُ : إِنَّكَ لَتَأْكُلُهُ بَجَرْدٍ^(٤) كَأَنَّ أُمَّهُ نَطَحَتْكَ ؛ قَالَ قَالَ : وَإِنَّكَ لَمُسْفِقٌ
عَلَيْهِ كَأَنَّ أُمَّهُ أَرْضَعَتْكَ . كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ جَالِسًا عِنْدَ هِشَامٍ ،
إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَنبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَحْمَرَ الْجُبَّةِ وَالْمِطْرَفِ
وَالْعِيَامَةِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : هَذَا ابْنُ عَنبَسَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي زِينَةِ قَارُونَ . قَالَ :
فَضَحِكَ هِشَامٌ . قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا أَضْحَكَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَخْبَرَهُ
بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَوْلَا مَا أَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ لِأَجِبْتُهُ ؛ قَالَ : وَمَا تَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ ؟ قَالَ : بَلْغَنِي أَنْ الدَّجَالُ يَخْرُجُ

١٥
٢٠

(١) في مروج الذهب : « يعلمها » .

(٢) أمه : أصاب أم رأسه .

(٣) سهمتك : قرعتك وغلبتك .

(٤) حرد الرجل : إذا اغتاط فتعرش بالذى غاظه وهم به .

من غَضَبَةٍ يَغْضِبُهَا ، وَكَانَ إِبرَاهِيمُ أَعْوَر . قَالَ إِبرَاهِيمُ : لَوْلَا أَن لَه عِنْدِي يَدًا عَظِيمَةً لِأَجْبَتُهُ ؛ قَالَ : وَمَا يَدُهُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : ضَرَبَهُ غُلَامٌ لَهُ بِمُدِيَّةٍ فَأَصَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الدَّمُ فَرَزَعَ ، فَجَعَلَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : أَنْتَ حُرٌّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ عَائِدًا لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ نَجَدْتُكَ ؟ قَالَ لِي : أَنْتَ حُرٌّ ؛ قُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبرَاهِيمُ ؛ قَالَ لِي : أَنْتَ حُرٌّ . فَضَحِكَ هَشَامٌ حَتَّى اسْتَلْقَى .

بين ابن حسان
وعطاء ثم بين
حارثه وبعضهم

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ لِعِطَاءِ بْنِ أَبِي صَيْفِيٍّ [بْنِ ثَابِتٍ] : لَوَأَصَبْتَ رَكْوَةً مَمْلُوءَةً سَخْرًا بِالْبَقِيعِ مَا كُنْتَ صَانِعًا؟ قَالَ : كُنْتُ أُعْرِفُهَا بَيْنَ التَّجَارِ ، فَإِن لَمْ تَكُنْ لِحُمْ فِيهِ لَكَ ؛ لَسَكُنَ أَخْبَرَنِي عَنِ الْفَرِيعةِ أَكْبَرُ أُمِ ثَابِتٍ ؟ وَقَد تَرَوْتُ جِهًا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا عَنِ قَلْبِي ، فَقِيلَ لَهَا : يَا فَرِيعةُ ، لِمَ تُطَلِّقِينَ وَأَنْتِ جَمِيلَةٌ حُلُوةٌ ؟ قَالَتْ : يُرِيدُونَ الضِّيقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَانَ بِهِ وَضَحٌ ، حَارِثَةُ^(١) بِنُ بَدْرِ ، وَكَانَ مُغْرَمًا بِالشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا : أَشَعُرْتُ أَنَّهُ بُعِثَ نَبِيٌّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يُحِلُّ الخَمْرَ لِلنَّاسِ ؟ قَالَ^(٢) : إِذَا لَانْصَدَّقَ بِهِ حَتَّى يُبْرِيَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

دَخَلَ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ عَلَى زِيَادٍ ، فَسَلَّمَ تَسْلِيمًا جَافِيًا ، فَأَدْنَاهُ زِيَادٌ فَجَلَسَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عِيَّاشَ ، النَّاسُ يَضْحَكُونَ مِنْ جَفَائِكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ضَحِكُوا ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ مِنْهُمْ رَجُلًا إِلَّا وَدَّ أَنِّي أَبُوهُ دُونَ أَبِيهِ لِعَيْتَةٍ كَانَ أَوْ لِرَشْدَةٍ . دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِنَ الْيَمَامَةِ يَضْحَكُونَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا فَرَّاسَ ، أَنْتَ دَرِي مِمَّ يَضْحَكُونَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ؛ قَالَ : مَنْ جَفَائِكَ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، حَجَّجْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْمَنِ صَبِيٌّ ، وَأَمْرَأَةٌ آخِذَةٌ بِمِزْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

بين الزبرقان
وزياد ثم بين
الفرزدق وبلال

أَنْتَ وَهَبْتَ زَانِدًا وَمَزِيدًا وَكَهْلَةً أُولَجَ فِيهَا الْأَجْرَدَا

وَهِيَ تَقُولُ : إِذَا شِئْتَ . فَسَأَلْتُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قِيلَ : مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ : « جَارِيَةٌ مِنْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « قَالَتْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

- ١٥٠
٣
فأنا أجنبي من ذلك الرجل؟ قال: لا حيالك الله، فقد علمتُ أننا لا نُقلت منك .
اجتمع رجل كوسج^(١) مع رجل مُسبيل^(٢)، فقال المُسبيل: (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)، قال الكوسج: قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث . مرَّ مسleme بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة ، فقال له الموسوس: لوراك أبوك آدم لقررت عينه بك؛ قال له مسleme: لوراك أبوك آدم لأذهبت سخنة عينه بك قرّة عينه بي ! وكان مسleme من أحضر الناس جوابا .
- ٥
خرج إبراهيم النخعي وقام سليمان الأعمش يمشي معه ، فقال إبراهيم: إن الناس إذا رأونا قالوا: أعور وأعمش ! قال: وما عليك أن يأمؤا ونؤجر؛ قال: وما عليك أن يسلموا ونسلم . وقال شداد الحارثي: لقيت أسود بالبادية ، فقلت: لمن أنت يا أسود؟ قال: لسيد الحيّ يا أصلع؛ قلت: ما أغضبك من الحق؟ قال لي: الحق أغضبك؟ قلت: أولست بأسود؟ قال: أولست بأصلع؟ أدخل مالك بن أسماء السجّج - سجن الكوفة - فجلس إليه رجل من بني مرة فأتكا عليه الثرمي يحدثه ، ثم قال: أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: أما في الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام؛ قال: ومن قتلنا منكم في الإسلام؟ قال: أنا، قد قتلتني بنن إبليك .
- ١٠
مرّت امرأة من بني نُمير على مجلس لهم في يوم ریح ، فقال رجل منهم: إنها لرسحاء^(٣) . قالت: والله يا بني نُمير ما أطعم الله ولا أطعم الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . وقال الشاعر:
- ١٥
* فغض الطرف إنك من نُمير *
- ٢٠
قيل لشريح: أيهما أطيب: الجوزنيق أم اللوزنيق^(٤)؟ قال: لست
- ٢٥
(١) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه . (٢) مسبل ، أي قد أرسل لحيته .
(٣) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين . (٤) الجوزنيق واللوزنيق: من الحلواء ، يعمل أولها من الجوز . وثانيهما يشبه القطائف ويعمل بدهن اللوز ، وأصلهما في الفارسية كوزينة ولوزينة . (انظر الألفاظ الفارسية العربية) .

بين كوسج
ومسبل ثم بين
مسleme وموسوس

بين النخعي
والأعمش ثم بين
شداد وأسود
ثم بين ابن أسماء
ومري

بين نُميرية وبعض
قومها

لشريح
في الجوزنيق
واللوزنيق ثم بين
هشام والفرزدق

أحکم علی غائب . هشام بن القاسم قال : جمعنی والفرزدق مجلس فتجاهلتُ عليه
فقلتُ : مَنْ السَّكْهَلُ ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلتُ : لا ؛ قال : أبو فراس ؛ قلتُ :
وَمَنْ أبو فراس ؟ قال : الفرزدق ؛ قلتُ : وَمَنْ الفرزدق ؟ قال : وما تعرف
الفرزدق ؟ قلتُ : لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعلُه النساءُ عندنا يتشبهون به

كهيئة السَّويق ؛ قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نساءكم يتشبهون بي .
قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلابي : زَوَّجَنِي امرأةً من كَلْبٍ ، فزَوَّجَهُ ،
فقال له ذاتَ يومٍ : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نساء
كلب خلقتن لرجال كلب . وقال له يوماً : وهو يتغدى معه : يا أبرش ، إن
أكلتُ أكلُ مَعَدِي ؛ قال : هيهات ! تأتي ذلك قضاة .

بين هشام
والأبرش

١٠ عمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال
أبو حنيفة^(١) لشيطان الطاق^(٢) : مات إمامك ، وذلك عند المهدي ؛ فقال
شيطان الطاق : لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . فضحك
المهدي من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . العتيبي قال : حدثني أبي قال : لما
افتتح الثَّجِير ، وهي مدينة باليمن ، سمع رجلٌ من كِنْدَةَ رجلاً وهو يقول :
وَجَدْنَا فِي نِسَاءِ كِنْدَةَ سَعَةَ ؛ فقال له : إن نساء كِنْدَةَ مسكاحلٌ فقدت سمرادها .
١٥ لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يُداعبه ، وكان الفرزدق دَمِيماً ،
فقال له : يا أبا فراس ، ما أنت بالذي لما رأيته أ كَبْرَنَهُ وَقَطَّعَنَ أَيْدِيَهُنَّ ؛ قال
له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : (يا أبتُ أَسْتَأْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ
مَنْ أَسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

بين عمارة
وشيطان الطاق
في حضرة المهدي
ثم بين كندی
وأخرثم بن خالد
ابن صفوان
والفرزدق

٢٠ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال المشتري : أما والله لقد أخذتها
كثيرة المؤونة ، قليلة المعونة ؛ قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطيئة
الاجتماع ، سريعة الافتراق . واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها :

بين متبايعين ثم
بين ابن حنيفة
ومحدث

(١) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس .

(٢) في الأصول : « الطارق » في الموضعين . وهو تحريف .

لو صبرتَ لا شتريتُ منك الذراع بعشرة دنانير؛ قال له البائع: وأنت لو صبرتَ لا شتريتَ مني الذراع بدزهم. وكان [بالرقة] رجل يُحدِّث بأخبار بني إسرائيل، فقال له الحججاج بن حنتمة^(١): كيف كان أسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: حنتمة؛ فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري: أين وجدتَ هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص.

بين الشعبي
وبعض الرجال
ثم بين معن وابن
عياش

وقال رجل للشعبي: ما كان أسم امرأة إبليس؟ قال: إن ذلك نكاح ما شهدناه. ودخل رجل على الشعبي فوجده قاعداً مع امرأة، فقال: أيكما الشعبي؟ قال الشعبي: هذه، وأشار إلى المرأة. كان معن بن زائدة ظنيناً في دينه، فبعث إلى ابن عياش^(٢) الممتوف بألف دينار، وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بألف دينار، اشتريتُ بها منك دينك، فاقبض المال واكتب إلي بالتسليم. فكتب إليه: قد قبضتُ المال وبعثتُ به ديني خلا التوحيد، لِمَا عَلِمْتُ من زهدك فيه.

بين بلال بن أبي
بردة وأبي علقمة
المرور ثم بين
حسان وعائشة

بعث بلالُ بن أبي بردة في ابن أبي علقمة الممرور، فلما أتى به قال: أتدرى لِمَا بعثتُ إليك؟ قال: لا أدري؛ قال: بعثتُ إليك لأضحك بك؛ قال: لئن فعلت لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه، يُعرض له بجده أبي موسى، فنضب منه بلالٌ وأمر به إلى الحبس. فنكلمه الناس وقالوا: إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب، فأمر بإطلاقه وأن يُؤتى به إليه. فأتى به في يوم سبت وفي كُمة طرائف أُتحف بها في الحبس، فقال له بلال: ما هذا الذي في كُمتك؟ قال: من طرائف الحبس؛ قال: ناولني منها؛ قال: هو يوم سبت ليس يُعطى فيه ولا يُؤخذ؛ يُعرض بعمّة كانت له من اليهود. دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها:

حِصَانُ رَزَانُ مَا تُرْزَنُ بِرَبِيبَةٍ وَتُضْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ
قَالَتْ لَهُ: لَسَكَذِكُ لَسْتَ كَذَلِكَ، وَكَانَ حَسَّانُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ.

(١) كذا في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٤) والكامل. والذي في الأصول: «خيشمة».

(٢) في الأصول: «عباس». وهو تحريف. انظر عيون الأخبار والمعارف.

بين ابن الأحوز
ورجل من الأزدي
ومحمد المازني ثم
بين ربيعة وبعض
النساء ثم بين
سعيد وبعض
الرجال

نظر رجل من الأزدي إلى هلال بن الأحوز^(١) حين قدم من قنديل^(٢) ،
وقد أطافت به بنو تميم فقال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطفافة الحوار بين عيسى .
فقال له محمد بن عبد الملك المازني: هذا ضد عيسى ، عيسى كان يحيى العوفي وذا
يُميت الأحياء . لما حُلقت لِحْيَةُ ربيعة [بن أبي عبد الرحمن] ، كانت امرأة من
المسجد تقف عليه كل يوم في حلقته ، وتقول: الله لك يا بن^(٣) أبي عبد الرحمن !
مَنْ حَلَقَ لِحْيَتِكَ ؟ فلما أبرمته ، قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها في جرة واحدة
وأنت تحلقينها في كل يوم . خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بجنبه
في يوم مطر عليه طيلسان وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه :
أفسدت ثوبك يا عبد الله ؛ قال : وما يضرُّك ؟ قال : ودِدْتُ أنك وهو في
التار ؛ قال : وما ينفعك ؟

١٠

لما قدم الحجاجُ العراقَ والياً عليها خرج عبيد الله بن ظبيان مُتوكِّئاً على
مولى له وقد ضربَ به الفلجُ ، فقال : قدِمَ العراقَ رجلٌ على ديني ؛ فقال له حُضَيْنُ
ابن المُنذِرِ الرَّقَاشِيّ : فهو إذا منافق ؛ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ؛ قال له
حُضَيْنُ : إذا يقتلك . لما قدِمَ عبدُ الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ،
فمرَّ الحجاجُ بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالسٌ في المسجد ، وعلى الحجاج سيف
مُحَلَّى ، وهو يُخَطِرُ مُتَبَخِّراً في المسجد ، فقال له رجلٌ من قریش : من هذا
التَّخَطُّارُ ؟ فقال خالدٌ : بَخِ بَخِ ! هذا عمرو بن العاص . فسمعه الحجاجُ فقال
إليه ، فقال : قلت : هذا عمرو بن العاص ! والله ما سرتني أن العاص ولدني ولا ولدته ،
ولسكن إن شئت أخبرتك من أنا ، أنا ابن الأشياخ من ثَقِيف ، والعقال من
قریش ، والذي ضرب مائة ألفٍ بسيفه هذا ، كلهم يشهد على أبيك بالكفر
وشرب الخمر ، حتى أقرؤوا أنه خليفة ، ثم ولى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص !

بين ابن ظبيان
وحضين ثم بين
خالد بن يزيد
والحجاج

(١) في الأصول : « الأحوز » بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) كذا في معجم ما استعجم للبكري . والذي في الأصول : « فداديل » . وهو تحريف .

(٣) في الأصول : « يا أبا » مكان « يا بن أبي » وهو تحريف . انظر تهذيب التهذيب

بين لبي ووهب
ابن منبه ثم بين
ابن شبرمة
ورجل وزيد بن
منصور وابن
زيد

قال رجل من بني لَهَبٍ لَوْهَبِ بْنِ مَنبَهٍ : مَنَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ
الْيَمَنِ ؛ قَالَ : مَا فَعَلْتَ أُمَّكُمْ بَلْقَيْسَ ؟ قَالَ : هَاجَرْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَأُمَّكُمْ حَمَّالَةَ الْحَطْبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ شَبْرَمَةَ : مَنِ
عِنْدَنَا خَرَجَ الْعِلْمُ إِلَيْكُمْ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكُمْ . نَظَرَ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ،
خَالُ الْمُهَدِيِّ ، إِلَى يَزِيدِ بْنِ مَزِيدٍ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ يَمَانٌ وَهُوَ يَسْتَجِبُهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ
عَلَيْكَ غَزْلُهُ ، فَأَسْحَبْ وَجُرِّ ؛ قَالَ لَهُ : عَلَى آبَائِكَ غَزْلُهُ ، وَعَلَى سَحْبِهِ . فَشَكَاهُ
إِلَى الْمُهَدِيِّ ؛ فَقَالَ : لَمْ تَجِدْ أَحَدًا تَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَّا يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ !

بين أبي يقظان
وابن حديج ثم
بين الفرزدق
وعبد الجبار بن
سلي

دَخَلَ أَبُو يَقْظَانَ الْفَيْسِيَّ عَلَى يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ ، وَهُوَ وَالِي مِصْرَ وَعِنْدَهُ هَاشِمُ بْنُ
حُدَيْجٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدٌ : حَرَّكَهَ ، وَعَلَى أَبِي الْيَقْظَانَ حُلَّةٌ وَشَيْءٌ وَكِسَاءٌ خَزٌّ ؛ فَقَالَ
هَاشِمٌ : الْحَمْدُ لِلَّهِ أَبَا الْيَقْظَانَ ، لَدِستَمِ الْوَشْيِ بَعْدَ الْعَبَاءِ ؛ قَالَ : أَجَلٌ ، تَحْوُكُونَ
وَنَلْبَسُ ، فَلَا عَدِمْتُمْ هَذَا مِنَّا ، وَلَا عَدِمْنَا هَذَا مِنْكُمْ . كَتَبَ الْفَرَزْدَقُ إِلَى
عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ سَلْمَى الْمُجَاشِعِيِّ يَسْتَهْدِيهِ جَارِيَةً ، وَهُوَ بَعْمَانٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الْجَوَارِيَّ لَقَدْ أَنْعَطْتَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

بين رجلين وبين
ابن صفوان
وعبد الله بن
جعفر ثم بين
معاوية وابن عامر
وبين ثمامة
ورجل

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ : رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فِي مَنَامِي ، فَأَرَيْتُ جَمِيعَ
مَا فِيهَا مِنَ الْقُصُورِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ لِي : لِلْعَرَبِ ؛ قَالَ لَهُ رَجُلٌ
مِنَ الْمَوَالِي : أَصَعِدْتُ الْغُرْفَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : تَلَكْ لَنَا . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ صَفْوَانَ ، وَكَانَ أُمِّيًّا ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَبَا جَعْفَرَ ، لَقَدْ
صِرْتَ حُجَّةً لِفَتْيَانِنَا عَلَيْنَا ، إِذَا نَهَيْنَاكُمْ عَنِ الْمَلَاهِي قَالُوا : هَذَا ابْنُ
جَعْفَرَ سَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ يَخْضُرُهَا وَيَتَّخِذُهَا ؛ قَالَ لَهُ : وَأَنْتَ أَبَا صَفْوَانَ صِرْتَ
حُجَّةً لِصَبْيَانِنَا عَلَيْنَا ، إِذَا لُمْنَاكُمْ فِي تَرْكِ الْمَكْتَبِ قَالُوا : هَذَا أَبُو صَفْوَانَ
سَيِّدِ بَنِي جُمَحٍ لَا يَقْرَأُ آيَةً وَلَا يَحْطُهَا . قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ : إِنْ لِي
إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ : بِحَاجَةٍ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَلْ حَاجَتَكَ ؛ قَالَ :
أُرِيدُ أَنْ تَهَبَ لِي دُورَكَ وَضِيَاعَكَ بِالطَّائِفِ ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ قَالَ : وَصَلَّتْكَ

رَحِمَ ، فَسَلَّ حَاجَتَكَ ؛ قَالَ : حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَرُدَّهَا عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . وَقَالَ رَجُلٌ لثُمَّامَةَ بِنِ أَشْرَسَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ قَالَ :
وَأَنَا لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : فَتَقْضِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا
تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ : فَإِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَّا تَسْأَلَنِي حَاجَةً .

جواب في نخر

سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : تَفَاخَرَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ
وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَشَيْخٍ مِنْ
مَوَالِي قُرَيْشٍ : أَقِضْ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي لَا يَعْتَمُّ أَحَدًا
فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ بِلَوْنِ عِمَامَتِهِ ، وَكَانَ حَرَبٌ بِنِ أُمِيَّةَ لَا يُبْكَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي
أُمِيَّةَ مَا كَانَ فِي الْبَلَدِ شَاهِدًا ، فَلَمَّا مَاتَ سَعِيدٌ وَحَرَبٌ شَاهِدًا لَمْ يُبْكَ عَلَى أَحَدٍ .

تفاخر عمرو بن
سعيد وخالد بن
يزيد في حضرة
عبد الملك

قَالَ الْأَبْرَشُ السَّكَلَبِيُّ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : هَلُمَّ أَفْخَرْكَ ، وَهَمَا عِنْدَ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ ؛ قُلْ ، فَقَالَ لَهُ الْأَبْرَشُ : لَنَا رُبْعُ الْبَيْتِ — يُرِيدُ الرُّكْنَ
الْيَمَانِيَّ — وَمَنَا حَاتِمُ طَيْئٍ ، وَمَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ :
مَنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَفِينَا الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ ، وَلَنَا الْخَلِيفَةُ الْمُؤَمَّلُ . قَالَ الْأَبْرَشُ :

بين الأبرش
وخالد بن صفوان
عند هشام ثم بين
خالد وقوم من
اليمين

لَا فَاخَرْتُ مُضْرِبًا بَعْدَكَ . وَنَزَلَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ قَوْمٌ مِنَ الْيَمِينِ مِنْ أَخْوَالِهِ مِنْ
كَعْبٍ ^(١) ، فَفَخَرُوا عِنْدَهُ بِقَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ^(٢) لَخَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ : أَجِبِ الْقَوْمَ ؛ فَقَالَ : [أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : لَا بَدَّ أَنْ
تَقُولَ ؛ قَالَ : وَمَا أَقُولُ] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْمٍ هُمْ بَيْنَ حَائِكَ بُرْدٍ ، وَدَابِغِ جِلْدٍ ،
وَسَائِسِ قِرْدٍ ، مَلَكَتْهُمُ امْرَأَةٌ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمْ هُدُودٌ ، وَغَرَّ قَتَهُمْ فَأَارَةٌ . فَلَمْ يَقُمْ
بَعْدَهَا لِيَمَانِيَّ قَائِمَةٌ .

٢٠

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْحِجَّاجِ : لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ لَكُنْتُهُ . قَالَ لَهُ رَجُلٌ

بين عبد الملك
ابن الحججاج
وبعضهم ثم بين
عمر بن عبيد الله
وأمية

(١) في الأصول : « كلب » . وهو تحريف . فأمر السفاح من بني الحارث بن كعب .

(٢) في الأصول : « هشام » . وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣٣٠ من الجزء

الثالث من هذه الطبعة) .

من قريش: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر؛ فقال له: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب. دخل عمر بن عبيد [الله] بن معمر على عبد الملك بن مروان وعليه حبرة صدأ^(١) عليها أثر الحائل، فقال له أمية بن عبد الله^(٢) بن خالد بن أسيد: يا أبا حفص، أي رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش؟ قال: ما أحب أني من غير من أنا منه، إن منّا لسيد الناس في الجاهلية عبد الله بن جدعان، وسيد الناس في الإسلام أبا بكر الصديق، وما كانت هذه يدي عندك، إني استنقذت أمهات أولادك من عدوك أبي فديك^(٣) بالبحرين، وهنّ حبالى، فولدن في حجابك.

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [بن المغيرة] لمعاوية: أما والله لو كنا [بمكة على السواء] لعلمت! قال معاوية: إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان، منزلي الأبطح^(٤)، ينشق عني سبيله^(٥)، وكنت عبد الرحمن بن خالد، منزلك أجياد^(٦)، أعلاه مدرّة، وأسفله عدرة. تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر، فقال الزبير: أنا ابن صفيّة؛ قال عثمان: هي أدنتك من الظلّ، ولولا ذلك لكنت ضاحياً.

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل^(٧): يا هذا، إنك تتناول بهاشم كأنك جمعها، وهي تعدد في أكثر من خمسة آلاف؛ قال له محمد بن الفضل:

- (١) في بعض الأصول: «مصدأة» .
 (٢) كذا في الجزء الأول من هذه الطبعة وعبون الأخبار (ج ١ ص ١٧١) . والذي في الأصول هنا: «عبد الملك» .
 (٣) هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، وكان رأساً من رءوس الحوارج . وكان غلب على البحرين وهزم أمية بن عبد الله، فبعث إليه عبد الملك عمر بن عبيد الله فقتل أبا فديك واستباح عسكره . (انظر الكامل لابن الأثير) والذي في الأصول «ابن» وهو تحريف .
 (٤) الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصا، والأبطح يضاف إلى مسكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب .
 (٥) في بعض الأصول: «سبيله» . وما أثبتناه عن سائر الأصول وعبون الأخبار (ج ١ ص ٢٢١) .
 (٦) أجياد: موضع بمكة بلى الصفا .
 (٧) في: «المفضل» .

بين عبد الرحمن
ابن خالد ومعاوية
ثم بين الزبير
وعثمان بن عفان

بين أحمد بن
يوسف ومحمد بن
الفضل ثم بين
معاوية ومولى
لزياد

إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضل واحدا . ففخر مولى لزيد بزيد
عند معاوية . قال له معاوية : أسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا
أدركت أكثر منه بلساني .

وقال رجل من مخزوم للأحوص [محمد] بن عبد الله الأنصاري : أتعرف

بين الأحوص
ورجل من
مخزوم

الذي يقول :

ذهبت قريش بالمكانم كلها والنذل تحت عمائم الأنصار ؟
قال : لا ، ولكني أعرف الذي يقول :

الناس كَنُوه أبا حَكَمٍ والله كَنَاهُ أبا جَهْلٍ
أَبَقَتْ رِياسَتُهُ لِأُسْرَتِهِ لَوْ مَ الْفُرُوعَ وَرِقَّةً (١) الْأَصْلُ

سأل رجل من قريش رجلاً من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال :
١٠ من ربيعة ؛ قال له القرشي : لا أثر لكم ببطحاء مكة ؛ قال القيسى : آثارتنا
في أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة ، فأمامك فسواء
العاكف فيها والبادي ، كما قال الله [تبارك] و [تعالي ، فأخمه . قال الأشعث بن
قيس لشريح القاضي : شد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ؟ قال : لا ؛ قال :
فأراك تعرف نعمة الله على غيرك ، وتجهلها على نفسك .

بين قريشى
وقيسى ثم بين
الأشعث وشريح

١٥ قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العز بالبصرة ؟ قال : فينا ،
وفي أحلافنا من ربيعة ؛ قال له سليمان بن عبد الملك (٢) : الذى تحالفتما عليه
أعز منكما . قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع ، وعليه خُلُقان (٣) وعمامة
قد كَوَّرها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ريسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً
ولا أظهر زياً من فتية حَضَرُوا حَلْقَةَ عُتْبَةَ الْمُخَزُومِي ، فدنا منهم وفي الحلقة
٢٠ فُرْجَةَ فَطَبَقَهَا (٤) ، فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مدحج ؛ قال :

بين سليمان ويزيد
ابن المهلب ثم
بين أعرابي وعتبة

(١) في بعض الأصول : « دقة » .

(٢) في بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » .

(٣) في بعض الأصول : « دلقانيات » .

(٤) طبقها ، أى سدها وغطاها .

مِنْ زَيْدِهَا الْأَكْرَمِينَ ، أَوْ مِنْ مُرَادِهَا الْأَطْيَبِينَ ؟ قَالَ : لَسْتُ مِنْ زَيْدِهَا وَلَا مِنْ مُرَادِهَا ؛ قَالَ : [فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ] : فَإِنِّي مِنْ سُحَاةِ أَعْرَاضِهَا ، وَزَهْرَةَ رِيَاضِهَا بَنِي زُبَيْدٍ . قَالَ : فَأَخْبِرْ عُنْتَبَةَ حَتَّى وَضَعَ قَلَنْسُوتَهُ عَنْ رَأْسِهِ ، وَكَانَ أَصْلَعُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : فَأَنْتَ يَا أَصْلَعُ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ قَالَ : فَمِنْ بَيْتِ نُبُوَّتِهَا ، أَوْ مِنْ بَيْتِ مَمْلَكَتِهَا ؟ قَالَ : إِنِّي مِنْ رِيحَاتِهَا بَنِي نَحْزُومٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ تَدْرِي لَمْ تُسَمِّتْ بَنُو نَحْزُومٍ رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ ، مَا نَفَخَتْ بِهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا سُمِّيتَ رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ لِخَوَرِ رِجَالِهَا ، وَلِئِنْ نَسَّأَهَا ؛ قَالَ عُنْتَبَةُ : وَاللَّهِ لَا نَازَعَتْ أَعْرَابِيًّا بِعَدِّكَ أَبَدًا .

وَضَعَ فَيْرُوزُ [بِن] حُصَيْنَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ نَمِيلَةَ بِنِ مَالِكِ بِنِ أَبِي عُسْكَابَةَ عِنْدَ زِيَادٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ قَالَ : أَنْتَ الْعَبْدُ ، ضَرَبْنَاكَ فَمَا أَنْتَصَرْتَ ، وَمَنْنَا عَلَيْكَ فَمَا شَكَرْتَ . أَجْتَمَعْتَ بِبَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعِ الْأَمْرِيِّ أَرَادَهُ مَالِكٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ وَأَرْسَلَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ [زِيَادِ بْنِ] ظَبْيَانَ ، فَأَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مِسْمَعٍ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ ؟ قَالَ : يَا أَبَا مَطَرٍ ، مَا فِي كِنَانَتِي ^(١) سَهْمٌ أَنَا أَوْثَقُ بِهِ مِنِّي بِكَ . قَالَ : وَإِنِّي لَفِي كِنَانَتِكَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ فِيهَا قَائِمًا لَأَطْوِلَنَّهَا ، وَلَئِنْ كُنْتُ فِيهَا قَاعِدًا لَأُخْرِقَنَّهَا .

نَازَعَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعِ شَقِيقَ بْنَ ثَوْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : إِنَّمَا شَرَّفَكَ قَبْرُ بَيْتُسْتَرٍ ؛ قَالَ شَقِيقٌ : لَسْتُ وَضَعْتُ قَبْرًا بِالشُّقْرِ . وَذَلِكَ أَنَّ مِسْمَعًا أَبَا مَالِكٍ جَاءَ إِلَى قَوْمِ بِالشُّقْرِ ، فَجَبَحَهُ كَلْبُهُمْ ، فَفَقَّطَلَهُ ، فَفَقَّطَلُوهُ بِهِ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ : قَتِيلُ الْكَلَابِ . وَأَرَادَ مَالِكٌ قَبْرَ حِجْرَاءَ ^(٢) بِنِ ثَوْرٍ ، أَخِي شَقِيقٍ ، وَكَانَ اسْتَشْهَدَ بَيْتُسْتَرَ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ . قَالَ قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمِ الْهَبِيرَةِ بْنِ مَسْرُوحٍ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْ كَانَتْ أَخْوَالُكَ مِنْ غَيْرِ سَلُولٍ ! فَبَادِلْ بِهِمْ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِإِدْلِ بِهِمْ مَنْ شَتَّ وَجَنَّبَنِي بِأَهْلَةٍ . وَكَانَ قَتَيْبَةُ مِنْ بَاهِلَةٍ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِنِي كِنَانَةٌ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « مَجْدَادٌ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

جواب ابن أبي دواد

- قال أحمد بن أبي دواد لمحمد بن [عبد الملك] الزيات ^(١) عند الواثق : اضوى
 أى اسكت — بالنبطية — ؛ فقال له : لماذا والله ؟ ما أنا بنبطى ولا بدعى ؛
 قال له : ليس فوقك أحد يفضلك ^(٢) ، ولا دونك أحد تنزل إليه ، فأنت مطرح
 فى الحالتين جميعاً . ودخل أحمد بن أبي دواد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك
 أفسدت هذا الرجل ، [يعنى] محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ، فأحب أن
 لا تأتينا ؛ قال له ابن أبي دواد : أنت رجل صنعته هذه الدولة ، فإن أتيناك
 فلها ، وإن تركناك فلنفسك . قال أحمد بن أبي دواد : دخلت على الواثق ، فقال :
 مازال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، لىكل أمرى منهم
 ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، فالله ولى
 جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ضاع أمرؤ أنت حائطه ، ولا ذل
 من كنت ناصره ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبا عبد الله :
 وسعى إلى بعيب عزة نسوة جعل للمليك خدودهن نعالها
 وقال أبو العيناء الهاشمى : قلت لأبن أبي دواد : إن قوماً تضافروا على ؛ قال :
 (يد الله فوق أيديهم) . قلت : إنهم جماعة ؛ قال : (كم من فئة قليلة غلبت
 فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) . قلت : إن لهم مكرراً ؛ قال : (ولا يحيق
 المكر السيئ إلا بأهله) . قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ،
 فقال : ما يرى ابن أبي دواد إلا أن القرآن إنما أنزل عليه .

هو ومحمد بن
عبد الملك ثم
اشناس ثم الواثق

هو وأبو العيناء
الهاشمى

جواب فى تفحش

٢٠. خطب خالد بن عبد الله القسرى ، فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم !
 وأغلظ معاشكم ! وأجفى أخلاقكم ! لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً .

بين خالد القسرى
وبدوى ثم بين
موسى بن مصعب
وأمرأة

(١) فى الأصول : « محمد بن الرباب » . وهو تحريف .

(٢) فى الأصول : « يقتلك » . وظاهر أنه محرف عما أتينا .

فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خُشونة بلدنا ، وغِلَظ طعامنا ، [وجفاء أخلاقنا] فهو كذلك ؛ ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هي شرٌّ من كل ما ذكرت ؛ قال له خالد : وما هي ؟ قال : تَنقُبون الدُّور ، وتَنديشون القبور ، وتَنكحون الذُّكور ؛ قال : قَبَحَكَ اللهُ وقَبَحَ ما جِئْتَ به . أبو الحسن قال : أتى موسى بن مُصعب منزل امرأة مدتيّة لها قَيْنَة تعرّضها ، فإذا امرأة جميلة لها هيئَة ، فنظر إلى رجل دميم يحيى ، ويذهب ويأمر وينهى في الدار ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ؛ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أما وجدت من الرجال غيرَ هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا عبد الله لو أستدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظّم في عينك .

١٥٥
٢

٥

١٠ أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الملاء لرائض دواب زوجها في طريق مكة : ما وجدتُ عملاً شراً من عملك ، إنما كَسَبُكَ بأُستك ! فقال لها : جُعِلت فداك ، ما بين ما أكتسب به ، وما تكتسب به أنت إلا إصبعان ؛ قالت : وبلى عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ، ففاتهم رَكْضاً . أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي : ودِدْتُ والله أن بني تميم جميعاً في جَوْفِي ، على أن يُضربَ وَسَطِي بالسِّيفِ . قال له شيخ في ناحية المجلس حرّمازي ١٥ من بني تميم : يا هذا ، يكفئك من ذلك كَمَرَةٌ حَمَارِيَّةٌ يَمَلَأُ بها أُستك إلى لهاذك .

٢٠ وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحواله قومٌ جلوس ، فقال : أصابتنا سنةٌ ولي بضع عشرة بدتاً ؛ فقال الشيخ : أما السنة ، فوددتُ والله أن بينكم وبين السماء صفيحة من حديد ؛ وأما البنات ، فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسبٌ غيرك . قال : فنظر الأعرابي مليّاً ، ثم قال : ما أدري ما أقول لك ! ولكني أراك قبيح المنظر ، لثيم المخبر ، فأعضك الله ببُظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك . وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكاً إليه سنةً أصابته ؛ فقال : وددتُ والله أن الأرض

بين بنت الملاء
ورائض خيل ثم
بين أزدى وعميمي

بين أعرابيين
يسألان وبعض
القوم

حصاء^(١) ولا تُذبت شيئاً ؛ قال : ذلك أيبس لجر أمك في أمتها .

قال عبيدُ الله بن [زياد بن] ظبيان لزُرعة بن ضَمرة الضمري : إني لو أدركتُك يوم الأهواز ، لقطعتُ منك طابِقاً^(٢) شَحِيماً^(٣) ؛ قال : ألا أدلك على طابق [شَحِيم] هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ؛ قال : البَطْرُ الذي بين أستي أمك .

بين ابن ظبيان
وزرعة ثم بين
ابن الزبير وعدى
ثم عى الفرزدق
بجواب ثلاثة

قال عبدُ الله بن الزُّبير لعدي بن حاتم : متى فُقيتُ عينك ؟ قال : يوم طعنْتُك في أستك وأنت مُولٍ . وقال الفرزدق : ما عَييتُ بجواب أحد قط ما عَييتُ بجواب امرأة ، وصبي ، ونبتطي ؛ فأما المرأة ، فإني ذهبتُ ببغاتي أَسْتقيها في النَّهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزت البغلة حَبَبَت ، فاستضحك النسوة ، فقالتُ لهن :

ما أضحككن ؟ فوالله ما حملتني أنثى إلا فعلتُ مثلها ؛ فقالت امرأة منهن :

فكيف كان ضراطُ أمك قفيرة^(٤) ؟ فقد حملتُك في بطنها تسعة أشهر ، فما وجدتُ لها جواباً ؛ وأما الصبي فإني كنتُ أنشدُ بجامع البصرة ، وفي حلقتي الكُميتُ ابن زيد ، وهو صبي ، فأعجبني حُسن أَسْماعه ، فقلتُ له : كيف سمعتَ يا بُني ؟

قال لي : حَسَن ؛ قلتُ : أفيسرُك أني أبوك ؛ قال : أما أبي فلا أريد به بديلاً ، ولكن وِدِدْتُ أن تكون أُمِّي ؛ قلتُ : أسترها علي يا بن أخي ، فما لقيتُ

مثلاً ؛ وأما النبتطي ، فإني لقيتُ نبتطياً بيئرب فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلتُ :

نعم ؛ قال : أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : فأنت الذي إذا

هَجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : فيموت ولدي ؟ قلتُ : لا ؛ قال :

فأموت أنا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : فأذخاني الله في حِرِّ أم الفرزدق من رجلي إلى

عنقي ؛ قلت : ويلك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية .

ولقي جريرُ الفرزدق بالكوفة ، فقال : أبا فراس ، تحتل عني مسألة ؟ قال :

أحتملها بمسألة ؟ قال : نعم ؛ قال : فسَلْ عما بدا لك ؛ قال : أي شيء أحبُّ

بين جرير
والفرزدق ثم
بين الفرزدق
والمزرد الحنفي

(١) في بعض الأصول : « حصية » . (٢) الطابق (بفتح الباء وكسرهما) : العضو .

(٣) في بعض الأصول : « سخيا » . وهو تحريف .

(٤) في الأصول : « مقبرة » ، والتصويب عن الطبري والقاموس « مادة قفر » .

إليك : يتقدمك الخيرُ أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن
أكون معه في قرْن ؛ قال : هات مسألتك ؛ قال له الفرزدق : أي شيء أحب
إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو تجد يد رجل على
حريها ؟ قال : قاتلك الله ! ما أقبیح كلامك ! وأردل لسانك ! أبو الحسن قال :
مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو المزد (١) الحنفي ، فقال
له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن له أسنان ولا تكون ، ولو كان لم
يستقم ؟ قال : لا أدري ، قال : يا أبا المزد ، إنه سفيه ، فإن لم تغضب أخبرتك ؛
قال : قل فإني لا أغضب ؛ فقال : حير أمك ، لم تكن له أسنان ولا تكون ،
ولو كان لم يستقم .

أبو الحسن قال : لقي الفرزدقُ عمرو بن عفراء فعاتبه في شيء بلغه عنه ،
فقال له ابن عفراء وهو بالمربد : ما شيء أحب إلي من أن آتى كل شيء
تكرهه ؛ قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كل شيء أكرهه ؟ قال : نعم ؛
قال : فإني أكره أن تأتي أمك ، فأنتها . ضاف (٢) رجل قبيح الوجه دني
الحسب أبا (٣) عبد الله الجمّاز ، فجعل يفخر بيته ؛ فقال له الجمّاز : اسكت ،
فمباحة وجهك ، ودنو حسبك (٤) يمنعاننا من سبك (٥) ؛ فأبى إلا التماذى
في اللجاج ، فقال له الجمّاز :

لو كنتَ ذا عِرضٍ هَجَوْنَا كَا أَوْ حَسَنَ الْوَجْهِ لِنَكْنَا كَا
جَمَعْتَ مَعَ قُبْحِكَ لَوْ مَّا فَلَا قُبِحَ أَوْ اللَّؤْمُ تَرَ كُنَّا كَا (٦)

(١) فيما مر من هذا الجزء : « أبو الزرد » .

(٢) ضافه : نزل به ضيفا ، أو طلب منه الضيافة .

(٣) في الأصول : « إلى أبي » مكان « أبا » .

(٤) في بعض الأصول : « ودناءة لفظك » .

(٥) في بعض الأصول : « نسبك » . وهو تحريف .

(٦) في ي بعد هذين البيتين : « تم الجزء والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وآله . يتلوه الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب إن شاء الله تعالى » .

بين الفرزدق
وابن عفراء ثم
بين الجمّاز وضيف

(١) فرش كتاب الخطب

- قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها على قدر^(٢) عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يُتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونظمت بها الأئمة^(٣) على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رهوس خلفائهم ، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم ، ووصلتها بصلواتهم ، وخوطف بها العوام ، واستعجزت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني : أعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه . فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين ، والجلة من الخلفاء ١٠ الماضين ، والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ، ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ، لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ، فإنها معدومة النظير ، منقطعة القرين ، وخطبة أبي حمزة التي سمعها مالك بن أنس ، فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردّها^(٤) المرتاب ؛ ثم نسمح بصدور من ١٥ خطب البادية وقول الأعراب خاصّة ، لمعرفة بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشيّ المَخزومي : من أخطب الناس؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من؟ [قال : أنا ؛ قال : ثم من؟] قال : شيخ جذام

بين عبد الملك
وابن سلمة
في أخطب الناس

- (١) في ١ ، ي قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .
(٢) كذا في ١ . والذي في سائر الأصول : « بقدر » مكان « على قدر » .
(٣) في ١ : « الأمراء » .
(٤) في بعض الأصول « فيها » .

٢٠

— يَعْنِي رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخِيْفَشُ ^(١) ثَقِيْفٌ — يَعْنِي الْحِجَاجَ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأزمننكم بالخطيب المصقع ، قم يا زياد . وقال محمد ^(٢) كاتب المهدي — وكان شاعراً راوية ، وطالبا للنحو علامة — ، قال : سمعت أبا دؤاد يقول : وجري ^(٣) شيء من ذكر الخطب وتخيير الكلام ، فقال : تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالغير يب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب . قال : وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الذريرة ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخيير ^(٤) اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه . وأنشدني بيتاً له في خطباء إياد :

يَرْمُونَ بِالْخَطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ الْمَلَاظِحَ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
وَأَنْشَدَنِي فِي عَيِّ الْخَطِيبِ وَأُسْتَعَانَتْهُ بِمَسْحِ الْعُنُونِ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ :
مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسُؤْمَلَةٍ وَمَسْحَةِ عُنُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ

^(٥) مرَّ بِبِشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَخْرَمَةَ السَّكُونِيِّ ^(٦) الْخَطِيبِ ، وَهُوَ يُعَلِّمُ فَتْيَانَهُمُ الْخَطَابَةَ ، فَوْقَ بَشْرِ يُسْتَمَعُ ، فَظَنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لَيْسْتَمِيدَ ، أَوْ يَكُونُ رَجُلًا مِنَ النَّظَارَةِ . فَقَالَ بَشْرٌ : أَضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَفْحًا ، وَاطْوُوا عَنْهُ كَشْحًا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صَحِيفَةً مِنْ تَنْمِيقِهِ وَتَحْبِيرِهِ ، فِيهَا : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةَ نَشَاطِكَ وَفِرَاقَ بَالِكَ وَإِجَابَتَهَا إِيَّاكَ ، فَإِنَّ قَلِيلَ ^(٧) تِلْكَ السَّاعَةِ

(١) أخيفش : تصغير أخفش ، وهو من بصره ضعف وفي عينه ضيق ، وكان الحجاج يوصف بذلك . وفي كتاب عبد الملك إليه : فانتك الله يا أخيفش العين .

(٢) لعنه محمد بن سعيد بن عقبة . (انظر الوزراء والكتاب للجهمياري) .
(٣) في بعض الأصول : « وذكر » .

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ١ ص ٢٦) . والذي في سائر الأصول « وتخيير » .

(٥) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٥) فقد ورد فيه هذا الخبر مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

(٦) في الوزراء والكتاب للجهمياري : « السكندی » .

(٧) كذا في البيان والتبيين . والذي في الأصول : « نفسك » .

لمعاوية في زياد
ثم لأبي دؤاد

لبشر بن المعتمر
مع إبراهيم بن
جبله

- أكرمُ جوهرًا ، وأشرفُ حسبًا ، وأحسنُ في الأسماع ، وأحلى في الصدور ،
 وأسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجلبُ لسكلٍ عين [وغرّة] من لفظ شريف ، ومعنى
 بديع ، وأعلمُ أنّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطول بالسكّد والمطاوله ،
 والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً
 قصدياً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ، كما خَرَجَ من يَنْبوعه ، ونَجْمٌ من معدنه ؛
 وإياك والتوَعَّرَ ، فإن التوَعَّرَ يُسلمك إلى التّعقيد ، والتّعقيد هو الذي يَسْتَهلك
 معانيك ، ويشين أفاضلك . ومن أراد^(١) معنى كريماً فليكتمس له لفظاً كريماً ،
 فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ؛ ومن حقهما أن تصونهما عما يُفسدهما
 ويُهَجِّتُهُما ، وعما تعود من أجله إلى أن تسكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس
 إظهارهما ، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما . وكن في ثلاث منازل : وإن
 أوّلَى الثلاث^(٢) أن يكون لفظك رشيماً عذباً ، ونحياً سهلاً ، ويكون معنك ظاهراً
 مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت ، وإما
 عند العامة ، إن كنت للعامة أردت ، والمعنى [ليس يشرف بأن يكون من معانى
 الخاصة ، وكذلك]^(٣) ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة ، وإنما مدار
 الشرف على^(٤) الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لسكل
 مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنتك أن تبلغ من بيان
 لسانك ، وبلاغة قلمك^(٥) ، وأطف مداخلك ، واقتدارك^(٦) على نفسك ، على أن
 تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تُلطف عن
 الدهاء^(٧) ، ولا تجفوا عن الأَكفاء ، فأنت البليغُ التام . فقال له إبراهيم بن جبلة :
 جُعِلت فداك ، أنا أحوجُّ إلى تعلّمى هذا الكلام من هؤلاء الغلّة .

٢٠

(١) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي أسائر الأصول : « أذاع » .

(٢) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي في سائر الأصول : « ذلك » .

(٣) التكملة عن البيان . (٤) في الأصول : « على أشرف مع » . والتصويب عن البيان .

(٥) في الأصول : « لفظك » . وما أثبتناه عن البيان .

(٦) في بعض الأصول : « قدرك في » .

(٧) في بعض الأصول : « الدهاء » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان .

٢٥

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرة الوداع

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
 ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له ،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم
 عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعته ، وأسئتمتج بالذي هو خير .
 أما بعد ، أيها الناس ، أسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد
 عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى
 أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ،
 اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمننه عليها ، وإن رباً
 الجاهلية موضوع ، وإن أول رباً أبدأ به رباعمي العباس بن عبد المطلب ،
 وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
 عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود^(١) ،
 وشبه العمدة ما قُتل بالمصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل
 الجاهلية . أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه
 رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسيء
 زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا
 عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
 والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله [يوم خلق]
 السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة
 وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ، اللهم
 أشهد . أيها الناس ، إن لنساءكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً ، لكم
 عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يَدْخُلن أحداً تَكَرَّهُونه بيوتكم

١٨٥
٣

١٥

٢٠

(١) القود : الفصاص ، أى من قتل محمداً يقتل .

- إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تغضوهن
وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم
فعليةكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عنكم عوار لا يملكن لأنفسهن
شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء
واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئٍ مال أخيه
إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا تترجعوا بعدى كفاراً
يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا :
كتاب الله ^(١) ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . أيها الناس : إن ربكم واحد ،
وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله
أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ؛
قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث
نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لو ارث وصية [ولا تجوز وصية] في أكثر من
الثلاث ، والولد للفراس وللعاقر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير
مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً
ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٢) .

١٥

وخطب أبو بكر يوم السقيفة .

- أراد عمر الكلام ، فقال له أبو بكر : على رسلك ، ثم حمد الله وأثنى
عليه ، ثم قال : أيها الناس ، نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم
أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ،
وأمشهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقد منّا في القرآن
٢٠

(١) زيد في بعض الأصول : « بعد قوله « الله » : وأهل بيتي » .

(٢) انظر السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٥٠) طبعة الحلبي . والبيان والتبيين

(ج ٢ ص ١٥) ونثر الدرر للآبي فيين الخطبة هنا وهناك بعض الخلاف .

عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) . فنحنُ المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في النِّية ، وأنصارنا على العدو ، آويتم وآسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأسماء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحقِّ من قريش ، فلا تنفَسوا^(١) على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد وُلِّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسددوني . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . أَلَا إِنَّ أَقْوَامًا عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَأَضْعَفَ كَم عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ^(٢) .

١٥٩
٢

وخطب أخرى :

فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيِّه عليه الصلاة والسلام ، قال : إنَّ أشقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمَلُوكُ . فَرَفَعَ النَّاسُ رُءُوسَهُمْ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ لَطَعَّانُونَ عَجِلُونَ . إِنْ مِنْ الْمَلُوكِ مَنْ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا بِيَدِهِ ، وَرَغِبَهُ فِيمَا بِيَدِ غَيْرِهِ ، وَأَنْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَّطُ^(٣) الْكَثِيرَ ، وَيَسَامُ الرِّخَاءَ ، وَتَنْقَطِعُ عِنْدَهُ لَذَّةُ الْبِقَاءِ^(٤) ، لَا يَسْتَعْمَلُ الْعِبْرَةَ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثَّقَةِ ، فَهُوَ كَالدَّرْهِمِ الْقَسِيِّ^(٥) ،

١٥

(١) في بعض الأصول : « فلا تنفَسوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) والبيان (ج ٣ ص ١٤٧) .

(٢) انظر عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) ونثر الدرر ، فبين الخطبة هنا وهناك خلاف في العبارات .

(٣) في بعض الأصول : « يسخط على » .

(٤) في عيون الأخبار : ونثر الدرر « تنقطع عنه لذة البقاء » . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : « الباءة » مكان « البقاء » .

(٥) القسي : الرديء الزائف . وفي بعض الأصول : « القيسي » . وهو تحريف .

٢٠

٢٥

والسراب الخادع ، جَدِلِ الظاهر ، حَزِنِ الباطن ؛ فإذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضِبَ عمره ، وَضَحَا ظِلُّهُ^(١) ، حاسبه الله فأشدَّ حسابَه ، وَأَقْلَ عَفْوَه . أَلَا إِنَّ الفقراء هم المَرْحومون ، وَخَيْرَ الملوِكِ^(٢) مَنْ آمَنَ بالله وَحَكَمَ بِكُتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنِّكُمْ اليومَ على خِلافةِ نبوةٍ ، وَمَفْرِقِ مُحِجَّةٍ ، وَسَتْرُونَ بعدى مُلْكَا عَضُوضًا^(٣) ، وَمَلِكَا عُنُودًا ، وَأُمَّةَ شَعَاعَا ، وَدَمًا مُفَاحَا^(٤) ، فَإِن كَانَتْ للباطل نَزْوَةٌ ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ، يعفوها الأثر ، وَيَمُوتَ لها الخبِرُ^(٥) ، فالزموا المساجد ، وَأَسْتَشِيرُوا القرآنَ ، وَأَعْتَصِمُوا بالطاعة . وليكن الإبرام بعد التَّشاورِ ، وَالصَّفَقَةَ بعد طولِ التناظرِ . أَى بلاد^(٦) خَرَشَنَةَ^(٧) ؟ إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ أَقْصَاها ، كما فَتَحَ عَلَيْكُمْ أَدْنَاها .

وَمَطْبُ أَيْضًا فَقَالَ :

الحمد لله أحده وأستعينه ، وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه ، وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلال والردي ، ومن الشك والعمى . مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المَهْتَدَى وَمَنْ يُضِلُّ فَلن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ ، يُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً رَحْمَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ عَلَى

(١) وجبت نفسه : كناية عن الموت . ومثلها : نضب عمره ، وضحا ظله .

(٢) كذا في البيان . والذي في الأصول : « ألا إن » مكان « وخير الملوك » .

(٣) عضوض : فيه استبداد وعسف .

(٤) مفاح : مرقاق . وفي بعض الأصول : « مباح » . وما أتبناه عن سائر الأصول والبيان ونثر الدرر .

(٥) في البيان : « البشر » . وفي العيون ونثر الدرر : « السنن » .

(٦) في نثر الدرر : « أي بلادكم » .

(٧) كذا في نثر الدرر . وخرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . يربد بلاد الروم .

والذي في الأصول : « فرسة » . وهو تحريف .

شَرَّ حَالٍ ، فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، دِينِهِمْ بِذُخْرَةِ ، وَدَعْوَتِهِمْ فِرْيَةَ . فَأَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) . أَمَا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَأُزَوِّمُ الْحَقَّ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيمَا دُونَ الصِّدْقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٌ . مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَا فَخَرُ مِنْ خُلُقٍ مِنْ تَرَابٍ وَإِلَى التَّرَابِ يَعُودُ ، هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ وَغَدًا مَيِّتٌ . فَأَعْمَلُوا وَعَدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرِّدُوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحَضَّرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَرَاقِبُوهُ وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَأَعْمَلُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجِزَاءِ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَأَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَالْمُسْتَعَانُ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَزَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ ، وَأَحْشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَأَوْرَدْنَا حَوْضَهُ . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

٢٠ خطبة له أخرى رضى الله عنه (١) :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُتَنُّوا عليه بما هو أهله ، وأن تتخلطوا الرغبة بالرغبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله

(١) في بعض الأصول : « وخطب أيضا » .

- أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) . ثم اعلوا عباد الله أن الله قد أرتهن بحمته أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثقتكم ، وعوَضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تنفى عجائبه ، ولا يُطفأ نوره . فثقوا بقوله ، وانتصحو كتابه ، واستبصروا به ^(١) ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ،
- وَوَكَّلَ بِكُمْ السَّكْرَانَ السَّكَاتِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . ثم اعلوا عباد الله أنكم تغدون ورؤحون في أجل قد غُيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل بأعمالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أوتوا جعلوا آجالهم لغيرهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم . فالوَحَى الوَحَى ، والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالبا حديثا مره ^(٢) ، سريعا سيؤه .

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

- قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، تعلموا القرآن واعملوا به تكونوا من أهله ، [إنه لم يبلغ حق مخلوق أن يُطاع في معصية الخالق . ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم : إن استغنيت عفتت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة الأعرابية : القضم لا الخضم] ^(٣) .

وخطب أيضا :

- حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ،
- (١) كذا في بعض الأصول . وفي سائر الأصول : « فيه » . والذي في عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٢) ونثر الدرر : « واستضيئوا منه » .
- (٢) كذا في عيون الأخبار . والذي في الأصول : « أمره » . والخطبة في العيون تختلف عنها هنا في بعض العبارات .
- (٣) التقرم : الأكل أكل ضعيفا . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَارِنًا وَقَاسِمًا . إني بادي بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمُعْطِيَهُنَّ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْهِجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْهِجْرَةِ أَبْطَأَ عَنِ الْعَطَاءِ . فَلَا يَلُومَنَّ رَجُلٌ إِلَّا مَنَاحَ رَاحِلَتِهِ . إني قد بَقِيتُ فَيْكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتَلَيْتُ بِكُمْ وَابْتَلَيْتُم بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَخْضُرُنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكِلْهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَلْتَنْ أَحْسَنُوا لِأَحْسَنِّ إِلَيْهِمْ ، وَلْتَنْ أَسَاءُوا لِأَنْكَلَنَّ بِهِمْ .

وهخطب أيضا :

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا ^(١) بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى عَدُونِنَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ . فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَاسْأَلُوهُ الْعَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي ، وَكُفْرَ النِّعْمَةِ ، فَقَلِمَا كَفَرُوا قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلِبُوا عِزَّهُمْ ، وَسُلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَظْهَرَ فَلَجَبْهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمَتِهِ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى آيَاتِهِ . جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وهخطب له أيضا :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنْ [قَوْمًا] يَقْرءُونَ ^(٢) الْقُرْآنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِدَانًا » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « قِرَاءَةً » .

يُرِيدُونَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَاعِنْدَهُ ، فَخُيِّلَ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَأُوهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ
 وَالدُّنْيَا . أَلَا فَارِيدُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ . أَلَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ يَتَنَزَّلُ الْوَحْيُ وَإِذْ
 رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا يُنَبِّئُنَا مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ ،
 فَإِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِالْقَوْلِ . أَلَا مَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ ،
 وَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ شَرًّا ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . سَرَّائِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ .
 أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أُبْعَثُ عُمَّالِي لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ ، وَلَا أُبْعَثُهُمْ لِيَضْرِبُوا
 ظُهُورَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ . أَلَا مَنْ رَآهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقُصَّكُمْ مِنْهُ .

فَقَامَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ
 عُمَّالِكَ فَادَّبَ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضْرَبَهُ ، أُنْقِصَهُ مِنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ
 عَمْرٍ بِيَدِهِ ، لَأَقُصَّ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ
 مِنْ نَفْسِهِ .

وَمُطَبَّأٌ أَيْضًا فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَرِيرَتِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا
 عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفِينَةٍ فَأَقْبَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِ
 يَخْرِقُهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَمَنَعُوهُ ، فَقَالَ : هُوَ مَوْضِعِي وَلِي أَنْ أَحْكُمَ فِيهِ . فَإِنْ
 أَخَذُوا عَلَيَّ يَدَهُ سَلِمَ وَسَلِمُوا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكَوْا مَعَهُ . وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبَتِهِ
 لَكُمْ ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ .

وَمُطَبَّأٌ عَامِمٌ الرَّمَادَةَ بِالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَصَلِيٌّ عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمَلِ
 نَبِيِّكَ وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : (وَأَمَّا الْجِدَارُ

فكان أغلامين يقيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً .
 حفظتهما لصالح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه . اللهم اغفر لنا إنك كنت
 غفاراً . اللهم أنت الراعي ، لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة . اللهم
 قد ضرع الصغير ، ورزق الكبير ؛ وارفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخفى .
 اللهم أغنهم بغياثك قبل أن يفتنوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من رّوح الله
 إلاّ القوم الكافرون . فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقادّصوا المآزر^(١) ، وطفق
 الناس بالعبّاس يقولون : هنيئاً لك يا ساقى الحرّمين .

وخطب از ولي الخمر فز :

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إني داعٍ
 فأمّنوا . اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك
 والدار الآخرة ، وأرزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدّعة والنفاق ، من
 غير ظلم متى لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف ،
 قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة ، وأجعلني أبتغي بذلك
 وجهك والدار الآخرة . اللهم أرزقني خفص الجناح ولين الجانب للمؤمنين .
 اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت
 في كل حين . اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فأرزقني النشاط فيها
 والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تسكون إلا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتني
 باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وأرزقني الخشوع
 فيما يرّضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح النّيات^(٢) ، والحذر من الشبهات .
 اللهم أرزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة
 بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .

(١) يريد أن يملأ الناس المطر وسالت به الأرض خلع الناس نعالهم فعلقوها وشتمروا ما آزرهم .

(٢) في بعض الأصول : « وإصلاح الساطات » .

وكان آخرَ كلامِ أبي بكرٍ الذي إذا تكلمَ به عُرفَ أنه قد فرغَ من خطبته :
 اللهم أجعل خيراً زمانى آخره ، وخيراً عملى خواتمه ، وخيراً أيامى يومَ القاك .
 وكان آخرَ كلامِ عمر الذي إذا تكلمَ به عُرفَ أنه فرغَ من خطبته : اللهم
 لا تدعنى فى عمرة ، ولا تأخذنى على غيرة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

$\frac{162}{2}$

[خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه] :

ولما وليَ عثمانُ بنُ عفانُ قامَ خطيباً ، فحمدَ الله وأثنى عليه ، وتشهد ،
 ثم أرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إن أولَ كلِّ مَرَكَبٍ صَعَبٌ ، وإن أعش
 فستأتيكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسراً .

خطبة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضوان الله عليه :

- ١٠ أولَ خطبة خطبها بالمدينة ، فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة
 والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتابَ الله وسنةَ نبيكم صلى الله عليه وسلم . أما
 بعد ، فلا يدعين مدعى إلا على نفسه ، شغل من^(١) الجنة والنار أمامه . ساع
 نجا^(٢) ، وطالب يرجو ، ومقصر فى النار ، [ثلاثة ؛ واثنان] : ملك طار بجناحيه ،
 ونبي أخذ الله بيديه ، لا سادس . هلك من اقتحم^(٣) ، وردي من هوى^(٤) .
 ١٥ اليمين والشمال مصلة ، والوسطى الجادة . منهج عليه أم^(٥) الكتاب والسنة
 وآثار النبوة . إن الله ذاوى هذه الأمة بدوائن^(٦) : السوط والسيف ،
 لا هوادة عند الإمام فيهما . أستتروا بيوتكم ، وأصلحوا فيما بينكم ، فالموت
 من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أموركم تكونوا فيها
 محمودين . أما إنى لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان

٢٠ (١) فى الأصول : « عن » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٦)

ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت) .

(٢) فى بعض الأصول : « مجتهد » . (٣) فى بعض الأصول : « ادعى » .

(٤) فى بعض الأصول : « اقتحم » . (٥) فى عيون الأخبار : « باقى » .

(٦) فى عيون الأخبار : « أدب ... بأدبين » .

ونام الثالث كالغراب هَمَّتْهُ بَطْنُهُ ، وَيَسْلُهُ ! لَوْ قُصَّ جَنَاحَاهُ وَقُطِعَ رَأْسُهُ لَسَكَانَ خَيْرًا لَهُ . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتم فاعرفوا . حق وباطل ، ولسكل أهل ، ولئن كثر^(١) الباطل لقد يمًا فعل^(٢) ، ولئن قل الحق لرَبَّمَا ولمل ، ولقلما أدبر شيء فأقبل ، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عترتي ، وأطايب أرومتي ؛ أحلم^(٣) الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا . ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا . معنا راية الحق ، من يتبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا ترد ترة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح الأمر وبنا يختم .

وهظبة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فإنه من فرط في عمله ، لم ينتفع بشيء من أمله . أين التعب بالليل والنهار ، والمقتحم للبحر والبحار ، ومفاوز القفار ؟ يسير من وراء الجبال ، وعالج^(٤) الرمال ؛ يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيبته ؛ فصار ما جمع بؤرا ، وما أكتسب غرورا ، ووافي القيامة محسورا . أيها اللاهي الغار نفسه ، كأتى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ؛ ولا يقبل منك بدبلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ؛ ولا يرحم

(١) في بعض الأصول : « أمر » . وكلاهما بمعنى .

(٢) في بعض الأصول : « قديما فهل » مكان « لقديم فعل » .

(٣) في ١ : « أحكم » .

(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بعضه في بعض .

لك صغيرا ، ولا يُوقر فيك كبيرا ؛ حتى يُؤدّبك إلى قعر مُظلمة ، أرجاؤها
 موحشة ؛ كفعله بالأُم الخالية ، والقرون الماضية . أين من سعى وأجتهد ، وجمع
 وعدد ، وبني وشيد ، وزخرف ونجد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتنع ؟
 أين من قاد الجنود ، ونشر البُنود ؟ أضحوأرفانا ، تحت الثرى أمواتا ، وأنتم
 بكأسهم شاربون ، ولِسبيلهم سالكون . عبادَ الله ، فاتقوا الله وراقبوه ،
 وأعملوا لليوم الذي تُسير فيه الجبال ، وتشقق السماء بالغم ، وتطائرُ الكتب عن
 الأيمان والشَّمائل . فأى رجل يومئذ تراك ؟ أقائل : هاؤم أقرءوا كتابيه ؛ أم :
 ياليتني لم أوت كتابيه ؟ نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته أن يقينا سُخطه .
 إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين
 يديه ولا من خلفه ، تنزِيلٌ من حكيم حميد .

ومخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي أستخلص^(١) الحمد لنفسه ، وأستوجبه على جميع خلقه ، الذي
 ناصيته كلُّ شيء بيده ، ومصير كلِّ شيء إليه ، القوي في سُلطانه ، اللطيف في
 جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا مُعطي لما منع ، خالق الخلاق بقدرته ،
 ومُسخرهم بمشيئته ، وفي العهد : صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب .
 أحمده وأستعينه على ما أنعم به ، مما لا يعرف كنهه غيره ، وأتوكل عليه توكل
 المُستسلم لقدرة ، المتبري من الحول والقوة إلا إليه ، وأشهد شهادة لا يشوبها
 شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبةً
 ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ،
 وهو على كلِّ شيء قدير . قطع أدهاء اللدعي بقوله عز وجل : (وما خلقت الجن
 والإنس إلا ليعبدون) . وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه ،
 وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق

(١) في ١ ، ي : « اختص » .

داعيا ، على حين فقرة من الرُّسل ، وضلالة من الناس ، وأختلاف من الأمور ،
وتنازع من الألسن ، حتى تَمَّ به الوَحْي ، وأنذر به أهل الأرض . أوصيكم
عباد الله بتقوى الله ، فإنها العِصْمَةُ من كُلِّ ضلال ، والسَّبِيلُ إلى كلِّ نَجاة ؛
فكأنكم بالجِثِّ قد زابتها أرواحها ، وتضمَّنتها أجدانها ، فلن يَسْتَقْبِلَ معبِّر
منكم يوما من عمره إلا بأنتقاص آخر من أجله ، وإنما دُنِيَاكُمْ كَفَى الظَّلَّ ،
أو زاد الرَّاكِب . وأحذركم دُعاء العزير الجَبَّار غبده ، يوم تُعْفَى آتَارُهُ ، وتُوحِشُ
منه دياره ، ويؤْتَمُّ صِغارُه ، ثم يصير إلى حَفِيرٍ من الأرض ، مُتَعَفِّرا خَدَّهُ (١) ، غير
مُوسَّد ولا مُمْتَدِّ . أسأل الذي وعدنا على طاعته جَنَّتَهُ أن يَقيِنَا سُخْطَهُ ، ويُجَبِّبِنَا
نِقْمَتَهُ ، ويَهَبَ لَنَا رَحْمَتَهُ ، إن أبلغ الحديث كتابُ الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد ، فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت
وأشرفت بأطلاع ، وإن المصارع اليوم والسِّبَاق غدا . ألا وإنكم في أيام أمل ،
ومن ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أمله ، قبل حُضُورِ أجله ، نفعه عمله ، ولم
يضره أمه ؛ ومن قصّر في أيام أمله ، قبل حُضُورِ أجله ، فقد خسِرَ عمله ،
وضرّه أمه . ألا فأعملوا لله في الرَّغْبَةِ ، كما تعملون له في الرَّهْبَةِ . ألا وإني لم أر
كالجَنَّةِ نام طالبا ، ولم أر كالتَّارِ نام هاربا . ألا وإنكم قد أمرتم بالظَّنِّ ،
ودلتم على الزَّاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى ، وطول الأمل .

وخطبة له [أيضا] :

قالوا : ولما أغار سُفيان بن عوف الأسدي على الأنبار في خلافة علي رضى الله
عنه ، وعليها حَسَنُ البكرى ، فقتله وأزال تلك الخَيْلَ عن مَسَارِحِهَا (٢) ، فخرج
على رضى الله عنه حتى جلس على باب السُّدَّةِ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) في بعض الأصول : «على خده» .

(٢) في البيان والتبيين : «مسارحها» . والمسارح : الثغور .

أما بعد ، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذلِّ ،
وأشمله البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النصف^(١) . ألا وإني
دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم :
أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عُمر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم
وتخاذلتهم وثقل عليكم قولي ، فأخذتموه وراءكم ظهرًا ، حتى شئت عليكم
الغارات . هذا أخو غامد^(٢) ، قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل حسان البكري^(٣) ،
وأزال خيلكم عن مسارحها ، وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني أن الرجل
منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلبها وقلبها ورعاها^(٤) ،
ثم أنصرفوا وافرّين ، ما كليم رجل منهم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من بعد هذا
أسفًا ما كان عندي مَلُومًا ، بل كان عندي جديرًا . فواجباً من جدِّ هؤلاء في
باطلهم ، وفشلكم عن حَقِّكم ! فقبجلكم وترحاً ! حين صرتم غرضاً يرمى ، يُغار
عليكم ولا تُغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ! فإذا أمرتكم
بالمسير إليهم في أيام الحرِّ قلتُم : حَمَازَةُ القَيْظِ ، أمهلنا حتى ينسلخ عذَّ الحرِّ ، وإذا
أمرتكم بالمسير إليهم نُحْيَى في الشتاء ، قلتُم : أمهلنا حتى ينسلخ عذَّ هذا القرِّ .
كأنَّ هذا فراراً من الحرِّ والقرِّ ، فأنتم والله من السَّيفِ أفرُّ . يا أشباه الرجال ولا
رجال ! ويا أحلام أطفال ، وعُمُولَ رَبَّاتِ الحِجَالِ ! وِدِدْتُ أن الله أخرجني من بين
أظْهُرِكُمْ وقبضني إلى رَحْمَتِهِ مِن بَيْنِكُمْ ، وأنِّي لم أركم ولم أعرفكم ، معرفةً والله جَرَّتْ
وَهُنَا ، ووريتم والله صَدْرِي غَيْظًا ، وجَرَّ عَتموني الموتَ أنفاسًا ، وأفسدتم عليَّ
رَأْيِي بالعِصْيَانِ والخِذْلَانِ ، حتى قالت قُرَيْشُ : إن ابنَ أبي طالبٍ شُجاعٌ ، واسكنُ

٢٠

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) في الأصول : « عامر » . وهو تحريف . انظر السكامل والبيان .

(٣) كذا في الأصول . والذي في البيان (ج ٢ ص ٢٥) : « ابن حسان ، أو حسان

البكري » . والذي في الطبري (١ : ٣٤٤٦) : « أشرس بن حسان البكري » .

والذي في السكامل (ص ١٣) : « حسان بن حسان » . والذي في الأغاني (ج ١٥

٢٥

ص ٤٥ طبعة بلاق) : « ابن حسان البكري » .

(٤) القلب : السوار . والرعات : القرط .

لا أعلم له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل منهم أحد أشد لها مِرَاساً وأطولُ تجربةً متى ! لقد مارسها وأنا ابنُ عشرين ، فما أنذا الآنَ قد نَيْفَت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

وخطبة له رضى الله عنه :

٥ قام فيهم فقال : أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي^(١) الضم الصلاب ، وِفْعُلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ عِدْوَكُمْ ؛ تقولون في المجالس كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فإذا جاء القتالُ قَاتِمٌ : [حَيْدِي] ^(٢) حَيَادٍ . ما عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، ولا أَسْتَرِاحُ قَلْبٍ مِنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَبَاطِيلٍ . وسألتموني التأخير ، دِفَاعُ ذِي الدِّينِ المَطُولِ . هِيَهَاتَ ^(٣) ! لا يَدْفَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ ، ولا يُدْرِكُ الحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ . أَيْ دَارَ بَعْدِ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ أم مع أئى إمام بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ ١٠ المَغْرُورِ وَاللَّهِ مِنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ . أَصَبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نُصْرَتِكُمْ ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَعَقَبَنِي بِكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ . وَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ ، صَرَفَ الدِّينَارَ بالدَّرْهِمِ ^(٤) .

١٥ وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل :

فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن رضى الله عنه ، فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآخِرِ المُرْسَلِينَ . أما بعد ، فإنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ كَافَّةً ، وَالنَّاسُ

(١) في بعض الأصول : « يوهن » .

(٢) حيدى : مبل . وحياذ (كفطام) ، من ذلك ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب .

(٣) في بعض الأصول : « ألا » مكان « هيهات » .

(٤) انظر الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١١١) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٣٩)

فبين النصوص خلاف .

في اختلاف ، والعرب بشر المَنازل ، مُستضعفون لما بهم (١) ، بعضهم على بعض ،
 فرأب الله به الثأى (٢) ، ولأم به الصدع ، ورأتق به الفتق ، وأمن به السُّبل ،
 وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المُخشنة للصدور ؛
 ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مَرَضياً عمله ، مَغفوراً ذنبه ، كريماً عند
 ربه . فيا لها مصيبة عمّت المسلمين ، وخصّت الأقر بين ! وولي أبو بكر ، فسار
 بسيرة رضيها المسلمون ؛ ثم ولي عمر ، فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما ؛ ثم
 ولي عثمان ، فنال منكم ونلتُم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أبتموه
 فقتلتموه ، ثم أبتموني فقتلتم لي : بايعنا ، فقلت لكم : لا أ فعل ، وقبضت
 يدي فبسطتموها ، ونازعتُم كفي فجذبتموها ، وقاتم : لا ترضى إلا بك ، ولا
 تجتمع إلا عليك ، وتدا ككتم على تداكك الإبل الهيم (٣) على حياضها
 يوم وزدها ، حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني ،
 وبايعني طلحة والزبير ، ثم ما لبثنا أن استأذنانا للعمرة ، فسارا إلى البصرة ،
 فقتلا بها المسلمين ، وفعلوا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست بدون واحد
 ممن مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعاً قرابتي ، ونكثنا
 بيعتي ، وألبا على عدوي . اللهم فلا تحكيم لهما ما أبرما ، وأرهما العساء .
 فيما (٤) عملاً وأملاً .

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر :

قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين علي
 رضي الله عنه ، فإني جالسٌ تحت منبره وعليه عمامة سوداء وهو يقول :
 أنظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عمامتي هذه .

(١) كذا في سياتي من هذا الجزء عند الكلام على يوم الجمل . والذي في بعض

الأصول هنا : « مستضيئون للثأى » . وفي سائر الأصول : « مستضيئو

لثأهم » . وكلاهما تحريف . (٢) الثأى (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٣) تداككتم : تراحمتم . والهيم : العطاش ؛ الواحدة : هيماء .

(٤) في بعض الأصول : « فيها » .

فقال له عدِيُّ بن حاتم : قلتَ لنا أمس : منَ أبى عنها فاقتلوه ، وتقول لنا اليوم : منَ دعا إليها فاقتلوه ، والله ما نَدْرِي ما نَصنع بك ! وقام إليه رجل أخذب من أهل العراق فقال : أمرتَ بها أمس وتنهى عنها اليوم ! فأنت كما قال الأول : آكُلكَ وأنا أعلم ما أنت ^(١) . فقال على : ألي يُقال هذا ؟

أصبحتُ أذُكرُ أرحاماً وآصرةً بُدلتَ منها هُوىَ الرِّيحِ بالقصبِ
أما والله لو أنى حينَ أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ، سملتكم على المسكروه الذى جعل الله عاقبته خيراً إذا كان فيه ، لسكانت الوثقى التى لا تُفصم ^(٢) ، ولكن متى وإلى متى أداويكم ؟ إني والله بكم كناقش ^(٣) الشوكة بالشوكة ! يا ليت لى بعض قومى ، وليت لى من بعدُ خير قومى . اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمَّان أبكَّان ، اللهم سلِّطْ عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ، وى للزعة بأشطان الرِّكى ^(٤) ، دُعوا إلى الإسلام فقبَلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشعر فأحكموه ، وهيجوا إلى الجهاد فوَلَوْا اللقاح أولادها ، وسلَبوا السُّيوف أعمادها ، ضرَّبا ضرَّبا ، وزحفاً زحفاً ، لا يتباشرون بالحياة ، ولا يُعزَّون على القتلى ^(٥) :

أولئك إخوانى الذاهبون فحقَّ البكاء لهم أن يطيباً
رُزئتُ حبيباً على فاقية وفارقتُ بعد حبيب حبيباً

ثم نزل تدمع عيناه . فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرَّت إليه ! فقال : نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقومهم والله غدوة ، ويرجعون إلى عشيَّة ، مثل ظُهر الحية ، حتى متى وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

(١) المثل : « إني لآكل الرأس وأنا أعلم ما فيه » . يضرب للأمر تأنيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره . (٢) فى بعض الأصول : « لا تقلع » .

(٣) نقش الشوكة : أخرجها .

(٤) الزعة : الذين يزعون الدلاء . والأشطان : جبال الدلاء . والركى : البئر . يريد العاملين .

(٥) زيد فى بعض الأصول بعد قوله « القتلى » : « ولا ينفرون على العلى » . وظاهر أنها تكرر مع تحريف كلماتها .

وهذه خطبته الغراء رضى الله عنه .

- الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شىء كان ولا من شىء خلق إلا وهو خاضع له ، قُدرة بان بها من الأشياء ، وبانت الأشياء منه ، فليست له صفة تُنال ، ولا حد يُضرب له فيه الأمثال ، كلٌّ دون صِفته
- ٥ تحيير اللغات ، وضلت هناك تصاريف الصفات ، وحارت دون ملكوته مذهب التفكير ، وأتقطعت دون علمه جوامع التفسير ، وحالت دون غيبه حجبُ تاهت فى أذنى دُورها طامحات المقول . فتبارك الله الذى لا يبلغه بعدُ الهمم ، ولا يناله غوصُ الفطن ؛ وتعالى الذى ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود . وسبحان الذى ليس له أولٌ مُبتدا ، ولا غايةٌ مُنتهى ، ولا آخرٌ يَفنى ؛
- ١٠ وهو سُبْحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نَعته ، أحاط بالأشياء كلها علمه ، وأتقنها صنعه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظه ، فلا يعزب عنه
- ١٦٦
٧ غيوب الهوى ، ولا مكنون ظلم الدجى ، ولا مافى السموات العلى ، إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شىء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها . الأحد الصمد ، الذى لم تُغيره صُرُوف الأزمان ، ولم يتكأده^(١) صنْع شىء منها كان . قال
- ١٥ لما شاء أن يكون : كُن فكان ؛ أبتدع ما خلق ، بلا مثال سبق ، ولا تعب ، ولا نصب ؛ وكلُّ عالم من بعد جهل تعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالأشياء كلها علما ، ولم يزدد بتجربتها خبرا ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينا ؛ لم يُسكونها لتسديد سلطان ، ولا خوفٍ من زوال ولا نقصان ؛ ولا استعانة على ضد مناوى ، ولا نذٍ مُسكأثر ؛ ولكن خلائق مرَبوبون ، وعباد داخرون^(٢) . فسبحان الذى لم يؤده خلق ما أبتدأ ، ولا تدبير ما برأ ؛
- ٢٠ خلق ما علم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دَخات عليه فيما شاء^(٣) ؛ لكن قضاء مُتقن ، وعلمٌ مُحكم ، وأمرٌ مُبرم . توحد فيه

(١) تكأده الأمر : شق عليه . (٢) داخرون : خاضعون لله يفعلون ما يؤمرون .

(٣) فى بعض الأصول : « أراد » .

بالربوبية ، وخصَّ نفسه بالوحدانية ؛ فليسَ العزَّ والكبرياء ، وأستخلص
 المجد والسَّناء ، وأستكمل الحمد والثَّناء ؛ فأفرد بالتَّوحيد ، وتوحد بالتَّمجيد ؛
 فجَلَّ سبحانه وتعالى عن الأبناء ، وتطَهَّر وتقدَّس عن مُلامسة النساء ؛ فليس
 له فيما خَلق نِدًّا ، ولا فيما ملكَ صِدًّا ؛ هو الله الواحد الصَّمَد ، الوارثُ للأبد ،
 الذي لا يبيد ولا ينفد ؛ مَلَكَ السمواتِ العُلى ، والأرْضين السُّفلى ؛ ثم دَنَا
 فعَلَا ، وعَلَا فدَنَا ؛ له المثل الأعلى ، والأسماء الحُسنى ، والحمد لله ربَّ
 العالمين . ثم إنَّ الله تبارك وتعالى سُبْحانه وبِحَمْدِهِ ، خَلَقَ الخلق بعلمه ، ثم اختار
 منهم صَفْوَتَهُ [نفسه] ، واختار من خِيَارِ^(١) صَفْوَتِهِ أُمَّةً على وَحْيِهِ ، وخزنة
 له على أمره ، إليهم تَنْهَى رسالته^(٢) ، وعليهم يَنْزِلُ وَحْيِهِ ؛ جعلهم أَصْفِيَاءَ ،
 مُصْطَفِينَ أَنْبياءَ ، مَهْدِيِّينَ نَجَبَاءَ . أَسْتودِعُهُمْ وأَقْرَبَهُمْ في خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخْتَهُمْ
 أكَرَمُ الأَصْلَابِ ، إلى مطهَّراتِ الأُمَّةِ ؛ كما مضى منهم سَلَفٌ ، أنبِعثَ
 لأمره منهم خَلَفٌ ؛ حتى أنتهت نُبوَّةُ الله وأفضت كرامتُهُ إلى محمد صلى الله
 عليه وسلم ، فأخرجه من أفضل المعادن مَحْتَدًّا ، وأكْرَمَ المغارس منبِتًّا ،
 وأمنعها ذرورة ، وأعزَّها أرومة ، وأوصلها مَسْكُومَةً ؛ من الشجرة التي صاغ
 منها أُمَّةً ، وأنتخب منها أنبياءَ ؛ شجرة طيِّبة العود ، معتدلة العمود ، باسقة
 الفروع ، مُخضِّرة الأصول والغصون ، يانعة الثَّمار ، كريمة المُجْتَنِي ؛ في كرم
 نَبَتَتْ ، وفيه بَسَمَتْ وأثمرت ، وعزَّتْ فأمتنعت ؛ حتى أكرمه الله بالروح الأمين ،
 والثَّور المبين ، نفختم به النَّبِيِّينَ ، وأتمَّ به عِدَّةَ الرُّسُلَيْنِ ؛ خَلِيفَتُهُ على عبادِهِ ،
 وَأَمِينُهُ في بلادِهِ ؛ زَيْنُهُ بالتَّقوى ، وآثارُ الذِّكْرِ ؛ وهو إمام من أتقى ، ونَصْرُ
 من أهتدى ؛ سراجٌ لمع ضَوْؤُهُ ، وزندٌ برَّقَ لَمَعُهُ ، وشهابٌ سطع نُورُهُ .
 فأستضاءت به العباد ، وأستنارت به البلاد ، وطوى به الأحساب ، وأزجى
 به السَّحابَ ، وسَخَّرَ له البُرَاقَ ، حتى صاغتُه الملائكة ، وأذعنَتْ له الأبالسة^(٣) ،

(١) في بعض الأصول : « كل خيار » . (٢) في بعض الأصول : « رسله » .

(٣) في بعض الأصول : « الألسنة » .

وهدم به أصنام الآلهة . سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فضل ، وحكمه عدل . فصدع صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد دعوته ، وأظهر في خلقه : لا إله إلا الله ، حتى أذعن له بالربوبية ، وأقر له بالعبودية والوحدانية . اللهم فخص محمدًا صلى الله عليه وسلم بالذكر المحمود ، والخوض المورود . اللهم آت محمدًا الوسيلة ، والرفعة والفضيلة ؛ وأجعل في المصطفين محبته ، وفي الأعلين درجته ؛ وشرف بنيانه ، وعظم برهانه ؛ واسقنا بكأسه ، وأوردنا حوضه ، وأحشرنا في زمرة ؛ غير خزايا ولا ناكثين ، ولا شاكين ولا مرتابين ، ولا ضالين ولا مفتونين ، ولا مبدلين ولا حاندين ولا مضايين . اللهم أعط محمدًا من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكانا ، ولا أخطى عندك منزلة ، ولا أدنى ^(١) إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقًا ولا شفاعة من محمد ؛ واجمع بيننا وبينه في ظل العيش ، وبرد الروح ، وقرة العين ، ونصرة الشور ، وبهجة النعيم ؛ فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، وأجهد الأمة ، وجاهد في سبيلك ، وأوذى في جنبك ، ولم يخف لومة لائم في دينك ، وعبدك حتى أتاه اليقين . إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ، وخاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين . اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ، بلغ محمدًا منا السلام . اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الخلفاء الكرام الكاتبين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين ، من المؤمنين .

وخطبة الزهراء :

٢٠

الحمد لله الذي هو أول كل شيء وبديته ، ومُنتهى كل شيء ووليته ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارع إليه ، وكل شيء

(١) في بعض الأصول : « أقرب » .

مُسْتَكِينٍ لَهُ . خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الصَّغَاتُ ؛ وَضَلَّتْ دُونَهُ
 الْأَوْهَامُ ، وَحَارَتْ دُونَهُ الْأَحْلَامُ ، وَأُنْحَسِرَتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ . لَا يَقْضِي فِي الْأُمُورِ
 غَيْرُهُ ، وَلَا يَتَمُّ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَ شَأْنَهُ ، وَأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ !
 تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ؛ لَهُ التَّسْبِيحُ وَالْعِظَمَةُ ،
 ٥ وَالْمُلْكُ وَالْقُدْرَةُ ، وَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ ؛ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ
 وَمَقْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَوَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ
 حَسَنَةٍ ، وَكَاشِفُ كُلِّ كُرْبَةٍ ؛ الْمُطَّلِعُ عَلَى كُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْمُحْصِي لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، يَعْلَمُ
 مَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تُرْخَى عَلَيْهِ السُّتُورُ ؛ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ ، الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ ،
 مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَمَنْ عَاشَ
 مِنْهُمْ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَإِلَيْهِ مَصِيرُهُ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ،
 ١٠ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ حِفْظُهُ . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ مَا تُحْيِي وَتُمِيتُ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِ
 خَلْقِكَ وَلَفْظِهِمْ وَلِحَظِّ أَبْصَارِهِمْ ، وَعَدَدَ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ ، وَتَحْمَلُهُ السَّحَابُ ،
 وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ ، حَمْدًا لَا يَنْقُضِي
 عَدْدَهُ ، وَلَا يَفْنَى أَمْدُهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ ،
 ١٥ وَتَكُونُ بَعْدَ هَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ ، وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ ،
 أَحَاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ ؛ وَلَا
 يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتِكَ ، وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَا تَهْتَدِي الْعُقُولُ
 لِصِفَتِكَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ حَدَّكَ . حَارَتْ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ تَرَكَ
 عَيْنٌ فَتُخْبِرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ ، لَا نَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمْتُكَ ، غَيْرَ
 ٢٠ أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْفِتْهُ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ
 بَصَرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتُكَ مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ ؛ أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَكَتَبَتْ الْأَجَالَ ،
 وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَالَ ، وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ؛ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ
 وَلَا لَوْحِشَةٍ ؛ مَلَأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً ، فَلَا يُرَدُّ مَا أَرَدْتَ ، وَلَا يُعْطَى مَا مَنَعْتَ ،

١٦٨
٢

- ولا يَنْقُصُ سُلْطَانِكَ مَنَ عَصَاكَ ، ولا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنَ أَطَاعَكَ . كل سرّ
عندك علمه ، وكل غيب عندك شاهدُه ، فلم يَسْتَتِرْ عنك شيء ، ولم يَشْغَلْكَ شيء
عن شيء ، وقُدْرَتِكَ على ما تَقْضِي كَقُدْرَتِكَ على ما قَضَيْتَ ، وقُدْرَتِكَ على القويّ
كَقُدْرَتِكَ على الضّعيف ، وقُدْرَتِكَ على الأحياء كَقُدْرَتِكَ على الأموات .
فإليك المنتهى ، وأنت الموعود ، لا منجى إلا إليك ، بيدك ناصية كل دابة ،
وإذْناكَ تَسْقُطُ كل ورقة ، لا يَعْزُبُ عنك مثقالُ ذرّة ، أنت الحيّ القيوم .
سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خَلْقِكَ ! وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما
أقلّها فيا غاب عَنّا منه ! وما أَسْبَغَ نِعْمَتَكَ في الدُّنْيَا وأَحْقَرَهَا في نعيم الآخرة !
وما أَشَدَّ عَمَوقَتِكَ في الدُّنْيَا وما أيسرها في عُقُوبَةِ الآخرة ! وما الَّذِي نَرَى من خَلْقِكَ ،
ونَعْتَبِرُ من قُدْرَتِكَ ، ونَصِفُ من سُلْطَانِكَ ، فيما يَغيب ^(١) عَنّا منه ، مما قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا
عنه ، وكَلَّتْ عَمَولُنَا دُونَهُ ، وحالَتِ الغُيُوبُ بَيْنِنَا وبَيْنَهُ ! فَنِ قَرَعِ سِنَّهُ ، وأَعْمَلِ
فِكرَهُ : كيف أَمَّتْ عرشك ؟ وكيف ذرأت خَلْقَكَ ؟ وكيف عَلَّقْتَ في المَواهِ
سَمَواتِكَ ؟ وكيف مَدَدْتَ أَرْضَكَ ؟ يَرْجِعُ طَرْفُهُ حاسِراً ، وعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ والها ،
وفِكرُهُ متَجِيراً . فكيف يَطْلُبُ عِلْمَ ما قَبِلَ ذلك مِن شَأْنِكَ ، إذ أنت وحدك
في الغُيُوبِ التي لم يكن فيها غيرُكَ ، ولم يكن لها سِوَاكَ ، لا أَحَدَ شَهِدِكَ حين
فَطَرْتَ الخَلْقَ ، ولا أَحَدَ حَضَرَكَ حين ذرأت النُفُوسَ ، فكيف لا يَعْظُمُ شَأْنَكَ
عند من عَرَفَكَ ، وهو يرى مِن خَلْقِكَ ما تَرْتاع به عَمَولُهُمْ ، ويمَلَأُ قُلُوبَهُمْ ، من
رَعْدِ تَفْزَعُ لَهُ القُلُوبُ ، وبرَقِ يَحْطِفُ الأَبْصارَ ، وملائكة خَلَقْتَهُمْ وأَسَكَنْتَهُمْ
سَمَواتِكَ ، وليست فيهم فَتْرَةٌ ، ولا عَندَهُمْ غَفْلَةٌ ، ولا بِهِمْ مَعْصِيَةٌ . هم أَعْلَمُ خَلْقِكَ
بِكَ ، وأخوفُهُمْ لَكَ ، وأقومُهُمْ بطاعتِكَ ، ليس يَغْشاهُم نوم العُيُونِ ، ولا سَهْوُ
العقول ؛ لم يَسْكُنُوا الأَصْلابَ ، ولم تَضُمَّهُم الأرحام ؛ أنشأتَهُمْ إنْشاءً ، وأَسَكَنْتَهُمْ
سَمَواتِكَ ، وأَكْرَمْتَهُمْ بجِوارِكَ ، وأثَمَمْتَهُمْ على وَحْيِكَ ؛ وَجَنَّبْتَهُم الآفاتَ ،
وَوَقَيْتَهُم السَّيِّئاتَ ، وطَهَرْتَهُم من الذنوب ؛ فلولا تقويتُكَ لم يَقُوا ، ولولا

(١) أي ليس بشيء فيما يغيب عنا .

تَثْبِيْتِكَ لَمْ يَثْبِتُوا ، وَلَوْلَا رَهْبَتِكَ لَمْ يَطِيعُوا ، وَلَوْلَا كَمْ يَكُونُوا . أَمَّا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَاتِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَطُولِ طَاعَتِهِمْ بِإِيَّاكَ ، لَوْ يُعَايِنُونَ مَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ لِأَحْتَرَقُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ . فَسُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ! أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَّرْتَهُ مَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ، ثُمَّ أُرْسِلْتَ دَاعِيًا إِلَيْنَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجْبِنَا ، وَلَا فِيمَا رَغَبْنَا فِيهِ رَغِبْنَا ، وَلَا إِلَى مَا شَوْقْنَا إِلَيْهِ أَشْتَقْنَا . أَقْبَلْنَا كُلَّنَا عَلَى حِيْفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا وَلَا نَشْبِعُ ، وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حِرْصًا ، لِمَا يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَفْتَضَحْنَا بِأَكْلِهِ ، وَأَصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّهَا ، فَأَعْمَتِ أَبْصَارَ صُلَّاحِنَا وَقَفُّهَانَا ، فَهَمَّ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ غَيْرِ صَحِيْحَةٍ ، وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانٍ غَيْرِ سَمِيْعَةٍ ، فَحَيْثَمَا زَالَتْ زَالُوا مَعَهَا ، وَحَيْثَمَا مَالَتْ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ عَايَنُوا الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَّةِ كَيْفَ فَجَأَتْهُمْ الْأُمُورُ ، وَنَزَلَ بِهِمُ الْحَزْرُ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الْأَحْيَةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ، وَقَدَّمُوا مِنَ الْآخِرَةِ [إِلَى] مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَارْقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ ؛ فَأَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ : حَسْرَةُ الْقُوْتِ ، وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ ، فَأَغْبَرَتْ لَهَا وَجُوهَهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ بِهَا أَلْوَانَهُمْ ، وَعَرِقَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وَشَخَّصَتْ أَبْصَارَهُمْ ، وَبَرَدَتْ أَطْرَافَهُمْ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْطِقِ ؛ وَإِنْ أَحَدَهُمْ لَبَيِّنٌ أَهْلُهُ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ بَصَرَهُ ، فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ ، وَهَلَسَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُهُ ، وَعَايَنَ هَوْلَ أَمْرٍ كَانَ مُغْطًى عَلَيْهِ ، فَأَحَدًا لَدَيْكَ بَصَرَهُ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ ، حَتَّى بَلَغَتْ نَفْسُهُ الْحَلْقُومَ ، ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جَسَدًا مُلْقًى لِأَيْحِيْبٍ دَاعِيًا ، وَلَا يَسْمَعُ بِأَكْيَا ، فَتَزَعَوُاثِيَابُهُ وَخَاتَمُهُ ، ثُمَّ وَضَعَهُ وَضُوءَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ غَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ أَدْرَاجًا فِي أَكْفَانِهِ ، وَحَنَّنُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَدَلَّوْهُ فِي حُفْرَتِهِ ، وَتَرَكَوهُ مُخْلِئًا بِمَقْطَعَاتٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَحْتَ مَسْأَلَةٍ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ ، مَعَ ظُلْمَةِ وَضِيْقٍ ، وَوَحْشَةِ قَبْرِ ؛ فَذَلِكَ مَثْوَاهُ حَتَّى يَبْلُغَ جَسَدُهُ وَيَصِيرَ تُرَابًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى مِقْدَارِهِ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِنْ خَالِقِهِ ، أَرَادَ بِهِ تَجْدِيدَ خَلْقِهِ ، فَأَمَرَ بِصَوْتٍ مِنْ

٥

١٠

١٥

١٦٩
٢

٢٠

سَمَوَاتِهِ ، فَمَارَتِ السَّمَوَاتُ مَوْرًا ، وَفَرَّعَ مِنْ فِيهَا ، وَبَقِيَ مَلَأَتْ كَتْمُهَا عَلَى أَرْجَانِهَا ،
 ثُمَّ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَرْضِ — وَانْخَلَقَ رُفَاتٍ لَا يَشْعُرُونَ — فَأَرْجَحَ أَرْضَهُمْ وَأَرْجَفَهَا
 وَزَلَّزَلَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا وَسَيَّرَهَا ، وَرَكَّبَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ ،
 وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا ، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ بِلَانِهِمْ ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، يُرِيدُ أَنْ يُحْصِيَهُمْ
 وَيُمَيِّزَهُمْ : فَرِيقًا فِي ثَوَابِهِ ، وَفَرِيقًا فِي عِقَابِهِ ، فَخَلَّدَ الْأَمْرُ لِأَبَدِهِ دَائِمًا ، خَيْرُهُ ٥
 وَشَرُّهُ . ثُمَّ لَمْ يَنْسِ الطَّاعَةَ مِنَ الْمُطِيعِينَ ، وَلَا الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْعَاصِينَ ، فَأَرَادَ غَضًّا
 وَجَلًّا أَنْ يُجَازِيَ هَؤُلَاءِ ، وَيَنْتَقِمَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَأَنَابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ بِجَوَارِهِ ،
 وَحُلُولِ دَارِهِ ، وَعَيْشِ رَغَدٍ ، وَخُلُودِ أَبَدٍ ، وَجَوَارَةِ الرَّبِّ ، وَمُوَافَقَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ لَا ظَعْنَ وَلَا تَغْيِيرَ ، وَحَيْثُ لَا تَصْيِبَهُمُ الْأَحْزَانُ ، وَلَا تَعْتَرِضُهُمْ
 الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ ^(١) . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ ، فَخَلَّدَهُمْ فِي النَّارِ ، ١٠
 وَأَوْثَقَ مِنْهُمْ الْأَقْدَامَ ، وَغَلَّتْ مِنْهُمْ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، فِي لَهَبٍ قَدْ أَشْتَدَّ
 حَرُّهُ ، وَنَارٍ مُطَبَّقَةٍ عَلَى أَهْلِهَا ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بَهَارُ رُوحٍ ، هَمَّهُمْ شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهُمْ
 يَزِيدُ ، وَلَا مُدَّةَ لِلدَّارِ تَنْقَضِي ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ يَنْتَهِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ
 الْفَضْلَ ، وَالرَّحْمَةَ بِيَدِكَ ، فَأَنْتَ وَلِيَّتُهُمَا ، لَا يَلِيهُمَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ
 الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ ، الَّذِي قَامَ بِهِ عَرْشُكَ وَكُرْسِيُّكَ وَسَمَوَاتُكَ وَأَرْضُكَ ، وَبِهِ ١٥
 أَبْتَدَعْتَ خَلْقَكَ ، الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ ، آمِينَ ،
 إِنَّكَ وَلِيٌّ كَرِيمٌ .

وخطب أيضا فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَحْفَظُوا عَنِّي خَمْسًا ، فَلَوْ شَدَّدْتُمْ إِلَيْهَا الْمَطَايَا حَتَّى تُنْضَوْهَا
 لَمْ تَظْفَرُوا بِمِثْلِهَا : أَلَّا لَا يَرَّجُونَ أَحَدُكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، ٢٠
 وَلَا يَسْتَحْيَ أَحَدُكُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ يَتَعَلَّمُ ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ :
 لَا أَعْلَمُ ؛ أَلَّا وَإِنَّ الْخَامِسَةَ الصَّبْرَ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْأَبْصَارُ » .

الجَسَد . مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ ، وَمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ لَا جَسَدَ لَهُ . وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةِ إِلَّا بِتَدَبُّرٍ ، وَلَا فِي عِبَادَةِ إِلَّا بِتَفَكُّرٍ ، وَلَا فِي حِلْمٍ إِلَّا بِعِلْمٍ . أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْعَالِمِ كُلِّ الْعَالِمِ ، مَنْ لَمْ يُزَيِّنْ لِعِبَادِ اللَّهِ مَعَاصِيَ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمَرْهُمْ مَكْرَهُ ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِهِ . وَلَا تُنْزِلُوا الْمُطِيعِينَ الْجَنَّةَ ، وَلَا الْمُذْنِبِينَ الْمُوَحِّدِينَ النَّارَ ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ . لَا تَأْمَنُوا عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) . وَلَا تُقْنِطُوا شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، (فَإِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

ومن كلامه رضوان الله عليه :

قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين ١٠
فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رَغَا
فَجَحْتُمُ ، وَعُقِرْ فَأَنْهَزْتُمُ . دَخَلَتْ شَرَّ بِلَادٍ ، أَبْعَدَهَا مِنَ السَّمَاءِ ، بِهَا يَغِيضُ كُلُّ
مَاءٍ ، وَهِيَ شَرُّ أَسْمَاءٍ ، هِيَ الْبَصْرَةُ وَالْبُصَيْرَةُ وَالْمُؤْتَفَكَةُ وَتَدْمُرُ ^(١) . أَيْنَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؟
فَدُعِيتُ ، فَقَالَ لِي : مُرْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَلْتَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهَا الَّذِي أَمَرْتُ أَنْ تَقْرَفِيهِ ^(٢) . ١٧٠
وَتَمَثَّلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ الْحَكَمِيِّينَ : ٢
زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أُكَيِّسُ بَعْدَهَا وَأُنْشِرُ ^(٣) ١٥
وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتَ الْمُتَشْتِرُ

خطب معاوية

قال القحذمي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش ،
فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرتك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ما ردد عليهم
شيئاً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنني والله ما وليتها ٢٠

(١) انظر معجم البلدان عند الكلام على البصرة والمؤتفكة .

(٢) نس الخطبة في شرح نهج البلاغة يختلف عنه هنا كثيراً .

(٣) في بعض الأصول : « وأشتمر » .

بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرّة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسبقي هذا مجالدة ،
 ولقد رُضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحافة ، وأردتها على عمل مُعمر ، فنفرت
 من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على [مثل] ^(١) نَفِيَّات ^(٢) عثمان ، فأبت عليّ ،
 فسلكتُ بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة ، مؤاكلة حسنة ، ومُشاركة جميلة ،
 فإن لم تجدوني خيركم فإني خيركم ولايةً . والله لا أحملُ السيفَ على من
 لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفِي به القائلُ بلسانه ، فقد جعلتُ
 له ذلك دَبْرَ أُذني وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كُله فاقبلوا مني
 بعضه ، فإن أنا كم مني خيرٌ فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عَنِّي ^(٣) ، وإذا قلَّ
 أغني ^(٤) ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تُفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، ثم نزل .

١٠ [وخطبة أيضاً لعمارة] :

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدِمنا عليكم ، وإنما قدِمنا على صديق مُستبشر ،
 أو على عدوٍ مُستتر ، وناس بين ذلك يَنْظُرُونَ وَيَنْتَظِرُونَ ، (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا
 رِضْوَانًا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ) . ولستُ واسعاً كُلِّ الناس ، فإن
 كانت مَحْمَدَةَ فلا بد من مَدْمَةَ ، فلو مَّا هوناً إذا ذُكِرَ غُفِرَ ، وإياكم والتي إن
 أُخْفِيَتْ أَوْبَقَتْ . وإن ذُكِرَتْ أَوْثَقَتْ ، ثم نزل .

[وخطبة أيضاً لعمارة] :

صعد منبر المدينة . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المدينة ، إني لست
 أحب أن تكونوا خلقاً كَخَلْقِ العِراق ، يَعْبِوْنَ الشَّيْءَ وَهَمْ فِيهِ ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ

٢٠ (١) التكملة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) كذا في الأصول ، وثنيات : جمع ثنية ، وهي الطريق العالي في الجبل ، أي على

مثل الصعب مما ركب عثمان . والذي في ابن عساكر والذهبي : « سنيات » .

(٣) في بعض الأصول : « جاء يثرى » .

(٤) أغني ، أي كفي .

شيعته نفسه ، فاقبلونا بما فينا ، فإن ما وراءنا شرُّ لكم ، وإنَّ معروف زماننا هذا مُنكر زمان قد مضى ، ومُنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى ، قالَتْقُ خَيْرٌ من الفتق ، وفي كلِّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

[وخطبة معاوية أيضا] :

٥ قال العُتبي : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحرِّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، وعظكم فلم يهملكم ، فقال : (بأبيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

١٠ قال ابن دأب : لما قدّم عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً^(١) [عنه] أنكره ، فجعل يتصدى له^(٢) بخلوة يسئُر من رأيه ما كره أن يُشرك به في عمله^(٣) ، فأستأذن عليه بعد أن صداع الطَّلاب ، وإشعال^(٤) الخاصة ، وأفتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه . ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مرزوان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص . فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفّح وجوه القوم ، ثم قال : صريح العمقوك مُسكاتمة الأذنين ، ولا خيرَ في أختصاص إن وفر^(٥) ، أحمَد الله إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء^(٦) ، وأستهديه من عمى مجهد ، وأستعينه على عدوِّ مرُصد ، وأشهد

(١) في بعض الأصول : « الأعياء » .

(٢) في بعض الأصول : « منه » .

(٣) أى يعرف سبب إبعاد معاوية له وعدم استعماله له . وفي بعض الأصول : « علمه »

(٤) الإشعال : التفرق . وفي بعض الأصول : « واشتغال » .

(٥) وفر ، أى عم وشاع . يقول : خير الاختصاص ما قل معه الأخصاء .

(٦) الآلاء : النعم . واللأواء : الشدة .

١٧١
٢
أن لا إله إلا الله، المُنقذ بالأمين الصادق، من شقاء هاوٍ^(١)، ومن غواية غاوٍ^(٢)؛
وصلواتُ الله على الزكيّ نبيّ الرحمة، ونذير الأُمَّة، وقائد الهدى. أما بعد،
يا أمير المؤمنين، فقد عَسَفَ بنا ظنُّ فرعٍ^(٣)، وفزع صدعٍ؛ حتى طَمِعَ السَّحِيقُ،
ويئس الرِّفيقُ؛ ودبَّ الوُشاةُ بموت زياد، فكأهمَّ مُتَحَفِّزٌ^(٤) للعداوة، وقد
قلَّص الإزرة^(٥)، وشَمَّرَ عن عِطَافِهِ^(٦)، ليقول: مضى زياد بما أُسْتَلْحَقَ به،
وولى على الدّنية^(٧) من مُسْتَلْحَقِهِ. فليت أمير المؤمنين سَلِمَ في دَعَتِهِ، وأسلم زياداً
في ضَعَّتِهِ^(٨)، فسكان تَرَبِّ عامَّة، وواحد رعيَّة، فلا تَشْخَصْ إليه عين ناظر،
ولا إضْمِعْ مُشِير، ولا تَذَلِّقْ^(٩) عليه ألسُن. كَلِمَتُهُ حَيًّا، وَنَبَشَتُهُ مَيِّتًا، فإن
تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء^(١٠) رُفَات، ودَعْوَةِ أموات، فقد حاباك
زياد بجدِّ هَضُور، وعزْمِ جَسُور، حتى لانت شكائُمُ الشَّرِس، وذَلَّتْ صَعْبَةُ
الأشوس، وبذلت لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره، تأخذ بهما المنيع، وتَقْهَرُ
بهما البزيع^(١١)، حتى مضى، والله يَغْفِرُ لَهُ. فإن يكن زياداً أخذ بحقِّ فأَنْزِلْنَا^(١٢)
مَنَازِلَ الأقْرَبِين، فإنَّ لنا بعده ما كان له، بدالَّة الرِّحِم، وقرابة الحَمِيم، وما لنا

(١) كذا في ١، ي. يريد شقاء يهوى بصاحبه إلى الحضيض. والذي في سائر الأصول:

١٥ « شفا جرف هار ».

(٢) كذا في ١، ي. يريد الشيطان. والذي في سائر الأصول: « عار ».

(٣) فرع: فرق.

(٤) في بعض الأصول: « مستحفز » وهي بمعناها.

(٥) الإزرة: الاتزار. (٦) العطاف: الرداء.

٢٠ (٧) في بعض الأصول: « ودل على الأنية ».

(٨) في بعض الأصول: « في ضيعته ».

(٩) ذلق اللسان: ذرب وحد.

(١٠) في بعض الأصول: « بأول ».

(١١) البزيع: السيد.

٢٥ (١٢) في بعض الأصول: « له ».

يا أمير المؤمنين نمشي الضراء ، ونديب الخفاء^(١) ، ولنا من خيرك أكله^(٢) ،
وعليك من حوبنا أثقله^(٣) ، وقد شهد القوم ، وما ساءنى قرُبهم ، ليقرّوا حقاً ،
ويردّوا باطلاً ، فإن للحق مناراً واضحاً ، وسبيلاً قَصْداً ، فقل يا أمير المؤمنين بأبى
أمرّيك شئت ، فما نأرز^(٤) إلى غير جحرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ،
وأستغفر الله لى ولسمى .

قال : فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفّحهم بلحظه رجلاً ،
رجلاً ، وهو مُبتسم . ثم اتجه تلقّاه ، وعمد حُبوته ، وحسّر عن يده ، وجعل
يُومئُ بها نحوه ، ثم قال معاوية : الحمد لله على ما نحن فيه ، فكل خير منه ،
وأشهد أن لا إله إلا الله ، فكلّ شىء خاضع له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دل
على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومُصدّق
المُرسلين ، وحُجّة رب العالمين ، وصلوات الله عليه وسلامه وبركاته . أما بعد ،
فربّ خير مسستور ، وشرّ مذكور ، وما هو إلا السهم الأخبب لمن طار به ،
والحظّ المرغّب لمن فاز به ، فيهما التفاضل وفيهما التغايب ، وقد صفقت يداى من
أبيك صفقة ذى الجلبة من ضوارع الفصلان^(٥) ، عامل أصطناعى له بالكفر لما
أوليته ، فما رميت به إلا أنتصل^(٦) ، ولا أنتضيتُهُ إلا غلق جفنه ، وزلت
شفرته^(٧) ؛ ولا قلتُ إلا عاند ، ولا قُمتُ إلا قعد ، حتى أخترمه الموت ؛ وقد أوقع
بختره^(٨) ، ودلّ على حقدّه . وقد كنتُ رأيتُ فى أبيك رأياً حصره الخطل ،

(١) الضراء : الشجر المنتف . ويريد بمعنى الضراء وديب الخفاء : المكر والحديعة .

وفى بعض الأصول : « ونشتف النضار » مكان : « وندب الخفاء » .

(٢) فى بعض الأصول : « ولك من خيرنا أكله » . (٣) الحوب : الإثم .

(٤) يقال : أرزت الحية إلى حجرها ، إذا لاذت به ورجعت إليه .

(٥) صفقت ، أى صادفت . والجلبة (بالضم) : الجهد والشدة والجوع . والضوارع

من الفصلان : الصغار الضعيفة الضاوية . وفى بعض الأصول : « الحسلة »

و « رواضع » مكان « الجلبة » و « ضوارع » .

(٦) انتصل : خرج نصله . (٧) فى بعض الأصول : « ولزت لسعته » .

(٨) الحتر : الغدر والحديعة .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

والتبس به الزلل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أبرئى نفسى إن النفس لأقار
بالشوء ، فما برحت هناة أبيك تحطبُ في حبل القطيعة ، حتى أنتكت المبرم ،
وأحل عقد الوداد . فيالها توبة تُؤتف ، من حوبة^(١) أوزت ندما ؛ أسمع بها
الهااتف ، وشاعت للشامت ، فليهنأ الواصم^(٢) ما به أحقر . وأراك تحمد من
أبيك جدًا وجسورا ، ها أوفيا به على سرف التتقم^(٣) ، وعمط^(٤) النعمة ،
فدعهما ، فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ، وبهما مشيت الضراء ،
ودبيت الخفاء^(٥) ، فأذهب إليك ، فانت نجل الدغل ، وعيرة^(٦) النغل^(٧) ،
والآخر^(٨) شر .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حُكم الغائب ، وقد حصرك

زيد وله مواطن معدودة بخير ، لا يُفسدها التظني ، ولا تُغيرها التهم ، وأهلوه
أهلوك ، ألتحموا بك ، وتوسطوا شأنك ، فسافرت به الرُكبان ، وسمعت به
أهل البلدان ، حتى أعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا تتحجر يا أمير المؤمنين
ما قد أتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

فأنحرف معاوية إلى من معه ، فقال : هذا ، وقد نفس عليه^(٩) ببيعته ، وطعن

في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبذم

(١) الحوبة : الإثم والذنب .

(٢) كذا في بعض الأصول . والواصم : العياب المحقر . يريد الذين نالوا من زيد
وحقروه . وفيه إشارة إلى قول عبيد قبل : « ولا تداق عليه ألسن كلته حيا ،
ونبشته ميتاً » . وفي سائر الأصول : « الواصم » .

(٣) السرف : مجاوزة القصد . والتقمم : « التعرض للأمر من غير روية . والذي
في الأصول : « شرف » بالشين .

(٤) كذا في ١ والذي في سائر الأصول : « وغبط » .

(٥) في بعض الأصول : « واستتفت النصار » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من
هذا الجزء) .

(٦) في بعض الأصول : « ونثره » .

(٧) الدغل والنقل : الفساد . (٨) في بعض الأصول : « والأجر » .

(٩) نفس عليه : حسده . وفي بعض الأصول : « نفسه » . يشير إلى امتناع زيد عن

بيعة يزيد ومحاولته صرف معاوية عن ذلك (انظر الظهري في حوادث سنة ٥٦ حين

دعا معاوية الناس لبيعة يزيد) .

يزيد وحده . ثم نظر إلى عبید الله فقال : يا بن أخي ، إني لأعرفُ بك من أبيك ، وكأني بك في غمرة لا يخطؤها السابح ، فالزم ابن عمك ، فإن ما قال حق . فخرجوا ، ولزم عبید الله يزيد ، يرد مجلسه ، ويطاء عقبه أياما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة والياً عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر^(١) .

[وخطبة معاوية أيضا] :

قال الهيثم بن عدی : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عتبة المرّي والضحاک بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : أنظر أهل الحجاز ، فهم عصابتك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتعاهده ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سئل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ؛ ثم أنظر أهل الشام فاجعلهم الشعاردون الدثار ، فإن رابك من عدو ريب فأرزه بهم ، فإن أظفرك الله فأرزد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يتموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم . لست أحاف عليك غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي . فأما عبد الله بن عمر ، فرجل قد وقده^(٢) الورع ؛ وأما الحسين ، فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خبّ صبّ . فإن ظفرت به فقطعه إزباً إزباً . ومات معاوية . فقام الضحاک بن قيس خطيباً فقال : إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ، ونحن مُدرجوه فيها ومُحلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر . فصلى عليه

(١) كذا في سياقي في العقد عند الكلام على المختار بن عبید ومعجم البلدان . والخازر نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعنده كانت وقعة بين ابن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي أيام المختار . والذي في سائر الأصول : « الجارود » .

(٢) وقده : غلبه .

الضحَّاك . ثم قَدِمَ يزيد فلم يَقْدَمَ أحدٌ على تعزيتِهِ ، حتى دخل عليه عبسُ الله
ابن هَامٍ فأنشأ يقول :

أصبر يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ واشكر حِبَاءَ الذي بالملك حابا كا
لا رُزءَ أعظمُ في الأَقوامِ قد عَلِمُوا مما رُزئتَ ولا عُقبِي كعُقْبِيَا كا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الدِّينِ كلِّهم فأنتَ ترعاهمُ واللهُ يرعَا كا
وفي مُعاويةِ الباقي لنا خَلْفٌ إذا بَقيتَ فلا نسمعُ بمنعَا كا
قال : فأنتفتح الخطباء بالكلام .

[وفطبة أيضا لمعاوية] :

ولما مرض معاوية مرضَ وفاته قال لمولى له : مَنْ بالباب ؟ قال : نفر من
قُرَيْشٍ يتباشرون بموتك . قال : وَيَحْك ! لِمَ ؟ فوالله ما لهم بعدى إلا الذي
يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال : أيها الناس ،
إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعدّ فيه المُحْسِنُ مُسِيئًا ، ويزداد
الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما عَلِمْنَا ، ولا نسأل عما جَهِلْنَا ، ولا نتخوف قارعة
حتى تَحُلَّ بنا ؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يَمْنَعُه مِنَ الفسادِ في
الأرضِ إلا مهانةَ نَفْسِه ، وكلال حدّه ، ونَضِيضِ وَفْرِه ؛ ومنهم المُصْلِتُ
لسيفه ، المُجْلِبُ برَجْلِه ، المُعْلِنُ بشرّه ، وقد أشرطَ نَفْسِه ، وأوْبِقَ دِينَه ^(١) ،
لحُطَامِ يَنْتَهزُه ، أو مِقْنَبِ ^(٢) يَقودُه ، أو مِنْبَرِ يَفْرَعُه ^(٣) ، وليس المْتَجِرَانِ تراهما
لنفسك ثمنًا ، وبمالك عند الله عَوْضًا ؛ ومنهم من يَطْلُبُ الدنيا بعمل الآخرة ،

(١) أشرط : أعلم . وأوبق : أهلك .

(٢) كذا في البيان (ج ٢ ص ٢٨) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٠) وإيجاز القرآن
(ص ١٢٣) . والمقنب : الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والذي

في الأصول : « مقت » .

(٣) كذا في البيان وابن أبي الحديد والإيجاز . ويفرعه : يعلوه . والذي في

سائر الأصول : « منبه » .

ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه . وشمر
 عن ثوبه ، وزخرف نفسه بالأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم
 من أقعده عن طلب الملك ضالة نفسه ، وأنقطع سببه ، فقصرت به الحال عن
 حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزيا بلباس الزهادة ، وليس [من] ذلك في مراح
 ولا مغدى . وبقى رجال أغض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف
 المضجع ، فهم بين شريد بادٍ ، وبين خائف مُنتمع ، وساکت مكعوم^(١) ،
 وداعٍ مُخلص ، وموجع تـسكلان ، قد أختلهم التقيّة ، وشملتهم الذلّة ، فهم
 في بحر أجاج ، أفواهُهم ضامرة ، وقلوبهم قرحة ، قد وعظوا حتى ملّوا ، وقهروا
 حتى ذلّوا ، وقتلوا حتى قتلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ^(٢) ،
 ١٠ وقرادة الحلم ؛ وأنعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ،
 وارفضوها ذميمة ، فقد رفّضت من كان أشفقَ بها منكم .

ويزبير بن معاوية بعد موت أبيه :

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء
 خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حَبَلًا من حبال الله ، مدّه ما شاء
 ١٥ أن يمدّه ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخيرًا من
 يأتي بعده ، ولا أزكّيه عند ربّه ، وقد صار إليه ، فإن يعفُ عنه فبرّحتّه ،
 وإن يعاقبه فبذنبه ، وقد وُلّيتُ بعده الأمر ، ولستُ أعتذر من جهل ، ولا
 آسى على طلب علم ، وعلى رسلكم^(٣) ، إذا كره الله شيئًا غيرّه ، وإذا أحب
 شيئًا يسره .

وخطبة أيضا ليزبير :

الحمد لله أحده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور

(١) المكعوم من الإبل : الذي يشد لثلا بعض أو يأكل . شبه به الساكت .

(٢) القرظ (بجرّة) . ورق السلم ، وثمر السنط . وحثالته : بقيته .

(٣) على رسلكم ، أى اتشدوا ولا تعجلوا .

- أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضِلِّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أصطفاه لوحيه . وأختاره لرسالته ، بكتاب فصَّله وفَضَّله ، وأعزَّه وأكرمَه ، ونصره وحَفِظَه ، ضربَ فيه الأمثال ، وحلَّ فيه الحلال ، وحرَّم فيه الحرام ، وشرَّع فيه الدِّينَ إِعْذاراً وإِنْذاراً ، لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ ،
- ٥ ويكونَ بلاغا لقومٍ عابدين . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله العظيم ، الذي أبتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وأنتقاع مدتها ، وتصرُّم دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خَصِرَة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأبغت بالفاني ، وتحبَّبت بالعاجل ، لا يدومُ نعيمُها ، ولا يؤمنُ فجيئُها ، أكالة غوالة ، غرارة ، لا تُثبِق على حال ، ولا يَبْقَى لها حال ، ولن تَعُدُّو الدنيا إذا تَناهت إلى
- ١٠ أُمْنِيَّة أهل الرَغْبَةِ فيها ، والرِّضا بها ، أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ : (وأضرب لهم مَثَل الحَيَاةِ الدُّنْيَا كماءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) ، إلى قوله (مُقْتَدِرًا) . نَسألُ الله ربَّنَا وإِلهنا وَخالِقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزَع يومئذ آمنين . إن أحسن الحديثِ وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله : (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تَرْحَمُونَ) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) إلى آخر السورة .
- ١٥

[خطبة عبد الملك بن مروان] :

- وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إن ذنوبي قد عَظُمَتْ وجَلَّتْ عن أن تُحصى ، وهى صَغيرةٌ فى جَنبِ عَفْوِكَ ، فاعْفُ عني .
- ٢٠ وخطب بمكة شرفها الله تعالى ، فقال فى خطبته : إني والله ما أنا بالخليفة المُسْتَضْعَف ، يعنى عثمان ، ولا بالخليفة المُدَاهَن ، يعنى معاوية ، ولا بالخليفة

المأفون ، يعني يزيد . قال أبو إسحق النظم : أما والله لولا نَسَبِكَ من هذا المُستضعف ، وسَبَبِكَ من هذا المُدَاهن ، لَكُنْتَ منها أبعد من العَيوق ^(١) . والله ما أخذتها بوراثه ، ولا سابقة ، ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك :

٥ [لما مات عبد الملك بن مروان] رجع الوليد من دَفنِهِ ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونُودى في الناس : الصلاة جامعة . فَصَعِدَ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه لا مؤخر لما قَدَّمَ اللهُ ، ولا مُقَدَّم لما أَّخَرَ اللهُ ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كَتَبَ على أنبيائه ، وسمَّلة عرشه من الموت ، مَوْتُ ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصيرَ إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المُريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه ، وحجَّ هذا البيت ، وغزَوْ هذه الثغور ، وشَنَّ الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وانيًا ، ولا مُفَرِّطاً . فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفَدَى ، وهو من الجماعة أبعد . وأعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه صَرَبْنَا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل . ١٥

وخطب سليمان بن عبد الملك :

٢٠ فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دارُ غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكيًا ، وتُبكي ضاحكًا ، وتُخيف آمِنًا ، وتُؤمِّن خائفًا ، وتُفقِر ^(١) مُثريًا ، وتُثري مُقتِرًا ، مَيَّالة غرارة ، لقابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضوا به حَكَمًا ، وأجعلوه لكم قائدًا ، فإنه ناسخٌ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتابٌ

(١) العيوق : نجم أحمر مضى في طرف الحجر الأيمن ، يتلو التريا لا يتقدمها .

(٢) في بعض الأصول : « وتفقِر » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون (ج ٢

ص ٢٤٧) والبيان (ج ١ ص ١٦٦) .

بعده . وأعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كيدَ الشيطان ، كما يجلو ضوء الصُّبْح إذا تنفَّس ، ظلامَ الليل إذا عَسَس .

ومطَّبَّعٌ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عنه :

قال العُتبي : أولُ خُطبة خَطبها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس ، أصلحوا سرائرَكم تَصْلُحْ لَكُمْ عِلَانِيَتُكُمْ ، وَأَصْلِحُوا آخِرَتَكُمْ تَصْلُحْ دُنْيَاكُمْ ؛ وَإِنَّ أَسْرَأَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ أَبِ حَى كَمُعْرِقٍ فِي الْمَوْتِ .

وخطبة له رَضِيَ اللهُ عنه :

إِنَّ لِكُلِّ سَفَرٍ زَادًا لَا مَحَالَةَ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ لِآخِرَتِكُمُ التَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنْ تَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَتَزَهَّبُوا وَتَرَفَّعُوا ، وَلَا يَطْلُوانَ عَلَيْكُمُ الْأُمْدُ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ ، وَتَتَنَقَّدُوا الْعُدُوكُمْ ، فَإِنَّهُ [وَاللَّهِ] مَا بَسِطَ أَمْلُ مَنْ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يَصْبِحُ بَعْدَ إِمْسَائِهِ ، أَوْ يُمَسِّي بَعْدَ إِصْبَاحِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بَيْنَ ذَلِكَ خَطَرَاتٌ ^(١) الْمَنَايَا ، وَإِنَّمَا يَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَ عَوَاقِبَهَا ، فَإِنَّ مِنْ يَدَاوِي مِنَ الدُّنْيَا كَمَا أَصَابَتْ جِرَاحَةً مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَسْرُكُمْ بِمَا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي فَتَخَسَّرَ صَفْقَتِي ، وَتَطْهَرَ عَيْلَتِي ، وَتَبْدُو مَسْكَنتِي ، فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ . ثُمَّ بَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ .

[خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا] :

شبيب بن شيبعة عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ونبدهم بالسَّلام . فخرج علينا عمر رَضِيَ اللهُ عنه في يوم عيد وعليه قميص كَتَّانٍ وَعِمَامَةٌ عَلَى قَلَنْسُوءٍ لَاطِئَةٌ ، فَمَثَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَّمْنَا

(١) في سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٩٦) : « خطفات » . وانظر أيضا ابن أبي

الحديد (ج ١ ص ٤٧٠) فيبين النصوص خلاف .

عليه ، فقال : مه ، أتم جماعة وأنا واحد ، السلامُ عليّ والرّدّ عليكم ؛ وسلّم ، فرَدَدْنَا ، وقُرِبَتْ له دَابَّتُهُ فأعرض عنها ومَشَى ، ومَشِينَا ، حتى صَعِدَ الْمُنْبَرُ ، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : وَدَدْتُ أَنْ أَغْنِيَاءَ النَّاسِ أَجْتَمَعُوا فَرَدُّوا عَلَيَّ فَقُرَأْتُمْ ، حتى نَسْتَوَى بَيْنَهُمْ ، وَأَكُونُ أَنَا أَوْلَهُمْ . ثم قال : مَالِي وَلِلدُّنْيَا ؟ أَمْ مَالُهَا وَمَالِي ؟ وتكلم فأرَقَ حتى بكى الناسُ جميعاً ، يميناً وشمالاً . ثم قَطَعَ كَلَامَهُ وَنَزَلَ . فدنا منه رجاء بن حيوة ، فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلَّمْتَ النَّاسَ بِمَا أَرَقَ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ . فقال : يَا رَجَاءُ ، إِنِّي أَكْرَهُ الْمُبَاهَاةَ .

[خطبة ابن الأَهمم بين عمر بن عبد العزيز] :

١٠ ودخل عبدُ الله بن الأَهمم على عُمر بن عبد العزيز مع العامّة ، فلم يُفجأْ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فإن الله خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عن طاعتهم ، آمِنًا من مَعْصِيَتِهِمْ ، والناس يومئذ في المنازل والرأى مُخْتَلِفُونَ ، والعرب بشرٌ تلك المنازل ، أهل الوَبَرِ وأهل المدر ، تُحْتَازُ^(١) دونهم طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا ورَفَاهَةُ عَيْشِهَا ، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ ، وَحَيُّهُمْ أَعْمَى ، مع ما لا يُحصى من المرغوب عنه ، المرغود فيه . فلما أراد الله أَنْ يَنْشُرَ فِيهِمْ رَحْمَتَهُ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ، عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتُّوا حَرِيصًا عَلَيْهِم بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ، فلم يَمْنَعَهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَّحُوهُ فِي جِسْمِهِ ، وَلَقَبُوهُ فِي أَسْمِهِ ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ ، لا يَرِحُ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، ولا يَنْزِلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَأَضْطَرَّوهُ إِلَى بَطْنِ غَارٍ . فلما أَمَرَ بِالْعَزِيمَةِ ، أَسْفَرَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْنَهُ ، فَأَبْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ ؛ وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ ؛

(١) في الأصول « تختار » . والتصويب عن البيان (٢ : ٥٩) وسيرة عمر لابن عبد الحكم (ص ١٠٩) وسيرته أيضا لابن الجوزي (ص ١٣٦) .

- فارتدت العرب ، فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛
فانتضى الشيوف من أعماها ، وأوقد النيران في شعاعها ، ثم ركب بأهل الحق
أهل الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ، ويسقي الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم
في الباب الذي خرجوا منه ، وقرّهم بالأمر الذي نفرّوا عنه . وقد كان أصاب
من مال الله بكرا يرتوى عليه ، وحبشية ترضع ولداه ، فرأى ذلك غصّة
في حلقه عند موته ، وثقل على كاهله ، فأداه إلى الخليفة من بعده ، وبرى إليهم
منه ، وفارق الدنيا تقيا تقيا على منهاج صاحبه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب
رضى الله عنه . فصمّر الأمصار ، وخطب الشدة باللين ، وحسّر عن ذراعيه ،
وشمّر عن ساقيه ، وأعدّ للأمور أقرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قن^(١)
المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس أن يسأل الناس : هل يُثبتون قاتله . فلما قيل له :
١٠ قن المغيرة . أستهل^(٢) بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الفء فيستحل
دمه بما أستحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا .
فكسرها رباعه^(٣) ، وكره فيها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من
بعده ، وفارق الدنيا تقيا تقيا على منهاج صاحبه . ثم إننا والله ما أجمعنا بعدها
إلا على ضلع أعوج . ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وأقمتك
١٥ ثديها ، فلما وليتها ألقيتها وأجيبت لقاء الله وما عنده ، فالحمد لله الذي جلا بك
حوّبتنا ، وكشف بك كُرّبتنا ، أمض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شيء ،
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .
- ولما قال : ثم إننا والله ما أجمعنا بعدها إلا على ضلع أعوج . سكّت الناس
كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت .

٢٠

(١) كذا في البيان وسيرة عمر . والقن : العبد . والذي في الأصول : « فني » .

(٢) استهل : صاح .

(٣) الرباع : الدور ؛ الواحد : ربع . وكسرها ، أي باعها ربعا ربعا .

[وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز] :

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخصاصة^(١) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه ، نخاب وخسير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرْم جَنَّة عرضها السموات والأرض . وأعلموا أن الأمان غدا لمن يخاف اليوم ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ؛ ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، حتى تردوا إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تُشيمون غاديا ورائحا إلى الله ، قد قضى نحبته ، وبلغ أجله ، ثم تُغيبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسّد ولا مُمهّد ، قد خلّع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ما قدّم ، وأيم الله ، إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تبليغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدّذناها ، ولا أحد منكم إلا ودّدت أن يده مع يدي ولحمتي الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وأيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دلّ فيهما على طاعته ، ونهى عن معصيته ؛ ثم بكى ، فتلقى دموع عينيه بردائه ونزل . فلم يعد بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد مبعوث قتل الوليد بن يزيد :

بقي بن مخلد قال : حدّثني خليفة بن خياط قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدّثني إبراهيم بن إسحاق ، أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قتل الوليد بن

(١) خصاصة : بلد بالشام من أعمال حلب .

يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، إني ما خرجتُ
 أشراً ولا بطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراد نفسي ،
 ولا تزكية عملي ، وإني لظُلوم لنفسي إن لم يرْحمني ربِّي ، ولكني خرجتُ غضباً
 لله ودينه ، وداعياً إلى كتابه وسُنَّته نبيّه ، حين دَرَسَتْ معالم الهدى ، وأطفيء نور
 أهل التَّقوى ، وظَهَرَ الجَبَّارُ^(١) العنيد ، المُستحلُّ الحُرمة ، والراكب البِدعة ، والمُغَيِّرُ
 السُّنة . فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ إذ غَشِيَتْكُمْ ظُلمة لا تُقْلَع ، على كثير من ذُنُوبِكُمْ ،
 وقسوة من قلوبِكُمْ ، وأشفقتُ أن يدعوا كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ،
 فيُجيبه من أجابه منكم ، فأستخرتُ الله في أمري ، وسألته أن لا يكلني إلى
 نفسي ، وهو ابن عمي في نسبي ، وكوفي في حسبي ، فأراح الله منه العباد ،
 وظَهَرَ منه البلاد ، ولأية من الله وعزماً ، بلا حَوْلٍ منا ولا قُوَّة ، ولكن بحول
 الله وقوته ، وولايته وعِزَّتِهِ . أيها الناس ، إن لكم عليّ إن وليتُ أموركم ألا
 أضع لِبِنَةِ على لِبِنَةٍ ، ولا حَجَرًا على حَجَرٍ ، ولا أنقلُ ما لا من بلد إلى بلد ،
 حتى أُسَدَّ ثُغْرَهُ ، وأُقِيمَ مَصالحه ، مما تَحْتَاجُونَ إليه ، وتَقْوُونَ به ، فإن فضلَ
 شيء رَدَدْتَهُ إلى البلد الذي يليه ، وهو من أحوج البُلدان إليه ، حتى تَسْتَقِيمَ
 المعيشةُ بين المُسلمين وتكونوا فيه سواءً ، ولا أُجْرِمُكم في بعوثِكُمْ^(٢) فُتِفْتِنُوا وتُفْتِنَ
 أهاليكُم . فإن أردتم بيّعتي على الذي بذلتُ لكم فأنا لكم به ، وإن ملتُ فلا
 بيّعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مني فأردتم بيعته فأنا أول من
 يُبايعه ، ويدخل في طاعته ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) يريد الوليد بن يزيد . ويشير إلى ربه المصحف بالشباب ، وقوله :

٢٠ أتوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد
 (انظر الأغاني ، والفخرى ص ١٢٠) .

(٢) جر الجيش : حبسه في أرس العدو ولم يقفله . وفي بعض الأصول : « ولا أحد
 يبعوكم » مكان : « ولا أجركم في بيوتكم » .

خطب بني العباس^(١)

العُتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدي ، خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما درينا أوجهه كان أحسن أم كلامه . قال : أولئك قوم بثور الخلافة يُشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة [أبي العباس] السفاح بالشام :

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد علي ، لما قُتل مروان بن محمد ، فقال :
 ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها
 وبنس القرار ، نكص بكم ي أهل الشام آل حُزب ، وآل مروان ،
 يتسكّمون بكم الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطؤون بكم حرم الله
 وحرّم رسوله ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
 عذاباً ضعفاً من النار . إذا يقول الله عز وجل (لكل ضعف ولكن لا تعملون).
 أما أمير المؤمنين ، فقد أتنف بكم التوبة ، وأغترف لكم الزلة ، وبسط لكم
 الإقالة ، وعاد بفضله على تقصمكم ، وبجله على جهلكم ، فليفرخ روعكم ،
 ولتطمئن به داركم ، ولتعظكم^(٢) مصارع أوائلكم ، فتلك بيوتهم خاوية
 بما ظلّوا .

خطب المنصور :

خطب أبو جعفر المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد بن علي ، لما قتل الأمويين
 فقال : أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظر أمرؤ في يومه لعدده ، فشى
 القصد ، وقال الفصل ، وجانب المجر . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس ،

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

(٢) في بعض الأصول : « ولتقطع » .

١٧٧
٢
إِنَّ بَكُمْ دَاءَ هَذَا دَاوُءَهُ ، وَأَنَا زَعِيمُ لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، فَلْيُعْتَبِرْ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ،
فَإِنَّمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ الْإِيقَاعُ ^(١) ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ .

خطبة المنصور حين هروجه الى الشام :

شَدِثْنَا أَعْرَافَهَا مِنْ أَخْزَمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا ، روايا الإرجاف ، وكهوف النفاق ، عن الخوض فيما كُفَيْتُمْ ،
والتَّخَطُّى إِلَى مَا حُدِّرْتُمْ . قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَفُوسٌ ، وَيَقْلَّ عَدَدٌ ، وَيَدُولَ ^(٢) عَضْرٌ ،
وَمَا أَنْتُمْ وَذَلِكَ ، أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ مِنْ إِبْرَاطِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ مَشَارِقِ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَقًّا وَالْبَحْثُ الْجِدُّ ^(٣) . وَلَسْكَنَ خَيْبَ كَامِنٍ ، وَحَسَدُ
مُكْمِدٍ ^(٤) ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

١٠ وخطب أيضا :

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة ، فحمد الله
وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجلٌ فقال : أذْ كَرَّكَ مِنْ
ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : سَمِعْنَا سَمِعًا لِمَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ وَذَكَرَهُ بِهِ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْ كَرَّ بِهِ وَأَنْسَاهُ ، فَتَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَّاتْ إِذَا ، وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . وَأَمَّا أَنْتَ ، وَالتفت إلى الرجل ، فقال : وَاللَّهِ مَا اللَّهُ أَرَدَتْ
بِهَا ، وَلَسْكَنَ لِيُقَالَ قَامَ فَقَالَ فَعَوَّبَ فَصَبَرَ ، وَأَهْوَنَ بِهَا لَوْ كَانَتْ الْعُقُوبَةُ ، وَأَنَا
أُنْذِرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أُخْتَهَا ، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ ، وَفِينَا أُنْبِئَتْ ، ثُمَّ رَجَعَ
إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْخُطْبَةِ .

(١) في بعض الأصول : « الاقطاع » وما أنبتنا عن سائر الأصول وعبون الأخبار

(ج ٢ ص ٢٥٣) ومواسم الأدب (ج ٢ ص ١١٤) .

(٢) في بعض الأصول : « ويدل » .

(٣) والجحد الجحد ، يحذرهم الجحد ، وهو كفران النعم . وفي بعض الأصول :

« والحجر الحجر » (٤) في بعض الأصول : « مكن » .

[خطبة أيضا للمنصور بمكة]:

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأيينه، وحارسه^(١) على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً، إذ شاء أن يفتحني فتحتني لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، وإذا شاء أن يُقفلني عليها أقفلني، فارغبوا إلى الله وسأله في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) أن يوفقني للرشد والصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطبة لسليمان بن علي:

(والقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لآياتاً لقوم عابدين). قضاء مؤبم، وقول فضل ما هو بالهزل. الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والني إرثاً، والدين هزواً، وجعلوا القرآن عجيناً، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكأين ترى من بئر معطلة وقصر مَشِيد، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظالم للعبيد. أمهلوا حتى نبذوا الكتاب، وأضهدوا العترة، ونبذوا السنة، وأعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد، ثم أخذهم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

خطبة عبد الملك بن صالح [بن علي]:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، يا أهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين، وأشباهكم

(١) في ي: «وخازنه».

في الأجسام، فحذّرهم نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (وإذا رأيتمهم تُعْجِبُكَ
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِنَّ خُشْبٌ مُمْسَكَةٌ. يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَأَتْلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفِّكُونَ) فماتلكم الله أنى
تُضْرَفُونَ، جثث مائلة، وقلوبٌ طائرة، تشبُّون الفتن، وتؤلّون الدُّبُرَ، إلا عن
حُرْمِ اللَّهِ، فإنها دريئتكم^(١)، وحرّم رسوله، فإنها مغزاكم، أما وحرمة النبوة
والخِلافة لتتفنرن خِفافاً وثِقَالاً أو لأوسعنكم إرغاماً ونكالا.

١٧٨
٢

ومطّب صالح بن على:

يا أعضاء النفاق، وعمد الضلالة، أغرّمكم لين إبسامى^(٢)، وطول إينامى،
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة، كذّبت
الظنون. إنها العترة بعضُها من بعض، فإذ قد أستمرا تم العافية، فعندى فصّال^(٣)
وفطام، وسيفٌ يقدُّ الهام، وإبنى أقول:

أغرّمكم أنى بأكرم شيمية رَفِيقٌ وَأَنْى بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
ومثلى إذا لم يُجْزَ أَحْسَنَ سَعِيهِ تَكَلَّمُ نُعْمَاهُ بِفِيهَا فَتَنْطِقُ
لعمري لقد فاحشتنى فغلبتني هَنِئِمًا مَرِيئًا أَنْتِ بِالْفَحْشِ أَرْفُقُ

١٥

ومطّب داود بنه على بالمدينة:

فقال: أيها الناس، حتّام يهتف بكم صريخكم، أما أن لراقدم أن يهتف
من نومه، كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، أغرّمكم الإهمال حتى
حسبتهموه الإهمال، هيئات منكم وكيف بكم والسوط [فى] كفى والسيف مُشهر:
حتى يُبيد قبيلةً فقبيلةً وَيَعُضُّ كُلُّ مُتَّقِفٍ^(٤) بِالْهَامِ

(١) الدرثية: الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها.

(٢) الإبساس: صوت الراعى عند الحلب يسكن به الناقة

(٣) فى بعض الأصول: «استوليم» و«فكاك» مكان «استوليم» و«فصال».

(٤) يريد بالمتقف: الرمح.

٢٠

وَيُثَبِّتُونَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَوَّاسِرًا يَمَسِّحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ

[خطبة داود بن علي بمكة]:

وخطب داود بن علي بمكة: شُكْرًا شُكْرًا ، والله ما خَرَجْنَا لِنَحْفِرَ فِيكُمْ
نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَظْفِرَ بِهِ إِذْ مُدَّ لَهُ فِي عِنَانِهِ ،
حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زِمَامِهِ ، فَالآنَ عاد الأمرُ فِي نِصَابِهِ ، وَأُطْلِعْتَ الشَّمْسُ مِنْ
مَشْرِقِهَا ، وَالآنَ [حيث] تَوَلَّى القوسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ النَّبِيلُ إِلَى النَّزْعَةِ ،
وَرَجَعَ الأمرُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، أَهْلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَجْعَلُوا النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سَبَبًا إِلَى أَنْ تُبَدِّحَ
هَلَاكَتَكُمْ ، وَتُزِيلَ النِّعَمَ عَنْكُمْ .

خطبة للمهمري :

الحمد لله الذي أَرْضَى الحمدَ لِنَفْسِهِ ، وَرَضَى بِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، أَحْمَدَهُ عَلَى آلائِهِ ،
وَأَجْمَدَهُ لِبِلائِهِ ، وَأَسْتَعِينَهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، تَوَكَّلْ راضٍ بِقَضَائِهِ ، وَصَابِرٌ
لِبِلائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى ،
وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى ، وَرَسُولُهُ إِلَى خَلْقِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، أَرْسَلَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ،
وَطُمُوسِ الْعِلْمِ ، وَأَقْتِرَابِ مِنَ السَّاعَةِ ، إِلَى أُمَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ ، مُخْتَلِفَةِ أُمِّيَّةٍ ، أَهْلِ عَدَاوَةٍ
وَتَضَاغُنٍ ، وَفُرْقَةٍ وَتَبَايُنٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمْ شَيَاطِينُهُمْ ، وَغَابَ عَلَيْهِمْ قُرْآنُهُمْ ،
فَأَسْتَشْعَرُوا الرَّدَى ، وَسَلَكُوا الْعَمَى ، يُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَكَرِيمِ ثَوَابِهَا ،
وَيَنْذِرُ مَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ وَأَلِيمِ عِقَابِهَا ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ، أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ
عَلَيْهَا سَلَامَةٌ ، وَالتَّرْكَ لَهَا نَدَامَةٌ ، وَأَحْسَنُكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ ، وَتَوْقِيرِ كِبَرِيَّاتِهِ
وَقُدْرَتِهِ ، وَالْإِتْمَاءُ إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُنْجِي مِنْ سَخَطِهِ ، وَيُنَالُ بِهِ
مَالَدِيهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ ، وَجَزِيلِ الْمَأْتَبِ . فَاجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمْ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ

- العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقوفون بين يدي الجبار ،
وتعرضون فيه على النار ، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد ،
يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل أمرئ يومئذ
شأن يغنيه ، يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون ، يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ،
فإن الدنيا دار غرور ، وبلايا وشُرور ، وأضحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد
أفنت من كان قبلكم ، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدهم ، من ركن إليها
صرعته ، ومن وثق بها خانته ، ومن أملاها كذبتها ، ومن رجاها خذلتها ، عزها
ذل ، وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقي فيها من آثرها ، والمغبون فيها
من باع حظها من دار آخرته بها ، فالله الله عباد الله ، والتوبة مقبولة ، والرحمة
مبسوطة ، وبادرُوا بالأعمال الزاكية في هذه الأيام الخالية ، قبل أن يؤخذ
بالكظم^(١) ، وتندموا فلا تقالون^(٢) بالندم ، في يوم حسرة وتأسف ، وكتابة
وتلف ، يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام . إن أحسن الحديث وأبلغ
الموعظة كتاب الله ، يقول الله تبارك وتعالى : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
وَأَنْصِتُوا لَهُمْ تَرْحَمُونَ) . أعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن
الرحيم : (أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) إلى آخر السورة ، أوصيكم عباد الله
بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ،
وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة هارون الرشيد :

٢٠

الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه

(١) الكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٢) في بعض الأصول « تنالون » .

وتؤمن به حقًا ، ونتوكل عليه مَفْوَضِينَ إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بعثه على فِئْرَة من الرُّسُلِ ،
 ودُرُوس من العِلْمِ ، وإذْبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بشيرًا بالنَّعِيمِ المُقِيمِ ،
 ونَذِيرًا بين يدي عذاب أليم ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، ونَصَحَ الأُمَّةَ ، وجاهد في الله ، فأَدَّى
 عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .
 أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ ، وتَضْعِيفَ الحَسَنَاتِ ،
 وفوزًا بالجنة ، ونجاةً من النار . وأحذركم يومًا تُشْخِصُ فيه الأبصار ، وتُبلى فيه
 الأسرار ، يومَ البعث ويومَ التغابن ويومَ التلاق ويومَ التناد ، يوم لا يُسْتَعْتَبُ
 من سيئة ، ولا يُزَادُ في حسنة ، يوم الآزفة ، إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين ،
 ما للظالمين من حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يُعْلَمُ فيه خائنة الأعين وما تخفي الصدور ،
 واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كَسَبَتْ وهم لا يظلمون .
 عباد الله ، إنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا ، ولن تُتْرَكُوا سُدَى ، حَصَّنُوا إيمانكم بالأمانة ،
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن
 لا زكاة له . إنكم سَفَرٌ مُجْتَمِزُونَ ، وأنتم عن قَرِيبٍ تَنْتَقِلُونَ من دار فناء إلى
 دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتَّوْبَةِ ، وإلى الرَّحْمَةِ بالتَّقْوَى ، وإلى الهدى
 بالإِثَابَةِ ؛ فإن الله تعالى ذِكْرُهُ أَوْجِبَ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ ، ومَغْفِرَتَهُ لِلتَّائِبِينَ ، وهُدَاهُ
 لِلْمُنِيبِينَ . قال الله عزَّ وجلَّ وقوله الحق : (ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا
 لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، وقال : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
 صَالِحًا ثم أهْتَدَى) . وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأزْدت وأوقبت كثيرا ، حتى
 أكذبتهم منايهم ، فتناوشوا^(١) التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين
 ما يشتهون ، فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب

(١) تناوشوا : تناولوا .

الأمثال ، فرغب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالي
 جيلاً فجيلاً ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من
 ١٨٠
 ٢
 بيوتكم ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم
 الدنيا ، وأنقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب
 والعقاب ، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . إن
 أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله عز وجل : (وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . أعوذ بالله العظيم من الشيطان
 الرجيم ، إنه هو السميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ
 الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . أمركم بما أمركم الله به ،
 ١٠
 وأنهاكم عما نهاكم الله عنه . وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة المأمون في يوم الجمعة :

الحمد لله مُستخْلِصِ الحمد لنفسه ، ومُستوجِبِهِ على خَلْقِهِ ، أحمده وأستعينه ،
 وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
 أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
 ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله وأنفسى بتقوى الله وحده ، والعمل لما
 ١٥
 عنده ، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يتسلم إلا من أتقاه ورجاه ،
 وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا
 ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جدَّ بكم ، وأستعدوا
 للموت فقد أظلمكم ، وكونوا كقوم صيح فيهم فأنتهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست
 لهم بدار فاستبدلوا^(١) ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سُدىً ،
 ٢٠
 وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ؛ وإن غاية تنقصها
 اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ؛ وإن غائباً يحذوه

(١) في بعض الأصول : « فاستدلوا » .

الجديدان الليل والنهار، لجدير بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يحل بالفوز أو بالشقوة
المستحق لأفضل العدة. فأتق عبدُ ربِّه، ونصح نفسه، وتقدم توبته، وغلب
شهوته؛ فإنَّ أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان مُوكِّلُ به، يُزَيِّنُ له
المعصية ليركبها، ويؤمنيه التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حتى تَهْجُمَ عايمه منيته، أغفل ما يكون
عنها. فيألها حسرةً على كلِّ ذى غفلة، أن يكون عُمره عليه حُجَّةً، أو تؤدِّيه
منيته^(١) إلى شقوة. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تُقصِّر
به عن طاعة ربه غفلة، ولا تحلُّ به بعد الموت فزعة، إنَّه سميع الدعاء، بيده
الخير وهو على كلِّ شيء قدير، فعَّال لما يريد.

وخطبة المأمور يوم الأضحى :

قال بعد التكبير والتَّحْمِيدُ : إنَّ يومكم هذا يوم أبان الله فضله، وأوجب
تشرُّفه، وعظَّم حرْمته، ووفَّق له من خلقه صفوته، وأبتلى^(٢) فيه خليله. وفدَّى
فيه بالذَّبْح العظيم نبيّه، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومُتَمِّد الأيام
المعدودات من النَّفَر^(٣)، يوم حَرَام، من أيام عِظَام، في شهر حرام، يوم الحجِّ
الأكبر، يوم دعا الله فيه إلى مشهده، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه، قال
الله عزَّ وجلَّ : (وأذِّنْ في النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكَّ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)، فتقرَّبوا إلى الله في هذا اليوم بدبائحكم، وعظَّموا شعائر
الله، وأجعلوها من طيب أموالكم، وبصحة^(٤) التَّقْوَى من قلوبكم، فإنه يقول :
(لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) . ثم التَّكْبِيرُ
والتَّحْمِيدُ . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والوصية بالتَّقْوَى . ثم ذكر
الموت، ثم قال : وما من بعده إلا الجنة أو النار، عظم قدر الدارين، وارتفع

(١) في عيون الأخبار : (ج ٢ ص ٢٥٣) : « أيامه » .

(٢) في بعض الأصول : « وابتنى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

(ج ٢ ص ٢٥٤) . (٣) يوم النفر : يوم ينفر الناس من منى .

(٤) في بعض الأصول : « ولنصبح » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون ،

(ج ٢ ص ٢٥٤) .

جزاء العَمَلِينَ ، وطالت مُدَّةَ الفَرِيقَيْنِ . اللهُ اللهُ ، فوالله إنه الجَدُّ لا اللَّعِبُ ،
والحَقُّ لا الكَذِبُ ، وما هو إلا الموتُ والبعثُ والمِيزانُ والحِسابُ والصِّراطُ
والقِصاصُ والثَّوابُ والعِقابُ . فَمَنْ نَجَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فازَ ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
خابَ ، الخَيْرُ كُلُّهُ في الجنةِ ، والشرُّ كُلُّهُ في النارِ .

وخطبة للمأمور في الفطر :

قال بعد التَّكْبِيرِ والتَّحْمِيدِ : أَلَا وَإِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمَ عِيدِ وَسُنَّةٍ ، وَأَبْتِهَالِ
وَرَغْبَةٍ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَأَفْتَتَحَ بِهِ حَيْجَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فِجْعَلُهُ
أَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَيْجِ ، وَجَعَلَهُ مُعْتَمَبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ ، وَمُتَنَفَّلًا ^(١) قِيَامِكُمْ ،
أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ فِيهِ الطَّعَامَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصِّيَامَ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللهِ حَوَائِجَكُمْ ،
وَأَسْتَغْفِرْهُ لَتَغْفِرَ بِطُغْمِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَثِيرَ مَعَ نَدَمٍ وَأَسْتَغْفِرْهُ ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ
تَمَادٍ وَإِصْرَارٍ . ثُمَّ كَبَّرَ وَحَمَّدَ ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوْصَى بِالْإِيتِ
والتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَبَادِرُوا الأَمْرَ الَّذِي أَعْتَدَ فِيهِ يَقِينَكُمْ ^(٢) ،
وَلَمْ يَحْضُرِ الشُّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ المَوْتُ المَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ
بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْضَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لِأَشْيَاءَ [قَبْلَهُ إِلا دُونَهُ ، وَلَا شَيْءَ]
بَعْدَهُ إِلا فَوْقَهُ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ ^(٣) وَكُرْبِهِ ، وَطَلَى التَّيْبَ وَظَلَمْتَهُ ،
وَضِيْقَهُ وَوَحْشَتَهُ ، وَهَوَلَ مَطْلَعَهُ ، وَمَسْأَلَةَ مَلَائِكَتِهِ ، إِلا العَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ
بِهِ ؛ فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ المَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَامَتُهُ ^(٤) ، وَدَعَا
مِنَ الرَّجْمَةِ إِلَى مَا لا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ الفِدْيَةِ مَا لا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللهُ اللهُ
عِبَادَ اللهِ ، كُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْمَةَ وَأَعْطَوْهَا إِذْ مُنَعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

٢٠ (١) كَذَا فِي بَعْضِ الأَصُولِ : وَالْعِيُونَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصُولِ : « مُتَقَبَّلٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصُولِ : « عَدَلَ فِيهِ نَبِيِّكُمْ » .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الأَصُولِ وَالْعِيُونَ . وَالْعَلَزُ : مَا يَصِيبُ المَرِيضَ عِنْدَ حَشْرَجَةِ المَوْتِ

مِنَ رَعْدَةٍ وَاضْطِرَابٍ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصُولِ : « وَعَكْرَهُ » .

(٤) فِي بَعْضِ الأَصُولِ : « اسْتِقَامَتُهُ »

يتمنى المتقدمون قبلكم إلا هذا الأجل المبسوط لكم ؛ فأحذروا ما حذركم الله ،
 وأتقوا اليوم الذي يجتمعكم الله فيه ؛ لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم ، الحافظة
 لأعمالكم . فليُنظر عبداً ما يوضع في ميزانه مما يتشقل به ، وما يُملى في صحيفته الحافظة
 لما عليه وله ؛ ألا فقد حكي الله لكم ما قال المفردون عندها ، إذ طال إعراضهم
 عنها ، قال جل ذكره : (ووضِعَ السِّكِّاتُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ٥
 ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
 وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا) . وقال : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
 أَتَيْنَا بِهَا وَكُنِيَ بِنَاسِحَاتٍ) . ولست أنهماكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به
 الدنيا عن نفسها ، فإن كل ما بها يُحذَرُ منها ، وينهى عنها ، وكل ما فيها
 يدعو إلى غيرها ، وأعظم مآثره أعيينكم من خائنها وزوالها ذم كتاب الله لها
 والنهي عنها ، فإنه يقول تبارك وتعالى : (فَلَا تَعْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ
 بِاللَّهِ الْغُرُورُ) . وقال : (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
 بَيْنَهُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) ، فانتفعوا بمعرفتكم بها . وبإخبار الله
 عنها . وأعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ،
 وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، وأدركوا الجنة بما يتركون منها^(١) .

(٢) خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية :

قدّم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ،

(١) في ي بعد قولها « منها » : « تم الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب بحمد الله
 وعونه وحسن توفيقه . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله في الجزء الثاني منه خطبة ابن الزبير
 حين قدم بفتح إفريقية وبتمامه يتم كتاب الواسطة إن شاء الله » .

(٢) قبل هذا العنوان في ي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وسلم » .

- وقص عليه كيف كانت الواقعة . فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بُني ، أتقوم بمثل هذا الكلام في الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيب لك متى لهم . فقام عثمان في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم إفر بقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يُخبركم خبرها إن شاء الله .
- ٥ وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أَلَّفَ بين قلوبنا ، وجعلنا مُتَحَابِّين بعد البغضة ، الذي لا تُجحد نَمَاؤُهُ ، ولا يزول مُلْكُهُ ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، أنتخب محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأختاره بعلمه ، وأثمنه على وحيه ، وأختار له من الناس أعواناً ، قَذَفَ في قلوبهم تصديقه ومحَبَّتَهُ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَوَقَرُّوهُ ، وجاهدوا في الله حقَّ جِهَادِهِ ، فَأُسْتُشْهِدُوا مِنْهُمْ مَنْ أُسْتُشْهِدَ ، على المِنْهَاجِ الواضِح ، والبَيْعِ الرَّابِح ، وبقى منهم مَنْ بَقِيَ ، لا تأخذهم في الله لومةُ لَأْمٍ . أيها الناس : رَحِمَكُمُ اللهُ ؛ إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكُنَّا مع والٍ حَافِظٍ ، حَفِظَ وَصِيَّةَ أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ^(١) ، ويخفِّض ^(٢) بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعَجِّلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَدْبِ ، وَيُطِيلُ اللَّبْثَ فِي الْمَنْزِلِ الْخِصْبِ ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ^(٣) ، حتى أنتهينا إلى إفر بقية ، فنزلنا منها بحيثُ يسمعون صهيل الخيل ، ورُغَاءَ الإِبِلِ ، وَقَعَقَةَ السِّلَاحِ . فَأَقْمْنَا أَيَّامًا نُجِمْ كُرَاعِنَا ^(٤) ، ونُصَلِّحُ سِلَاحِنَا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ؛ فسألناهم الجزية عن صغار ، أو الصلح ، فكانت هذه أبعَدَ ، فأقمنا عليهم ثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً نَتَأَنَّمُ ، وتختلف رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ . فلما يئس منهم ، قام خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وما لصاحبه إذا صَبَرَ وَأَحْتَسَبَ . ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشدَّ القتال ، يومنا ذلك ، وصبر فيه

(١) الأبردان : الغداة والعشى . (٢) خفض بالمسكان : أقام .

(٣) من ربنا ، أي مما قد عودنا الله .

(٤) الكراع : جماعة الخيل . وأجم الفرس : ترك ركوبه فغما من تعبه وذهب إعياؤه .

الفر بقران ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، وأستشهد الله فيهم رجال من المسلمين ؛ فبئتنا وياتوا ، وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون في سُخُورهم وملاعهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا الذي كُنّا عليه بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صَبْرَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَصْرَهُ ؛ ففمتحنها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيثا واسعا ، بلغ فيه الخمس ثمانمائة ألف ، فصَقَّ^(١) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَأَغْنَاهُمْ النَّفْلُ ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فَتَحَ اللهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرِكِ . فَأَحْمَدُوا اللهُ عِبَادَ اللهِ عَلَى آلَائِهِ ، وَمَا أَحْلَى بِأَعْدَائِهِ ، مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، ثُمَّ سَكَتَ . فَهَضَّ إِلَيْهِ أَبُوهُ الزُّبَيْرُ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا بُنَيَّ : مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَمْتَ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب^(٢) :

صَعِدَ الْمُنْبَرِ فَحَمَدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ سَكَتَ ، فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَحْمَرُّ مِرَّةً وَيَصْفَرُّ مِرَّةً ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَرَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ : مَا لَكَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِلْيَبِيبِ الْخُطْبَاءُ . قَالَ : لَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَذْكَرَ مَقْتَلَ سَيِّدِ الْعَرَبِ فَيَسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَغَيْرَ مَلُومٍ . ثُمَّ تَسَكَّلَمَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَاللَّذُنْيَا وَالْآخِرَةُ ، يُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ .

أما بعد : فإنه لم يُعِزَّ اللهُ مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنْامُ طُرًّا ، وَلَمْ يُذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا . الْآءُ وَإِنْ خَبِرًا مِنَ الْعِرَاقِ أَتَانَا فَأَحْزَنَنَا وَأَفْرَحَنَا ؛ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا ، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَلِيمِ لَوْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمَهُ ، ثُمَّ رِعْوَى ذَوِّ الْأَلْبَابِ إِلَى الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْعِرَاقِ ؛ وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا ، فَإِنَّ قَتْلَ مُصْعَبٍ ، لَهُ

(١) صفق الباب : أغلقه . يريد أن مروان بن الحكم حفظها في خزائنه وأغلق عليها .

(٢) قتله عبد الملك بن مروان سنة ١٧ هـ .

شهادة، ولنا ذخيرة، أسلمه النعمان المسلم^(١) الآذان. ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه^(٢)، وكانوا الخيار الصالحين. إنا والله لا يموت حتفاً ولا سكيناً^(٣) بالرّماح، وموتاً تحت ظلال السيوف، ليس كما يموت بنو مروان، ألا إنما الدنيا عارية من المليك الأعلى الذي لا يبيد ذكوره، ولا يذل سلطانه، فإن تُتميل الدنيا على، لم أخذها أخذ الأشر البطر؛ وإن تُدبر عني، لم أبك عليها بكاء الخرق المهين، ثم نزل.

خطبة زياد البتراء:

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال:

- ١٠ قَدِمَ زِيَادُ الْبَصْرَةَ وَالْيَا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَ[ضَمَّ] إِلَيْهِ خِرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ، وَالْفِسْقُ بِالْبَصْرَةِ ظَاهِرٌ فَاشٍ، فَخُطِبَ خُطْبَةً بَتْرَاءَ لِمُحَمَّدِ اللَّهِ فِيهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ بَلْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنَسَأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْ نِعْمِهِ وَإِكْرَامِهِ، اللَّهُمَّ كَمَا زِدْتَنَا نِعْمًا فَأَلْهَمْنَا شُكْرًا، أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّ الْجَهَالََةَ الْجَهْلَاءَ، وَالضَّلَالََةَ الْعَمِيَاءَ، وَالْعَمَى^(٤) الْمُؤْفَى بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ، مَا فِيهِ سُنْفَهَاؤُكُمْ، وَيَشْتَمَلُ عَلَيْهِ حُلْمَاؤُكُمْ، مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ؛ يَنْبُتُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَلَا يَتَحَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ. كَأَنْكُمْ لَمْ تَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ؟ أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنَيْهِ^(٥) الدُّنْيَا، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ، وَأَخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ، وَلَا تَذْكُرُونَ أَنْكُمْ أَحَدْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ

٢٠ (١) المسلم: المقطوع.

(٢) يشير إلى مقتل أخيه المنذر بمكة سنة ١٤ عند غزو يزيد لها، وإلى مقتل أبيه الزبير

بوادى السباع بيد عمرو بن جرموز، وإلى مقتل ابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن

العوام يوم الدار. (٣) مات قمصاً، إذا أصابته ضربة أورمية فمات مكانه.

(٤) في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩): «والعمى».

٢٥ (٥) طرفت عينه الدنيا، أي طمحت بصره لإيها وإلى زخرفها وشغلته عن الأخرى.

أحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من تركم هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة^(١) المسلوية ، في النهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج^(٢) الليل وغارة النهار ! قرّبتهم القرابة ، وبعثتم الذين ، تعتذرون بغير العذر ، وتفضون على المختلس^(٣) . كل أمرى منكم يذُب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا . ما أتمم بالحلما ، ولقد أتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى أتتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم^(٤) ، كنوسا في مكائس الرّيب^(٥) . حرام على الطعام والشراب حتى أتويها بالأرض هذما وإحراقا . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ؛ وإني أقسم بالله لا أخذن الولي بالمولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمُدبر ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انجُ سعد فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لي قفاتكم . إن كذبة الأمير^(٦) بلقاء^(٧) مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . من نُب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ، فإياي ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمُدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلت في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ، وإياي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عتوبة ، فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حيا ، فكفوا عن أسنتكم وأيديكم

(١) كذا في والبيان . وفي بعض الأصول : « الصفة » . وفي سائرهما : « الغرف المسكونة » .

(٢) الدلج (محرّكة) : السير من أول الليل .

(٣) في بعض الأصول : « ويقضون على المجلس » . والتصويب عن سائر الأصول والبيان .

(٤) أطرقوا وراءكم : اقتدوا بكم .

(٥) المكائس : جمع مكئس ، مفعول من الكئس . وهو الموضع يؤوى إليه ويختبأ فيه .

(٦) في البيان : « المنبر » .

(٧) في الأصول : « تلى » . وما أثبتناه عن البيان .

أ كَفَّ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي ، وَلَا يَظْهَرَنَّ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةٌ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ
عَامَّتْكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِ إِحْنٍ ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرًا ذَنْبِي
وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَتَزَعْ
عَنْ إِسَاءَتِهِ ، إِنِّي لَوَعَلْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ الشَّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ
لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبَدِي لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ ^(١) .
فَأَسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَسْتَعِينُوا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرَبُّ مُبْتَلِسٍ بِقُدُومِنَا سَيْسِرٌ ،
وَمَسْرُورٌ بِقُدُومِنَا سَيْبَتَسٌ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ،
نَسُوسِكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَدُّودَ عَنْكُمْ بِنَيْءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ؛ فَلَنَا
عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَرَيْنَا ، فَأَسْتَوْجِبُوا
عَدْلَنَا وَفَيْئَنَا بِمُنَاصِحَتِكُمْ لَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا أَقْصَرَ فَإِنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثٍ :
لَسْتُ مُتَّجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بَلِيلٍ ، وَلَا حَابِسًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا
عَنْ إِبَانَةٍ ، وَلَا مُجْمَرًا ^(٣) لَكُمْ بَعَثْنَا . فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأُمَّتِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ
الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا نَصَلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا
قُلُوبَكُمْ بِبُغْضِهِمْ فَيَشْتَدَّ لَدُنْكَ أَسْفُكُكُمْ ، وَيَطُولُ لَهُ حَزْنُكُمْ ^(٤) ، وَلَا تُدْرِكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ،
مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَسَكَانَ شَرِّ الْكَلِمِ ؛ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كَلًّا عَلَى كُلِّ .
وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْقَذَ فِيكُمْ أَمْرًا فَأَنْقِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ^(٥) . وَأَيُّمَ اللَّهُ إِنْ لِي فِيكُمْ
لِصْرٍ عَمِي كَثِيرَةٌ ، فَلْيَحْذَرْ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صِرْعَايَ ، ثُمَّ نَزَلَ .
فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْأَهْمِ ^(٦) ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيتُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « أَنْظُرْهُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « وَأَعِينُوا » .

(٣) كَذَا فِي ي . وَتَجْمِيرُ الْبَعْثِ : جَمْعُهُمْ فِي الثَّقُورِ وَحَبْسِهِمْ عَنِ الْعُودِ إِلَى أَهْلِهِمْ ، وَمِنْهُ
حَدِيثُ الْمَرْزَانَ : إِنْ كَسَرِي جَمْرَ بَعُوثِ فَارِسَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ :
« وَلَا تُخْجَدًا » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) كَذَا فِي ي وَالْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « حَرْبِكُمْ » .

(٥) عَلَى أَذْلَالِهِ ، أَيَّ عَلَى وَجْهِهِ وَطَرَقَهُ . وَأَذْلَالُ جَمْعُ ذَلٍّ (بِالْكَسْرِ) ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ : ٢٥

مَا مَهَّدَ مِنْهُ وَذَلَّلَ . (٦) فِي الْأَمَالِي (ج ٣ ص ١٨٥) : « صَفْوَانُ بْنُ الْأَهْمِ » .

الحكمة وفضل الخطاب . فقال له كذبت ، ذاك داودُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقام الأحنف بن قيس ، فقال : إنما التَّناء بعد البلاء ، والحمدُ بعد العطاء ، وإنا لن نُثني حتى نبتلى . قال له زياد : صدقت . فقام أبو بلال ، وهو يهْمس ، ويقول : أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلت ، قال الله تعالى : (وإبراهيمَ الذي وفى . ألا تزرُّ وازرةٌ وزرٌ أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) . [وأنت تزعم أنك تأخذ الصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمُدبر] . فسَمِعَهَا زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نُريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خَوْضًا .

وخطبة لزياد :

أستوصوا بثلاث منكم خيرًا : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني شيخٌ يحدثُ أستخفَّ به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهلٍ استخفَّ به إلا نكلتُ به ، ولا يأتيني شريفٌ بوضيعٍ أستخفَّ به إلا أضربته .

وخطبة لزياد :

خَطَبَ زياد على المنبر فقال : أيها الناس ، لا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ عَنَّا أَنْ تَتَنَفَعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْتَمْعُونَ مِنَّا ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

أَعْمَلُ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وخطبة لزياد :

العُتْبِيُّ قَالَ : لما شهدتُ الشُّهُودَ لزياد ، قام في أعقابهم فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هذا أمرٌ لم أشهدْ أوله ، ولا عِلْمٌ لي بآخره ، وقد قال أميرُ المؤمنين ما بلغكم ، وشهدتُ الشُّهُودَ بما سمِعتم . فالحمدُ لله الذي رَفَعَ مِنَّا ما وَضَعَ للناس ، وَحَفِظَ مِنَّا ما ضَيَّعوا . فأما عُبيد ، فإنما هو والد^(١) مبرور ، أو كافل^(٢) مشكور .

(١) في الأصول : « عبید الله فانما هو ولد » . والصواب ما أثبتنا . فقد ولد زياد على فراش عبید ، مولى ثقیف ، فسكان يقال له زياد بن عبید ، ثم استلحقه معاوية .
(٢) كذا في بعض الأصول والأمالی (ج ٣ ص ١٨٥) . والذي في سائر الأصول : « ريب » .

خطبة لجامع المحاربي :

— وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنناً^(١) ، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بَدَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَأَوْرَثْتَهَا غَيْرَ وَوَلَدِكَ —

شَكَكَ الْحَجَّاجُ سُوءَ طَاعَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَنَقِمَ^(٢) مَذْهَبَهُمْ ، وَتَسَخَّطَ طَرِيقَتَهُمْ ، فَقَالَ جَامِعٌ : أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَحْبَبُوا لَأَطَاعُواكَ ، عَلَى أَنَّهُمْ مَا سَنَوُوكَ لِتَسَبُّبِكَ ، وَلَا لِبَلَدِكَ ، وَلَا لِذَاتِ نَفْسِكَ ؛ فَدَعَّ عَنْكَ مَا يُبْعَدُهُمْ مِنْكَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ، وَأَلْتَمَسَ الْعَافِيَةَ مِنْ دُونِكَ تَعْطُهَا مِنْ فَوْقَكَ ، وَلِيَكُنْ إِيْقَاعُكَ بَعْدَ وَعِيدِكَ ، وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ . قَالَ الْحَجَّاجُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ أُرَدَّ بِنِي اللَّكِيْعَةِ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسَّيْفِ . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ السَّيْفُ إِذْ لَاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : الْخِيَارُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ . قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَسْكَنَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ . وَغَضِبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : يَا هِنَاهُ^(٣) ! إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فَقَالَ جَامِعٌ :

وَلِلْحَرْبِ سُمِّيْنَا وَكُنَّا مُحَارِبِينَ إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرَ

— وَالْبَيْتَ لِلْخُضْرِيِّ^(٤) — قَالَ الْحَجَّاجُ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْطَعَ لِسَانَكَ فَأَضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ . قَالَ جَامِعٌ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَشْنَاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبَ الْأَمِيرُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلٌ . وَشُغِلَ الْحَجَّاجُ بِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَانْسَلَّ جَامِعٌ ، فَمَرَّ بَيْنَ صُفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ حَتَّى جَاوَزَهُمْ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ — وَكَانَ الْحَجَّاجُ لَا يَخْلُطُهُمْ — فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةً فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكَرِ الْعِرَاقِ وَقَيْسِ الْعِرَاقِ وَتَمِيمِ الْعِرَاقِ وَأَزْدِ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأْتُوا إِلَيْهِ وَبَلَّغَهُمْ

١٨٥
٢

٢٠

٢٥

(١) كَذَا فِي الْبَيَانِ (ج ٢ ص ٦٨) . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ هُنَا وَفِيهَا مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ (ص ١٧٩) : « لَيْبِيَا » .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَنَقِمَ : كَرِهَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَقَمَ » . وَالَّذِي فِي الْبَيَانِ : « تَنَقَّمَ » .

(٣) هُنَّ : كَلِمَةٌ يَكْتَبُ بِهَا عَنْ اسْمِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ تَرَادَدَ الْأَلْفُ وَالْهَاءُ فِي آخِرِهَا عِنْدَ النَّدَاءِ خَاصَّةً ، وَتَصِيرُ هَذِهِ الْهَاءُ تَاءً فِي الْوَصْلِ .

(٤) فِي الْأَصُولِ : « الْحُدْرِيُّ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْبَيَانِ .

خُرُوجُهُ ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم ! عُموهُ بالخلع كما يُعمكم بالعداوة ، ودَعُوا التَّمَادِي ^(١) ما عاداكم ، فإذا ظَفَرْتُمْ تَرَأَجِعْتُمْ وتعاديتُمْ . أيها التَّمِيمِيُّ ، هو أَعْدَى لك من الأزدي ، وأيها القَيْسِيُّ ، هو أَعْدَى لك من التَّغْلَبِيِّ ، وليس يظفر بمن ناوَاهُ منكم إلا يَمُنَّ بِقِيٍّ معه . وهرب جامع من فَوْزِهِ ذلك إلى الشام ، فاستجار بزُفْر بن الحارث .

خطبة للحجاج بن يوسف :

خَطَبَ الحَجَّاجُ فقال : اللَّهُمَّ ارِنِي العَيْ عَيًّْا فَأَجْتَنِبَهُ ، وَارِنِي الهُدَى هُدًى فَأَتْبِعَهُ ، وَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي فَأَضِلُّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِي بِعَامَتِي هَذِهِ ، وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبَهُهُ بِمَا مَضَى مِنَ المَاءِ بِالْمَاءِ .

وخطبة للحجاج :

قال الهيثم بن عدى : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في الشوق ، فراعته ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، وبنى الأكبيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإماء ، والفقع ^(٢) بالقرقرة ، إني سمعتُ تكبيراً لا يُراد به الله ، وإنما يُراد به الشيطان ، وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن بَرَّاق الهمداني :

وكنْتُ إذا قوم غزَوْنِي غزَوْتَهُمْ فهِلْ أنا في ذا يالهُمْدانِ ظالمٌ متى تَجَمَّعَ القَلْبُ الذِّكِيُّ وصارمًا وَأَنْفًا سَحِيماً تَجْتَنِّبُكَ المِظالمُ أما والله لا تُقرع عصاً بمعصاي إلا جعلتها كأُمس الدابر .

خطبة للحجاج بمصر في الجملاء ^(٣) :

خطب أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إن الشيطان قد أستبطنكم فخالط

(١) في بعض الأصول : « تعالى » .

(٢) الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة . يريد أنهم أذل من

هذه الكمأة في الأرض المنخفضة لا تمتنع على من اجتنأها .

(٣) وقعة دير الجملاء : كانت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب

الكوفة سنة ٨٣ هـ وفيها هزم ابن الأشعث .

٥

٢٠

١٥

٢٠

٢٥

اللحمَ والدِّمَّ والعصبَ والمسامعَ والأطرافَ والأعضاءَ والشِّعافَ ، ثم أفضَى إلى
 الخِناخِ والصَّماخِ^(١) ، ثم أرتفعَ فَعَشَّشَ ، ثم باضَ وفَرَّخَ ، فحشاكمَ شِقاقًا ونِفاقًا ،
 وأشعركمَ خلافاً ؛ اتخذتموه دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ ، وقائداً تُطِيعُونَهُ ، ومُؤامراً تَسْتَشِيرُونَهُ .
 وكيف تنفعكم تجرِبةٌ ، أو تَعْظِمُكُمْ وَقْعَةٌ ، أو يُحْجِزُكُمْ إِسلامٌ ، أو يَرُدُّكُمْ إِيماناً !
 أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ^(٢) ، حيث رُمِّمَ الْمَسْكَرُ ، وَسَقِّمَ بِالْعَدْرِ ، واستجمعتُمُ لِلْكَفْرِ ،
 وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلافَتَهُ ، وأنا أرميكم بطرْفِي وَأَنْتُمْ تَسْتَلَّوْنَ لُوادًا ،
 وَتَهْزِمُونَ سَراعا ؛ ثم يَوْمَ الزَّوايَةِ^(٣) ، وما يَوْمَ الزَّوايَةِ ! بها كان فَشْلُكُمْ وتنازُعُكُمْ
 وتخاذُلُكُمْ ، وبراءةُ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَنُكُوصُ وائِيهِ عَنْكُمْ ؛ إِذْ وَلايْتُمْ كَالْإِبِلِ
 الشَّوَارِدِ إِلَى أوطانها ، النوازِعِ إِلَى أعطانها ، لا يسألُ المرءُ مِنْكُمْ عن أخِيهِ ،
 ولا يُلوِي الشَّيْخَ على بَنِيهِ ، حتى عَضَّكُمْ السَّلاحُ ، وَقَصَّمتُكُمْ الرِّماحُ ؛ ثم يَوْمَ دَيْرِ
 الْجِجَامِ ، وما دَيْرِ الْجِجَامِ ! بها كانتِ المِعارِكُ والمِلاحِمُ ، بَضْرَبِ يُرْبِلِ الْهَمامِ عن
 مَقِيلِهِ^(٤) ، ويذهلُ الخَلِيلَ عن خَليلِهِ . يا أهلَ العِراقِ ، وَالكَفَرَاتِ بَعْدَ الفِجَرَاتِ ،
 وَالْعَدْرَاتِ بَعْدَ الخِثَرَاتِ ، وَالنِزِواتِ بَعْدَ النِزِواتِ ، إن بَعثْتُمْ إلى نُغُورِكُمْ غِلاَّتِمُ
 وَخُنْتِمُ ، وإن أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتِمُ ، وإن خِفْتِمُ نَاقَفْتِمُ ، لا تَدْرُونَ حِسانَةَ^(٥) ، ولا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةَ . يا أهلَ العِراقِ ، هل أَسْتَخَفَّكُمْ نَاقِثٌ ، أو اسْتَغْواكُمْ غَاوٌ ،
 أو اسْتَغْفَزَّكُمْ عَاصٌ ، أو اسْتَنْصَرَكُمْ ظالِمٌ ، أو اسْتَعَضَّكُمْ خالِعٌ ، إِلا وَنَقَمْتُمُوهُ وَأَوَيْتُمُوهُ
 وَعَزَّرْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضَيْتُمُوهُ ؟ يا أهلَ العِراقِ ، هل شَغَبَ شَاغِبٌ ، أو نَعَبَ
 ناعِبٌ ، أو نَعَقَ ناعِقٌ ، أو زَفَرَ زَافِرٌ ، إِلا كُنْتُمْ أَتِباعَهُ وَأَنصارَهُ ؟ يا أهلَ العِراقِ ،
 أَلَمْ تَنْهَكُمُ المَواعِظُ ، أَلَمْ تَرْجِركُمُ الوِقايعُ ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهلَ الشَّامِ ،

(١) الخناخ : جمع مخ . والصماخ . جمع صماخ ، وهو من الأذن ، الحرق الباطن الذي

يفضي إلى الرأس . وفي بعض الأصول : « الأبخاخ والأصاخ » . وما جمان

غير واردين . (٢) يشير إلى وقعة آستر .

(٣) الزاوية : موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث .

(٤) مقيله ، أي موضعه . يريد الأعناق .

(٥) في بعض الأصول : « خشية » .

إنما أنا لكم كالظلم^(١) الذاب عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، ويواعد عنها الحجر ، ويكبتها عن المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب . يأهل الشام ، أنتم الجنة^(٢) والرداء ، وأنتم العدة والحذاء^(٣) .

وهظبة للحجاج :

٥ قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة فجلست قريباً من المنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : أمرؤ حاسب نفسه ، أمرؤ راقب ربه ، أمرؤ زور^(٤) عمله ، أمرؤ فسكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ، ويراها في ميزانه ، أمرؤ كان عندهم ذا كرا^(٥) ، وعند هواه زاجراً ، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . [إننا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار]^(٦) .

وهظبة للحجاج بالبصرة :

اتقوا الله ما أستطعتم ، فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : وأسمعوا وأطيعوا ، فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان . والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره^(٧) لكانت دماؤهم لي

- ١٥ (١) الظلم : ذكر النعام .
 (٢) في بعض الأصول : « الجنة » .
 (٣) انظر البيان (ج ٢ ص ١١٧) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٤٥) ومروج الذهب (ج ٢ ص ١٣٥) . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١ ص ١١٤) فيبين النصوص خلاف .
 (٤) زور عمله : حسنه .
 (٥) كذا في البيان (ج ٢ ص ٨٨) . والذي في الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) : « أمرا » .
 (٦) التكملة عن بعض الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) والبيان (ج ٢ ص ٨٨) وابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٥٠) .
 (٧) في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٤٣) . « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا غيره » .

حلالاً من الله ، ولو قُتل ربيعة ومُضر لكان لي حلالاً . عذيري^(١) من هذه الحُمراء^(٢) ، يرمى أحدكم بالحجر إلى السماء ويقول : يكونُ إلى أن يَقَعَ هذا خيرٌ^(٣) . والله لأجعلنهم كأمسِ الدَّابر . عذيري من [عَبْد] هذيل^(٤) ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب^(٥) ، والله لو أدركته لقتلته .

خطبة للحجاج بالبصرة :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الله كفانا مَثُونَةَ الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، [فليت الله كفانا مَثُونَةَ الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا] . ما لي أرى علماءكم يدهنون ، وجُهالكم لا يتعلمون ، وشِراركم لا يتقون ! ما لي أراكم تَحْرِصون على ما كُفَيْتُمْ ، وتُضَيِّعون ما به أُمِرْتُمْ ! إنَّ العِلْمَ يُوشِكُ أن يُرْفَعَ ، ورَفَعته ذهبُ العلماء . ألا وإني أعلم بشِراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يَقْرءون القرآن إلا هُجْرًا^(٦) ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا^(٧) . ألا وإنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البرّ والفاجر . ألا وإنَّ الآخرة أَجَلٌ مُسْتَأخِر ، يحكم فيه مَلِكٌ قادر . ألا فأعملوا وأنتم من الله على حَذَر ، وأعلموا أنكم مُلاقوه ، ليَجْزِي الذين أساءوا بما عَمِلُوا ، ويَجْزِي الذين أحسنوا بالحسنى . ألا وإنَّ الخيرَ كُلَّهُ بِحِذَابِيهِ فِي الْجَنَّةِ ، ألا وإنَّ الشرَّ كُلَّهُ بِحِذَابِيهِ فِي النَّارِ ، ألا وإنَّ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .

(١) العذير : النصير ، وما يروم الرجل وما يحاول مما يعذر عليه إذا فعله .

(٢) الحُمراء : العجم ، لبياضهم . وقد نزل قوم منهم بالبصرة .

(٣) في صروج الذهب : « يلقى أحدكم الحجر إلى الأرض ويقول إلى أن يبلغها يكون فرج الله » . (٤) يريد بعبد هذيل عبد الله بن مسعود . (انظر المروج) .

(٥) كذا في بعض الأصول والمروج . والذي في سائر الأصول : « ما هو إلا رحم الأعراب » مكان « يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب » . وفيها تحريف ظاهر .

(٦) الهجر : الترك والإغفال . يريد أنهم يتركون القرآن ويعرضون عنه .

(٧) دُبْرًا ، أي في آخر وقتها .

خطبة للمحجاج :

خَطَبَ الْحِجَّاجَ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ لَكُمْ دَوَاءَ
أَدْوَى ^(١) لِدَائِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَغَازِي وَالْبُعُوثِ ، لَوْلَا طِيبُ لَيْلَةِ الْإِيَابِ ، وَفَرَحَةُ
الْقَقْلِ ، فَانْهَاهَا تَعْقِبُ رَاحَةَ ؛ وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْفَرَّاحَ عِنْدَكُمْ وَلَا الرَّاحَةَ
بِكُمْ . وَمَا أُرَاكُمْ إِلَّا كَارْهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَرُؤَيْتَكُمْ أَكْرَهَ . وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ
مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ مَا سَحَمْتَ نَفْسِي مُقَاسَاةً لَكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى
النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ حُسْنَ الْعَوْنِ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة للمحجاج حين أراد الحج :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنِّي أَرَدْتُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَبِي مُحَمَّدًا ،
وَمَا كُنْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَأَوْصِيْتُهُ فِيكُمْ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الْأَنْصَارِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْصَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَأَنَا
أَوْصِيْتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ
بِعَدَى مَقَالَةٍ لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا خَوْفِي ، تَقُولُونَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ .
وَإِنِّي أَعْجَلُ لَكُمْ الْجَوَابَ : فَلَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

١٨٧
٢

خطبة للمحجاج :

قَالَ : خَرَجَ الْحِجَّاجُ يَرِيدُ الْعِرَاقَ وَالْيَمَامَةَ عَلَيْهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَاكِبًا عَلَى
النَّجَابِ ، حَتَّى دَخَلَ السُّكُوفَةَ حِينَ انْتَشَرَ النَّهَارُ ، وَقَدْ كَانَ بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ
بَعَثَ الْمُهَاجِرَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ ، فَبَدَأَ الْحِجَّاجُ بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَهُوَ
مُلْتَمِّمٌ بِعِمَامَةِ حِمْرَاءَ ، فَقَالَ : عَلَيَّ يَا نَاسَ ، فَحَسِّمُوهُ وَأَصْحَابَهُ خَوَارِجَ ، فَهَمَّوْا بِهِ ،
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ قَامَ ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

٢٠

(١) أدوى ، أى أهلك وأقطع .

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاعُ المَنايا متى أضعُ العِمامةَ تَعَرَّفوني^(١)
صَليبُ العُودِ مِن سَلفي رِياح^(٢) كَنَصَلِ السَّيفِ وضَاحُ الجِمينِ
وماذا يَبْتَغى^(٣) الشُّعراءُ مِنِّي وقد جَاوزتُ حَدَّ الأَرَبِمينِ
أخو حَمَسينِ مُجْتَمَعِ أَشَدِّي وَنَجَدَني^(٤) مُداوِرَةُ الشُّنونِ
وَإِنِّي لا يَعودُ إلى قَريَني غِداةَ العَيبِ إلا في قَريَني^(٥)
أما واللهِ إِنِّي لأَجلُ الشرِّ بِحَمَلِهِ ، وأَحذوه بِنَعْلِهِ ، وأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ ، وإِنِّي
لَأَرى رِءوسًا قد أَيْبَعَتِ وِجانَ قِطَافِها ، وإِنِّي لِصاحِبِها ، وإِنِّي لِأَنظُرُ [إلى]
الدِّماءِ بَينَ العِمامِ واللَّحى تَتَرَقِّقُ : * قد شَمَّرتُ عَن ساقِها فَشَمَّري *
[ثم قال] :

١٠ هذا أوانُ الشَّدِّ^(٦) فَأَشْتَدِّي زَيْمِ^(٧) قد لَفَّها اللَّيْلُ بِسَواقِ حُطَمِ^(٨)
ليس بِراعىِ إِبْليلٍ ولا غَمامِ ولا بِجِزارِ عَلى ظَهَرِ وَضَمِّ^(٩)

(١) هذه الأبيات لسحيم بن وثيل الرياحي . (انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٤ طبعة بلاق) . وابن جلا : الصبح ، أو هو الأمر الظاهر المنكشف .
(٢) في بعض الأصول : « نزار » . ورواية هذا الشطر في الأغاني :

١٥ * إلى ابن العز من سلفي رباح *
(٣) في لسان العرب (مادة نَجَد) : « يدري » . ويدري : يَحْتَل .
(٤) كذا في اللسان (مادة نَجَد) . والمنجذ من الرجال : الذي جرب الأمور وعرفها وأحكمتها . ومداورة الشئون : مداولة الأمور ومعالجتها . والذي في الأصول : « وتنجذني » . والذي في الأغاني : « وتحدوني » .

(٥) في الأصول : « غداة ألب إلا أي حين » . وما أئبنتاه عن الأغاني . والعبء : من عبأ الجيش ، إذا رتبته في مواضعه وهبأه للحرب . وفي قرين ، أي مع قرين .
(٦) كذا في الأغاني . والشد : العدو . والذي في الأصول : « الحرب » .
(٧) زيم : اسم فرس أو ناقة .

(٨) الحطم : الراعي الظلوم للماشية . وهذا الشعر لرويشد بن رميض العنبري يقوله في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة ، وكان شريح غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسي ، بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسرفها فرعان بن مهدي بن معد يكرب ، عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مفازة ، فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، ومات فرعان في أيديهم عطشا ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوفا عنيفا حتى نجح بمن بقي معه ، فقال رويشد هذا الشعر . فلقب شريح الحطم بقول رويشد فيه : « بسواق حطم » . (انظر الأغاني ج ١٤ ص ٤٥ ، ٤٦ طبعة بلاق) . (٩) الوضم : كل ما قطم عليه اللحم .

[ثم قال] :

قد لَفَّهَا التَّيْلُ بَعْضَلِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ^(١)
 مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ^(٢)
 قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا شَيْخٌ إِدِي^(٣)
 وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرَّ عُرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ^(٤)

إني والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوي الأخلاق ، لا يُبغَمزُ جانبي كتمتاز التين ، ولا يُقَمِّعُ لي بالشنان^(٥) ، ولقد فُرِزْتُ عن ذكاء^(٦) ، وفتشت عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية [القصى] ، وإني أمير المؤمنين نثر كنفاته [بين يديه] ثم عجم عيدانها ، فوجدني أمرها عودا ، وأشدّها مكسرا ، فوجهني إليكم ، ورماكم بي ، فإنه قد طالما أوضعتم^(٧) في الفتن ، وسدنتم سنن الفتي ، وإيم الله لأخونكم لحو العصا ، ولأقرعنكم قرع المروة^(٨) ، ولأعصبتكم عصب السلمة^(٩) ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل . أما والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت^(١٠) . وإياي وهذه [الشفعاء] والزرافات والجماعات ، وقالا وقيلا ، وما يقولون ، وفيهم أنتم [وذلك] ؛ والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده ، من

(١) العصلي : الشديد القوى . والأروع : الذكي ، أو من يعجبك بشجاعته . والدوي :

جمع دوية ، وهي الفلاة الواسعة ، ويريد بها الشدائد .

(٢) يريد أنه ترك البدو إلى المدن ، فأفاد خبرة وحنكة لم يفدها الأعرابي في بداوته .

(٣) إد : داهية . (٤) عرد : شديد .

(٥) القمعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، مثل السلاح وغيره ، والشنان .

جمع شن (بالفتح) ، وهو القرية البالية . وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل

على السير لتفزع فتسرع . وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له .

(٦) فر الدابة : الكشف عن أسنانها ليعرف عمرها . يقول : إنه اختير عن ذكاء .

(٧) الإيضاع : الإسراع .

(٨) المروة : واحدة المرو ، وهي حجارة بيض براقه توري النار .

(٩) السلمة : شجر كثير الشوك . والأشجار تمصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط

الورق وهشم العيدان . (١٠) أخلق : أفدر . وأفري : أقطع .

وجدته بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وأتتهب ماله ، وهدمت منزله ، فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب . فلما رأى الملب ذلك قال : لقد ولى العراق خيراً ذكر^(١) .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك :

- قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) . وقال : (وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أفتلقبتم على أعقابكم) . فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ، ثم وليكم البازل^(٢) الذّكر ، الذي جرّأ به الأمور ، وأحكمته التجارب ، مع الفقه ، وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطف لأهل الزيف ، فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين ، فأختار الله له مما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ، فأسمعوا له وأطيعوه أيها الناس . وإياكم والزيف ، فإن الزيف لا يحمي إلا بأهله . ورأيتم سيرتي فيكم ، وعرفتُ خلافكم ، وقبيلتكم^(٣) على معرفتي بكم ، ولو علمت أن أحداً أقوى عليكم مني أو أعرف بكم ما وليتكم ، فإياي وإياكم ، من تكلم قتلناه ، ومن سكّ مات بدائه غمّاً ، ثم نزل .

خطبة الحجاج لما أصيب بولده محمد وأهله محمد :

أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ، أما والله لقد كنت أحبُّ أنهما معي في

٢٠ (١) انظر الكامل (١ : ١٨١) والبيان والتبيين (٢ : ١٦٤) وصبح الأعشى .

(١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٤) ومروج الذهب (٢ : ١٣٢)

فبين النصوص خلاف .

(٢) البازل : البعير انشق نابه ، وذلك في السنة التاسعة . وبه يشبه الرجل الكامل

عقلاً وتجربة . يريد به عبد الملك (٣) في بعض الأصول : « وطيبكم » .

الدنيا، مع ما أرجو لها من ثواب الله في الآخرة ، وإيم الله ، ليوشكن الباقي منّا
ومنكم أن يفنى ، والجديد منّا ومنكم أن يبلى ، والحي منّا ومنكم أن يموت ،
وأن تدال الأرض منّا كما أدلنا منها ، فتأكل من لحومنا ، وتشرب من دمائنا ،
كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ، ثم يكون كما قال
الله : (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) . ثم تمثل
بهدين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ممتٍ وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عني راضيًا فإن سرور النفس فيما هنالك

خطب الحجاج في يوم الجمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إن
الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك . فأمر به إلى الحبس . فأتاه آل الرجل
وقالوا : إنه مجنون ، فقال : إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خلّيت سبيله . فقال
الرجل : لا والله ، لا أزعّم أنه ابتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج :

ذكروا أن الحجاج مريض ففرح أهل العراق ، وقالوا : مات الحجاج . فلما
بلغه ، تحامل حتى صعد المنبر فقال : يا أهل الشقاق والتفراق ، نفخ إبليس في مناخركم
فقلتم : مات الحجاج ، مات الحجاج . فمه ، والله ما أحب ألا أموت ، وما أرجو
الخير كله إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل كتب الخلود لأحد من خلقه إلا
لأهونهم عليه ، إبليس . ولقد رأيت العبد الصالح سأل ربه وقال : (رب اغفر لي
وهب لي ملكًا لا يتبغى لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) . ففعل ، ثم
أضحج كأن لم يكن ^(١) .

(١) انظر شرح العيون (ص ١٢٢) وشرح ابن الحديد (ج ١ ص ١٥٤)

وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٤٤) . فبين النصوص خلاف .

وخطبة للحجاج :

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيِّفِي ، وَنِجَادِي فِي عُنُقِي ، وَقَائِمِي فِي يَدِي ،
وَذُبَابِي قِلَادِي لِمَنْ أَغْتَرَبِي . فقال الحسن : بُؤْسًا لِهَذَا ، مَا أَعْرَاهُ بِاللَّهِ !

وحلف رجل بالطلاق : إن الحجاج في النار ، ثم أتى زوجته ، فمنعتة نفسها ،
فأتى ابن شبرمة يستفتيه ، فقال : يا ابن أخي ، أمض فكن مع أهلِكَ ، فإن
الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرك أن تزني .

هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقي منها فهي مُستقصاة
في كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا في
كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، ونحذف الكثير الذي يُجتزأ
منه بالقليل .

١٠

خطبة لطاهر بن الحسين :

لما أفتتح مدينة السلام صعد المنبر ، وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد
وغيرهم فقال : الحمد لله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن
يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ولا يُلصِح عمل المفسدين ، ولا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَائِنِينَ . إن ظُهور غَلَبَتِنَا لَمْ يَكُنْ عَنْ أَيْدِنَا^(١) ولا كَيْدِنَا ، بل أختار
الله خِلافَتَهُ ، إذ جعلها عَمُودًا لِدِينِهِ وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَعْبَائِنَا ،
وَيَضْطَلِعُ بِحَمَلِنَا .

١٥

١٨٩
٢

خطبة لعبد الله بن طاهر :

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج^(٢) ، فقال : إنكم فِتْنَةُ اللَّهِ
المجاهدون عن حقّه ، الذابّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى

٢٠

(١) في بعض الأصول : « أيدينا » .

(٢) المعروف أن الذي تولى حرب الخوارج هو طاهر بن الحسين أيام المأمون ،

ثم تولاها بعده عبد الرحمن النيسابوري . وانتهت الحرب بموت حمزة الخارجي .

(انظر الفرق بين الفرق) .

ما أمر به ، من الاعتصام بحبِّله ، والطاعة لولادة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ،
ونظام المسلمين ، فأستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوه وأهل معصيته ،
الذين أشيروا وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، وسرقوا من الدين ،
وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : (إن تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم) ، فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ، وعدتكم التي
بها تستظهرون ؛ فإنه الوزر المنيع ، الذي دلَّكم الله عليه ، والجنة الحصينة التي
أمركم الله بلباسها . غضوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم في مصانفكم ، وامضوا
قدمًا على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والأستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه
يقول : (إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) . أيدكم الله
بعز الصبر ، ووليككم بالحياطة والنصر .

خطبة لفتية بن مسلم :

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك^(١) ، فصعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أتدرون من تباعون ؟ إنما تباعون يزيد بن ثروان —
يعني هبنقة القنسي^(٢) — كأني بكم ، وحكمكم جائر قد أتاكم يحكمكم في أموالكم
ودمائكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الأعراب ! [وما الأعراب] ! لعن الله
الأعراب ! جمعهم كما يجمع فرخ الخربق^(٣) من منابت الشيع والقيصوم^(٤)

(١) وذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ولي عهده ويخلع
سليمان ، ودس إلى القواد والشعراء بذلك ، فباعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة .
(انظر الطبري) .

(٢) هو يزيد بن ثروان ، هبنقة ذو الودعات ، ويكنى أبا نافع ، أحد بني قيس بن ثعلبة .
وكان يضرب به المثل في الحق فيقال أحق من هبنقة . وكان سليمان يعطي الأغنياء
ويحرم الفقراء . وإذا سئل عن ذلك قال : أصح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله .
وما أشبهه في هذا هبنقة حين كان يحسن إلى السمان من لبله ، ويهمل المهازبل ،
ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهانه . وهذا ما أراد قتيبة أن
يقوله : « إنما تباعون... الخ » . (انظر مجمع الأمثال ١ : ١٤٦ والبيان ١ : ٢٢٦)

(٣) الخربق (كجففر) : نبت كالسم يفسى على آكله .

(٤) الشيع والقيصوم : من نبات السهل .

والفلفل^(١) ، يَرَكِبُونَ البَقَرَ وَيَأْكُلُونَ الهَيْبِدَ^(٢) . فحملتهم على الخيل ،
وألستهم السلاح ، حتى مَنَعَ اللهُ بهم البلاد ، وَجَبِيْ بِهِمُ النَّفْيُ . قَالُوا : مُرْنَا
بِأَسْرِكَ . قَالَ : غُرْتُ وَأَغْيِرِي^(٣) .

وخطبة لفتية بن مسلم :

٥ يا أهل العراق ، أَلَسْتُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُمْ . أَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَنَعَمْ
الصَّدَاقَةُ ؛ وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَعِلَاجَةٌ^(٤) بَظَرَاءٍ لَا تَمْنَعُ^(٥)
رَجْلَيْهَا ؛ وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ عَبْدِ التَّمَبَسِ ، فَمَا ضَرَبَ الْعَيْرَ بِذَنْبِهِ^(٦) ؛ وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ
مِنَ الْأَزْدِ ، فَمُلُوجُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَنْبَاطِهِ . وَأَيْمُ اللَّهِ ، لَوْ مَلَكَتُ أَمْرَ النَّاسِ لَنَقَشْتُ
أَيْدِيَهُمْ ؛ وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمَّوْنَ الْقَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ .

وقال الشاعر :

١٠ إذا كنت من سعد وخالك منهم بعيداً فلا يفرُّ زكُّ خالك من سعدٍ
إذاماد عوا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْقَدْرِ أَذْنِي مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ

وخطبة لفتية بن مسلم :

١٥ يا أهل خُرَاسَانَ ، قَدْ جَرَّبَكُمْ الْوَلَاةَ قَبْلِي ، أَنَا كَمْ أُمِّيَّةٌ^(٧) فَكَانَ كَأَسْمِهِ ، أُمِّيَّةٌ
[الرأى] ، [وَأُمِّيَّةُ الدِّينِ] ، فَكَتَبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ : إِنَّ خِرَاجَ خُرَاسَانَ لَوْ كَانَ

(١) الفلفل : تبت ينبت في الجلد وغلظ السهل . يشير إلى قلة الخربق وتفريقه بين منابت
هذه الثلاثة . (٢) الهيبيد : حب الحنظل .

(٣) انظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٧) والطبرى فيبين النصوص خلاف .

(٤) العليجة : أنثى العليج ، وهو الرجل من كفار العجم : وبظراء : بيضة البظر طوبلته .
والبظر : ما بين الاسكتين من المرأة .

(٥) في البيان : « لا تجمع » .

(٦) العير : الحمارة . وكفى بما يضره العير بذنبه عن جاعرته ، وهما موضع الرقتين من
است الحمارة . يصفهم بالضعة والمهانة .

(٧) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص ، وكان عاملاً لمبدا الملك على
خراسان ثم عزله سنة ٧٨ .

في مطبخه لم يكفه . ثم أتاكم [بعده] أبو سعيد^(١) ثلاثاً^(٢) ، لا تدرن أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته ! ثم لم يحب فيثا ، ولم يبئل^(٣) عدواً ، ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء^(٤) السكلبية ، منهم ابن دحمة^(٥) ، حصان يضرب في عانة^(٦) ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده . ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، حتى إن الطعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جوار .

قوله : أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة ، وقوله : ابن دحمة ، يريد يزيد بن المهلب .

خطبة ليزير بن المهلب :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ،

إني أسمع قول الرعاع : قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء أهل الشام .

وما أهل الشام إلا تسعة أسياف ، منها سبعة معي ، وأثنان عليّ ؛ وما مسلمة إلا

جرادة صفراء ؛ وأما العباس ، فسطوس بن بسطوس^(٧) ، أتاكم في بربرة ،

وصقالبة وجرامة وأقباط وأنباط وأخلاط ، أقبل إليكم الفلاحون والأوباش

كأشلاء اللحم ، والله مالمقوا قطّ حدّاً كحدكم ، ولا حديدًا كحديدكم . أعيروني

سواعدكم ساعة [من نهار] تصفقون بها خراطيمهم^(٨) ، فإنما هي غدوة أوزوحة ،

حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(١) هو المهلب بن أبي صفرة ، وقد ولي خراسان من قبل الحجاج بعد أمية .

(٢) يريد ثلاث سنين . والذي في الطبري : « فدوم بكم ثلاث سنين » . والذي في البيان :

« فدوم بكم البلاد لا تدرن ... الخ » . (٣) في البيان : « لم ينسكا » .

(٤) الأطباء : جمع طبي (كقفل) . وهو لذات الحف والظلف ، كاللدى للمرأة .

(٥) نسبة إلى أمه دحمة ، انظر القاموس مادة (دحم) والطبري . والذي في الأصول

والبيان : « ابن الرحمة » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٦) العانة : الأمان .

(٧) كذا في الأصول ومروج الذهب . والذي في البيان : « فسطوس بن بسطوس »

ولعلها : « نسطورس بن نسطورس » نسبة إلى النساطرة ، إحدى فرق المسيحية .

يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمه رومية .

(٨) صفقه بالسيف : ضربه . والخراطيم : جمع خرطوم ، وهو الأنف .

(١) خطبة نفس بن ساعدة اليبارية :

أبن عباس قال : قَدِمَ وَفَدَ إِيَادَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
 أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قُسَّ بَنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْرِفُهُ . قَالَ : فَمَا فَعَلَّ ؟ قَالُوا :
 هَلَكَ . قَالَ : مَا أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُبَاظٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى سَجَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ وَهُوَ
 يَخْطُبُ النَّاسَ ، وَيَقُولُ ؛ أَسْمَعُوا وَعُؤَا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ،
 وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعَبِيرٌ ، سَحَابٌ
 تَمُورٌ ، وَنُجُومٌ تَعُورٌ ، فِي فَلَكَ يَدُورٌ ، وَيُقَسَمُ قُسٌّ قَسَمًا ، إِنْ لَلَّهِ لَدِينَا هُوَ أَرْضِي
 مِنْ دِينِكُمْ هَذَا . ثُمَّ قَالَ : مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا
 بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؛ أَيُّكُمْ يَرُوي مِنْ شِعْرِهِ ؟ فَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ :

١٠ في الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِيَّةِ نِ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
 لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
 وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَكْبَارُ وَالْأَصَاغِرُ
 لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِيْنَ غَايِرُ
 أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

١٥ خطبة لعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْجَمَلِ :

قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، صَهْ صَهْ ، إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةٌ الْأُمُومَةِ ، وَحَقٌّ (٢)
 الْمَوْعِظَةُ ، لَا يَتَّهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ (٣) ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بَيْنَ سَخْرَى (٤) وَنَخْرَى ، فَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، لَهُ أَدْخَرَنِي رَبِّي ،

(١) جرى المؤلف فيما مضى من كتاب الخطب على متابعة العصور عصرا بعد عصر ،

٢٠ في الخطب التي أوردتها ، وإبراده هنا خطبة قس وما بعدها مخالفة لما جرى عليه أولا .

(٢) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء (ص ٧) . وفي سائر الأصول : « حق الأمومة وحرمة الموعظة » .

(٣) أرادت قوله تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً » .

٢٥ (٤) السحر : الرثة .

وخلصني^(١) من كل بضع^(٢) ، وبنى مَبْرَ مؤمنكم من مُناقفكم^(٣) ، وبنى أَرْخَصَ
الله لكم في صَعِيدِ الأَبْوَاءِ^(٤) ، ثم أَيْ ثَانِي أَثْنَيْنِ اللهُ تَالْتَمَهَا ، وَأَوَّلُ مِنْ سُمِّيَ
صِدِّيقًا . مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّقَهُ أَعْبَاءُ الإِمَامَةِ ،
ثُمَّ أَضْطَرَبَ حَبْلَ الدِّينِ بَعْدَهُ فَمَسَّكَ أَبِي بَطْرَقِيَه ، وَرَتَّقَ لَكُمْ فَتَقَ النَّفَاقِ ،
وَأَغَاضَ^(٥) نَبْعَ الرِّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ مَا حَشَّتْ^(٦) يَهُودَ ، وَأَتَمَّ يَوْمَئِذٍ جِحْظَ العُيُونِ^(٧) ،
تَنْظُرُونَ العُدُوَّةَ^(٨) ، وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأْيِ^(٩) ، وَأَوَدَّ^(١٠) مِنَ
العِلْظَةِ ، وَامْتَاَحَ^(١١) مِنَ المَهْوَةِ^(١٢) ، حَتَّى اجْتَحَى^(١٣) دَفِينِ الدَّاءِ ، وَحَتَّى أَعْطَنَ
الوَارِدَ^(١٤) ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرَ ، وَعَلَّ النَّاهِلَ ، فَقَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَاطْنَأَ عَلَى هَامَاتِ
النَّفَاقِ ، مُذْكِيًا نَارَ الحَرْبِ عَلَى المُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ
رَجُلًا مُرْعِيًا^(١٥) إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ^(١٦) إِذَا ضَلَّ ، عُرْكَةً لِلأَذَاةِ

- (١) في بلاغات النساء ولسان العرب (مادة بضع) : « وحصني » .
(٢) كذا في بلاغات النساء ، أى من كل نكاح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
بكرًا من بين نسائه . والذي في الأصول : « بضاعة » .
(٣) تشير إلى حديث الإفك ونزول الوحي ببراءتها فيه تميز المؤمنون الذين وثقوا
من براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها .
(٤) الصعيد : التراب . والأبواء : المفازة ، ويروى : « الأقواء » . والأقواء : جمع
قواء (كسحاب) ، وهو القفر ، تريد أنها كانت سببًا في رخصة التيمم ، لما
ضاع عقدها في السفر وطلبوه ، فأصبحوا وليس معهم ماء ، فنزلت آية التيمم .
انظر صحيح البخارى في باب التيمم (ج ١ ص ٧٠) . ولسان العرب (مادة قوى) .
(٥) أغاض : نقص . (٦) حش النار : أوقدها .
(٧) جحظ العيون ، أى قد برزت عيونهم ، وشخصت أبصارهم ارتباكًا وحيرة ، قد
أسقط في يدهم .
(٨) كذا في بلاغات النساء . والعدوة : الوثبة . والذي في الأصول : « الفدرة » .
(٩) الثأى : الإفساد . (١٠) أود : عطف وألان .
(١١) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء . وامتاح : انتزع . والذي في سائر الأصول :
« انتاش » . وانتاش : أخرج .
(١٢) في بلاغات النساء : « المهواة » . (١٣) اجتحنى : استأصل .
(١٤) أعطن الوارد : حبس إبله عند الماء . وهذا كناية عن تأمين السبل .
(١٥) مرعيا ، من المراعاة ، وهى الحفظ والرفق وتخفيف الأتقال .
(١٦) اللابتان : مثنى اللابة ، وهى الحرة ، تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس مصادرهم .

بِحَبْنِهِ^(١) ، صَفُوحًا عَنْ أذى الجاهلين ، يقظان الليل في نُصْرَةِ الإسلام ، فسلك مسلك السابقية ، ففرَّق شَمْلَ الفِتْنَةِ ، وجمَّع أعضاد ما جمَّع القرآن ، وأنا نُصِب المسألة عن مَسِيرِي هذا^(٢) ، لم أُلْتَمَسْ إِيَّامًا ، ولم أُورَّث^(٣) فِتْنَةً أُوطئُكُمُوهَا . أقول قولي هذا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وإِعْذَارًا وإِنذَارًا ، وأسأل الله أن يصلي على محمد وأن يُخَلِّفَهُ فيكم بأفضل خِلافة المرسلين .

خطبة^(٤) لعبد الله بن مسعود :

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى^(٥) . أكرم الملل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . خير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، شرُّ الأمور مُحْدَثَاتُهَا ، وخيرُ الأمور أوسطُهَا^(٦) . ما قلَّ وكفى ، خيرٌ مما كثرَ وألهى . لَنَفْسٍ تُحْيِيهَا^(٧) خير من إِمَارَةٍ لا تُحْصِيهَا . خيرُ الغني غني النَّفْسِ . ١٠ خيرٌ ما أُلْتَمِيَ في القَلْبِ اليقين . الحمرُ جماع الآثام . النساء حبانلُ الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حُبُّ الكِفاية مِفْتَاحُ المعجزة . شرُّ الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هُجْرًا^(٨) . سِيَابُ المؤمن فُسُوقٌ ، وقِتالُه كُفْرٌ ، وأَكَلُ لَحْمِهِ معصية . من يَتَأَلَّ^(٩) على الله يُسَكِّدْهِ ، ومن يَغْفِرْ

- ١٥ (١) العرك : الدلك . ويقال : عرك بحبنة ما كان من صاحبه ، كأنه حكه حتى عفاه .
تصفه بالاحتمال . (٢) أي لأنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لما خرجت له .
(٣) أورث : أشعل وأوقد . وفي بعض الأصول : « أدلس » .
(٤) أكثر ما في هذه الخطبة مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ٢ ص ٢٧) وإعجاز القرآن (ص ١٢٢) .
والذي في سائر الأصول : « التقوى خير زاد » .
٢٠ (٦) كذا في بعض الأصول والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧) . والذي في سائر الأصول : « عزائمها » . (٧) في بعض الأصول : « تحميتها » .
(٨) دبرا ، يروي بالضم والفتح ، وهو آخر أوقات الشيء في الصلاة وغيرها .
والهجر : الترك والإغفال . يريد تركه للذكر وإعراضه عنه .
(٩) يتأل : يقسم . ومن تأل على الله ، أي من حكم عليه تعالى وحلف ، كقول من يقول : والله لينجحن الله سعي فلان . وفي الحديث : ويل للمتأئين من أمي .
يعني الذين يحكمون على الله ويقولون فلان في الجنة وفلان في النار .

يُغْفَرُ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عُنْفِي عَنْهُ . الشَّقِيُّ شَقِيٌّ (١)
فِي بَطْنِ أُمَّهُ . السَّعِيدُ مَنْ وَعُظَ بغيرِهِ . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا . مَلَاكُ الْأُمْرِ خَوَانَتُهُ .
أَحْسَنُ الْهُدَى هَدَى الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى . أَشْرَفُ الْمَوْتِ
الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكِرُهُ .

٥ فطيرة لعنبة بن غزوانه بعد فتح الأندلس :

حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنَّ الدُّنْيَا
قَدْ تَوَلَّتْ وَقَدْ آذَنْتْ أَهْلَهَا مِنْهَا بِصَرْمٍ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُجْبَابَةٌ كُصْبَابَةٌ الْإِنَاءِ
يَصْطَبُّهَا صَاحِبُهَا . أَلَا وَإِنَّكُمْ مُفَارِقُوهَا لَا مَحَالَةَ ، فَمَارِقُوهَا بِأَحْسَنِ مَا يَخْضُرُكُمْ .
أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الْحَجَرَ
الضَّخْمَ يُرْمَى بِهِ فِي شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ،
بَيْنَ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةٌ سِتْمِائَةَ عَامٍ ، وَلِيَأْتِينَ عَلَيْهَا سَاعَةٌ وَلَهَا كَظِيمٌ (٢) بِالزَّحَامِ .
وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ
الْبَشَامِ (٣) ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَوَجَدْتُ أَنَا وَسَعْدٌ (٤) [بِنِ مَالِكِ] تَمْرَةً فَشَقَقْتُهَا
بَيْنِي وَبَيْنَهُ نِصْفَيْنِ ، وَمَا مَنَا أَحَدُ الْيَوْمِ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرٍ . وَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ
نَبْوَةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ (٥) ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا ، وَفِي
أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرًا .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَنْ شَقِيٌّ » .

(٢) كَظِيمٌ ، أَيْ امْتَلَاءٌ . وَانظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ كَظ) فَقَدْ سَيَقَتْ الْعِبَارَةَ هُنَاكَ

فِي ذِكْرِ بَابِ الْجَنَّةِ مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ .

(٣) الْبَشَامُ : شَجَرٌ عَطَّرَ الرَّائِحَةَ يَسْتَاكُ بِهِ .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَالسَّكَمَلُ لابْنِ الْأَثِيرِ (ج ٢

ص ١٨٨) . وَالذِّي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَعِيدٌ » .

(٥) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ نَسَخ) . وَتَنَاسَخَتْ : تَدَاوَلَتْ . يُشِيرُ

إِلَى تَحْوِيلِ الْأُمُورِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَفِي الْبَيَانِ : « تَنَاسَخَتْهَا جَبْرِيَّةٌ » . وَالْجَبْرِيَّةُ :

الْجَبْرُوتُ . يُرِيدُ مَا مِنْ ضَعْفٍ إِلَّا اسْتَحَالَ قُوَّةً وَسَاطِنًا . وَالذِّي فِي سَائِرِ

الْأَصُولِ : « تَنَاسَخَتْهَا » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

خطبة لعمر بن سعيد الأسدي :

لما عقد معاوية ليزيد البيعة قام الناس يخطبون ، فقال لعمر بن سعيد :
 قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد بن
 معاوية أملٌ تأملونه ^(١) ، وأجل تأمنونه ^(٢) ، إن استصفتُم إلى حِمَمِهِ وَسَعَمِكُمْ ، وإن
 احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جَدَعَ قَارِحَ ^(٣) ،
 سُبُوقِ فَسْبَقِ ، ومُوجِدِ فَمَجْدِ ، وقُورِعِ فَقَرَعِ ، فهو خَلْفَ أمير المؤمنين ولا
 خَلْفَ مِنْهُ . فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية ، فأجاس .

وخطبة لعمر بن سعيد بالهيرة :

قال أبو [الفضل] العباس بن الفرّج الرّياشي : حدّثنا ابنُ عائشة قال :
 قدِمَ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميرًا ، فخرج إلى منبر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقعده عليه وعمّض عينيه ، وعليه جبّة خزّ قرمز ، ومُطْرَفَ خَزّ
 قرمز ، وعمامة خزّ قرمز . فجعل أهلُ المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجابًا بها . ففتح
 عينيه فإذا الناسُ ينظرون إليه ، فقال : ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى
 أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ! أغرّكم أنكم فعلتم
 ما فعلتم ففعمونا عنكم ! أما إنه لو أثبتتم بالأولى ما كانت الثانية . أغرّكم أنكم
 قتلتم عثمان فوافقتم نائرتنا ^(٣) منارفيقًا ، قد فني غضبه ، وبقي حلمه ! أغتمموا
 أنفسكم فقد والله ملكناكم بالشباب المُقتبل ، البعيد الأمل ، الطويل الأجل ،
 حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ؛ حلِيمَ حديد ، لِينِ شديد ؛ رقيق كشيْف ،
 رقيق عنيف ؛ حين أشد عظمه ، وأعتدل جسمه ؛ ورمي الدهرَ ببصره ، وأستقبله

٢٠ (١) يشير إلى ما ستكون عليه مدة خلافته من الطول لأنه تولاها شابًا .
 (٢) أي حدث ولكنه كامل مجرب . والجذع ، في الأصل : الفرس في سنته الثانية .
 والقارح : الذي كملت أسنانه ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة .
 (٣) وافقتم : وجدتم . والنائر : الآخذ بالنار .

بأشهره ؛ فهو إن عَضَّ نَهَس^(١) ، وإن سَطَا فَرَس^(٢) ؛ لا يُقَالُ لَهُ اسَاحَى^(٣) ،
ولا تُقَرَعُ لَهُ الْعَصَا^(٤) ، ولا يَمَشِي السَّمَهَى^(٥) . قال : فما بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا ثَلَاثُ
سَنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَصَمَهُ اللَّهُ .

١٩٢
٢

وخطبة لعمر بن الخطاب :

٥ العُتْبِيُّ قَالَ : اسْتَعْمَلَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَهُ عَمْرُو بْنَ
سَعِيدٍ وَالْيَا عَلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ لَمْ يَلْقَهُ قُرَشِيٌّ وَلَا أُمَوِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَارِثُ
ابْنَ تَوْفَلٍ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ : يَا حَارِ ، مَا الَّذِي مَنَعَ قَوْمَكَ أَنْ يَلْقَوْنِي كَمَا لَقَيْتَنِي ؟
قَالَ : مَا مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا اسْتَقْبَلْتَنِي بِهِ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتِ بِلْتَنِي وَلَا أُتَمِّمَتَ
أَسْمِي ، وَإِنَّمَا أَنَهَاكَ عَنِ التَّكْبِيرِ^(٦) عَلَى أَكْفَانِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرْفَعُكَ عَلَيْهِمْ
١٠ وَلَا يَضَعُهُمْ لَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَسَاتَ الْمَوْعِظَةَ وَلَا أَتَهْمُكَ عَلَى النَّصِيحَةِ ، وَإِنَّ
الَّذِي رَأَيْتَ مِنِّي لِخُلُقٍ . فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، مَعْشَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَإِنَّا سَكَنَّاهَا حَقِيبَةً^(٧) ، وَخَرَجْنَا عَنْهَا رَغْبَةً ،
وَكَذَلِكَ كُنَّا إِذَا رُفِعَتْ لَنَا لُهْوَةٌ^(٨) بَعْدَ لُهْوَةٍ أَخَذْنَا أَسْنَانَهَا وَنَزَلْنَا أَعْلَاهَا ؛ ثُمَّ
شَدَخَ^(٩) أَمْرَ بَيْنِ أَمْرَيْنِ ، فَفَقْتَلْنَا وَقُتِلْنَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نُرْزَعُ عَنَّا ، حَتَّى

(١) يقال : نهس اللحم ، إذا أخذه بمقدم أسنانه وبتفغه .

(٢) فرس الفريسة : دق عنقها .

(٣) الفلقة : شدة اضطراب الشيء وتحركه . وقد تقلقل صغار الحصى في الخلاة ونحوها
توم فرسك بأنه قوم أو غيره . يريد أنه حذر لا يحدع .

(٤) أي أنه لا يخطى حتى يذهب إلى خطئه بقرع العصا . يشير إلى المثل : إن العصا قرعت
لدى الحلم .

(٥) السمهى : الباطل والكذب . ويقال : جرى فلان السمهى ، أي جرى إلى غير
أمر يعرفه .

(٦) في بعض الأصول : « التشذر » . والتشذر : التواعد والتهدد . وإن سحت فعله
يريد بها لازم معناها ، فلا يتواعد ولا يتهدد إلا من علا ، ومع العلو يكون الكبر .

(٧) في بعض الأصول : غبطة .

(٨) اللهوة (بالضم والفتح) : العطية . ويريد بها الولاية .

(٩) شدخ ، أي فرق وباعد . والشدخ (في الأصل) : الكسر . وفي بعض الأصول :

« شرح » .

١٥

٢٠

٢٥

شَرِبَ الدَّمُ دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْمَ لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ؛ فَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَأَخْتِيَارَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ وَلَّى أَبُو بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وَفَضْلَهُ ؛ ثُمَّ وَلَّى عُمرَ ، ثُمَّ أُجِيلَتْ قِدَاحُ نَزْعِنِ مِنْ شُعْبٍ ^(١) حَوْلَ نَبْعَةٍ ، فَفَازَ بِحَظِّهَا ^(٢) أَصْلَابُهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضَ قِدَاحِهَا ، ثُمَّ شَدَخَ ^(٣) أَمْرَ بَيْنِ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا عِنَّا حَتَّى شَرِبَ الدَّمُ دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْمَ لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ، وَعَادَ الْحُرَامُ حَلَالًا ، وَأَسْكَتَ كُلُّ ذِي حِسٍّ عَن ضَرْبِ مُهَيَّبٍ ، عَرَاكَ عَرَاكَ ، وَعَسَفَا عَسَفًا ، وَوَحَزَا وَنَهَسَا ، حَتَّى طَابُوا عَن حَقِّنَا نَفْسًا . وَاللَّهُ مَا أَعْطَوْهُ عَن هَوَادَةٍ ، وَلَا رَضُوا فِيهِ بِالْقَضَاءِ ، أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقَّقْنَا غُلْبَنَا عَلَيْهِ ، فَجَزَيْنَا هَذَا بِهَذَا وَهَذَا فِي هَذَا . يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَسُفْهَاءَكُمْ سُفْهَاءَكُمْ ، فَإِنَّ مَعِيَ سَوْطًا نَكَالًا ، وَسَيْفًا وَبَالًا ، وَكُلُّ مَصْبُوبٍ ^(٤) عَلَى أَهْلِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة المؤمن بن فيس :

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصَّهْرَ ، وأشقاؤنا في النَّسَبِ ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو . والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن استشرى ^(٥) شئنا نكم ، [وأبى] حسد صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر :

قام خطيباً فقال : أتقوا الله عباد الله ، فكم مؤمِّلٌ أملاً لا يُبْلَغُهُ ، وجامعٌ مالا لا يأكله ، [وما نَعِر] عما ^(٦) سوف يتركه ؛ ولعله من باطل جمعه ، ومن

- ٢٠ (١) كذا في بعض الأصول . والشعب : الأغصان ؛ الواحد : شعبة . يشير إلى أصحاب الشورى الستة ، شبههم بأغصان النبوة . والذي في سائر الأصول : « شعاب جولة سعة » . وفيها تحريف ظاهر . (٢) في بعض الأصول : « بخطيبها » . (٣) انظر الحاشية رقم ٩ (س ١٣٣) . (٤) في بعض الأصول : « منصوب » . (٥) في بعض الأصول : « استشرى » . (٦) في بعض الأصول : « مما » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان (ج ٢ ص ٧١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٥٥) .

حق مَنَعَهُ . أصابه حراما ، وأورثه عدوًّا حلالا ؛ فأحتمل إضره^(١) ، وباء بوزره ، وورد على ربّه أسفا لهفًا ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذلك هو الخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

خطبة لسراد بن أوس الطائي :

حمد الله وأثنى عليه وقال : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ وَعَدُّ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلَكٌ قَادِرٌ . أَلَا إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحِذَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا إِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحِذَائِهِ فِي النَّارِ . فَاعْمَلُوا مَا عَمِلْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي يَقِينٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضَةٌ أَعْمَالِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَاسْكُمُ .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري :

صعد المنبر يوم الجمعة وهو إلى مكة فذكر الحجاج فأحمد^(٢) طاعته وأثنى عليه خيرًا . فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن إبليس كان مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ مَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبَيْثِهِ مَا خَفِيَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ^(٣) ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَبْتَلَاهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَ يُخْفِيهِ عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ ؛ وَإِنَّ الْحِجَّاجَ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبَيْثِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ فَضِيحَتَهُ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنُوهُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ .

خطبة لمصعب بن الزبير :

قدم العراق فصعد المنبر ثم قال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (طَسِمٌ ، تِلْكَ

(١) الإصر : الذنب . (٢) أحدها : أي عدها محمودة مرضية .

(٣) في بعض الأصول : « عليها » مكان « على ملائكته » .

- آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم إنه كان من المفسدين) — وأشار بيده نحو الشام (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) — وأشار بيده نحو الحجاز — (ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) — وأشار بيده نحو العراق .

خطبة النعمان بن بشير بالكوفة :

- قال : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضميع والثعاب ، أتيا الضب في جحره ، فقالا : أبا حسبل ؛ قال : أحببتكما ؟ قال : جئناك نختمم ؛ قال : في بيته يؤتى الحكم ؛ قالت الضبع : فتحت عيني ؛ قال : فعل النساء فعلت ؛ ١٠
قالت : فلقطت ثمرة ؛ قال : حلوا أجتني ؛ قالت : فأخطفها ثمالة ؛ قال : لنفسه بغي الخير ؛ قالت : فلطمته لطمه ؛ قال : حقاً قضيت ؛ قالت : فلطمني أخرى ، قال : كان حرّاً فانتصر ؛ قالت : فاقض الآن بيننا ؛ قال : حدث امرأة حدِيثين ، فإن آبت فأربع ، أي أسكت^(١) .

خطبة شبيب بن شيبه :

- ١٥ قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعد له^(٢) ، فإن أمرته أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح . قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر . فأما

(١) وروى : فأربع ، بقطع الهزة : أي إن لم تفهم فكرر القول أربع مرات .

(انظر اللسان مادة ربع وجمع الأمثال للبيداني (ج ٢ ص ١٣) .

(٢) كذا في بعض الأصول . والذي في سائر الأصول : «ويستعده» . انظر الحاشية

رقم (٤ و ٥ ص ١٣٨) من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

الأسد الخادر ، فأشبهه منه صَوْلَتَهُ وَمَضَاهُ ؛ وأما البحر الزاخر ، فأشبهه منه جُودَهُ وعِطَاهُ ؛ وأما القَمَرُ الباهر ، فأشبهه منه نُورَهُ وِضْيَاهُ ؛ وأما الرِّبِيعُ الناضر ، فأشبهه منه حُسْنَهُ وبِهَاءَهُ ، ثم نَزَلَ [عن المنبر] وأنشأ يقول :

ومَوْقِفٌ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ أُحْمِي الذَّمَّارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زَلَّتْ وَمَا أَقْبَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرَّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

خطبة لعنبة بن أبي سفياه :

بلغه عن أهل مِصرِ شَيْءٌ فَأَغْضَبَهُ ، فقام فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيدا ، فإن الله فيكم ذبيحا^(١) بعثمان ، أرجو أن يوليئني الله نسك^(٢) . إن الله جمعكم بأمر المؤمنين بعد الفُرقة ، فأعطى كل ذي حق حقه ، وكان والله أذكركم إذا ذكركم بخطئة ، وأصفحكم بعد المقدرة عن حقه ؛ نعمة من الله فيكم ، ومنه^(٣) منه عليكم . وقد بلغنا عنكم نجم قول^(٤) أظهره تقدم عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتن ، وإماتة الشنن ، فأطأكم والله وطأة لا رَمَقَ معها ، حتى تُنسكروا متى ما كنتم تعرفون ، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون ، وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وخطبة لعنبة بن أبي سفياه :

يا حاملي الأَمِّ أنوف رُكبت بين أعين ، إنما قللت أظفاري عنكم ليلين مَسَى إيتاكم ، ومألتكم صلاحكم إذ كان فسادكم راجعا عليكم ، فأما إذ أبيتم إلا الطعن على الولاية ، والتتنقص للسلف ، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطون السَّيِّاط ، فإن حَسَمْتُ داءكم ، وإلا فالسيف من ورائكم . ولست أبخل عليكم

١٩٤
٢

٢٠

(١) في بعض الأصول : « ذبحا » .

(٢) في بعض الأصول : « نعمة » .

بالعقوبة إذا جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مُراجعة الحُسنَى إن صِرتم إلى
التي هي أبرُّ وأتقى (١) .

وخطبة لعنبن بن أبي سفيان :

لما أشتكى شِكَاتَه التي مات فيها تحامل إلى المنبر ، فقال : يا أهلِ مِصر ،
لا غنى عن الربِّ ، ولا مهزَب من ذنب . إنَّه قد تقدَّمت مني إليكم عُقوباتٌ
كُنت أرجو يومئذ الأجرَ فيها ، وأنا أخافُ اليوم الوزرَ منها ، فليتنى لا أكونُ
أخترتُ دُنْيَاي على مَعَادِي ، فأصلحتكم بفسادِي . وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب
إليه فيكم ؛ فقد خِفْتُ ما كنتُ أرجو نفعًا عليه ، ورجوتُ ما كنتُ أخافُ
أغتيالاً (٢) به ، وقد شَقِي مَنْ هلك بين رحمة الله وعقوبته (٣) ، والسلامُ عليكم
سلامٌ من لا ترَوْنه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

١٠

وخطبة لعنبن :

العُتبي : قال سعد القصر (٤) : أحببتُ عنَّا كُتُب معاوية بن أبي سفيان
حتى أزعج أهلُ مِصر بموته ، ثم قدِم علينا كتابه بسلامته ، فصعد عُتبه المنبر
والكتابُ في يده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهلِ مِصر ، قد طالت
مُعابقتنا إياكم بأطراف الرِّماح ، وظُبات السُّيوف ، حتى صرنا شَجِي
في لهواتكم (٥) ما تُسيغه حُلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم .
أخين أشتدَّت عُرَى الحقِّ عليكم عقدا ، وأسترخت عقَد الباطلِ عنكم حَلا ،
أزجتم بالخليفة ، وأردتم تهوين الخِلافة ، وخضتم الحقَّ إلى الباطل ، وأقدم

١٥

(١) انظر السكامل للبرد (ص ٧٨٣ طبعة أوربة) والأمالى (ج ١ ص ٢٤٥)

٢٠

وصبح الأعمش (ج ١ ص ٢١٦) . فيين النصوص خلاف .

(٢) في : « اعتباراً » . يقال : اعتبط الذبيحة ، إذا نحرها من غير علة .

(٣) في بعض الأصول : « وعفوه » .

(٤) كذا في ص والسكامل والمعارف . والذي في سائر الأصول : « القصير » .

(٥) في بعض الأصول : « لهاكم » . وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار

٢٥

(ج ٢ ص ٢٣٩) .

عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ ؛ فَأَرْبَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَيْدَانِكُمْ دُونَ
قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْلَحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ وَنَكَلَكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَّنَ ، وَأَظْهَرُوا خَيْرًا وَإِنْ
أَضْمَرْتُمْ شَرًّا ؛ فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ أَنْ تَوَكَّلَ بِهِ أَسْتَعِينُ .
ثم نزل .

وخطبة لعنبة في الموسم :

سعد القصر^(١) مولى عتبة بن أبي سفيان قال : دَفَعْتُ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ
بِالْمَوْسِمِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَالنَّاسُ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْفِتْنَةِ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ
اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : إِنَّا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يَضَاعَفُ اللَّهُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِينَ الْأَجْرَ ،
وَالْمُسِيئِينَ الْوِزْرَ ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا لَهُ ؛ فَلَا تَمُدُّوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ،
فَإِنَّهَا تَنْقَطِعُ مِنْ دُونِنَا ، وَرُبُّ مُتَمَنَّ ، حَتَّى تُفْهِمَ فِي أَمْنِيَّتِهِ . أَقْبَلُونَا^(٢) مَا قَبَلْنَا الْعَافِيَةَ
فِيكُمْ وَقَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَلَوْ ، فَإِنْ لَوْ قَدْ أَنْعَمْتَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَلَمْ تُرْحَ مَنْ
بَعْدَكُمْ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كَلًّا عَلَى كُلِّ .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، قال : لستُ به ولم تُبْعِدْ ؛
[فقال : يا أخاه ؛ فقال] : سمعتُ فُؤْلَ ؛ فقال : والله لأن تُحَسِّنُوا وَقَدْ أَسَأْنَا خَيْرٌ
لَكُمْ مِنْ أَنْ تُسَيِّئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا ، فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ لَكُمْ فَمَا أَحَقَّكُمْ بِأَسْتِقَامِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لَنَا فَمَا أَحَقَّكُمْ بِمُكَافَأَتِنَا ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْنَةَ يَتَلَقَّاكُمْ
بِالْعُمُومَةِ ، وَيَخْتَصُّ إِلَيْكُمْ بِالْخُؤُولَةِ ، وَقَدْ كَثُرَ عِيَالُهُ ، وَوَطَنُهُ زَمَانُهُ ، [وَبِهِ فَقْرٌ] ،
وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ . فقال عتبة : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَوْنَ عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِفِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومُ بِإِبْطَانِنَا عَنْكَ .

(١) في بعض الأصول هنا : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ ص ١٣٨) .

(٢) في الأمالي (ج ١ ص ٢٣٨) : « فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم » .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان :

سمعده القصر^(١) قال : وَجَّهَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَ أَخِي^(٢) أَبِي الْأَعْوَرِ الشُّلَمِيَّ إِلَى مِصْرَ ، فَمَنَعُوهُ الْخِرَاجَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، قَدْ كُنْتُمْ تَعْتَدُونَ لِبَعْضِ الْمَنَعِ مِنْكُمْ بِبَعْضِ الْجُورِ عَلَيْكُمْ ، فَقَدْ وَليَكُمْ مَنْ يَقُولُ وَيَفْعَلُ ، وَيَفْعَلُ وَيَقُولُ^(٣) ، فَإِنْ رَدَدْتُمْ رَدَّكُمْ بِيَدِهِ ، وَإِنْ اسْتَصْعَبْتُمْ رَدَّكُمْ^(٤) بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ رَجَا فِي الْآخِرِ مَا أَمَّلَ فِي الْأَوَّلِ . إِنَّ الْبَيْعَةَ مُشَاطِعَةٌ^(٥) ، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَالْكَمِّ عَلَيْهِمَا الْعَدْلُ ، فَأَيْنَا غَدْرٌ فَلَا ذِمَّةَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ ، وَاللَّهِ مَا انْطَلَقْتُ بِهَا أَسْنُنْتُهَا حَتَّى عُقِدَتْ عَلَيْهَا قُلُوبُنَا ، وَلَا طَلَبْنَاهَا مِنْكُمْ حَتَّى بَدَلْنَاهَا لَكُمْ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَرَ كَنْ بَشَرٍ . قَالَ : فَنَادَوْهُ^(٦) : سَمْعًا وَطَاعَةً ، فَنَادَاهُمْ . عَدْلًا وَعَدْلًا .

وخطبة لعنبة :

قَدِمَ كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عُتْبَةَ بِمِصْرَ : إِنَّ قَبْلَكَ قَوْمًا يَطْعَنُونَ عَلَى الْوَلَاةِ ، وَيَعْيِبُونَ السَّلْفَ . فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، خَفَّ عَلَى أَسْنُنِكُمْ مَدْحٌ^(٧) الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِجَارِ يَحْمَلُ أَسْفَارًا ، أَنْثَلَهُ حَمْلُهَا ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ عَلَيْهَا^(٨) ، وَإِيْمَ اللَّهُ ، لَا أَدَاوِيكُمْ بِالسَّيْفِ مَا صَلَّحْتُمْ عَلَى السَّوْطِ ، وَلَا أَبْلَغُ بِالسَّوْطِ مَا كَفَفْتَنِي الدَّرَّةَ ، وَلَا أَبْطِءُ عَنِ الْأَوَّلَى مَا لَمْ تُسْرِعُوا إِلَى الْآخِرَى ، فَالْزَمُوا مَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ تَسْتَوْجِبُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْنَا ، وَإِيَّاكُمْ

(١) في بعض الأصول : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ ص ١٣٨) .

(٢) في السكندی : ابن أخت . (٣) أى أنه شجاع لا يخشى عاقبة ما يفعل .

(٤) في بعض الأصول : « ترادكم » .

(٥) كذا في ي . والمشايعة : التباينة . والذي في سائر الأصول : « متباينة » . صوابها : « متباينة » .

(٦) في بعض الأصول : « فتادة » مكان « فنادوه » .

(٧) في الأصول : « صدع » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٩) ،

وأسد الغابة (ج ١٣ ص ٣٦١) .

(٨) في الأصول : « ثقلها » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار وأسد الغابة .

وقال ويقول ، قبل أن يُقال فَعَلَ وَيَفْعَل ، وكونوا خَيْرَ قَوْمٍ سَهْمًا ، فهذا اليوم الذي ليس قبله عِقَاب ، ولا بعده عِتَاب .

خطب الخوارج

خطبة^(١) لقطرى بن الفجاءة في زمم الدنيا :

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة ، وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن
 ٥ تميم ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أهدركم الدنيا ، فإنها حلوة
 خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتَحَبَّبت بالعاجلة ، ونَحِمَّت بالآمال ،
 وتَحَلَّت بالأمانى ، وأزمنت بالغرور ، لا تدوم خضرتها ، ولا تؤمن فجعتها ،
 غدارة ضرارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، لا تعدو إذا هي تنفثت إلى أمنية
 ١٠ أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله عز وجل : (كماء أنزلناه
 من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على
 كل شيء مقيتدرا) . مع أن أسرا لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ،
 ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحتته من ضرائها ظهراً ، ولم تطله منها ديمة
 رخاء ، إلا هطلت عليه مزنة بلاء ؛ وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تُسمى
 ١٥ له خاذلة مُتَنَكِّرة ، وإن جانب منها أعدوذب وأحلولى ، أمر عليه منها جانب
 فأوَّبي ، وإن لبس أسرو من غضارتها ورفاهيتها نعمًا ، أرهقتته من نوائبها غمًا ،

(١) جاءت هذه الخطبة في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٤٢) بين خطب الإمام على
 كرم الله وجهه ، وقال ابن أبي الحديد في التعليق عليها : « وهذه الخطبة ذكرها
 شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواها لقطرى بن الفجاءة ، والناس
 يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبد الله
 المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس
 يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب
 أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي
 قطرى أكثرهم » .

ولم يُمْسِ أَمْرُوْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . غِرَارَةٌ
 غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَإِنَّ مَا عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى ، مَنْ
 أَقَلَّ مِنْهَا أَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ ، وَمَنْ أَسْتَكْثَرَ مِنْهَا ^(١) اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبَقُ . كَمْ وَائِقٌ
 بِهَا قَدْ فَجَعَتَهُ ، وَذَى طُمَأْنِينَةً إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتَهُ ، وَكَمْ مِنْ [ذَى] اخْتِيَالٍ ^(٢) فِيهَا
 قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ [مِنْ] ذَى أَهْبَةٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذَى نَخْوَةٍ فِيهَا قَدْ رَدَّتْهُ
 ذَلِيلًا ، وَذَى تَاجٍ قَدْ كَبَّرَتْهُ لِلْيَدِينِ وَالْفِئَمِ . سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ ،
 وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوْهَا مُرٌّ ، وَغِذَاؤُهَا سَمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ^(٣) ، وَقِطَافُهَا
 سَلَعٌ ^(٤) . حَيْثُهَا بَعْرَضٌ مَوْتٌ ، وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٌ اهْتِضَامٌ .
 مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعِزُّهَا مَغْلُوبٌ ، وَصَحِيحُهَا وَسَلِيمُهَا مَسْكُوبٌ ، وَحَازِئُهَا ^(٥)
 وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ، مَعَ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ وَزَفْرَاتِهِ ، وَهَوْلُ الْمُطْلَعِ ،
 وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ الْحَكْمِ الْعَدْلِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ
 الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَسْتُ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ
 آثَارًا ، وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطْوَلَ عِمَادًا ! تَعَبَّدُوا
 لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا ، وَآثَرُوا أَيْ إِثَارًا ، وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهَلْ
 بَلَّغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَكُمْ نَفْسًا بِيَدِي ، وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمَلْتُمْ
 بِهِ بِمَحْطَبٍ ^(٦) ! بَلْ أَثْقَلْتُمْ ^(٧) بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعَضْتُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَّرْتُمْ
 الْعَسَاخِرَ ، وَأَعَانْتُمْ عَلَيْهِمْ رَبِّبَ الْمَنُونِ ، وَأَرْهَقْتُمْ بِالْمَصَائِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَفَكَّرَهَا
 لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ
 الْأَمَدِ . هَلْ زَوَّدْتُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ، وَأَحْلَلْتُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرْتُمْ لَمْ إِلَّا

١٠ (١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ بَعْدَ قَوْلِهِ « مِنْهَا » : « لَمْ يَدِمْ لَهُ وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ مِنْهُ مَا اسْتَكْثَرَ
 ... الخ » . وَانظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ (ج ٢ ص ٦٣) وَصَبْحَ الْأَعْمَى (ج ١ ص
 ٢٢٣) وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٢٥٠ وَنَهَايَةَ الْأَرْبِ ج ٧ ص ٢٥٠) ، فَبَيْنَ
 النُّصُوصِ خِلَافٌ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَكَمْ مِنْ اخْتِيَالِ بَهَا » .
 (٣) رِمَامٌ : بِالْيَاءِ . (٤) السَّلْعُ : شَجَرٌ مَرٌّ ، وَهُوَ أَيْضًا ضَرْبٌ مِنَ الصَّبْرِ .
 (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَجَارَهَا » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَأَرْهَقْتُمْ » .
 (٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِمَحْطَبٍ بِحِيلَةٍ » .

بالظلمة ، وأَعْقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ! أفهذه تُؤَثِّرُونَ ، أو على هذه تَحْرُصُونَ ، أو إليها تَطْمَئِنُّونَ ! يقول الله تبارك وتعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أولئك الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . فبُنِيت الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا ^(١) ، ولم يكن فيها على وَجَلٍ منها . أَعْلَمُوا ، وَأَتَمَّ تَعْلَمُونَ ، أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لَا بَدَأَ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا نَعَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) فَأَتَعَّظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ] : (أَتُنَبِّئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ) وبالَّذِينَ قَالُوا : (مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً) . وَأَتَعَّظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ ، فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزَلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعُونَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرِّفَافِ جِيرَانٌ ، فَهَمَّ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْفًا . إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ، جَمْعٌ وَهُمْ أَحَادٌ ، جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَنَاءُونَ يُزَارُونَ وَلَا يَزُورُونَ ^(٢) ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْعَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ ^(٣) قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُحْشَى فِجْعُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) . أَسْتَبَدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْآلِ غُرْبَةً ، وَبِالْثَوْرِ ظُلْمَةً ، فَجَاءَهَا حُمَاةٌ عُرَاةٌ فُرَادَى ، غَيْرَ أَنْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، إِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ . يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) . فَأُحْذَرُوا مَا حَذَرَكَمُ اللَّهُ ، وَأَنْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ ، ثُمَّ نَزَلَ .

(١) في بعض الأصول : « لمن يتهمها » .

(٢) في بعض الأصول : « لا يزرون ولا يزورون » .

(٣) في بعض الأصول : « جناء » .

خطبة لأبي حمزة بمكة :

خطبهم أبو حمزة الشاربي بمكة . فصعد المنبر متوكئاً على قوس عربية ،
فخطب خطبة طويلة ، ثم قال : يا أهل مكة ، تعيرونني بأصحابي ، تزعمون أنهم
شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ! نعم الشباب
مكتهلين ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أزرلهم . قد نظر الله
إليهم في آناء الليل مُنثنية أصلابهم بمثنى القرآن ، إذا مرّ أحدكم بآية فيها ذكر
الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شقق شهقة كأن زفير جهنم
في أذنيه . قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عبادة ، قد أكلت
الأرض جباههم وأيديهم ورؤسهم . مضفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، من
كثرة العييام ، وطول القيام ، مستقلون لذلك في جنب الله ، موفون بعهد الله ،
مستنجزون لوعده الله . إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ، ورماحه قد أشرعت ،
وسيوفه قد أنتضيت ، وترقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ، أستهانوا
بوعيد الكتيبة لوعده الله ، فمضى الشاب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على
عنق فرسه ، قد رمت^(١) محاسن وجهه بالدماء ، وعقر جبينه بالثرى ، وأسرع
إليه سباع الأرض ، وأنحطت عليه طير السماء . فكم من مقلّة في منقار طائر ،
طلما بكى صاحبها من خشية الله ؛ وكم من كفّ بانت عن مِعصمها ، طالما
أعتمد عليها صاحبها في سُجوده ؛ وكم من خدّ عتيق ، وجبين رقيق ، قد فلق
بعمد الحديد . رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها في الجنان . ثم
قال : الناس مئاً ونحن منهم إلا عابد وثن ، أو كفرة أهل الكتاب ، أو إماماً
جائراً ، أو شاداً على عضده^(٢) .

٢٠

وخطبة لأبي حمزة بالمدينة :

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شكك فيها المستبصر

(١) رمت : لطخت ، بالبناء للمجهول فيها .

(٢) أى معينا لهذا الحاكم الجائر . يقال : شد فلان على يد فلان ، أى قواه وأعانه .

وردت المرتاب ، قال : أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله ، وتصغير ما عظمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ، فالطاعة لله ^(١) ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لخلق في معصية الخالق . ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، ووضع الأخراس في مواضعها التي أمر الله بها . وإنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لعبا ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قد نبيل منا ؛ ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الأعداء في الدين ، ومحل بالهوى ، وعطلت الأحكام ، وقتل القائم بالتوسط ، وعذف القائل بالحق ، وسمعنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ^(٢) ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا . يأهل المدينة ، أولئكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أطعمتم قراءكم وفقهاءكم فأختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وأنتم حال المبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون . يأهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ، ما أضح أضلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدنيا فأذلتكم ، والأمانى فأضلتكم ، ففتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتمتموه ، سراع إلى الفتننة ، بطاء عن السنة ،

(١) في بعض الأصول : « للعباد » . وهو تحريف . وانظر الطبرى والأغانى (ج ٢٠ ص ١٠٤) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٥٨) فينبى النصوص خلاف .

(٢) زيد في بعض الأصول : بعد قوله « الله » كلمة « الآية » . يريد قوله تعالى :

(ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) .

نُحْمَى عَنْ الْبُرْهَانِ ، صُمُّ عَنْ الْعِرْفَانِ ، عَمِيدُ الطَّمَعِ ، خُلَفَاءُ الْجَزَعِ . نِعْمَ
 مَا وَرَثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبئس ما تُوَرِّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نصرَ
 الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل . كان عدد آباءكم قليلاً طَيِّباً ، وعددكم
 كثيرٌ خبيثٌ . أتبعتم الهوى فأزداكم ، واللهو فأسأهاكم ، ومواعظُ القرآن
 تزجركم فلا تزُدُّجرون ، وتُعبِّرُكم فلا تَعْتَبِرُونَ . سألناكم عن وُلَاتِكُمْ هؤُلاءِ
 فقلتم : والله ما فيهم الذي يَعْدُلُ^(١) ، أخذوا المال من غير حِلِّهِ فوضعوه في غير حَقِّهِ ،
 وجاروا في الحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ، وأسأثروا بِغَيْبِنَا فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً
 بين الأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، وجعلوا مَقَاسِمَنَا وَحَقُوقَنَا فِي مَهْجُورِ النِّسَاءِ ، وفُوجِ الإِمَاءِ .
 وقلنا لكم تعالوا إلى هؤُلاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا
 بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ؛ فقلتم لا نَقْوَى على ذلك ، وَوَدِدْنَا أَنَا أَصْبِنَا مَنْ يَكْفِينَا ؛ فقلنا :
 ١٠ نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ، ثم الله راعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنْ ظَفَرْنَا لَنُعْطِيَنَّ كُلَّ دِي حَقِّهِ .
 ١٩٨
 ٢ فَجَبَّحْنَا فَأَتَقِينَا الرَّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَالسُّيُوفَ بِوُجُوهِنَا ، فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ ،
 فَقَاتَلْتُمُونَا ، فَأَبْعَدَكُمْ اللهُ ! فوالله لو قلتم لا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُ لَسَكَانَ
 أَعْذَرَ ، مع أنه لا عُدْرَةَ لِلْجَاهِلِ ؛ وَلَكِنْ أَبِي اللهُ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى
 أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذْكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ . ثم قال : النَّاسُ مَتَانٌ وَمَنْ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :
 ١٥ حَاكِمًا جَاءَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ، أَوْ مُتَّبِعًا لَهُ ، أَوْ رَاضِيًا بِعَمَلِهِ .

أسقطنا من هذه الخطبة ما كان من طَعْنِهِ عَلَى الْخُلَفَاءِ ؛ فَإِنَّهُ طَعَنَ فِيهَا عَلَى
 عِثْمَانَ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانِ اللهِ عَلَيْهِمَا ، وَعَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . ولم يترك
 من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفر من بعدهما ، فلعنهُ اللهُ عَلَيْهِ . إلا أنه
 ذكر من الخلفاء رجلاً أصغى إلى الملامى والمعازف ، وأضاع أمر الرعيّة ، فقال :
 ٢٠ كان فلان بن فلان^(٢) من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مُضَيِّعٌ لِلدِّينِ

(١) في بعض الأصول : « يعلم » .

(٢) هو يزيد بن عبد الملك . وكان خلیع بنی أمیة . (انظر الفخری ص ١١٧ والأغانی

والدنيا . أشترى له بُرْدَيْنِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، أُنزَرَ بِأَحَدِهِمَا وَالتَّحَفَ بِالْآخَرِ ، وَأَقْعَدَ حَبَابَةَ عَنِ يَمِينِهِ وَسَلَامَةَ عَنِ يَسَارِهِ ، فَقَالَ : يَا حَبَابَةَ غَنِّينِي وَيَا سَلَامَةَ اسْقِينِي ، فَإِذَا أَمْتَلَأْتُ سَكْرًا أَوْ أُرْزِهِي طَرَّ بِأَشَقِّ نَوْبِيهِ وَقَالَ : أَلَا أُطِيرُ؟ فَطُيِّرَ إِلَى النَّارِ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ . فَهَذِهِ صِفَةُ خَلْفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى !

وخطبة لأبي صمزة :

أما بعد ، فإنك في ناشئ فِتْنَةٍ ، وَقَامَ (١) ضَلَالَةٌ ، قَدْ طَالَ جُنُومُهَا ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْكَ هُمُومُهَا ، وَتَلَوَّتْ (٢) مَصَائِدَ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْهَا وَمَا نَصَبَ مِنَ الشَّرِّكَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهَا . فَلَنْ يَهْتَدِيَ عَمُودَهَا ، وَلَنْ يَنْزِعَ أَوْتَادَهَا ، إِلَّا الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ الْأَشْيَاءِ ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ بَقَايَا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَتَحَيَّرُوا فِي ظَلَمِهَا ، وَلَمْ يُشَايِعُوا أَهْلَهَا عَلَى شُبُهَاهَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَزْهَوُ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ بِحُجُجِ السِّكِّتِ تَنْطِقُ ، رَكَبُوا مَنَهْجَ السَّبِيلِ ، وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ . هُمُ خُصْمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِهِمْ يُصْلِحُ اللَّهُ الْبِلَادَ ، وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ . طُوبَى لَهُمْ وَالْمُسْتَصْبِحِينَ بِنُورِهِمْ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ .

من أرتج عليه في خطبته

عنات ويزيد وثابت قطنة

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إن أول كل مرّة كب صعب ، وإن أعش تاتكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا إن شاء الله . ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام واليا عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ، فعاد إلى حمد الله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد ، ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل الشام ، عسى الله أن يجعل بعد عسر يسرا ، وبعد عسر بيانا ، وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل ، ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فأستحسنه . صعد ثابت قطنة منبر سجستان ، فقال :

(١) في بعض الأصول : « وقائد » .

(٢) في بعض الأصول : « تلونت » .

الحمد لله، ثم أرتج عليه، فنزل وهو يقول:

فَإِنْ لَا أَسْكُنُ فِيهِمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيَى لَخَطِيبُ

فقيل له: لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس.

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَلِيَ فَحَصِرَ، فقال: أيها الناس، إني كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فحجبت عنه، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، كما قال في كتابه، وأنتم إلى إمام عدل أحوج منكم إلى إمام خطيب، وإني أمركم بما أمر الله به ورسوله، وأنهاكم عما نهاكم الله ورسوله، وأستغفر الله لي ولكم. وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر: فأرتج عليه، فمكث مليا لا يتكلم، ثم تهيأ له [الكلام] فتكلم فقال: أما بعد، فإن هذا الكلام يجي أحيانا، ويعزب أحيانا، فيسمح عند مجيئه سببه، ويعز عند عزوبه طلبه، ولربما كوبر فأبي، وعولج فنأى، فالتأني لجيئه خير من التعاطي لأبيه، وتره كه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره، وقد يرتج على البليغ لسانه، ويختلج من الجري جنانه، وسأعود فأقول إن شاء الله.

معاوية وخالد
القسري

١٩٩
٣

صعد أبو العنابس منبرا من منابر الطائف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فأرتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا؛ قال: ١٥

فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم، ثم نزل. فلما كان في الجمعة الثانية صعد

للمنبر وقال: أما بعد، فأرتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟

قالوا: نعم؛ قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم، ثم نزل. فلما كانت

الجمعة الثالثة قال: أما بعد، فأرتج عليه، قال: أتدرون ما أريد أن أقول

لكم؟ قالوا: بعضنا يدرى وبعضنا لا يدرى؛ قال: فليخبر الذي يدرى منكم ٢٠

الذي لا يدرى، ثم نزل. وأتى رجل من بني هاشم اليمامة، فلما صعد المنبر

أرتج عليه، فقال: حيا الله هذه الوجوه وجعلني فداها، قد أمرت طائفي بالليل

أن لا يرى أحدا إلا أتاني به، وإن كنت أنا هو، ثم نزل.

أبو العنابس
ورجل من بني
هاشم

وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام المذوبة لفظه وبلاغة منقطه ، فبينما هو يخطب يوما إذا وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سُبْحَانَ مَنْ الْجَرَادُ مِنْ خَلْقِهِ ، أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا وَطَرَفَهَا وَجَنَاحَهَا^(١) ، وَسَلَطَهَا عَلَى مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا . خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بِالْبَصْرَةِ فِي يَوْمٍ أُصْحَى ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْئِمًا ، مَنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ الشُّوقِ فَهِيَ لَهُ وَثَمَنُهَا عَلَى .^(٢) قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : عَجَّلْ عَلَيْكَ الْمَشِيبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجَّلُ وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

خالد بن عبد الله
وعبد الله بن
عامر وعبد الملك

خطب النكاح

خطبة نطاح :

١٠

خَطَبَ عَثْمَانُ بْنُ عَنبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عُمْتَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَتَهُ . فَأَقْعَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، وَكَانَ حَدَّثًا ، فَقَالَ : أَقْرَبُ قَرِيبٍ خَطَبَ أَحَبِّ حَبِيبٍ ، لَا أَسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ إِسْعَافِهِ بُدًّا ، قَدْ زَوَّجْتِكِهَا وَأَنْتِ أَعْرُؤُ عَلَى مِنْهَا ، وَهِيَ الصَّوْقُ بِلِقَابِي مِنْكَ ، فَأَكْرِمِهَا يَعْذُوبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهِنْهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ قَرَّبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِدْ قَابِي مِنْ قَلْبِكَ .

لعنتبة بن أبي
سفيان

١٥

وخطبة نطاح :

الْعُتْبِيُّ قَالَ : زَوَّجَ شَيْبَةَ ابْنَةَ سَوَّارِ الْقَاضِي ، فَقُلْنَا : الْيَوْمَ يُعْبِ عُبَابَهُ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ، تَكَلَّمَ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مَنَا وَمِنْكُمْ وَبِنَا وَبِكُمْ تَمَنَعْنَا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانَا ذَكَرَ فَلَانَةَ .

لسوار القاضي

٢٠

(١) هذا الخبر غريب عن عنوان هذا الباب .

(٢) في بعض الأصول : « جناحها » .

وهظبة نطاح :

للحسن البصرى العُتبي قال : كان الحسن البصرى يقول في خطبة الفساح بعد الحمد لله والثناء عليه : أما بعد ، فإن الله جمع بهذا الفساح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا ، فأستخبروا الله وردوا خيراً يرحمكم الله .

وهظبة نطاح :

لابن الفقير العُتبي قال : حضرت ابن القُثير^(١) خطب على نفسه امرأة من باهة فقال : وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تدمم وتمدح وإن فلانة ذكرت لي .

وهظبة نطاح :

لعمر بن عبد العزيز العُتبي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، والمخطوب إليه تقصيره . فخطب محمد بن الوليد إلى عمر بن العزيز أخته ، فتكلم محمد بكلام طويل . فأجابه عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد ، فإن الرغبة منك دعوتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته ، وأختارك ولم يخترع عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان .

وهظبة نطاح :

لبلال ولعمر بن عبد العزيز العُتبي قال : أنا بلال وهذا أخى : كنا ضالين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعان الله .

(١) لعله من ولد عبدالله بن مسلم أخى قتيبة . (انظر النقااض ج ٣ ص ١٥٥ طبعة أوربة).

وقال عبدُ الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوّجك أميرُ المؤمنين أبنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطيّة ، وكفّيت المسألة .

نظام العبر :

٥ الأصمعيّ قال : زوّج خالدُ بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس وخطبت ! قال : أدهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، فقال : إن الله أعظم وأجلُّ من أن يُذكر في نكاح هذين السكّابين ، وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

١٠ الأصمعيّ قال : خطبَ أعرابيّ فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممرّ ، والآخرة دار مقرّ ، فخذوا من ممرِّكم لمقرِّكم ، ولا تهتّبوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حَيِّتيم ، وغيورها خُلقتم ؛ اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل . إن الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ فقدّموا بعضاً ، يكون لكم قرصاً ، ولا تتزكوا كلاً ، فيكون عليكم كلاً .

١٥ أقول قولي هذا والحمد لله ، والمصلّي عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر ، قوموا إلى صلاتكم .

وخطبة لأعرابي :

٢٠ الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعقّق في أرتجال الخطب أممّكن ، والكلام لا يثنى حتى يُثنى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُدرك واصفٌ كنهه صِفته ، ولا يبلغ خطيبٌ مُنتهى مدّحته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فأنهضوا إلى صلاتكم ، ثم نزل فصلّي .

لأعرابي

خطبة أعرابي لقومه :

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء . ما أقبح بمثلي
أن ينهى عن أمر ويرتسكبه ، ويأمر بشيء ويحْتَنِبُه ، وقد قال الأول :
وَدَعَّ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تَلُومُ
أَلْهَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ ^(١) .

لأعرابي يعظ
قومه

وفي الأم زيادة من غير أصلها ، فأوردتها كهيتها ، وهي خطبة لعلي
كرم الله وجهه أوردت في هذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم عيد الفطر ^(٢) :

جاء رجل إلى علي كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لَنَا رَبَّنَا
لنزداد له حُبَّةً ، وبه معرفة . فغضب علي كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة

خطبة لعلي بن
أبي طالب يصف
الرب

جامعة . فأجتمع الناس إليه حتى غصَّ المسجد بأهله ، ثم صعد المنبر وهو
مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرٌ اللَّوْنُ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يعزّه المنع ، ولا يكديه
الإعطاء ، بل كلُّ مُعْطٍ يَنْقُصُ سِوَاهُ ، هُوَ الْمَتَّانُ بِفِرَائِدِ ^(٣) النَّعْمِ ، وَعَوَائِدِ

الْمَرْيَدِ ، وَبِحُجُودِهِ ضَمِنَتْ عِيَالَهُ ^(٤) الْخَلْقِ ، وَنَهَجَ سَبِيلُ الطَّلَبِ لِلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ .
وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه

حال ، ولو وهب ما أنشقت عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ،

(١) في أ بعد هذا : « تم الجزء السادس والعشرون من كتاب العقد ، وهو الوسطة
في الخطب من تجزئة خمسين جزء بحمد الله وعونه وتوفيقه . يتلوه في الجزء
السابع والعشرين المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتب .
وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وفي ي : « صلى الله على محمد وآله والحمد لله رب
العالمين . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الأول من كتاب المجنبة الثانية وحسبنا الله
ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

(٢) في ي : « وجدت في بعض النسخ خطبة لعلي عليه السلام أوردت في الجزء الأول
من هذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم الفطر فألحقها ها هنا وهي . وقد أغفلتها
أ ولم تذكرها كما لم تذكر أي إشارة إليها .

(٣) في بعض الأصول : « بفوائد » .
(٤) عال الخلق عيالة . كفاهم ومانهم وقاتهم . وفي بعض الأصول : « ضمن ... الخ » .

من فَلَذَّ اللَّجِينِ ، وسبائك العِقيانِ ، وشَذُرُ^(١) الدُّرِّ ، وحَصِيدَ المَرْجَانِ ،
لبعض عباده ، ما أثر ذلك في ملكه ولا في جُوده ، ولا أنفد ذلك سَعَةً ما عنده .
فَعِنْدَهُ^(٢) من الأفضال ما لا يُنْفِده مَطْلَبٌ وسؤال^(٣) ، ولا يَخْطُرُ لِكَمٍ على
بال ؛ لأنه الجوادُ الذي لا تَنقُصه المواهبُ ، ولا يُيرمه إلحاحُ المُلحِّين بالخواجِجِ ،
إنما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون . فما ظنُّكم بمن هو هكذا ولا
هكذا غيرُهُ ؟ سبحانهُ وبِحَمْدِهِ ! أيها السائل ، أَعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل
أحدًا بمدى ، فإنني أ كُفَيْك مؤونة الطَّلَبِ ، وشِدَّة التعمُّق في المَذْهَبِ .
وكيف يُوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عَجَزت عنه الملائكة ، على قُربهم
من كُرسى كرامته ، وطُول وَلَهْمِهِ إليه ، وَتَعْظِيمِهِم جلالَ عِزَّتِهِ ، وقُربهم من
غَيْبِ مَلَكُوتِهِ ، أن يَعْلَمُوا من عِلْمِهِ إلا ما عَلِمَهُم ، وهم من مَلَكُوتِ العرشِ
بِحَيْثُ هم ، ومن مَعْرِفَتِهِ على ما فَطَرَهُم عليه ، فقالوا : سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلا
ما عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنْتَ العليمُ الحَكِيمُ . فمدح الله أَعترافهم بالعَجْزِ عما لم يُحِيطُوا به
عِلْمًا ، وَسَمَّى تَرْكَهُم التعمُّق فيما لم يُكَلِّفَهُم البَحْثَ عنه رُسُوخًا . فأَقْتَصِرُ على
هذا ، ولا تَقْدِرُ عِظَمَةُ الله على قَدْرِ عَقْلِكَ ، فتكون من الهالِكِينَ . وأَعلمُ أن
الله الذي لم يَحْدُثْ فِيمَكِنْ فيه التَغْيِيرُ والأَنْتِقَالُ ، ولم يَتَغَيَّرْ في ذاته بِمَرُورِ
الأحوالِ ، ولم يَخْتَلَفْ عليه تَعاقِبُ الأَيَّامِ والليالِ ، هو الذي خلق الخلقَ على
غيرِ مِثَالِ أَمْتَلِهِ ، ولا مِقْدَارِ أَحْتِذِي عليه مِن خالِقٍ كان قبَلَهُ ؛ بل أَرانا من
مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وعجائبِ رُبُوبِيَّتِهِ ، مما نَطَقَتْ به آثارُ حِكْمَتِهِ ، وأَضْطَرَّارِ
الحاجة من الخلقِ إلى أن يُفَهِّمَهُم مَبْلَغَ قُوَّتِهِ^(٤) ، ما دَلَّنا بقيامِ الحُجَّةِ له بذلك
علينا على مَعْرِفَتِهِ . ولم تُحِطْ به الصِّفَاتُ بإدراكها إِيَّاهِ بالحدودِ مُتَنَاهِيًا ، وما

(١) في بعض الأصول : « شاره »

(٢) في بعض الأصول : « ولـ كان عنده » مكان « فعنده » .

(٣) في بعض الأصول : « السؤال » .

(٤) في بعض الأصول « تقويته » .

زال ، إذ هو الله الذي ليس كمثل شئ ، عن صفة المخلوقين مُتعالياً ، أنحسرت
العُيون عن أن تَنالَه ، فيكون بالعيان مَوْصُوفاً ، وبالذات التي لا يَعلمها إلا هو
عند خَلْقِه مَعْرُوفاً . وفات لعلوّه عن الأشياء مَوَاقِعَ وَهَمِ الْمُتَوَهِّمِينَ ، وليس له
مِثْلٌ فيكون بالخلق مُشَبَّهًا ، وما زال عند أهل المَعْرِفَةِ به عن الأشباه والأنداد
منزَّهاً . وكيف يكون من لا يُقَدِّرُ قَدْرَه مُقَدَّرًا في روايات الأوهام ، وقد
صَلَّتْ في إدراك كَيْفِيَّتِه حواسُ الأنام ؛ لأنه أَجَلٌ من أن تَحُدَّهُ ألبابُ البَشَرِ
بِنَظِيرِ . فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين ، وسُبْحانَه وتعالى عن إفك الجاهلين .
ألا وإن لله ملائكةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ، لو أن مَلَكَ هَبَطَ مِنْهُمْ إلى الأَرْضِ
لَمَّا سَمِعْتَهُ ، لِعَظَمِ خَلْقِهِ وَكَثْرَةِ أَجْنَحَتِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ سَدَّ الْآفَاقَ بِجَنَاحِ
مِنْ أَجْنَحَتِهِ دُونَ سَائِرِ بَدَنِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ السَّمَوَاتُ إِلَى حُجْرَتِهِ ^(١)
وَسَائِرُ بَدَنِهِ فِي جِزْمٍ ^(٢) الْهَوَاءِ الْأَسْفَلَ ، وَالْأَرْضُونَ إِلَى رُكْبَتِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ
مَنْ لَوْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ مَا وَصَفُوهُ ، لُبَمَدٍ مَا بَيْنَ مَفَاصِلِهِ ،
وَلِحَسَنِ تَرْكِيبِ صُورَتِهِ ؛ وَكَيْفَ يُوصَفُ مَنْ سَبَّعُمَاةَ عَامٍ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ مَنَسْكِبِيهِ
إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِيهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ لَوْ أَتَيْتِ الشُّفْنَ فِي دُمُوعِ عَيْنِيهِ لَجَرَّتْ
دَهْرَ الدَّاهِرِينَ . فَأَيْنَ أَيْنَ بِأَحَدِكُمْ ! وَأَيْنَ أَيْنَ [أَنْ] يَدْرِكُ مَا لَا يَدْرِكُ ^(٣) !

(١) الحجة : مشد الإزار .

(٢) في بعض الأصول : « في جزء » .

(٣) جاء في بعض الأصول بعد الفراغ من هذه الخطبة : « ثم الإلحاق . وهو خطبة

على كرم الله وجهه » .

(١) فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولنا في الخطب تمهيد المؤلف
 وفضائلها ، وذكر طولها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله ٢٠٢
 وتوقيعه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب ٥
 وفضل الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسناً ، وأرفعه قدراً ، وأعظمه
 من القلوب موقماً ، وأقله على اللسان عملاً ، ما دلّ بعضه على كله ، وكفى قائله
 عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ؛ وذلك أن تقلّ حروفه ، وتكثر
 معانيه . ومنه قولهم : ربّ إشارة أبلغ من لفظ . ليس أن الإشارة تبين
 ما لا يُبينه الكلام ، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ، ولستها إذا قامت مقام
 اللفظ ، وسدت مسدّ الكلام ، كانت أبلغ ، لقلة مؤنتها وخفة مجملها (٢) .

قال أبرويز لكتابه : أجمع الكثير مما تريد من المعنى (٣) ، في القليل
 مما تقول . يحضه على الإيجاز وينهاه عن الإكثار في كتبه . ألا تراهم كيف
 طعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من
 الإسهاب ! قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المسهب (٤) الذي يتخلل بلسانه يتخلل
 الباقر (٥) ، ويشول به شولان الروق (٦) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

لأبرويز ثم
 اصحابي ثم للنبي
 صلى الله عليه
 وسلم في عيب
 الإكثار

(١) في قبال هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وأصحابه » . وقيل هذا : « تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو
 كتاب الحجة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب » .

(٢) في بعض الأصول : « لطف مؤنتها وقلة عملها » .

(٣) في بعض الأصول : « اللفظ » .

(٤) المسهب ، بفتح الهاء وكسرهما ، وأنكر بعضهم الكسر . وقيل : المسهب
 (بالفتح) : الذي يكثر الكلام في الخطأ . فإن كان في صواب فهو بالكسر .

(٥) الباقر : جماعة البقر . (٦) الروق : القرن والرمح .

أبغضكم إلى الثرثارون المتشدقون . يريد أهل الإكثار والتّعير في الكلام .
 ولم أجد أحداً من السلف يذم الإيجاز ويقدم فيه ويعيبه ويظن عليه .
 وتُحب العرب التخفيف والحذف ، وإهزبها من التثقيب والتطويل كان قصرُ
 الممدود أحبَّ إليها من مدِّ المَقصور ، وتَسكينُ المُتحرِّك أخفَّ عليها من
 تحريك الساكن ، لأنَّ الحركة عملٌ والشُّكون راحة . وفي كلام العرب
 الاختصارُ والإطناب ، والاختصار عندهم أحمد في الجملة ، وإن كان للإطناب
 مَوْضع لا يصلح إلا له . وقد توميُّ إلى الشيء قَدَسْتغنى عن التفسير بالإيماء ،
 كما قالوا : لَمحةٌ دالَّةٌ .

العرب والإيجاز

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضَمرة الجَرُوري كتاباً ، فنظر فيه جعفر بن
 يحيى فوقع في ظهره : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز مُقَصِّراً ، وإذا كان
 الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً . وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده
 بسلام أسود ، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلجأه ويُعَنِّفه ، فكتب
 وأكثر ، فاستنقل ذلك مروان ، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله : أما إنك لو
 علمت عدداً أقلَّ من واحد ولوناً شراً من أسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى
 فأكثر وأعجبه إكثاره ، فألتمت إلى أعرابي إلى جنبه ، فقال له : ما تعدون
 البلاغة عندكم يا أعرابي ؟ قال له : حذف الكلام ، وإيجاز الصواب . قال :
 فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذُ اليوم . فكانما ألقمه حجراً .

لجعفر على كتاب
 لابن مسعدة ثم
 مروان على كتاب
 قائد له ثم بين
 ربيعة الرأي
 وأعرابي

أول من وضع الكتابة

أول من وضع الخطَّ العربيَّ والسريانيَّ وسائر السُّكُتب آدمُ صلى الله عليه
 وسلم قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبه في الطين ثم طبخه ، فلما انقضى ما كان
 أصاب الأرض من الفرق وجد كلُّ قوم كتابهم ، فكتبوا به^(٢) . فكان

آدم عليه السلام

(١) في الأصول : « فلما كان ما أصاب » . وما أثبتنا عن الوزراء والكتاب

للجهشيارى (ص ١ طبعة الحلبي) . (٢) ذكر ابن النديم في الفهرست هذا

الكلام عن كعب ، وقال : « وأنا أبرأ إلى الله من قوله » .

إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب .

إدريس عليه السلام

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وإكان أول من نطق بها ،

قوم من الجيلة الآخرة

فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمر بن شبة بأسانيده : أن أول من وضع الخط العربي : أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ، هم قوم من الجيلة الآخرة ، وكانوا نزولاً عند عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس . وحكي أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسَمَّوها الروادف ، وهي : التاء والتاء ، والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحق في حروف الجمل . وعنه أن أول من وضع الخط

٢٠٣
٧

بنو إسماعيل

نقيس^(١) ونصر^(٢) وتيا^(٣) ، بنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه مُتَّصِل الحروف بعضها ببعض ، حتى فرقه نبت وهميسع وقيدر . وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طيء^(٤) اجتمعوا ببقعة^(٥) ، وهم : مُرامِر بن مُرة وأسلم بن سِدرة وعامر بن جدرة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ،

١٠

نفر من طيء

فتعلمه قوم من الأنبار . وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة^(٦) عشر إنساناً ، وهم : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومُعر بن الخطاب ، وطالحة بن عبيد الله ، وعثمان ، [وأبو عبيدة بن الجراح ، و] أبان بن سعيد بن

١٥

الكتاب أول الإسلام

(١) كذا في بعض الأصول وصحيح الأعشى (ج ١ ص ٩) طبعة دار الكتب ، وفهرست ابن النديم (ص ٥) ، والذي في سائر الأصول : « بصر » .

(٢) كذا في الأصول وصحيح الأعشى . والذي في الفهرست : « نصر » .

(٣) في بعض الأصول : « وانبا » وما أثبتنا عن سائر الأصول والإصابة وصحيح الأعشى والفهرست ، وروى : « طيا » كما في السيرة ، و « طيا » كما في الطبري . وقد زاد ابن النديم على هؤلاء : « دومة » .

(٤) كذا في الأصول والمزهر ، والذي في صحيح الأعشى (ج ٢ ص ٤٢١) : « بولان » ، وهو بولان بن عمرو بن العوث بن طيء .

(٥) في فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٧١) : « بيقة » .

(٦) كذا في بعض الأصول وفتوح البلدان . والذي في سائر الأصول : « بضعة » .

٢٠

٢٥

[العاص ، و [خالد بن [سعيد أخوه ، وأبو [حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ^(١) ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد ^(٢) ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت بن مخزومة .

استفتاح الكتب

- إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها : (بسم الله بجزاها ومزساها) ، فكتب : بسم الله ؛ ثم نزلت سورة بنى إسرائيل : (قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن) ، فكتب : بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت سورة النمل : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) ، فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمرائه جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان . وكذلك كانوا يكتبون إليه ، يبدؤون بأنفسهم ، فممن كتب إليه وبدأ بنفسه : أبو بكر والعلاء بن الحضرمي وغيرهما ، وكذلك كتب الصحابة والتابعين ، ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بعضهم بعضا ، فبجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم .

لإبراهيم الشيباني
في معنى هذا
العنوان

ختم الكتاب وعنوانه

- وأما ختم الكتاب وعنوانه : فإن الكتب لم تزل مشهورة ^(٣) ، غير معنونة

سبب ختم الكتاب
وعنوانها

- (١) هؤلاء نفر الستة عشر من قريش ، أما العلاء هذا فكان من خلفاء قريش .
(٢) كذا في سياتي من هذا الجزء عند الكلام على الخلفاء . وهو أبو سلمة عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي ، وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة . (وانظر الإصابة) ، والذي في الأصول هنا : « أبو سلمة بن عبد الأشهل » وهو تحريف . وانظر البلاذري .

- (٤) أي مشهورة يقرأ ما فيها من غير أن يفض ختمها .

ولا محتومة ، حتى كتبت صحيفة المتأسس ، فلما قرأها ختمت [الكتب] وعُنونت .
وكان يُؤتى بالكتاب فيقال : مَنْ عُنِيَ بِهِ ، فَسُمِّيَ عُنْوَانًا .

شعر لحسان
في قتل عثمان

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطَّعُ اللَّيْلَ تَسْمِيحًا وَقُرْآنًا

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وحاجةٍ دون أخرى قد سمَّختُ بها جماعتها للذي أحبيتُ عنوانًا

لبعض أهل
التفسير

وقال أهلُ التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا) أَي

مُخْتَموم ، إِذْ كَانَتْ كِرَامَةَ الْكِتَابِ خَتْمَهُ .

تأريخ الكتاب

سبب تأريخ
الكتاب
وطريقة ذلك

١٠ لا بد من تأريخ الكتاب ، لأنه لا يُدَلَّ على تحقيق الأخبار وقرب عهد
الكتاب وبعده إلا بالتأريخ . فإذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر إلى ما مضى
من الشهر وما بقي منه ، فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر ، كتبت :
لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف ،
جعلت مكان : مضت ، بقيت . وقد قال بعضُ الكتَّاب : لا تكتب إذا
أرخت إلا بما مضى من الشهر ، لأنه معروف ، وما بقي منه مجهول ؛ لأنك
لا تدري أيتم الشهر أم لا .

سحابة الكتاب
وما جرى بين
ابن طاهر وبعض
مماله

٢٠ ولا تجعل سحابة^(١) كتابك غليظة ، إلا في كتب العهود والسجلات التي
يحتاج إلى بقاء خواتيمها وطوابعها ؛ فإنَّ عبد الله بن طاهر كتب إليه بعضُ
عماله على العراق كتابًا ، وجعل سحابه^(١) غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب
إليه ، فلما ورد عليه ، قال عبدُ الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فأقطع
ختم كتابك ثم أرجع إلى عمك ، وإن عُدت إلى مثلها عُدتنا إلى إشخاصك

(١) سحابة القرطاس وسحابته وسحابه : ما سعى منه ، أي فسر وأخذ .
وكذلك القطعة الصغيرة منه . فإذا شدته بسحابة ، قلت : سحبتُه ، بالتشديد .

أقطعها . ولا تُعظَّم الطَّيِّنةُ جدًّا ، وَطِنُ كُتُبِكَ بعدَ كُتُبِكَ عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طِينت قبل العُنْوان فأدب مُنتحل^(١) .

تفسير الأُمِّي

فأما الأُمِّي فمجازُه على ثلاثة وجوه : قولُه أُمِّي ، منسوب إلى أُمَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ويقال : رجل أُمِّي ، إذا كان من أم القُرَى . قال الله تعالى : (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) . وأما قوله تعالى : (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب . والأُمِّيَّة في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضيلة ، لأنها أدلُّ على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا يُنشده .

قال المأمون لأبي العلاء المِغْفَرِي : بلغني أنك أُمِّي ، وأنت لا تُقيم الشعر ، وأنتك تلحن في كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن ، فربما سبقتني لساني بالشئ منه ؛ وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر ، فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّيًّا ، وكان لا يُنشد الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عُيُوب فيك فزدتني رابعًا ، وهو الجهل ؛ أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نقیصة !

بين المأمون وأبي العلاء المِغْفَرِي

شرف الكتّاب وفضلهم

فمن فضلهم قولُ الله تعالى على لسان نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وقوله تعالى : (كِرَامًا كَاتِبِينَ) . وقوله : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ) . وللكُتّاب أحكام بيّنة ، كأحكام القضاة ، يُعرفون بها ، ويُنسبون إليها ، ويتمتدّون التدبير وسياسة الملك [بها] دون غيرهم ، وبهم^(١) يُقام أود

بعض ما أُنز في فضلهم

(١) في بعض الأصول . « طبعت ... مستحيل » .

(٢) في بعض الأصول : « وبأهلها » .

الذين ، وأمور العالمين .

كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم

- فمن أهل هذه الصفاة : علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونُبله وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب الوحي ، ثم أفضت إليه الخلافة بعد الكتابة ؛ وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا ، كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه ، وكان المغيرة بن شعبه والحُصين بن مُنير يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينويان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا ، وكان عبد الله بن الأرقم (١) ابن عبد يغوث والعلاء بن عُقبه يكتبان بين القوم في قبائلهم وميماهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص (٢) ثمار الحجاز ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ، وقيل : إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام . ورؤى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام حاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك للملئ وأقضى للحاجة . وكان مُعقِّب بن أبي فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربيع بن المُرِّع (٣) بن صَيْفِي ، ابن أخي أكرم بن صَيْفِي الأَسَيْدِي (٤) ، خليفة كُلِّ كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال

(١) كذا في الوزراء والكتاب والإصابة والطبرى . والذي في الأصول هنا :

« زيد بن أرقم » . وهو تحريف .

(٢) الخرس : حزر ما على النخل من الرطب وما على السكر من العنب زبيبا .

(٣) في الأصول : « الربيع » وهو تحريف . انظر القاموس مادة (رقم) .

(٤) في الأصول : « الأسدى » . وما أنبتنا عن الاشتقاق والبلاذرى .

له : الزمى وأذكرنى بكل شىء أنا فيه ، وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يبیت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شىء . ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأمرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : ألقى خالداً وقل له : لا تقتلن ذرية ولا عسيماً^(١) . ومات حنظلة بمدينة الرثها^(٢) ، فقالت فيه أمراته ، وحكى أنه من قول الجن ، وهذا محال :

يا عَجَبَ الدَّهْرِ لَمَحْزُونَةٍ^(٣) تَبْكِي عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبِ
إِنْ تَسَأَلْنِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي أَخْبِرُكَ قِيلاً لَيْسَ بِالسَّكَابِ
أَنْ سَوَادَ الرَّاسِ أَوْ ذَى بِهِ وَجَدَى عَلَى حَنْظَلَةَ السَّكَابِ

ولما وجّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعداً إلى العراق وكتب إليه أن

- ١٠ يُسْمِعُ الْقَبَائِلَ أَسْبَاعًا ، وَيَجْعَلُ عَلَى كُلِّ سُبْعٍ رَجُلًا ، ففعل سعد ذلك ، وجعل السبيع الثالث تميمًا وأسدا وغطفان وهوازن ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب ؛ وكان أحد من سير إلى يزيد جرد يدعو إلى الإسلام . وكان الحصين بن نمير^(٤) ، من بنى عبد مناة ، شهد بيعة الرضوان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية ، فأبى ذلك سهيل^(٥) بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا ، فكتب علي بن أبي طالب . ورؤى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قريشًا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له ، ثم أرتد وانحرق بالمشركين ، وقال : إن محمدًا يكتب بما شئت . فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربًا بالسيف ، فلما كان يوم فتح مكة ، جاء به عثمان ، وكان بينهما رضاع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عبد الله قد
- ٢٠

(١) العسيف : الأجير . (٢) كان موته في إمارة معاوية .

(٣) في بعض الأصول : « المحبوبة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والاشتقاق .

(٤) في بعض الأصول : « زهير » .

(٥) في بعض الأصول : « سهل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة .

أقبل تائبًا ، فأعرضَ عنه ، والأنصارى مُطيفٌ به ومعه سيفه ، فدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تَلَوْتُمْكَ^(١) أَنْ تُوفِي بِنَذْرِكَ . فقال : هَلَّا أومضت إليّ . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أومض .

أيام أبي بكر

رضى الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . ورُوي أن عبد الله ابن الأرقم كتب له ، و[أب] حنظلة بن الربيع [كتب له أيضاً] . ولما تقلد الخلافة دعا زيد بن ثابت ، وقال له : أنت شابٌ عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى ، نتتبع القرآن فأجمعه ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

مَنْ لِلقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وَأَبْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

أيام عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله ابن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو جيميرة^(٢) بن الضحَّك ، فلم يزل عليه إلى أن ولى عبيد^(٣) الله ابن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى .

(١) التلوم : الانتظار والتلث .

(٢) كذا في الوزراء والطبرى وتهذيب التهذيب . والذي في الأصول : « أبو جبرة » .

(٣) في بعض الأصول : « عبد » .

أيام عثمان بن عفان

رضى الله عنه

كتابه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحَكَم . وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة على ديوان الكوفة ، وعبدُ الله بن الأرقم على بيت المال ، وأبو غَطَفَان بن عوف بن سعد بن دينار ، من بنى دُهَمان ، من قيس عَيْلان^(١) ، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أهيب ، مولاة ، وسُحران ، مولاة .

٢٠٦
٢

أيام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

كتابه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني^(٢) ، ثم ولي قضاء الكوفة لأبن الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له . ورؤى أن عبد الله بن حسن^(٣) كتب له ، وكان عبد الله^(٤) بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

(٥)

كتاب. بنى أمية

وكان يكتب لعنوة بن أبي سفيان سعيد بن أنس الغساني^(٦) . وكاتبُ يزيد بن معاوية سرجون^(٧) بن منصور . وكاتبُ مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف^(٨) . وكاتبُ عبد الملك بن مروان سالم مولاة^(٩) ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . وكاتبُ الوليد بن

(١) في الأصول : « همدان ... غيلان » . والتصويب عن الطبري والوزراء .

(٢) في الأصول : « سعد بن عمران » . وما أثبتنا عن الوزراء والأغاني (ج ١٦ ص ٨) .

(٣) في الوزراء : « جبيرة » . (٤) في الطبري : « عبيد الله » .

(٥) ظاهر أن هنا سقطاً من الناسخ يشبه أن يكون : « دولة بني مروان » على نحو ما جاء بعد ، أو « أيام بني مروان » على مثال ما سبق .

(٦) في الوزراء : « عبيد الله بن أوس الغساني » . وفي الطبري : « عبيد بن أوس » .

(٧) في الأصول والأغاني (ج ٨ ص ٢٩٠) طبعة دار الكتب : « سرجون » وما أثبتنا عن الوزراء والطبري .

(٨) هذا غير ما في الوزراء . (٩) هذا غير ما في الوزراء .

٢٥

عبد الملك جَنَاح مولاة . وكتبُ سُلَيْمان بن عبد الملك عبدُ الحميد الأصغر .
 وكتبُ عمر بن عبد العزيز الليثُ بن أبي رُقَيْيَةَ ، مولى أمِّ الحَكَم ، وكتب له
 رَجاء بنُ حَيوةٍ وخُص به ، وإسماعيل بن أبي حَكِيم مولى الزُّبير ، وسليمان بن
 سعد الخَشَنِي على ديوان الخِراج ، وكان صر يكتب كثيراً بيده . وكتبُ يزيد
 ابن عبد الملك عبدُ الحميد^(١) أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى أيام مروان بن
 محمد وأنفضاء دولة بني أمية . وكان عبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة ،
 وسَهَّل طَرَفها ، وفكَّ رِقابَ الشَّعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتبُ أبي العباس وأبي جَعْفَر أبا أيوب المورياتي^(٢) الأهوإزي . كتاب بنى العباس
 ١٠ وكتبُ موسى الهادي بن محمد المهدي إبراهيم بن ذَكَوان الحراني . وكتب
 هارون الرشيد بن محمد المهدي يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم
 إبراهيم بن صُبَيْح . وكتبُ محمد بن زُبَيْدة الأمين الفضل بن الربيع . وكتبُ
 عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضل بن سَهْل ، ثم الحسن بن سَهْل ، ثم
 عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف . وكتبُ أبي إسحاق محمد المعتصم بن
 ١٥ هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك
 الزيات . وكتبُ الواثق هارون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضاً .
 وكتبُ المتوكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيم بن العباس بن صُول ، مولى لبني
 العباس . وكتبُ المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمد بن الخَصِيب ،
 ثم كتب المُستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعِيته ما أسخطه عليه ،
 ٢٠ ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شُجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سَخَط
 عليهما فقتلها ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يَزْدَاد ، ثم صَرَفه وقلد

(١) هو عبد الحميد بن يحيى . انظر العقد فيما سياتى وابن خلكان (ج ١ ص ٣٠٨) .

(٢) في الأصول : « الرزباني » ، والتصويب عن الوزراء والطبري والفخرى .

وزارته محمد بن الفضل الجرجاني . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما أستقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل . وكاتب المهدي^(١) محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ، وكان سبب موته أنه صدّمه غلام له في الميدان يقال له رَشِيق ، فحُمِل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد أحمد بن طلحة ، والموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ، ثم^(٢) حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مُقَلّة ، الذي يوصف خطّه بالجودة ، ثم سليمان بن الحسن^(٣) بن مخلد ، ثم عبيد الله بن محمد السكاوداني^(٤) ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعبيد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : من عميد الدولة أبي علي بن وليّ الدولة ، وذُكر لقبه على الدنانير والدرهم ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات . وتقلد الوزارة للقاهر بالله^{١٥} أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مُقَلّة ، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحُصيني^(٥) . وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد ابن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مُقَلّة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم^(٦) محمد بن القاسم السكّرخي ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن

(١) في الأصول : « المهدي » .

(٢) في الأصول : « بن » مكان « ثم » والتصويب عن الوزراء والفخرى .

(٣) في الأصول : « الحسين » والتصويب عن الفخرى .

(٤) في بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد السكاوداني » .

(٥) فيما سياتي في العقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحُصيني » . والذي في مروج

الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحُصيني » .

(٦) في الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب عن الفخرى .

الفرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمُتَّقِي بالله إبراهيم بن جعفر ابن المُقتدر كاتبه أحمد بن محمد بن الأفتس ، ثم أبو إسحاق القراريطي ، ثم علي بن محمد بن مُقَلَّة^(١) . وتقلد الوزارة للمُستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المسكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري ، المُسكتفي أبا الفرج . ثم ولي المُطيع بالله الفضل بن المُقتدر ، فَوَزَّر له الحسن بن هارون^(٢) .

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المُغيرة بن شُعْبَة كاتباً لأبي موسى الأشعري . وكان سَعِيد بن جُبَيْر كاتباً لعبد الله بن عُتْبَة بن مسعود ، وكان قاضيًا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري ، مع نبله وفقهه وورعه وزهده ، كاتباً للرَّبِيع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز ، فقيل له : مَنْ وَايَت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وَايَتُ سَيِّدِ التَّابِعِينَ الحسن بن أبي الحسن البصري . وكان محمد بن سيرين ، مع علمه وورعه كاتباً لأنس بن مالك بفارس . وكان زياد ابن أبيه ، مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في أدعائه ، يكتب للمُغيرة ابن شُعْبَة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز^(٣) ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم لأبي موسى الأشعري . فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه ، فأمر له عمرُ بألف درهم ، لما رأى منه من الذكاء ، وقال : له لا تَرْجِع لأبي موسى ؛ فقال : يا أمير المؤمنين . أَعَن خِيَانَةَ صَرَ فَتَنِي أم عن تَقْصِير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرَّعِيَّة ؛ ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامرُ الشَّعْبِي مع فقهه وعلمه ونبله كاتباً لعبد الله بن مُطِيع ، ثم لعبد الله بن يزيد ، عامل عبد الله بن الزُّبَيْر على السكوفة ؛

(١) في الأصول : « محمد بن علي بن مُقَلَّة » . والتصويب عن مروج الذهب والنفوس.

ومحمد بن علي بن مُقَلَّة توفي سنة ٣٢٨ ، أي قبل ولاية المتقي التي كانت سنة ٣٢٩

(٢) لعنه الحسن بن محمد المهلب . (انظر العقد فيما سيأتي وابن خلكان ج ١ ص ١٤٢) .

(٣) في الأصول : « كرز » . وهو تحريف . (انظر المعارف والطبري) .

ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم^(١) . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، ثم قتل يوم الجمل مع عائشة ، رضى الله عنها . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان يزيد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن زمنة^(٤) بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن^(٥) يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري^(٦) .

أشرف [الكتاب]

- ١٠ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم . كتب له عشرة كتاب : على بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ابن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاصي ، وأبان بن سعيد بن العاصي ، وأبو سعيد بن العاصي ، وعمرو بن العاصي ، وشريحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء بن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان^(٧) ، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .
- ١٥ وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاصي

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

من أشرف الكتاب

- (١) زيد في بعض الأصول كلمة : « بعد » بعد قوله : « الخاتم » .
 (٢) في الأصول : « زيد » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والطبرى .
 (٣) في الأصول : « عبيد » . وما أثبتناه عن الطبرى .
 (٤) في الأصول : « ربيعة » وما أثبتناه عن الطبرى والإصابة والسيرة .
 (٥) في بعض الأصول : « من » وهو تحريف .
 (٦) ذكر المؤلف في هذا الباب قبيصة وعبد الله بن خلف وخارجة ويزيد بن عبد الله ، مع أنهم ممن كتبوا خلفاء . (٧) كذا في أكثر الأصول . وم على هذا أحد عشر وذكروهم (ى) ولم تذكر فيهم أبان . وانظر الوزراء والكتاب في أسماء من ثبت على كتابته صلى الله عليه وسلم . ثم انظر ما سبق في هذا الجزء (ص ١٦٠) —
 (١٦٣) عند الكلام على شرف الكتاب وفضلهم .

كاتبًا على ديوان المدينة، ثم طلب الخلافة فقتل دونها. وكان المغيرة بن شعبه كاتبًا لأبي موسى الأشعري. وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتبًا للربيع ابن زياد الحارثي بخراسان. وكان سعيد بن جبير كاتبًا لعبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان فاضلاً. وكان زياد كاتبًا للمغيرة بن شعبه، ثم لأبي موسى الأشعري، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز، ثم لعبد الله بن عباس. وكان عامر الشعبي كاتبًا لعبد الله بن مطيع، وهو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير. وكان محمد بن سيرين كاتبًا لأنس بن مالك بفارس. وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبًا لعبد الملك، على ديوان الخاتم. وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتب نافع بن الحارث الخزاعي، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة. وكان عبيد الله^(١) بن أوس الغساني، سيد أهل الشام، كاتب معاوية. وكان سعيد بن عمران^(٢) الهمداني، سيد همدان، كاتب علي بن أبي طالب، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير. وكان عبد الله بن خلف الخزاعي، أبو طلحة الطلحات، كاتبًا على ديوان البصرة لعمر وعثمان، وقتل يوم الجمل مع عائشة. وكان خارجة بن زيد ابن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك. وكان يزيد بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية. وكان بعده حميد، ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم.

من نبى بالكتابة وكان قبل خاملاً

سرجون بن منصور الرثومي، كاتب معاوية ويزيد ابنه ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوائى فيه، ورأى منه

(١) كذا في بعض الأصول، والذي في الطبرى: «عبيد بن أوس». وقد صرف هذا الجزء باسم: «سعيد بن أنس». والذي في سائر الأصول: «عبد الله».
(٢) كذا في الوزراء والطبرى والأغانى (ج ١٦ ص ٨) طبعة بلاق. والذي في الأصول: «سعيد بن عمران».

- عبدُ الملك بعضَ التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدِلُّ علينا بصناعته ، وأظنُّ أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابهِ ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئتُ لحَوَّلْتُ الحِسابَ من الرُّوميةِ إلى العربيةِ . قال : أفعال . قال : أنظرني أعان ذلك . قال : لك نَظْرَةٌ ما شئتُ . فحوَّل
- الديوانَ ، فولاهُ عبدُ الملك جميعَ ذلك . وحسانُ النَّبَطِيُّ^(١) كاتبُ الحِجَاجِ ، وسالمُ مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميدُ الأكبر ، وعبدُ الصَّمَدِ^(٢) ، وجبلةُ بن عبد الرحمن ، وقحذم ، جدُّ الوليدِ^(٣) بن هشام التَّحْذَمِي ، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية^(٤) . ومنهم : الفراء^(٥) ، كاتبُ خالد بن عبد الله القسري . ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى ابن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو [محمد] عبد الله بن المُقَمَّع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن [محمد بن]^(٦) الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو^(٧) عبد السلام الجُنْدِيسَابُورِي ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن محمد [بن] المُدَبِّر . فهؤلاء نبأوا بالكتابة وأستحقوا أسمها .

١٥ من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور ، كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ، وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزاد ، وأحمد

(١) كان حسان نصرانيا ولم يسلم إلا أيام هشام على يد ابن المنقشر . (انظر الوزراء) .

(٢) لعنه عبد الصمد بن أبان . (انظر الوزراء والكتاب) .

(٣) في صبيح الأعشى (ج ١ ص ٤٠) : « جد الحجاج » .

(٤) الذي في الوزراء أن الذي نقل الدواوين إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن أيام الحجاج ، وكان أستاذا لكثيرين منهم فحذم هذا .

(٥) في الوزراء أن كاتب خالد هو : « مروان بن إياس » .

(٦) التسهلة من الوزراء .

(٧) في صبيح الأعشى (ج ١ ص ٤٠) : « ابن عبد السلام » .

٢٠٩ ابن الخصب . فهؤلاء لَطَخُوا أَنفُسَهُم بِالْكِتَابَةِ وَمَا دَانُوهَا^(١) .

لبعض الشعراء
في ابن شيرزاد

وقال بعضُ الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حَمَّازٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
فَدَّعَ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ عَزَّزْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِدَادِ

لأبي أيوب في
رثاء أم سليمان
ابن وهب

ومنهم : أبو أيوب ، ابن أخت أبي الوزير^(٢) ، وهو القائل يرثي أم سليمان

ابن وهب السكاتب :

لَأُمِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْنَا مُصِيبَةٌ مُغْلَغَلَةٌ^(٣) مِثْلُ الْحُصَامِ الْبَوَّارِ
وَكُنْتَ سِرَاجَ الْبَيْتِ يَا أُمَّ سَالِمٍ فَأَضْحَى سِرَاجُ الْبَيْتِ وَسَطَ الْمَقَابِرِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحدٍ من خلق الله ما نزل بي ، ماتت أُمِّي

١٠ فرُمِّيت بمثل هذا الشعر ، ونُقِلَ أَسْمَى مِنْ سُلَيْمَانَ إِلَى سَالِمٍ .

صفة السكاتب

لإبراهيم الشيباني
في معنى هذا
العنوان

^(٤) قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة السكاتب أعتدالُ القامة ، وصِغَرُ

الهامة ، وخِفَّةُ اللَّهَازِمِ^(٥) ، وكثافة اللحية ، وصدق الحِسِّ ، ولُطْفُ الْمَذْهَبِ ،

وحلاوة الشَّيْئَلِ ، وحُسْنُ^(٦) الْإِشَارَةِ ، ومَلَاحةُ الزُّبِّيِّ ، حتى قال بعضُ المَهَالِبَةِ

١٥ لولده : تَزَيَّوْا بِزِيِّ السَّكَّاتِبِ ، فإن فيهم أدبُ الملوِكِ وتواضعُ الشُّوقَةِ . وقال

إبراهيم بن محمد السكاتب : من كمال آل الكتابة أن يكون السكاتب : نَقِيَّ

الْمَلْبَسِ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمُرُوَّةِ ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، صَادِقَ

الْحِسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِيِ اللِّسَانِ ، حُلُوَ الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْأَسْتِعَارَةِ ،

(١) في : « وهجنوها » مكان : « وما دانوها » .

(٢) هو أبو الوزير عمر بن مطرف ، كتب للمهدى وللرشيد . (انظر الوزراء) .

(٣) في بعض الأصول : « مغلقة » .

(٤) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٦٧) : « محمد بن إبراهيم الشيباني » .

(٥) اللهزمتان : مضعتان في أصل الحنك .

(٦) في صبح الأعشى ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٢) : « وخطف » .

لطيف المسالك ، مُسْتَقَرَّ التَّرْكِيبِ^(١) ؛ ولا يكون مع ذلك فَضْفَاضَ الْجُثَّةِ^(٢) ،
مُتَفَاوَتِ الأجزاء ، طویل اللّحیة ، عظیم الهامة ؛ فإنهم زَعَمُوا أَنَّ هذه الصورة
لا یلیقُ بصاحبها الذِّكَاةُ والفِطْنَةُ . وأنشد سَعِيدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بنِ العباس :

لابن حميد في
ابن العباس

رَأَيْتُ لَهَا زَمَ السُّكُتَابِ خَفَّتْ وَهَزَمْتَكَ شَأْنُهُمَا الْفَدَامَةَ^(٣)

وَكَتَابِ الْمُلُوكِ لَمْ بَيَّانُ كَمَثَلِ الدَّرِّ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ

وَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا يَلُوكُ بِمَا يَفُوهُ بِهِ لِجَامَهُ

لبعض الشعراء وقال آخر :

عَلَيْكَ بِكَاتِبِ لَيْقٍ رَشِيقٍ زَكِيٍّ فِي شِمَائِلِهِ حِرَارَهُ

تُنَاجِيهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ فَيَفْهَمُ رَجْعَ لَحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

ونظر أحمد بن الخَصِيبِ إلى رجل من الكتّاب : فَدَمَ المُنْطَرُ^(٤) ، مُضْطَرَبٌ ١٠
أَخْلَقُ ، طویل العُنُونُ ، فقال : لأن يكون هذا فِنِطَاسٌ مُرَكَّبٌ أَشْبَهَ مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا .

لابن الحصيب
في كاتب

فَإِذَا أَجْتَمَعَتْ لِلكَاتِبِ هذه الخلال ، وَأَنْتَطَمَتْ فِيهِ هذه الخِصَالُ ، فهو
الكَاتِبُ البليغ ، والأديب النَّحْرِيُّ ؛ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آلَةٌ مِنْ هذه الآلات ،
وَقَعَدَتْ بِهِ أَدَاةٌ مِنْ هذه الأدوات ، فهو مَنْقُوصُ الجِمالِ ، مُنْكَسِفُ الحِيسِ ، ١٥
مَبْخُوسُ النَّصِيبِ .

ما ينبغي للكاتِبِ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ نَفْسَهُ

قال إبراهيم الشيباني : أوَّلُ ذَلِكَ حُسْنُ الخَطِّ الَّذِي هو لِسَانُ اليَدِ ، وَبَهْجَةُ
الضَّمِيرِ ، وَسَفِيرُ العَقْلِ ، وَوَحْيُ الفِكرَةِ ، وَسِلاحُ المَعْرِفَةِ ، وَأَنْسُ الإِخْوَانِ عِنْدَ
الفرقة ، ومُجَادَّتُهُمْ^(٥) عَلَى بُعْدِ المِساْفَةِ ، وَمُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ، وَدِيوانُ الأُمُورِ .
ولستُ أَجدُ لِحُسْنِ الخَطِّ حدًّا أَقْفَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ قولِ عَلِيِّ [بنِ رَبَّانٍ] ٢٠

لإبراهيم الشيباني

(١) في نهاية الأرب : « مستقره المركب » . (٢) في بعض الأصول : « الجية » .

وما أثبتنا عن سائر الأصول وصيحه الأعشى . (٣) الفدامة : التي عند الكلام .

(٤) أي غليظ سمين . (٥) في بعض الأصول : « ومجادتهم » .

النصراني الكاتب^(١) ، فإني سألته وأستوصفتمه اخطأ ، فقال : أعلمك الخطأ في كلمة واحدة ، فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف ، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ، ثم تنتقل إلى ما بعده . وإياك والنقط والشكل في كتابك إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن أستخراجه ؛ فإني سمعتُ سعيدَ بنَ حميد [بن عبد الحميد] الكاتب يقول : لأنَّ يُشكِل الحرفُ على القارى أحبُّ إلى من أن يُعابَ الكتاب بالشكل . وكان المأمونُ يقول : إيتاكم والشونيز^(٢) في كتبكم - يعنى النقط والإعجام . ومن ذلك أن يُصلِح الكاتبُ آلتَه التي لا بدَّ منها ، وأداته التي لا تتم^(٣) صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنمِرَ رِجَّها^(٤) وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عُقدًا ، وأكثره لَحْمًا ، وأصلبه قشراً ، وأعدله أستواءً ، ويجعل لِقِرْطاسه سِكِّينًا حادًا لتكون عَوْنًا له على برَمي أقلامه ، ويُبْرِيهَا من ناحية نَبات القصبِ . وأعلم أن محلَّ القلم من الكتاب كمثل الرُمح من الفارس .

٢١٠
٣

٥

١٠

للأصمعي في وصف الأنابيب

قال العتّابي : سألتُ الأصمعي [يوماً] في دار الرُشيد : أيُّ الأنابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر ؟ فقلتُ له : ما نَشِف بالهجير ماؤه ، وسَتره عن تلويحه غشاؤه ، من التَّبْرِية القُشور ، الدَّرِيّة الظُّهور ، الفِصِّيّة الكُسور . قال : فأى نوع من البري أصوبُ وأُكتب ؟ فقلت : البرية المُستوية القَطّة ، التي عن يمين سِنِّها قُرْنَة^(٥) تأمن معها المَجَّة عند المَدَّة والمَطَّة ، للهواء في شَقِّها فَتِيق ،

١٥

(١) انظر الطبري والمشتبه وابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣٠٩) وفهرست ابن النديم (ص ٣١٦) . وقد ذكر له ابن النديم من مؤلفاته كتابا في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب . وفي الأصول : « الصراياذي » .

٢٠

(٢) الشونيز : الجبة السوداء ، فارسي . (٣) في بعض الأصول : « لا تمر » . (٤) ربهها : لإصلاحها .

(٥) القرنة (بالضم) : الطرف الشاخص من كل شيء ، أو زاوبته أو شعبته أو ما تنأ منه . وفي بعض الأصول : « برية » . وهو تحريف .

٢٥

والريخ في جوفها خريق^(١) ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابي : فبقي الأسمى شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحير مسألة ولا جواباً .

من صفات
الكاتب

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتّاب ما كان في أول كتابته دليل على حاجته ، كما أن أفضل الأبيات ما دلّ أول البيت على قافيته . فلا تُطيلن صدر كتابك إطالة تُخرجه عن حدّه ، ولا تُقصّر به دون حدّه ، فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشّعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد . وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة .

للشعبي
وابن وهب

فأما الكاتب المستحق أسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معاذنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب .

من صفات
الكاتب أيضاً

بلغنى أن صديقاً لكلثوم العتّابي أتاه يوماً فقال له : أصنع لى رسالة ، فاستعدت مدة ثم علق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك .

بين العتّابي
وصديق له ثم بين
يزيد وكاتب له

فقال له العتّابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتنب لك أحسنها . قال أحمد بن محمد : كفت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يُمنلى على كاتب له ، فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له : اكتب يا حمار . فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كل القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوماً وقد مط^(٢) حرفاً في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان في القلم .

(١) ريخ خريق : راجعة غير مستمرة السير ؛ أو هي اللينة السهلة .

(٢) في بعض الأصول : « نط » .

ما يحتاج إليه
الكتاب

فإن كان لا بُدَّ [لك] من طلب أدوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يُرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسفار ما يتسع به منطقتك ، ويطولُ به قلمك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومجاباة العرب^(١) ، ومعاني العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومساكنهم في حروبهم^(٢) ، والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات ، وقرض الشعر الجيد ، وعلم العروض ، بعد أن تكون متوسطاً [في] علم النحو والغريب ، لتكون ماهراً تنزعُ آي القرآن في مواضعها ، والأمثال^(٣) في أمائها ، فإن تضمن المثل السائر ، والتبیت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، ما لم تخاطب خليفة أو مَلِيسكا جليل القدر ؛ فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيبٌ ، إلا أن يكون الكتاب هو القارض للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد^(٤) في أهتته .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حَدَّثَنَا عثمانُ بن سَعِيد قال : لما رَجَعَ المعتصم من الثغر وصرار بناحية الرقة ، قال لعمر بن مسعدة^(٥) : ما زلت تسألني في الرخجى^(٦) حتى وليته الأهواز ، فقعده في سررة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ، ولم

(١) في بعض الأصول : « العرب في حروبهم » .
 (٢) في بعض الأصول : « في حروبهم بعد أن تكون متوسطاً في علم النحو والغريب والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات لتكون ... في أمائها وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمن . وفيه تقديم وتأخير لا يستقيم به .
 (٣) في بعض الأصول : « واختلاف الأمثال » . (٤) في : « فإن ذلك مما ينبغي » .
 (٥) كذا في الأصول وصيحه الأعشى (ج ١ ص ١٤٢) . والمعروف أن عمرو بن مسعدة توفي في حياة المأمون سنة ٢١٧ . وأن المعتصم ولي الخلافة في رجب سنة ٢١٨ .
 (٦) هو عمر بن الفرج ، كما في صيحه الأعشى . والرخجى : نسبة إلى رنج ، كورة ومدينة من نواحي كابل . وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : « الرخجى » . وهو تصحيف .

يُوجِّهُ إلينا بِدِرْهِمٍ وَاحِدٍ . أَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ سَاعَتِكَ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أْبَعَدَ
 الْوِزَارَةَ أَصِيرُ مُسْتَحْتَمًّا عَلَى عَامِلِ خِرَاجٍ ! وَلَسْكَنْ لَمْ أَجِدْ بَدَأً مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْتُ : أَخْرُجُ إِلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَحْلَفُ لِي أَنْكَ لَا تُقِيمُ
 بِبَغْدَادٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا . فَخَلَفْتُ لَهُ ، ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادٍ ، فَأَمَرْتُ فُقْرَشَ لِي
 زُورِقَ^(١) بِالطَّبْرِيِّ ، وَعُشِّي^(٢) بِالسَّلْخِ^(٣) ، وَطُرِحَ عَلَيْهِ السُّكَّرُ^(٤) . ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَلَمَّا
 صِرْتُ بَيْنَ دَيْرِ هِرْزِقِلٍ وَدَيْرِ الْعَاقُولِ^(٥) إِذَا رَجُلٌ يَصِيحُ : يَا مَلَّاحُ ، رَجُلٌ مَنقَطِعٌ .
 فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : قَرَّبْ إِلَى الشَّطِّ . فَقَالَ : يَا سَيْدِي ، هَذَا شَحَّاذٌ ، فَإِنْ قَعَدَ مَعَكَ
 آذَاكَ . فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمَرْتُ الْغُلَّامَانَ فَأَدْخَلُوهُ ، فَتَقَعَدَ فِي كَوْنَتِلِ^(٦)
 الزُّورِقِ . فَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الْغَدَاءِ عَزَمْتُ أَنْ أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامِي ، فَدَعَوْتُهُ ،
 فَجَعَلَ يَأْكُلُ كُلَّ أَكْلِ جَائِعٍ بِنَهَامَةٍ إِلَّا أَنَّهُ نَظِيفٌ الْأَكْلِ . فَلَمَّا رُفِعَ الطَّعَامُ أُرِدْتُ أَنْ
 يَسْتَعْمَلَ مَعِيَ مَا يَسْتَعْمَلُ الْعَوَامُّ مَعَ الْخَوَاصِّ : أَنْ يَقُومَ فَيَغْسِلَ يَدَهُ فِي نَاحِيَةِ ،
 فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَغَمَزَهُ الْغُلَّامَانُ فَلَمْ يَقُمْ ، فَتَشَاغَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ قُلْتُ : يَا هَذَا ، مَا صَنَاعَتُكَ
 قَالَ : حَائِكٌ^(٧) . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى . فَقَالَ لِي : جُعِلَتْ
 فِدَاكَ ، قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِنَاعَتِي فَأَخْبَرْتُكَ ، فَمَا صَنَاعَتُكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ فِي
 نَفْسِي : هَذِهِ أَعْظَمُ مِنَ الْأُولَى ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ لَهُ الْوِزَارَةَ ، فَقُلْتُ : أَقْتَصِرُ لَهُ
 عَلَى الْكِتَابَةِ ، فَقُلْتُ : كَاتِبٌ . قَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، السُّكَّتَابُ عَلَى خَمْسَةِ
 أَصْنَافٍ : فَكَاتِبُ رِسَائِلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْفَصْلَ مِنَ الْوَصْلِ ، وَالصُّدُورَ ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « زَلَالِي » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَحْشِي » .

(٣) السَّلْخُ (بِالْكَسْرِ) : الْجِلْدُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِالسَّلْخِ » .

(٤) السُّكَّرُ (بِالضَّمِّ) : السُّكَّاءُ .

(٥) دَيْرُ هِرْزِقِلٍ : دَيْرٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَعَسْكَرِ مَكْرَمٍ . وَدَيْرُ الْعَاقُولِ : بَيْنَ مَدَائِنِ

كَسْرَى وَالنِّعْمَانِيَةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَادٍ خَمْسَةُ عَشَرَ فَرَسَخًا . (انظر معجم البلدان) .

(٦) الْكُونَتِلُ : مَوْخِرُ السَّفِينَةِ أَوْ سَكَانِهَا .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « حَائِكُ الْكَلَامِ » .

والتَّهَانِي ، والتَّعَاذِي ، والترغيب والترهيب ، والمقصود والممدود ، ومُجَلًّا من
 العرْبِيَّة ؛ وكتاب خراج يحتاج إلى أن يَعْرِفَ الزَّرْعَ والمِسَاحَةَ ، والأشْوَال^(١)
 والطُّسُوق^(٢) ، والتَّقْسِيْمَ ، والحِساب ؛ وكتاب جُنْدٍ يحتاج إلى أن يَعْرِفَ مع الحِساب
 الأَطْعَامَ^(٣) ، وشِيَاتِ الدُّوَابِّ ، وحُلَى^(٤) النَّاسِ ؛ وكتاب قاضٍ يحتاج إلى أن يكون
 عالماً بالشُّرُوطِ والأحكام والفُرُوعِ والنَّاسِخِ والمَنْسُوخِ والحلال والحرام والموارِيثِ ؛
 وكتاب شُرْطَةٍ يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجُروحِ والتَّقْصِاصِ والعُقُولِ^(٥) والذِّيَاتِ .
 فأَيُّهُمْ أنتَ أعزُّكَ اللهُ؟ قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني إذا كان لك صديق
 تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجتْ أمُّهُ ، فكيف
 تكتب له ، أتهنئ به أم تُعزِّيهِ ؟ قلت : والله ما أقفُ على ما تقول . قال : فلستَ
 بكاتب رسائل ، فأَيُّهُمْ أنتَ ؟ قلت : كاتب خراج . قال : فما تقول أصلحك
 اللهُ وقد ولَّكَ السُّلْطَانُ عملاً فَبَثَّمَتْ عَمَلُكَ فِيهِ ، فجاءك قوم يتظلمون من بعض
 عَمَلِكَ ، فأردتَ أن تَنْظُرَ في أمورهم ، وتُنصِفَهم إذ كنتَ تُحِبُّ العَدْلَ والبِرَّ^(٦) ،
 وتُؤَثِّرُ حُسْنَ الأُحْدُوثِ وطيبَ الذِّكْرِ ، وكان لأحدهم قَرَّاحٌ^(٧) ، كيف كنتَ
 تَمسحه ؟ قال : كنتَ أضرب العُطُوفَ في العَمُودِ ، وأنظر كم مقدار ذلك . قال :
 إذن تظلمَ الرجل . قلتُ : فأمسح العَمُودَ على حِدَّةٍ . قال : إذن تظلمَ السُّلْطَانُ .
 قلتُ : والله ما أدري . قال : فلستَ بكاتب خراج ، فأَيُّهُمْ أنتَ ؟ قلتُ : كاتب

١٠

٢١٢
٧

١٥

٢٠

٢٥

(١) الأشْوَال : جمع شَوْل . وهي النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر
 نجف لبنها ؛ الواحدة : شائلة . (٢) كذا في الأصول . والطسوق : جمع
 طسوق ، وهو ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض ،
 فارسي معرب . وفي صبح الأعشى : « السطوح » . وهو تحريف .
 (٣) الأَطْعَامُ : الرواتب الجارية على الجند في الأوقات التي يستحقونها فيها على ما يقتضيه
 كل زمان . (انظر الافتضاب ص ٧٤) . وفي بعض الأصول : « التقدير » .
 (٤) حُلَى (كهدى وبضم الحاء وكسر اللام وتشديد الباء) جمع حلية (بالكسر) وهي الصفة .
 (٥) العقل : الدية ، وسميت الدية عقلاً ، لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها بقاءً ولي
 المقتول ، ثم كثر ذلك حتى قيل لسكل دية عقل وإن كانت دنائير أو دراهم .
 (٦) في بعض الأصول : « والسير » .
 (٧) القراح : المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر . وفي بعض الأصول :
 « قراح قائل فنيا » . وفي صبح الأعشى : « قراح قابل قسيا » .

- جُند . قال : فما تقول في رجلين أَسَم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مَقْطوع الشفة العليا والآخر مَقْطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ قال : كنت أكتب : أحمدُ الأَعلم وأحمدُ الأَعلم . قال : كيف يكون هذا ورزقُ هذا مائتا درهم ورزق هذا ألفُ درهم ، فيقبض هذا على دَعوة هذا ، فتظلم صاحب الألف ! قلت : والله ما أدري . قال : فاست بكتاب جُند ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول أصلحك الله في رجل تُوفى وخلف زوجة وسُرِّيَّة^(١) ، وكان للزوجة بنت وللسُرِّيَّة ابن ، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحُرَّة ابنَ السُرِّيَّة فادَّعته ، وجعلت أبنيتها مكانه ، فتنازعا فيه ، فقالت هذه : هذا أبنى ، وقالت هذه : هذا أبنى ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ؟ قلت : والله لست أدري . قال : فاست بكتاب قاض ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فما تقول أصلحك الله في رجل وثب على رجل فشجّه شجّة موضحة^(٢) ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجّة مأمومة^(٣) ؟ قلت : ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، [قد سألت] ففسّر لي ما ذكرت . قال : أما الذى تزوّجت أمّه فتسكتبُ إليه : أما بعد ، فإن أحكامَ الله تجرى بغير محابِّ المخلوقين والله يختار للعباد ، نغار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها ، والسلام ؛ وأما القراح ، فتضرب واحداً في مساحة العُطوف ، فمن ثمّ أبه ؛ وأما أحمد وأحمد ، فتسكتب حلية المَقْطوع الشفة العليا : أحمدُ الأَعلم ، والمَقْطوع الشفة السفلى : أحمدُ الأَشرم ؛ وأما المرأتان ، فيوزن ابن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان أخفّ فهى صاحبة البنت ؛ وأما الشجّة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً ، فيردّ صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلاثاً . قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابنُ عمّ لي

(١) السرية (بالضم) : الملوكة يتسراها صاحبها .

(٢) الموضحة من الشجاج : التى بلغت العظم فأوضحت عنه .

(٣) مأمومة ، أى بلغت أم الرأس .

كان عاملاً على ناحية ، فخرجتُ إليه فألفيته مَعزولاً ، ففُطِع بي ، فأنا خارج
أضطرب في المعاش . قلتُ : ألسْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ حَائِكٌ ؟ قال : أنا أَحْوَكُ
الكلامِ ولسْتُ بِحَائِكِ الثِيَابِ . قال : فدَعَوْتُ الزُّيْنَ فأخذ من شَعْرِهِ ، وأدْخَلَ
الحَمَامَ فطَرَحْتُ عَلَيْهِ شَيْئاً من ثِيَابِي . فلما صرْتُ إلى الأَهْوَاذِ كَلِمَتِ الرَّحْجِيِّ
فأعطاه خَمْسَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ورجع معي ، فلما صرْتُ إلى أمير المؤمنين ، قال :
ما كان من خَبْرِكَ في طَرِيقِكَ ؟ فأخبرته خبري حتى حدَّثتُهُ حديثَ الرجلِ .
فقال لي : هذا لا يُسْتَفْنَى عَنْهُ ، فَلَئِمَّ شَيْءٌ يَصْلُحُ ؟ قلتُ : هذا أعلمُ النَّاسِ
بالمساحة والهندسة . قال : فوَلَّاهُ أميرُ المؤمنينَ البِنَاءَ والمَرَمَةَ . فكنتُ واللهِ
ألقاه في المَوَكِبِ النبيلِ فينحطُّ عن دابَّتِهِ ، فأحْلِفُ عَلَيْهِ ، فيقول : سُبْحَانَ اللَّهِ !
إنما هذه نِعْمَتُكَ ، وبِكَ أقدِّمُهَا^(١) .

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيتُ قوماً أنفذَ طريقةً في الأدبِ من هؤلاء
الكتّابِ ، فإنهم التمسوا من الألفاظِ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً
سوقياً . وقال بعضُ المهالبة لبنيه : تزَيَّوا بزِيِّ الكُتَّابِ فإنهم جمَعوا أدبَ
الملوكِ وتواضعَ السوقةِ . وعتبَ أبو جعفر المنصورُ على قومٍ من الكُتَّابِ فأمرَ
بِحَبْسِهِمْ ، فرفَعوا إليه رُقعةً ليس فيها إلا هذا البيتُ :

ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا فَهَبْنَا للكِرَامِ الكَاتِبِينَ

فعفا عنهم وأمرَ بتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِمْ .

وقال المؤيد : كُتِّبَ المُلُوكُ عُيُونُهُمْ [الفَاظِرَةُ] ، وآذَانُهُم الوَاعِيَةُ ،
وَأَسْنَتُهُمُ النَّاطِقَةُ . والكتابةُ أشرفُ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا بعد الخِلافةِ ، وهي صِنَاعَةٌ
جَمِيلَةٌ تَحْتَاجُ إلى آلاَتٍ كثيرةٍ . وقال سهلُ بنُ هارونَ : [الكتابةُ] أولُ
زِينَةِ الدُّنْيَا التي إليها يتناهى الفضلُ ، وعندها تَقِفُ الرَّغْبَةُ .

(١) انظر صبح الأعشى ، فبين النصين خلاف كبير .

للجاحظ بعض
المهالبة ينصح بنيه
ثم لقوم من
كتاب المنصور
تظلموا إليه

للمؤيد ثم لسهل
ابن هارون في
فضل الكتابة

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

لإبراهيم الشيباني
في طبقات
الكتاب

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسؤقتهم ، فخطب كلاً على قدر أهله وجلالته ، وعلوه وأرتفاعه ، وفطنته وانتباهه .
- وأجمل طبقات الكلام على ثمانية أقسام^(١) ؛ منها : الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخر ، وهي دونها ، أربع ؛ لكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمها ، لا ينبغي للكتاب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها . فالحد الأول : الطبقات العليا ، وغايتها^(٢) القصوى الخِلافة ، التي أجلّ الله قدرها وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير ؛ والطبقة الثانية لوزرائها وكتّابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بأرائهم ؛ والطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ، فإنه تجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه ، وحظه وغنائه وإجزائه ، واضطلاعهم بما حمل من أعباء أمورهم وجلال أعمالهم ؛ والرابعة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فعلمهم أهبة السلطنة وهيبته الأمراء . وأما الطبقات الأربع الأخر فهم : الملوك الذين أوجب نعمهم تعظيمهم في الكتّاب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها ؛ والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين [بهم] تفرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم ؛ والثالثة هم العلماء [الذين] يجب توقيرهم في الكتّاب بشرف العلم وعلو درجة أهلهم ؛ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والخلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحمدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .
- واستغنيان عن الترتيب للسوق والعوام والتجار باستغنائهم بمهانتهم^(٣) عن هذه الآلات ،

(١) انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (ص ٦٦ - ٧٠) فيين طبقات الكتاب

هنا وهناك تباين . (٢) في بعض الأصول : « والغاية » .

(٣) في بعض الأصول : « بمهانتهم » .

واشتهرهم بمهماتهم عن هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبتك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمة ، وتؤقيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، ويجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً لائقاً بمن كاتبته ، ومثلنا بمن راسلته ؛ فإن إلباسك المعنى ، وإن صحَّ وشرف ، لفظاً متخلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عاداتهم ، تهجين المعنى ، وإخلال بقدره ، وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له ؛ كما أن في أتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً أعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم . فمن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمرك ملياً . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنه قدر في مخاطبة .

كما أنهم جعلوا : أكرمك الله ، و : أبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جعلت فداك ، على اشتراك معناه ، وأحتمل أن يكون فداءه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءه من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أزم فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد . على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراً في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كُلِّ مَنْ حَلَّ سُرٌّ مَنْ رَى مِنَ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يُدَاخِلُ الْأَمْلاكَ
لو رأى الكلب ماثلاً بطريق قال للكلب يا جعلت فداك

١٠
٢١٤
٢

١٥

٢٠

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل ، أبقاك الله ، وأمتع بك ، إلا في الابن
والخادم المنقطع إليك ؛ وأما في كتب الإخوان ، فغير جائز بل مذموم مرغوب
عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحلت عما عهدت من أدبك أم نلت مُسْكَافَهتَ في كُتُبِكَ
أم قد ترى أن في مُلاطفة الأخوان نَقَصاً عليك في أدبك
أكان حقاً كتابُ ذى مِمة يكون في صدره : وأمتع بك
أتعبت كَفَيْكَ في مُكاتبتى حَسْبُكَ ما قد لقيتَ في تعبك

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أُملى وكلّ شيء أنالُ من سَبَبِكَ
أنكرت شيئاً فاستُ فاعله ولن تراه يُخَطُّ في كُتُبِكَ
إن بك جهلُ أتاك من قبلى فعدّ بفضلي على من حَسَبِكَ
فأفُ فذنتك الثفوس عن رجل يعيش حتى الماتِ في أدبك

ولسلك مَكْتُوبٍ إليه قدرٌ ووَزنٌ ، ينبغي للكاتب ألا يتجاوز به عنه ،
ولا يُقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوک خطاب
العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَذِقُ الحديث يقول ما لا يفعل^(١)

وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا قدر الملوک أن يمدحوا بما
تُمدح به العوام ؛ لأن صِدْقَ الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو
واجب على العامة ، والملوک لا يمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم
بالتوافل ؛ لأن المادح لو قال لبعض الملوک : إنك لا تَرَنى بحليلة جارك ، وإنك
لا تخون ما أستودعت ، وإنك لتصدق في وعدك وتنى بعهدك ، فكانه قد
أثنى بما يجب ، ولو قصد بثنائه إلى مقصده^(٢) كان أشبه في الملوک^(٣) .

(١) مَذِقُ الحديث ، أى في حديثه مداورة ومواربة . (٢) أى ثناؤه على الملوک

بالتوافل لا بالفرائض . (٣) فى الملوک ، أى فى مدح الملوک .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ،
غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا على الخلفاء خاصة . ونحن نعلم أن الكيس هو
العاقل ، لكن لو وصفت رجلاً فقلت : إنه لعاقل ، كنت مدحتّه عند الناس ،
وإن قلت : إنه لكيس ، كنت قد قصّرت به عن وصفه وصغرت من قدره ،
إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأنّ العامّة لا تلتفت إلى معنى الكلمة ، ولكن إلى
ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامّة لهذه الكلمة
مع الخدائنة والغرّة وخساسة القدر وصغر السن . وقد روينا عن عليّ كرم الله
وجهه أنه تسمّى بالكيس حين بنى سجن الكوفة ، فقال في ذلك :

أما تراني كَيْسًا مُكَيْسًا^(١) بنيتُ بعد نافع مُخَيِّسًا^(٢)

حَصِينًا حَصِينًا^(٣) وأمينًا كَيْسًا

وقال الشاعر : ما يصنع الأحمق المرزوق بالكيس^(٤)

وكذلك نعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ،
كذلك روينا عن ابن عباس . وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له بلّغ ويقول
في تلميحته : لبيك ياذا المعارج ، فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس
كذا كنّا نلبّي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنّا نقول : لبيك
اللهم لبيك . وكان [أبو] إبراهيم المزني^(٥) يقول في بعض ما خاطب به داود
ابن خلف الأصهباني^(٦) : فإن قال كذا فقد خرج عن الملة ، والحمد لله .

(١) كيسا مكيسا ، أى ظريفا ناعما .

(٢) الخيس : سجن كان بالكوفة غير مستوفق البناء من قصب ، فكان المحبسون
يهربون منه ، لهذا بنى على الخيس . ويسمى السجن الخيس ، بفتح الياء المشددة ،
لأن الناس يخيسون فيه ويلزمون نزوله ، أو الخيس ، بكسر الياء المشددة ،
لأنه يخيس المحبوسين .

(٣) في اللسان مادة خيس « بابا كبيرا وأميناً » . (٤) الكيس : العقل .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزني ، أخذ عن الشافعي ، وكان ورعا فقيها ،
وتوفى بمصر سنة ٢٦٤ (انظر فهرست ابن النديم) .

(٦) في الأنساب : « داود بن علي » ، وفي رسائل البلغاء : « داود بن علي بن خلف
الجزاعي » وهو من أصحاب الظاهر ، الذين يجرون التصوص على ظاهرها .

فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما ردّ عليه : تحمد الله على أن تُخرج أسراً مسلماً من الإسلام ، وهذا موضع أسترجاع ، وللحمد مكان يليق به ! وإنما يقال في المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأمثال هذه المذاهب ، وأجر على هذه القواعد^(١) ، وتحفظ في صدور كتبتك

- وفصوفاً وخواتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل : نسال الله دنع المحذور ، وصرف المسكروه ، وأشبه هذا ؛ وفي موضع ذكر المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً . فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدّها ويتحفظ فيها^(٢) ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقها من المعنى . واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعام والعام بالخاصّ ؛ لأنّ الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه جلّ ثناؤه أمره ونهيّه ودرّاه ، والرسائل إنما يُخاطب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب يُكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : (وأسأل القرية التي كُنّا فيها والغير التي أقبلنا فيها) وكقوله تعالى : (بل مكّر الليل والنهار) ، احتاج الكاتب أن يُبين معناه : بل مكّرم بالليل والنهار ؛ ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأنّ الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ، وأغفروا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مستساغ

(١) في بعض الأصول : « القوام » .

(٢) في بعض الأصول : « يتحفظ بها » .

في الرسائل ولا جائز في البلاغات . فما [أجيز] في الشعر من الحذف [مثل]

٢١٦
٢

قول الشاعر^(١) : قواطناً مَكَّةَ من وُزُقِ الحَمَى^(٢) يعني الحمام

وقول الآخر : صِغَرِ الوِشاحِينَ صَمَوْتَ الخَلْخَلِ^(٣) يريد : الخللخال

وكقول الآخر : دارٌ لِسائِي إِذْ مِنْ هَواكا يريد : إذ هي

وكقول الخطيئة :

فِيها الرِماحُ وَفِيها كُلُّ سابِغَةٍ جَدَلًا مَسْرُودَةٌ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ^(٤)

يريد : سليمان . وكقول الآخر^(٥) :

مَنْ نَسَجَ داودُ أبى سَلَامٍ وَالشَّيخُ عُثْمَانُ أبى عَفَّانِ

أراد : عثمان بن عفان . وكما قال الآخر^(٦) :

وَسائِلَةٌ بِمَعْلَبَةٍ بِنِ سَيِّرٍ وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَعْلَبَةِ العَلُوقِ^(٧)

١٠

وأراد : ثعلبة بن سيار . [وكما] قال الآخر :

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ أُسْقِنِي إِنْ كانَ ماؤُكَ ذَا فَضْلٍ

أراد : ولكن .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصغَرَ الاسم في موضع التّعظيم ، وإن كان

ذلك جائزاً ، مثل قولهم : دُوَيْهِيَّة ، تصغير داهية . وجُدَيْل ، تصغير جدل .

١٥

وعُدَيْق ، تصغير عُدُق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

(١) هو العجاج . (انظر لسان العرب مادتي حم وقطن) .

(٢) حذف الميم وقلب الألف ياء ، وهو حذف شاذ . وقيل إنما حذف الألف من

الحمام ، فبقيت الهم ، فاجتمع حرفان من جنس واحد فلزمه التضعيف ، فأبدل ياء

من الميم .

٢٠

(٣) قال ابن منظور في اللسان (مادة خلخل) : والخلخل (بالفتح) والخلخل (بالضم) :

من الخلى ، معروف . ثم قال : والخلخل (بالفتح) : لغة في الخللخال أو مقصور

منه ، واحد خلائيل النساء . (٤) في لسان العرب (مادة جدل) :

فيه الجياد وفيه كل سابقة جدلاء محكمة من نسج سلام

(٥) ذكر ابن منظور (مادة سلم) صدر هذا البيت مجزا لصدر آخر وهو :

* ودعا بمحكمة أمين سكها * ونسبه للأسود بن يعفر .

٢٥

(٦) هو الفضل البكري . (انظر لسان العرب مادة علق) . (٧) العلوق : الميتة .

وكلُّ أناسٍ سوف تَدْخُلُ بينهم دُويهيَّةٌ تصفَّرُ منها الأناملُ

وقال الحُبابُ بنُ المُنذر ، يومَ سَقيفةِ بنى ساعدة : أنا عُدِّيَّةُ المُرجَبِ ،
وجُدَيْلُها المُحسِّكُ . وقد شرحه أبو عبيد (١) .

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً مثل قولهم : كَلَّمْتُ إياك ،

وأعنى إيتاك ، وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :

وأحسِنْ وَأَجْمِلْ في أسيرِكَ إنَّه ضعيفٌ ولم يأسِرْ كإياكَ آسِرُ

وقال الراجز :

* إياك حتى بلغت إياك *

فتختَّير من الألفاظ أرجحها لفظاً (٢) ، وأجزَلها معنى ، وأشرفها جوهرأ ،

وأكرمها حسبا ، وأليقها في مكانها ، وأشكَلها في موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فَرِنِ اللَّفْظَةَ قبل أن تُخْرِجَها بـمِيزانِ التَّصْرِيفِ إذا عَرَضْتَ ، وعارِ الكَلِمَةَ بـمِيارِها ١٠

إذا سَنَحْتَ ، فإنه ربما مرَّ بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبت : أنا

فاعل ، أحسن من أن تكتب : أنا أفعال ، وموضع آخر يكون فيه : أستفعلت ،

أحلى من : فعلت . فأدر الكلام على أما كنه (٤) ، وقبَّله على جميع وجوهه ، فأى

لفظة رأيتها [أخف] في المكان الذي ندمتها إليه ، وأنزع إلى الموضع (٥) الذي راودتها

عليه ، فأوتعها فيه ، ولا تجعل اللفظة قليقة في موضعها ، نافرة عن مكانها ، فإنك ١٥

متى فعلت هجنت الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذي ٢١٧

أردت إصلاحه ؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدك بها إلى غير

مُصابِها (٦) ، إنما هو كترقيع الثوب الذي لم تشابه (٧) رقاعه ، ولم تتقارب أجزاؤه ،

(١) العذيق : تصغير عذق ، بفتح العين ، وهو النخلة . والمرجَب : الذي جعل له

٢٠ رجة ، وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت

تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف . والجذيل المحسك : عود ينصب

في مبارك الإبل تنمرس به الإبل الجربى . وفي بعض الأصول : « وقال سرحة

أبو عبيدة » . وهو تحريف . (٢) في ي ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٨٨

طبعة دار الكتب) : « وزنا » . (٣) وفي رواية : « وأكلها حسنا » .

٢٥ (٤) في بعض الأصول : « أعكانه » . (٥) في بعض الأصول : « فآزرعها إلى المكان

الذي أوردتها » . (٦) في نهاية الأرب : « مظانها » .

(٧) في بعض الأصول : « تشابهه » .

نخرج من حدّ الجِدَّة ، وتغيّر حُسْنُه ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ تَبَيَّنَ النَّاسُ^(١) أَنْ الثُّوبَ مَرَّةً قَوَّعُ
وكذلك كلما أحلولى الكلامُ وعَدَّب وراق وسَهلت مخارجه كان أسهل
وُلوجاً^(٢) فى الأسماع ، وأشدّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفّ على الأفواه ؛ لا سيما إذا
كان المعنى البديع مُترجماً بلفظ مُونق شريف ، ومُعابراً بكلامٍ عَدَّب لم يسمه
التكليف بميسمه ، ولم يفسده التعقيد باستغلاقه^(٣) .

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن وزور^(٤) كلامه وجاوزه
المقدار فى التنطع ، فوقع فى أسفل كتابه :

أنى يكون بليغاً من اسمه كان عيياً^(٥)
وثالث الحرف منه^(٦) أذى كُفيت مُسيئاً^(٧)

قال : وبلغنى أن بعض الكتّاب عاد بعض الملوك فوجده يئنّ من علة ،
فخرج عنه وصرّ بباب الطاق^(٨) ، فإذا بطير يدعى الشفانين^(٩) ، فاشتره
وبعث به إليه ، وكتب كتاباً وتنطع فى بلاغته : وتذكره أنه يقال له شفانين ،
أرجو أن يكون شفاء من أنين . فوقع فى أسفل الكتاب : والله لو عطست ضبياً
ما كنت عندنا إلا نبطياً ، فأقصر عن تنطعك^(١٠) ، وسهّل كلامك .

قوله : لو عطست ضبياً ، يريد أن الضباب من طعام الأعراب وفى بلدهم ؛
فقال : لو عطست فنثرت ضبياً من عطاسك لم تلحق بالأعراب ولم تسكن إلا

(١) فى بعض الأصول : « بين للناس » . (٢) فى بعض الأصول : « وأرجا » .

(٣) فى بعض الأصول « باستهلاكه » . (٤) فى بعض الأصول : « وصدر » .

(٥) يشير إلى الحرفين الأولين من « عيسى » .

(٦) يشير إلى السين والألف وما فىهما من معنى الإساءة .

(٧) مسياً : مسيئاً ، ثم سهلت الهمزة وأدغمت الياء فى الياء .

(٨) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى . (انظر معجم البلدان) .

(٩) فى حياة الحيوان للدميرى : « الشفانين بكسر الشين المعجمة ، وهو متولد بين

نوعين مأكولين ، وعده الجاحظ فى أنواع الحمام . وبعضهم يقول : الشفانين هو

الذى تسميه العامة الحمام ، وجمعه شفانين » .

(١٠) فى بعض الأصول : « بمضك » .

بين عيسى بن
لهيعة وأخيه

بين بعض الملوك
وكانت

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

نَبَطِيًّا . وقد جاء في بعض الحديث : إن القِطَّ من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الأَسَدِ ، وإن الفأر من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الخِنْزِيرِ . فقال هذا : لو أن الضبَّ من نَثْرَتِكَ لم تكن إلا نبطيا . وفي هذا المعنى قال مَخْلَدُ الموصلي يهجو حبيبا :

لمخلد الموصلي
يهجو حبيبا

أنت عندي عربيّ ليس في ذلك كلام
شعر ساقيك وفخذي لك خزامى وثمام^(١)
وقدّي عينك صبيغ ونواصيك ثغام^(٢)
وضلوع الصدر من شدّ وك نبع وبشام^(٣)
لو تحركت كذا أذ جففت منك نعام
وظبياء راتعا ت ويرابيع عظام^(٤)
وحمام يتغنى حبّذا ذلك الخمام
أنا ما ذنبي لأن كذبني فيك الأنام
وفتي^(٥) يحلف ما إن عرقت فيه الكرام^(٦)
ثم قالوا جاسمي^(٧) من بني الأنباط حام
كذبوا ما أنت إلا عربيّ والسلام

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفيّ بالزُّوح الخفيّ ، والملفظ الظاهر بالجُثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجَزَل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام مُتسقاً ، وتساؤل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتساؤل الحسنة في الأطوار الرثّة

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ وإشارة وعقد وخط . وقد

ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى

(١) الخزامى والثمام : نباتان .

(٢) البشام : شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويساك بقصبه .

(٣) اليرابيع : جمع يربوع ، دويبة فوق الجرذ ، الذكر والأنثى فيه سواء .

(٤) في بعض الأصول : « واقفا » . (٦) يقال : حرق فيه أعمامه (بالتضعيف)

وأعرقوا ، إذا خالطه ذلك وتخلق بأخلاقهم . (٧) كذا في ي . وجاسمي :

منسوب إلى جاسم ، حى قديم . والذي في سائر الأصول : « هاشمي » .

النَّصِيبَةُ^(١). والنَّصِيبَةُ: الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة، وهي الناطقة بغير لفظ، ومُشيرة إليك بغير يد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق. وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني، وسافرة عن وجوهها. وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف، صِنْفَانِ، هما: القلم واللسان، وكلاهما للقلب ترجمان. فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حدِّ الاستبهايم إلى حدِّ الإنسانية بالكلام؛ ولذلك قال صاحب المنطق: حدُّ الإنسان الحيِّ الناطق. وقال هشام بن عبد الملك: إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح. وقال علي بن عبيدة: إنما يُبين عن الإنسان اللسان، وعن المودّة العيمان. وقال آخر: الرجل مخبوء تحت لسانه. وقالوا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه. وقال الشاعر:

وما المرء إلا الأصفران لسانه ومَقْمُولُهُ والجِسْمُ خَلَقَ مُصَوَّرُ
فإن طُورَهُ^(٢) رافقتك يوماً فرمما أمراً مذاقُ العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة، وحلية موصوفة، وفضيلة بارعة، ليست لهذه الأصناف؛ لأنه^(٣) يقوم مقامها في الإيضاح عند المشهد، ويفضلها في المغيب، لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة، والبُلدان المتفرقة، وتُدرس في كل عصر وزمان، وبكل لسان، واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يعدو سامعه، ولا يجاوزه إلى غيره.

البلاغة

قال سهل بن هارون: سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة. وقيل لجعفر بن [يحيى بن] خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على الكثير. وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: قلة الحُصْر، والجُرأة على البشر؛ قيل له:

(١) النصيبية: كل ما نصب لجعل علماً.

(٢) كذا في ي. وطورة، أي هيئة حسنة وجمال. وفي سائر الأصول: «ترها».

(٣) في بعض الأصول: «ليست هذه الأوصاف إلا لأنه... الخ» وهي ظاهرة الاضطراب.

سهل بن هارون
وغیره فی معنی
هذا العنوا

فما العي؟ قال: الإطراق من غير فِكْرَة ، والتَّخْنِج من غير عِلَّة . وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ ، وتَقْصِيرُ الطَّوِيلِ . وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: حَذْفُ الْفُضُولِ ، وتَقْرِيْبُ الْبَعِيدِ . وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حُسْنُ الْأُسْتَعَارَةِ . وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إِضَاحُ الْمُعْضِلِ ، وَفَكُّ الْمَشْكَلِ . وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ، وَبَعُدَ مُنْتَهَاهُ . وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ لِلْحُجَّةِ . وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ ، وَالْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الْجَزَالَةُ وَالْإِصَابَةُ .

تضمين الأسرار في الكتب

وأما تضمين الأسرار في الكتب [حتى] لا يقرؤها غير المكتوب إليه ١٠ ففيه أدبٌ تجب معرفته . وقد تعلقَتِ الْعَامَّةُ بِكِتَابِ الْقَمِيِّ (١) وَالْأَصْفَهَانِيِّ (٢) . وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف (٣) لى منهُمَا أَسْيَاءَ جَلِيلَةٍ مِنْ تَبْدِيلِ الْحُرُوفِ ، وَذَلِكَ مُمَكِّنٌ لِسُكْلِ إِنْسَانٍ . غَيْرَ أَنَّ اللَّطِيفَ مِنْ ذَلِكَ : أَنْ تَأْخُذَ أَمْنَا حَلِيمَا فَتَكْتُبَ بِهِ فِي الْقِرْطَاسِ ، فَيَذَرُ الْمَكْتُوبُ لَهُ عَلَيْهِ رَمَادًا سَخْنًا مِنْ رَمَادِ الْقِرَاطِيسِ ، فَيُظْهِرُ مَا كَتَبْتَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَإِنْ شِئْتَ كَتَبْتَ بِمَاءِ الزَّجِّ الْأَبْيَضِ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَمَرَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ غُبَارِ الزَّجِّ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا يُقْرَأَ الْكِتَابُ بِالنَّهَارِ وَيُقْرَأَ بِاللَّيْلِ فَارْتَبِهَا بِمِرَارَةِ السَّلْحَفَةِ .

(١) القمى ، رجلان : أحدهما إسماعيل بن محمد ، وله من الكتب : كتاب الهند وكتاب العلل . والآخر على بن موسى ، وكان أحد الفقهاء العراقيين المشهورين .
٢٠ (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٥ ، ٢٠٧ ، طبعة أوربية) . وظاهر أن المعنى منهُمَا هُنَا إِسْمَاعِيلُ .

(٢) هو أبو علي الحسن بن عبد الله ، أصفهاني المولد . دخل الحضرة وأخذ عن أخذ عنه أبو حنيفة الدينوري . وله من الكتب : الرد على الشعراء . كتاب المنطق . كتاب علل النحو . كتاب التسمية . كتاب المشاشة والبشاشة ، وغيرها .
٣٥ (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨١) طبعة أوربية .

(٣) في بعض الأصول : « وضع » .

قولهم في الأقلام

قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المُخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معانٍ معقودة بحروف معلومة مؤلفة^(١) ؛ مُتباينات الصور ، مختلفات الجهات ؛ لفاحها التفكير ، ونتاجها التدبير ؛ تخرُّس مُنفردات ، وتنفق مزدوجات ؛ بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ؛ خلا^(٢) قلم حَرْفٍ باريه قطته ليعلق المداد به ، وأرهف جانبه يُردّ ما أنتشر عنه إليه ، وشقّ رأسه ليجتسب^(٣) المداد عليه ، فهناك أتمد القلم بشقه ، وتثرى القرطاس بخطه ، حروفاً أحكمها التفكير^(٤) ، وجرى على أسلته^(٥) الكلام ، الذى سدّاه العقل ، وألجمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء . وقال الشاعر ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأسمَرَ طَاوِي الكَشْحِ أَخْرَسَ نَاطِقِي له ذَمَلَانِ فِي بَطُونِ المَهَارِقِ^(٦)
 إِذَا أَسْتَعْبَجْتَهُ الكِفُّ أَمَطَرٌ وَبِئْسَ بِلا صوتِ إِرْعَادٍ وَلا ضَوْءٍ^(٧) بَارِقِ
 إِذَا مَا حَدَا غُرُّ القِـوِافِي رَأَيْتَهَا مُجَلِّبِيَةً تَمْضِي أَمَامَ السِّـوَابِقِ
 كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دُجْبَى اللَّيْلِ حُلَّةً إِذَا مَا أَسْتَهَلَّتْ مَرْزَنَهُ بِالصَّوَابِقِ
 كَأَنَّ اللَّالِي وَالزَّبْرَجْدُ نَطَقَهُ وَنَوَّرُ الخَزَامِي فِي عِيُونِ الحِداثِقِ

وقال العلوي في صفة القلم :

وعُزْيَانٌ مِنْ خِلْعَةٍ مُسَكَّتَسِ يَمِيسُ مِنَ الوَشْيِ فِي يَلْمَقِ^(٨)

للعلوي

(١) في بعض الأصول : « معقودة بحروف معلولة . . . » .
 (٢) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالقلم .
 (٣) في ي : « لتجسس » . (٤) في ي : « أحكمتها الفكر » .
 (٥) في بعض الأصول : « وأولى الاستماع بها » .
 (٦) الذملان : ضرب من السير ، وقيل هو السير اللين .
 (٧) في ي : « برق » . (٨) اليلق : القباء ، فارسي ، معرب يله .

تَحَدَّرُ مِنْ رَأْسِهِ رَيْقَةً^(١) تَسِيلُ عَلَى ذِرْوَةِ الْمَفْرِقِ
فَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لَهُ مُطَلَقٌ وَكَمْ مِنْ طَالِقٍ لَهُ مُوْتَقٌ
يُقِيمُ وَيُوطِنُ غَرْبَ الْبِلَادِ وَيُنْهَى وَيَأْمُرُ بِالْمَشْرِقِ
قَلِيلٌ كَثِيرٌ ضُرُوبُ الْخَطُوطِ وَأَخْرَسُ مُسْتَمِعُ الْمَنْطِقِ
يَسِيرُ بِرَكْبٍ ثَلَاثِ عِجَالٍ إِذَا مَا حَذَا الْفِكْرُ فِي مُهْرَقِ

لبعض الشعراء

وقال آخر في القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْمُطِيعُ غَيْرَ أَنَا وَجَدْنَا رَسْمَهُ خَيْرَ الْمُطَاعِ
لَهُ ذَوْقَانِ مِنْ أَزْيِ هَنِيٍّ وَمِنْ شَرْمِيٍّ وَبِيٍّ ذِي أَمْتِنَاعِ^(٢)
أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهِ فَيُسْمَعُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي أَسْتِمَاعِ
إِذَا أَسْتَسْقَى بِلَاغْتِكَ أَسْتَهَاتِ عَلَيْهِ سَمَاءُ فِكْرِكَ بِأَنْدِفَاعِ

وقال :

وَبَيْتٍ بِعَلِيَاءِ الْعَلَاةِ بِنَيْتِهِ بِأَسْمَرَ مَشْقُوقِ الْخِيَاشِمِ يُرْعَفُ
كَأَنَّ عَلَيْهِ مَلْبَسًا جَلَدًا حَيَّةً مُقِيمٍ فَمَا يَمْضِي وَمَا يَتَخَلَّفُ
جَلِيلٌ شُئُونُ الْخَطْبِ مَا كَانَ رَاكِبًا يَسِيرُ وَإِنْ أَرْجَلَتَهُ فُضِّعَفُ

لحبيب

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ^(٣) يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ السَّكَلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ
لُعَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرزَى الْجَنِّيُّ أَشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَسْكَنٌ وَقَعْمَا بَأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
فَصِيحٌ إِذَا أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجِمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلِ
إِذَا مَا مَتَطَى الْحَسَّ اللَّطَافِ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقِنَا وَتَقَوَّضَتْ لَنْجَوَاهُ تَقَوُّيْضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ

(١) الريقة : رضاب الفم .

(٢) الأري : العسل ، أو ما يجمعه النحل في أجوافها ثم تلفظه . والفري : الحنظل ،

أو شجره . (٣) كذا في بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٤٨)

ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٥) . وفي سائر الأصول : « بسناها » .

إذا أستعزرت الذهنَ الجليَّ وأقبلتْ
أعاليه في القِرْطاسِ وهى أسافلُ
وقد رفدته الخِمْصرانِ وسدّدتْ
ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملُ
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مرهفٌ
ضنّى وسميناً خطبُهُ وهو ناحلُ
ولما قال حبيب هذا الشعرَ حسده الخِمْصمى ، فقال لابن الزيات :

ما خطبة القلم التي أنبيتها
وردت عليك لشاعر مجدود

وأنشد البُحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تَأَلَّقَ في النَّدى كَلامُهُ أَلُ
مَصْقُولٌ ^(١) خِلَتْ لسانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
وإذا دَجَّتْ ^(٢) أَقلامُهُ نَمَّ أَنْتَحَتْ
بَرَقَتْ مَصابيحُ الدُّجى في كُتْبِهِ
بِاللَّفْظِ يَتَقَرَّبُ فِهُمُهُ في ^(٣) بُمْدِهِ
مَنَا وَيَبْمُدُ نَيْلُهُ في قُرْبِهِ
حِكْمٌ فَسائِحُها خِلالَ بَنانِهِ
مَتَدَفَّقَ وَقَلْبِها في قَلْبِهِ
وَكانَها وَالسَّمْعُ مَعْمُودٌ بِها
شَخْصُ الحَبِيبِ بَدَأَ لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

للبحترى يصف قلم
الحسن بن وهب

لأحمد بن
أبي طاهر

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتباب ويصف القلم :

قَلَمُ الكِتابَةِ في يَمِينِكَ آمِنٌ
مِمَّا يَعودُ عَلَيْهِ فيما يَكْتُتُبُ
قَلَمٌ بِهِ ظَفَرُ العَدُوِّ مُقَلَّمٌ
وهو الأمانُ لما يُخافُ وَيُرْهَبُ
يُبدى السرائرَ وهو عنها مُحْجَبٌ
ولسانُ حُجَّتِهِ بِصَمْتِ يُعَرِّبُ
ومن قولنا في القلم :

بَكَفَهُ سَاحِرُ البِيانِ إذا
أدارَهُ في سَحيفَةِ سَاحِرِ
يَنْطِقُ في مُجْمَعَةٍ بِلَفْظَتِهِ
نُصِمٌ عنها وَتَسْمَعُ البَصِرا
نَوادِرُ يَقرَعُ القُلُوبَ بِها
إِنْ تَسْتَبْهِها وَجَدْتِها صُورا
نِظامُ دُرِّ الكِلامِ ضَمَمَهُ
مِلاكاً لَظَطِ الكِتابِ مُسْتَطَرا ^(٤)
إذا أمتطى الخِمْصرينِ أذْكَرَ مِنْ
سَحبانِ فيما أَطالَ وأختصرا

لابن عبد ربه
في القلم

(١) كذا في ديوان البحترى . والذى في الأصول : « في العيون كلامه المجدود » .
(٢) في بعض الأصول والديوان : « دنت » .
(٣) في الأصول : « عن » وما أثبتنا عن الديوان . (٤) مستطرا ، أى مكتوبا .

يُخاطَبُ الغَائِبَ البَعِيدَ بِمَا تَرَى المَقَادِيرَ تَسْتَدْفُ (١) لَهُ
 شَخْتٌ (٢) ضَيْلٌ لِفَعْلِهِ خَطَرَ
 تَمَجَّجَ فَكَأَنَّ رَيْقَةً صَفُرَتْ
 تَوَاقَعُ النَفْسُ مِنْهُ مَا حَدَرَتْ
 مُهْمَهْفٌ تَزْدَهِي بِهِ صُحُفٌ
 كَأَنَّمَا تَرْتَعُ العَيُونَُ بِهَا
 إِنْ قَرُبَتْ مُرِّطٌ (٤) طَوَابِعُهَا
 يَكَادُ عَنَوَانَهَا لِرَوْعَتِهِ
 يُنْبِيكَ عَن سِرِّهَا الَّذِي أُسْتَتَرَا

- ١٠ ومن أحسن ما شُبهت به الأقلام وشبَّه بها قولُ ذِي الرِّئْمَةِ :
 كَأَنَّ أُنُوفَ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا خِرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَحْطُ وَتُعْجِمُ
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ فِي وَلَدِ البَقْرَةِ :
 تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
 وَمِنْ قَوْلِنَا (٥) :
 يَخْرُجُنْ مِنْ فُرْجَاتِ النَّعَقِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ
 وَمِنْهُ قَوْلُ المَأْمُونِ :
 كَأَنَّمَا قَابِلُ القَرطَاسِ إِذْ مُشَقَّتْ (٦) مِنْهَا ثَلَاثَةٌ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ
 وَمِثْلُهُ قَوْلِنَا :
 إِذَا أَدَارَتْ بِنَانَهُ قَلَمًا لَمْ تَدَّرْ لِشَّبْهِهَ أَيُّهَا القَلَمُ

لدى الرمة في
وصف القلم

لابن الرقاع
في مثله

لابن عبد ربه

المأمون في مثله

لابن عبد ربه

- ٢٠ (١) تستدف ، أى تسهل وتستقيم . وفي بعض الأصول : « تستدق » .
 (٢) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لاهزالا . (٣) الريقة : ماء القم .
 (٤) كذا في ي . ومرطت أى نزعت وتطايرت كما يمرط الريش ؛ أى أن أختامها تفض
 بأذن لمس . والذي في سائر الأصول : « فرطت » .
 (٥) جاء في بعض الأصول البيت الآتي منسوباً لعدي وبيت عدي قبله منسوباً للمؤلف .
 (٦) مشقت ، أى استدقت . شبه الأصابع في دقتها بالأقلام .

ومن قولنا في الأقلام :

ومعشر تنطق أقلامهم بحكمة تَلَقَّنَهَا الْأَعْيُنُ
تَلْفِظُهَا فِي الصِّكِّ أَقْلَامُهُمْ كَأَمَّا أَقْلَامُهُمُ الْأَسْنُ

ومن قولنا في الأقلام :

٥ يا كاتباً نقشت^(١) أناملُ كَفِّهِ سَجَرَ الْبَيَانِ بِلَا لِسَانٍ يَنْطِقُ
إِلَّا صَقِيلَ الْمَنِّ مَلُومَ الْقَوَى حُدَّتْ لَهُازِمُهُ وَشُقَّ الْمَفْرِقُ
فَإِذَا تَكَلَّمَ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً فِي مَغْرَبٍ أَصْغَى إِلَيْهِ الْمَشْرِقُ
يَجْرَى بِرِيقَةٍ أَزِيهِ أَوْ شَرَبِهِ يَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ سُورَاهِ الْمُهْرَقِ^(٢)

ولعبد الله بن المعتز كلامٌ يصف فيه القلم : القلم يَخْدُمُ الْإِرَادَةَ ، وَلَا يَمْلُ

كلام لابن المعتز
في وصف القلم
ثم لابن وهب

١٠ الْأَسْتِزَادَةَ ؛ يَسْكُتُ وَاقْفًا ، وَيَنْطِقُ سَاكِتًا ؛ عَلَى أَرْضٍ بِيَاضِهَا مَظْلَمٌ ، وَسَوَادُهَا
مَضْيٌ . وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ وَهْبٍ ، وَزَيْرُ الْمَهْدِيِّ : كُلُّ قَلَمٍ تُطِيلُ جِلْفَتَهُ^(٣) فَإِنِ انْخَطَّ
يَخْرُجُ بِهِ أَوْ قِصٌّ^(٤) .

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

لابن الليث يصف
لجعفر بن يحيى
الخط

١٥ أما بعد ، فليكن قلمك بحرياً ، لا سميناً^(٥) ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغاظ ،
ضيق النَّقْبِ . فَأَبْرَهُ بِرَيَا مُسْتَوِيَا كَمِنْقَارِ الْحَمَامَةِ ، أَعْطِفْ قَطْعَتَهُ^(٦) ، وَرَقِّقْ
شَفْرَتَهُ^(٧) . وَليكن مدادك صافياً^(٨) ، خفيفاً إذا استمددت منه^(٩) ، فَأَنْعَمَهُ لَيْلَةً ثُمَّ
صَمَّمَهُ فِي الدَّوَاةِ . وَليكن قَرطاسك رقيقاً مُسْتَوِيَا الدَّسَجِ ، تَخْرُجُ السَّحَابَةُ مُسْتَوِيَةً مِنْ
أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ إِلَى الْآخَرِ ، فَلَيْدَسْتَ تَسْتَقِيمُ السُّطُورُ إِلَّا فِيمَا كَانَ كَذَلِكَ . وَليكن
أَكْثَرَ تَمْطِيطِكَ فِي طَرَفِ الْقَرطَاسِ الَّذِي فِي يَسَارِكَ وَأَقْلَهُ فِي الْوَسْطِ ، وَلَا تَمْطُ

٢٠ (١) في ي : « بعثت » . (٢) في بعض الأصول : « يدلى » مكان

« يجرى » . والأرى : العسل . والشرى : الحنظل أو شجره .

(٣) الجلفة من القلم (بالكسر ويفتح) : ما بين مبراه إلى سنته .

(٤) الوقص : قصر في العنق مع ميل . شبه به مثله من الخط .

(٥) في بعض الأصول : « متينا » . (٦) في بعض الأصول : « بطنه » .

(٧) في بعض الأصول : « شفتيه » . (٨) في بعض الأصول : « فارسيا » .

(٩) في بعض الأصول : « وزنه » مكان « استمددت منه » .

في الطرف الآخر ، ولا تَمْطَّ كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى
بغير مطّ ؛ فإنك إذا فرقت ^(١) القليل كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سمجا .
ثم أبتدى الألف برأس القلم كله واخططه بعرضه وأختمه بأسفله . واكتب
الباء والتاء والسين والشين ؛ والمطّة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف
والعين والغين ، ورأس كلّ مرسل ، برأس القلم . واكتب الجيم والحاء والخاء
والدال والذال والراء ، والمطّة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف
والعين والغين بالسنّ السفلى من القلم ، وامطط بعرض التلم . والمطّ نصف الخط ،
ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنظر إلى
اليد في استعمالها الحركة ، والسلام .

- ١٠ وقال ابن طاهر لكتابته : ألقِ دَوَانِكَ ، وَأطِلِّ سِنَّ قَلَمِكَ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ
السُّطُورِ ، وَقَرِّمْ بَيْنَ الْحُرُوفِ . وقال ^(٢) إبراهيم بن جبلة : مرّ بي عبد الحميد ، وأنا
أخط خطأ رديئاً ، فقال لي : أتحب أن يجود خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطِّل
جِلْفَةَ الْقَلَمِ وَأَسْمِنَهَا ، وَحَرِّفْ قَطَطَكَ وَأَيْمِنَهَا . ففعلت فجاد خطي . وقال العتّابي :
بُبُكَاءِ الْقَلَمِ تَبْتَسِمُ السُّكُتُ . وقال بعض الحكماء : أَمْرُ الدِّينِ والدُّنْيَا تَحْتِ
شِبَاةِ ^(٣) السِّيفِ وَالْقَلَمِ . وقال حبيب الطائي :

لابن طاهر ثم
لعبد الحميد يوصي
ابن جبلة ثم للعتّابي
وبعض الحكماء
ثم شعر حبيب

- ١٥ لولا مُنَاشِدَةُ الْقُرْبَى لَعَادَرَكُمُ حَصَائِدُ الْمُرْهَفَيْنِ : السِّيفِ وَالْقَلَمِ
وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حَكِيمَةَ :
كُنْتُ أُكْتُبُ الْمَصَاحِفَ ، فَمَرَّ بِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَقَالَ :
أَجَلُّ قَلَمِكَ . فَقَصَمْتُ مِنْ قَلَمِي قِصْمَةً . فقال : هَكَذَا ، نُورُهُ كَمَا نُورُهُ اللَّهُ .

لأرسطاطاليس
ثم لعلي يوصي
أبا حَكِيمَةَ ثم
لابن سيرين

(١) في بعض الأصول : « قرنت » .

(٢) في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٥٩) : « وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان

لرغبان . وكان يكتب بقلم قصير البرية » .

(٣) في الأصول : « شنان » .

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مَشَقاً^(١) ، وقال : أجود الخطأ أبيضه .

لسليمان بن وهب
وغيره في معنى
ما سبق

وقال سليمان بن وهب : زبِنُوا خُطوطكم بِإِسْبَال ذَوَائِبها . وقال عمرو بن

مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، ور بما ضاق على العيون ، وقد

ملا أقطار الظنون^(٢) . وذكر علي بن عبيدة^(٣) القلم فقال : أصمَّ يسمع النَّجوى ،

أعيا من باقل ، وأبلغ من سَحبان وائل ، يُجهل الشاهد ، ويُخبِر الغائب ،

ويجعل السكتب بين الإخوان ألسنا ناطقة ، وأعيننا لاحظة ، ور بما صَمَمَها من

ودائع^(٤) القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف

السكاتب : ما عبرتُ الغواني في خُودهنَّ بأحسن من عبرات الأقلام في خُود

السكتب . وقال المتاني : الأقلام مطايا الفِطن . وتَخاير^(٥) غلامان في بعض الدواوين

فقالا إلى أستاذهما يعرضان عليه خُطوطهما ، فكره أن يُفضِّل أحدهما على الآخر ،

فقال لأحدهما : أما خطك أنت فَوْشَى مَحُوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت

فذهب مَسْبُوك ، تسكافيتما في غاية ، وتوافيتما في نهاية . وقال آخر : دخلتُ

الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيبُ عَمِيان وعليه مكتوب :

وا بأبي ، وا بأبي من كفت من يكتب بي^(٦)

شعر لأبي هفان
في وصف القلم

وقال أبو هفان يصف القلم :

وإذا أَمَرَ على المَهَارِق كَفَّهُ بأنامل يحملن شَخْتاً مُرْهَفاً^(٧)

ومَقْصِراً ومُطَوِّلاً ومَقْطَعاً ومُوصِّلاً ومُشْتَتاً ومُؤَاثِفاً

كالْحَيَّة الرَّقْشَاء إلا أنه يَسْتَنْزِل الأروى إليه تَلَطُّفاً^(٨)

يَهْفُو بها قَلْمٌ يَمِجُّ لِعَابِهِ فيعود سيفاً صارماً ومُتَقَفِّفاً

(١) المشق في الكتابة : مدحروفها . (٢) في ي : « روائع » .

(٣) في بعض الأصول : « علي بن عبيد » .

(٤) في بعض الأصول : « أخطار الفنون » . (٥) تخاير : تفاخر .

(٦) في بعض الأصول : « من كفه تسكتب » .

(٧) الشخت (بالفتح وبمحرک) : الدقيق الضامر لا هزالا .

(٨) الأروى : جمع كثرة للأروية ، وهي أنثى الوعول .

شعر لبعضهم
في وصف الدواة

وقال آخر في وصف الدواة :

ومُسَوِّدَةُ الأَرْجَاءِ قَدْ خُضَّتْ حَالَهَا
خَمِيصُ الحَشْيِ يَرَوِي عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ
ورَوَيْتَ مِنْ قَعْرِ لَهَا غَيْرَ مُنْبِطٍ^(١)
أَمِينًا عَلَى سِرِّ الأَمِينِ المُسَلِّطِ
وقال بعض الكتّاب :

وما رَوَى الرِّبِيعِ وَقَدْ زَهَا
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمٍ
نَدَى الأَسْحَارِ بِأَرْجِ البَغْدَادَةِ
تُوَدِّيهِ الأَفَاوَهُ مِنْ دَوَاةٍ
وقال آخر في وصف محبرة :

وَلُجَّةٍ بِبَحْرِ أَجْمٍ العُبا
إِذَا غَاصَ فِيهِ أَخُو غَوْصَةٍ
بِأَدٍ^(٢) وَأَمَواجُهُ تَزَخَّرُ
سَرِيعُ السَّبَّاحَةِ مَا يَفْتَرُ
فَأَنْفَسَ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ
وَأَكْرَمَ بِبَحْرِ لَهْ لُجَّةٍ
بَدِيعُ الكَلَامِ لَهُ جَوْهَرُ
جَوَاهِرُهَا حَكْمٌ تُنْفَثُ

٢٢٣
٣

وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرت الأقاليم لم تطمع في درسه الأيام . ونظر
للمؤمن إلى جارية من جواريه تخط خطاً حسناً ، فقال فيها :

لأمة ثم شعر
للمؤمن في القلم

وزادت لدينا حُظوةً حين أطرقت
أصمٌ سَمِيعٌ ساكنٌ متحركٌ
وفي إصْبَعِهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهَيْفُ
يُنالُ جَسَمَاتِ المُنَى وَهُوَ أَعْجَفُ
وقال بعض الكتّاب :

شعر لبعض
الكتّاب

إِذَا ما التَّقِينَا وَأَنْتَضِينَا صَوَارِما
تَساقطُ فِي القِرْطاسِ مِنْها بَدائِعُ
بِكادٍ يُصمُّ السامِعِينَ صَرِيرُها
كَمِثْلِ اللالِي نَظْمُها وَتَشِيرُها

قال بشر بن المعتز : القلب معدن ، والحلم^(٣) جوهر ، واللسان مُستنبط ،
والقلم صانع ، والخط صيغة^(٤) . وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا

لبشر بن المعتز
وابن هارون
وغيرها

(١) الحال : الطين الأسود . ويريد به : المداد . وأنبط الماء ، إذا استنبطه وانتهى

إليه . يريد أنها غير بعيدة الغور . (٢) باد ، أي ظاهر القبر .

(٣) الحكم : العقل . (٤) في بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .

رَعَفَ^(١) أعلن^(٢) أسراره ، وأبان آثاره . وقالوا : حُسن الخطِّ يُفاضل عن صاحبه ، ويوضح الحجّة ، ويُمكن له دَرَكَ البُغية . وقال آخر : الخطُّ الرديُّ زَمَانةُ^(٣) الأديب . وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال ، منها : جَوْدَةُ بَرَمَى القلم ، وإطالة جِلْفَتِهِ ، وتحريف قَطْطِهِ ، وحُسن التأتى لإمطاء^(٤) الأنامل ، وإرسال المَدَّة بقدر اتساع الحروف ، والتحرّز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ ، والإعجام على التّصحيف ، وأستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلمه في أحسن أجزاءه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه . وقال عبد الله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو غُفْل^(٥) . وفي تفسير قول الله تعالى : (إِنِّي أَنزِلُ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ) . قال : مختوم . ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصّة قد أكثر صاحبها إعجابها ، فقال : ما أحسن ما كتبت ، إلا أنك أكثر شونيزها . وقال أبو عبيدة^(٦) : لا يقال : كأس ، إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة ؛ ولا مائدة ، إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوان ؛ ولا قلم ، إلا إذا برى ، وإلا فهو قصبية . وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المحمّنين عند النخّاسين ، وجلوس الطّفيّليين عند الطّبّاخين .

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاما يبعث بها إليه : أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم ، ولزمت لزوم الوسم ، فخلّت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصّحيرية^(٧) أسرع

(١) رَعَفَ (كنصر ومنع وكرم وعنى وسمع) : خرج من أنفه الدم . وبه شبه سيلان

المداد من القلم . (٢) في بعض الأصول : « أغلق » : تحريف .

(٣) الزمّانة : العاهة . وفي بعض الأصول : « زمّانة الأدب » .

(٤) في فى : ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢) : « لإمطاء » . وهما بمعنى .

(٥) في بعض الأصول : « أغلف » . (٦) في بعض الأصول : « أبو عبد الله » .

(٧) الصّحيرية . نسبة إلى الصّحرة ، وهي جوبة تنجاب وسط الحرة وتكون أرضا لينة

تطيف بها حجارة .

في الكواغد ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ،
 وألين^(١) في المعاطف ، وأشد لتصرف الخط فيها ، ونحن في بلد قبايل القصب
 رديئه ، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام بحرية^(٢) ، وتتناق في أنتقائها
 قبلك ، وتطابها في مظانها ومنابتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن
 تقيم^(٣) باختيارك منها الشديدة المخص^(٤) ، الصلبة المعص ، النقية الحدود ،
 القليلة الشحوم ، المكثرة اللحم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها
 أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وأن تقصد بأنتقائك الرقاق القضبان^(٥) ،
 المقومات المتون ، الملس المعاهد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة
 ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبساً ، وهي
 قائمة على أصولها ، لم تعجل عن إبان نفعها ، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة
 عليها من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها
 ذراعاً ذراعاً ، قطعاً رقيقاً ، ثم عبت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها
 مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعديتها
 وأصنافها ، بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

١٥

لبعض الكتاب قال بعض الكتاب : عطرُوا دفاتر آدابكم بحجيد الخبر ، فإن الأدب غواني ،
 والخبر غوالي . ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره ،
 فقال له :

لا تجزعن من المداد فإنه عطرُ الرجال وحلية الكتاب

- (١) في بعض الأصول : « وأسرع » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصح الأعمى
 (ج ٢ ص ٤٥١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢١) .
 (٢) في الأصول : « صحريه » . والسياق بعد يقتضى ما أثبتنا .
 (٣) في صبح الأعمى : « تيمين » .
 (٤) المحص : قوة الخلق مع ضمور . (٥) في بعض الأصول : « القصبات » .

وأنى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بحُرمة ، فقال له : وما حُرمتك ؟
قال له : كنتَ تسكتب من مِحبرتى عند الأعمش ، فوثب وكيع ودخل منزله ،
ثم أخرج له بضعة^(١) دنانير ، وقال له : أعدر فما أملك غيرها .

وفي الأقلام

أهدى ابنُ العَرَوْن^(٢) إلى رجل من إخوانه من السُّكَّتَابِ أقلاماً وكتب
إليه : إنه لما كانت الكتابة ، أبقاك الله ، أعظمَ الأمور ، وقوامَ الخلافة ، وعمودَ
المملكة ، خصصتُك من آتتها بما يخفُّ تحمله ، وتثقل قيمته ، ويعظمُ نفعه ،
ويجلبُ خطره ، وهى أقلام من القصبِ النابت في الصُّحْر^(٣) ، الذى نَشِفَ في حَرِّ
المجبرِ ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، فهى كاللآلى المسكونة في الصدف ،
والأنوار المحجوبة في السُّدْفِ ، تَبْرِيةُ القُشور ، دُرِّيةُ الظُّهور ، فِضِّيَّةُ السُّكُور ،
قد كستها الطبيعة جواهرَ كالوشى المحبَّر ، وفرندِ الديباج المنير^(٤) .

قولهم في الصحف

نعم الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ تَلَهُو به إن مَلَكَ الأحبابُ
لا مُفْشِيًا مرًّا إذا أستودعتَه وتُفَاد منه حِكْمَةٌ وصَوَابُ
وقال آخر :
واكُلُ صاحبِ لَذَّةٍ متنزّه^(٥) أبدأ ونزّهة عالم في كُتُبِهِ

(١) في بعض الأصول : « نفقة » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن المزون . وفي بعض الأصول : « ابن

المزورى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعمش ونهاية الأرب .

(٣) الصحر : جمع صحرة (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٩٩) من هذا الجزء . والذى في

صبح الأعمش : « الصحرة » . والذى في نهاية الأرب : « الصحراء » .

(٤) الفرند : الثوب . وفي بعض الأصول : « إفرند » وهو بمعناه . والمنير : الذى

جعل له نير (بالسكسر) وهو علم الثوب ، أو القصب والخيوط إذا اجتمعت .

(٥) في بعض الأصول : « نزّه » .

لحيب

وقال حبيب :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَقِرْطَاسٌ كَرَقْرَاقِ السَّرَابِ
وَأَلْفَاظٌ كَأَلْفَاظِ الْمَثَانِي وَخَطٌّ مِثْلُ وَشْمِ يَدِ الْكَعَابِ
كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي السِّكِّتَابِ (١)

وقال في صحيفه جاءته من عند الحسن بن وهب :

لَقَدْ جَلَّى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍّ وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرَّيِّ (٢)
فَضَضْتُ خَتَامَهُ فَتَبَلَّجْتُ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ
وَكَانَ أَعْضَىٰ فِي عَيْنِي وَأَنْدَىٰ عَلَىٰ كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنِّي وَعِنْدِي مِنَ الْبُشْرَىٰ أَتَتْ بَعْدَ النَّعِيِّ
وَضَمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمَّنْ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْحُلِيِّ
فَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ مَعْنَىٰ خَطِيرٍ وَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ لَفْظِ بَهِيِّ
فِيَا ثَلَجَ الْغُؤَادَ وَكَانَ رَضْفًا وَيَا شَيْبِي بَرَوْنَقَهُ وَرِي (٣)
فَكَمْ أَفْصَحْتَ عَنِ بَرِّ جَلِيلٍ بِهِ وَوَأَيْتَ مِنْ وَأَىٰ سَنَى (٤)
كَتَبْتَ بِهِ بِلَا لَفْظِ كَرِيهِ عَلَىٰ أُذُنٍ وَلَا خَطِّ قَمِي (٥)
رِسَالَةً مِنْ تَمَتَّعَ مِنْذَ حِينٍ وَمَتَّعْنَا مِنَ الْأَدَبِ الرَّضِيِّ (٦)
لِئَنَ غَرَّبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بِكَرًا لَقَدْ زُقَّتْ إِلَىٰ قَلْبِ وَفِي (٧)
وَإِنْ يَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّمَايَا فَرَبِّ هَدِيَّةٍ لَكَ كَالْهَدَىٰ (٨)

وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوابه :

لابن أبي طاهر
في ابن ثوابه

فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدُورُ السِّكِّتِ صَادِرَةٌ مِنْ رَأْيِهِ وَنَدَىٰ كَفَّيْهِ عَنِ مَثَلِ
عَنْ خَطِّ أَقْلَامِهِ خَطُّ الْقَضَاءِ عَلَىٰ الْإِ أَعْدَاءِ بِالْمَوْتِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ (١٠)

(١) لم يذكر في ديوان أبي تمام البيتان الأول والثاني . وذكر هذا البيت الثالث في
نصيده له يمدح بها محمد بن الهيثم . (٢) جو : شديد . وفي بعض الأصول :
« جرى » . والشاكلة : الحاصرة . (٣) الرضف : الحجارة المحمأة .

(٤) الوأى : الوعد . وفي الأصول : « فكلم كشفت ... » * به وأيت من رأى .. » .

وما أثبتنا عن الديوان . (٥) قمي ، أصله قمي ، بالهمز ، فسهل

ثم أدغم . والقمي : الصغير اللذيل . (٦) في الديوان : « الوضي » .

(٧) في الديوان : « لقد جلبت على صمم كفي » . (٨) الهدى ، العروس .

لُعَابِهَا عَلَلٌ فِي الصَّدْرِ تَنْفِثُهُ (١) وَوَمَا كَانَ فِيهِ نَفْعٌ لِلْعَلَلِ
كَأَنَّ أَسْطَارَهَا فِي بَطْنٍ مُهْرَقَهَا نَوَزٌ يُضَاحِكُ دَمْعَ الْوَكَافِ الْخَضِلِ

للبحترى

وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات :

قَدْ تَصَرَّفَتْ فِي السِّكِّتَابَةِ حَتَّى عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ
فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ أَمْرُهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّيَالُ حَكَ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونٌ (٢) الْقَرَاظِيهِ سَ وَمَا حَمَلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
حُجْبِجٍ تُحْرِسُ الْأَلْدَّ بِالْفَا ظِي فُرَادِي كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُودِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبِ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْعُلَلِ الْبِي ض (٣) إِذَا رُحْنَ فِي الْخَطُوطِ الشُّودِ

٥

١٠

لعل بن الجهم

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جئيد (٤) :

مَا رُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَشْنِيَّةً كَأَنَّهَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ
نَثْرٌ سَوَادٌ فِي بِيضٍ كَمَا ذُرٌّ فَتَيْتُ الْمِسْكَ فِي الْوَرْدِ
سَاهِمُهُ الْأَسْطُرُ مَصْرُوفَةٌ عَنِ جِهَةِ الْهَزْلِ إِلَى الْجِدِّ
يَا كَاتِبًا أَسْلَمْنِي عَتْبُهُ إِلَيْكَ حَسْبِي مِنْكَ مَا عِنْدِي

١٥

لأبان ثم لأبي نواس في الرد عليه

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق
إلى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته ، وكثافة لحيمته ،
وحلاوة شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغة قلمه ، فقال :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَتَرٌ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ
كَاتِبٌ حَاسِبٌ أَدِيبٌ لَيْبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « طلل يبعثه » .

(٢) كذا في ديوان البحتري . والذي في الأصول : « ما اعتدت منه في بطون » .

(٣) كذا في بعض الأصول والديوان . والذي في سائر الأصول : « في حلال صفر » .

(٤) في بعض الأصول : « جارية » مكان « جيد » .

شاعراً مُفلق أخف من الريشة مما^(١) تكون تحت الجناح
 لى فى النجو فطنة ونفاذ أنا فىه قلادة بوشاح^(٢)
 لورمى بى الأمير أصلحه الله رباحاً صدمت حد الرماح
 ثم أروى من^(٣) ابن سيرين فى الفقه بقول منور الإفصاح
 لست بالضمخ فى روائى ولا الفذ م ولا بالمجعد الدحداح^(٤)
 لحية كثة وأنف طويل وأتقاد كشمة المصباح
 وكثير الحديث من ملح الناس بصير بخافيات ملاح
 كم وكم قد خبات عندى حديثاً هو عند الأمير كاتفتاح
 أئمن الناس طائراً يوم صييد فى غدو أو بكرة أو رواح
 أعلم الناس بالجوارح والصييد وبالخرود الحسان للملاح
 كل هذا جمعت والحمد لله على أننى ظريف المزاح
 لست بالناسك المشمر ثوبئيه ولا الفاتك الخليع الوقاح
 لو دعانى الأمير عاين منى شمرياً كالبلبل^(٥) الصداح^(٦)

قال : فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من إزمينية فرمى به إليه وقال له :
 أجب . فأجاب بما فى غرضه وأحسن . فأمر له بألف ألف درهم ، وكنا نراه
 أول داخل وآخر خارج ، وكان إذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد :
 فبلغ هذا الشعر أبانواس فقال :

أنت أولى بقلة الخط منى يا مسمى بالبلبل^(٧) الصداح^(٦)
 قبلوا منه حين عز لديهم أخرس القول غير ذى إفصاح

٢٠ (١) كذا فى ديوان أبى نواس . وفى سائر الأصول : « لا » .

(٢) فى ديوان أبى نواس : « وانقاد » مكان « ونفاذ » . والوشاح (بالضم والكسر) :
 كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر .

(٣) فى بعض الأصول : « عن » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والديوان .

(٤) الدحداح : القصير . وفى الديوان : « المحمدر الدحداح » .

٢٥ (٥) كذا فى الأغاني (ج ٢٠ ص ٧٥) . والشمرى (بفتح الشين والميم المشددة ،
 وكسرها) : الماضى فى الأمور المحرب . والذى فى الأصول : « صمهايا كالجلجل » .

(٦) فى بعض الأصول : « الصباح » .

(٧) فى الأصول : « أما ... : للمسمى بالجلجل » . وما أثبتنا عن الديوان .

ثم بالريش شبه النفس في الخفصة مما يكون تحت الجناح
 فإذا الشَّم من شماريخ رَضوى خِفّة عنده نوى المشباح^(١)
 لم يكن فيك غيرُ شَيْئينِ مِمّا قلتَ في نعتِ خَلقك الدَّخاح
 لِحْيَةٍ جَمّدةٍ وأنفٌ طویلٌ وسوی ذاك ذاهبٌ في الرّياح
 فيك ما يحمل الملوک على الشَّخْ فِ ويزُرّی بالماجد الجَمّججاج
 بارد الظرف مُظلم اللب تيبا ۞ مُعيدُ الحديثِ سَمج المزاح^(٢)
 قال : فبعث إليه أبان بأن لا تُذيعها وخُذ الألفَ ألفِ درهم . فبعث إليه
 أبو نواس : لو أعطيتني مائة ألفِ ألفِ درهم لم أجد بدأ من إذاعتها . فيقال :
 إنَّ الفضل بن يحيى لما سمع شعرَ أبي نواس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد
 رُمي بِخَمس في بيتٍ لا يقبله على واحدةٍ منهنّ إلا جاهل ، فقيل له : كذب
 عليه . فقال : قد قبل ذلك ، فأقصاه . وإنما أغرى أبان نواس بهذا الكتاب أبان
 بن عبد الحميد اللاحق أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يُفَرِّقه في الشعراء ويُعطى
 كلَّ واحدٍ على قدره ، فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال :
 إنني أعطيتُ كلَّ شاعرٍ على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندي .
 فهجاه لذلك^(٣) .

توقيعات الخلفاء^(٤)

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بُنيان يَبنيه ، فوقع في أسفل كتابه :

(١) يريد بالمسباح : السبحة . (٢) في بعض الأصول والديوان : « مظلم الكذب » .
 وبين الشعر هنا وفي الديوان خلاف غير قليل .

(٣) في ي بعد هذا : « تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو كتاب
 المحببة الثانية في التوقيعات من تجزئة حسين جزءا يتلوه الجزء الثامن والعشرون
 باقى كتاب المحببة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب
 وتوقيعات الخلفاء » . (٤) قبل هذا العنوان في ي : « الجزء الثامن والعشرون
 من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب المحببة الثانية في التوقيعات والفصول
 والصدور وأخبار الكتبة وتوقيعات الخلفاء » ثم « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أَبْنِ مَا يُكِنُّكَ مِنَ الْهَوَاجِرِ وَأَذَى الْمَطَرِ . وَوَقَعَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ : كُنْ لِرِعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وَقَعَ فِي قِصَّةِ قَوْمٍ تَطَلَّمُوا مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَمْرٌ بَوَّجٌ
أَعْنَاقَهُمْ : فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَاهُ
عَيْلَةً^(١) : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ .

على بن أبي طالب كرم الله وجهه

وَقَعَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . وَوَقَعَ فِي كِتَابِ
جِأَهُ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رَأَى الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ^(٢) الْغُلَامِ .
وَوَقَعَ فِي كِتَابِ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ ، وَكَانَ سَأَلَهُ كَيْفَ يُحَاسِبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :
يُحَاسِبُونَ كَمَا يُرْزَقُونَ . وَوَقَعَ فِي كِتَابِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ إِلَيْهِ يَذْكَرُ أَنَّ
السَّيْفَ قَدْ أَكْثَرَ فِي رُبَيْعَةِ : بِقِيَّةِ السَّيْفِ أُنْمَى عِدْدًا . وَفِي كِتَابِ جِأَهُ مِنَ
الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ فِيهِ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَهٌ ؟ وَفِي كِتَابِ صَعَصَعَةَ
ابْنَ صَوَّحَانَ يَسْأَلُهُ فِي شَيْءٍ : قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

معاوية بن أبي سفيان

كُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فِي أَمْرٍ عَاتَبَهُ فِيهِ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :
بَيْتٌ أُمِّيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَشْرَفَ مِنْ بَيْتِ حَبِيبِ^(٣) . فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ تَرَاهُ .
وَفِي كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يُقَطِعَهُ مَالًا بِالطَّائِفِ : عَيْشٌ رَجَبًا تَرَى
عَجْبًا . وَفِي كِتَابِ زِيَادٍ يُخْبِرُهُ بِطَعْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي خِلَافَتِهِ : إِنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَيْلَةٌ عَلَيْهِ » . (٢) كُنْزًا فِيمَا مَرَّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ

وَبَعْضِ الْأَصُولِ هُنَا . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ هُنَا : « جَلْدٌ » .

(٣) هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ .

أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسالّاح واحد ، وذلك حلف لا يحلّه
سواه أدبك^(١) . وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء
داره بالبصرة بأثني عشر ألف جذع : أدارك في البصرة أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

٥ وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه^(٢) لرجال من خاصته : أحكم
لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم . فحكّم بتسعمائة ألف ، فأجازها . وكتب إليه مسلم
ابن عقبة للرّمى بالذي صنّع أهل الحرّة ، فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس
على القوم الفاسقين . وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه
في الخراج : قليل العتاب يحكم مرائر الأسباب ، وكثيره يقطع أواخي
١٠ الأنتساب . ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خراسان : القرابة
واشجة ، والأفعال متباينة ، فخذ لرحمك من فِعلك . وإلى عبّيد الله بن زياد :
أنت أحد أعضاء ابن عمك فأحرص أن تكون كلّها .

عبد الملك بن مروان

١٥ وقع في كتاب أتابه من الحجّاج : جنّبتني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها
شفاء من الطّلب . وكتب إليه الحجّاج يُخبره بسوء طاعة أهل العراق وما
يُقاسى منهم ، ويستأذنه في قتل أشرافهم ، فوقع له : إن من يمين السائس
أن يتألف به المختلفون ، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون . وفي كتاب
الحجّاج يُخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوّى ، وبخرقك طلع^(٣) . ووقع
في كتاب ابن الأشعث :

٢٠ فما بال من أسمى لأجبر عظمه حفاظاً وبنوى من سفاهته كسرى ؟

(١) في بعض الأصول : « رأيك » . (٢) في بعض الأصول : « يستمنحه » .

(٣) في بعض الأصول : « وبخوفك خلع » .

ووقع أيضا في كتاب :

كيف يرّجون سقاطى بعدما شمل الرأس مشيبٌ وصلعٌ ؟

الوليد بن عبد الملك

- كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، يُنكر ذلك عليه ويُعرفه أنه [على] غير صواب ، فوقّع في كتابه : لأجمعنّ المال جمع من
- ٥ يعيش أبدا ، ولأفرقنّه تفريق من يموت غدا . ووقع إلى عمر بن عبد العزيز : قد رأب الله بك الداء ، وأوذم^(١) بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

- كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدّده بالخلع ، فوقّع في كتابه :
- ١٠ زعم الفرزدق أن سيقتل مَرَبَعًا أبشِرْ بطول سلامة يا مَرَبِعُ
- ووقع في كتابه أيضا : العاقبة للمتقين . وإلى قتيبة أيضا جواب وعيده :
- وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا .

عمر بن عبد العزيز

- كتب بعض المُمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته ، فوقّع أسفل كتابه :
- ١٥ أبنها بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم . وإلى بعض عمّاله في مثل ذلك : حصّنها
- ٢٢٨
٣ ونفسك بتقوى الله . وإلى رجل ولأه الصدقات ، وكان دميما ، فعدل وأحسن :
- ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيتهم الله خيرا . وكتب إليه صاحب العراق يُخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقّع له : أرض لهم ما ترضى لنفسك ،
- وخذهم بجرائهم بعد ذلك . وإلى عدي بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخر
- ٢٠ آية أنزلت : (وَأَتَقُوا يَوْمَما تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) . وإلى عامله على الكوفة ،
- وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدّى الله

(١) أوذم : شد .

فبهدهم أفتده . وإلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقع في كتابه : الله أعلم أنك [لست] أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليا ، وكان إماما مرضيا . وإلى عامله بالمدينة ، وسأله أن يعطيه موضعا يبنيه ، فوقع : كن من الموت على حذر . وفي قصة متظلم : العدل إمامك . وفي رقة محبوس : تب تطلق . وفي رقة رجل قتل : كتاب الله يبني ويبنيك . وفي رقة متنصح : لو ذكرت الموت شعلك عن نصيحتك . وفي رقة رجل شكاه أهل بيته : أنتما في الحق سيان . وفي رقة امرأة حبس زوجها : الحق حبسه . وفي رقة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصفك منه فأنا ظلمتكم .

يزيد بن عبد الملك

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغررك^(١) حُسن رأى فإنما تُفسده عثرة . وإلى صاحب المدينة : عثرت فأستقل . وفي قصة متظلم : سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وفي [قصة] متظلم شكاه بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه وأستوصلتني .

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحل بك النكال إن كنت كاذبا ، فتقدم أو تأخر . وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما أذعيتم عليه عزلناه وعاقبناه . وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : أحذر ليالي البيات . وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوئوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . ووقع في رقة محبوس لزمه الحد : نزل بمدك الكتاب . ووقع في قصة رجل شكاه إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حُرمة : ليعيالك في بيت مال

(١) في بعض الأصول : « لا تترك » .

المسلمين سَهم ، ولك بِحُرْمَتِكَ مِنَّا مِثْلَاه . وإلى عامله على العراق في أمر
الخوراج : ضَع سَيْفَكَ فِي كِلَابِ النَّارِ ، وَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ . وإلى
جماعة يشكون تعدّي عاملهم عليهم : لِنَفَوْضِنَاكُمْ ، فَإِنِّي خَصِمٌ دُونَكُمْ . وفي
كتاب عامله يُخْبِرُهُ فِيهِ بِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ فِي بِلَدِهِ : مُزْمٌ بِالْأَسْتِغْفَارِ . وإلى سهل
ابن سَيَّار : خَفِ اللَّهُ وَإِمَامُكَ فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وَقَعَ إِلَى مَرْوَانَ : أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا
فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيِّهِنَّ شِئْتَ . وإلى صاحب خُرَاسَانَ فِي السُّوْدَةِ : نَجِّمُ أَمْرٍ أَنْتَ
عِنْدَهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مَنِّي بِسَالِمٍ .

مروان بن محمد

كُتِبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ : تَحْوِيلٌ ^(١) الظاهر يدل على ضعف
الباطن ، والله المُسْتَعَانُ . ووقَّع إلى ابن هُبَيْرَةَ أَمِيرِ خُرَاسَانَ : الْأَمْرُ مُضْطَرَّبٌ ،
وَأَنْتَ نَائِمٌ وَأَنَا سَاهِرٌ . وإلى حَوْثِرَةَ بْنِ سُهَيْلٍ ^(٢) حين وجَّهه إلى قَحْطَبَةَ : كُنْ
مِنَ بَيَّاتِ الْمَارِقَةِ عَلَى حَذَرٍ . ووقَّع حين أَنَاهُ غَرْقٍ ^(٣) قَحْطَبَةَ وَأَنْهَزَامَ ابْنَ هُبَيْرَةَ :
هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَنِ رَأَى مَيِّمًا هَزَمَ حَيًّا . وفي جواب أبيات نصر بن
سَيَّارٍ إِذْ كُتِبَ إِلَيْهِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَبْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ :

الْحَاضِرِ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبِ ، فَأَحْسَمُ الثُّؤُلُوقَ ^(٤) . فَكُتِبَ نَصْرًا : الثُّؤُلُوقُ قَدْ
أَمْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ ^(٥) ، وَعَظُمَتْ نِسْكَايَتُهُ . فَوَقَّعَ إِلَيْهِ : يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ ^(٦) .

(١) في بعض الأصول : « نجوم » . (٢) في الأصول : « الحويرة بن سهل » .

وما أثبتنا عن الطبري . (٣) في بعض الأصول : « غزو » .

(٤) الثؤلوق : الحراج ، وقيل هو بئر صغير صلب مستدير على صور شقي .

(٥) في بعض الأصول : « اشتدت أعضاؤه » .

(٦) هذا مثل . وأصله أن رجلا كان في جزيرة فأراد أن يعبر على زق لم يحسن

لإحكامه ، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ، فلما أشرف على الفرق استغاث

بآخر ، فقال له هذا المثل .

توقيعات بني العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أسس على غير تقوى ؛ ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم . ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حملك أفسد علمك ، وترأخيك أثر في طاعتك ، فخذ لي منك ، ولك من نفسك . ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه ^(١) غير مرة : استُ منك ولست متى إن لم تقتله . وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذنك لك . ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك ^(٢) في النعمة ؛ ثم أمر بأرزاقهم . وإلى عامل تظلم منه : وما كنت متخذ المضللين عضداً . وفي قوم شكوا غرق ^(٣) ضياعهم في ناحية الكوفة : وقيل بعداً للقوم الظالمين .

أبو جعفر

وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل الأيام في وفيك نصيباً من حوادثها . ووقع إليه أيضاً : (أدفع بآتي هي أحسن) إلى قوله : (وما يُلقاها إلا ذو حظٍ عظيم) . فاجعل الحظ لي دونك ^(٤) . يكن لك كله . ووقع إلى عبد الحميد ^(٥) صاحب خراسان : شكوت فأشكيناك ، وعتبت فأعتبتناك ؛ ثم

(١) في بعض الأصول : « في » . (٢) في بعض الأصول : « شورك » .

(٣) في بعض الأصول : « حرق » .

(٤) في بعض الأصول : « لك دوني » .

(٥) كذا في الأصول .

- خرجت عن العامة ، فتأهب لفرار السلامة . وإلى أهل الكوفة ، وشكوا عاملهم :
 كما تكونون يُؤمر عليكم . وإلى قوم تظلموا من عاملهم : لا ينالُ عهدى الظالمين .
 وفي قصة رجل شكَا عَيْلَةً : سأل الله من رزقه . وفي قصة رجل سألَه أن يَبني
 بقر به مسجدًا^(١) فإنَّ مُصَلَّاهُ على بُعد : ذلك أعظم ثوابك . وفي قصة رجل قُطعت
 عنه أرزاقه : (ما يفتح الله للناس من رَحمة فلا مُمْسِك لها) الآية . وفي قصة
 رجل شكَا الدين : إن كان دينك في مَرَضَة الله قضاء . وإلى صارورة^(٢) سألَه أن
 يَحُجَّ : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا) . وإلى صاحب
 مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طَهَّرَ عسكرك من الفساد يُعطك النيلُ
 القياد . وإلى عامله على حمص ، وجاءه منه كتابٌ فيه خطأ : أستبدل بكاتبك
 وإلا أستبدل بك . وإلى صاحب إرمينية : إن لي في قفالك عينًا ، وبين عَيْنيك
 عينا ، ولها أربع آذان . وإلى رجل أستوصله : لا مانع لما أعطاه الله . وفي
 كتاب أتاها من صاحب الهند يُخبره أن جندا شَغِبوا عليه وكسروا أقال بيت
 المال فأخذوا أرزاقهم^(٣) منه : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم يَنْهبوا .

المهـدى

- ١٥ وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى
 الحق كما يُقاد الجمل المخشوش^(٤) — يريد عيسى ولده . ووقع إلى صاحب إرمينية ،
 وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
 الجاهلين . وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم . وفي
 قصة قوم أصابهم قحط : يُقدِّر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها . وإلى

(١) في بعض الأصول : « منزلا » .

(٢) الصارورة : الذي لم يحج . وفيها لغات أخرى .

(٣) في س : « الدراهم » .

(٤) الجمل المخشوش : الذي يدخل في عظم أنفه خشبة .

شاعر ، أظنه مروان بن أبي حفصة : أسرفت في مديحك فقَصَّرنا في حِبائِكَ .
 وفي قصة رجل من الغارمين : خُذ من بيت مال المسلمين ما تَقضى به دينك ،
 وَتَقِرُّ به عَيْنِكَ . وفي قصة رجل شكَا الحاجة : أتاك الغوثُ . وإلى رجل من
 بطانته أستوصله ليت إسرَاعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك . وفي قصة قوم تظلموا
 من عاملهم وسألوه إشخاصه إلى بابه : قد أنصف القارة من رامها^(١) . وفي قصة
 رجل حُبس في دَم : ولسك في القصاص حياة يا أولى الألباب . وإلى صاحب
 خُرَاسان ، وكتب إليه يُخبره بغلاء الأسماع : خذهم بالعدل في المكيال والميزان .
 وإلى يوسف البرم^(٢) حين خرج^(٣) بخراسان : لك أمانى ومؤكد أيمانى .

٥
٢٣٠
٧

موسى الهادى

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لُزمتَ
 أبا حنيفة^(٤) ، كفانا الله . وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه : يا ابن اللعناء ،
 أنى تتمرّس^(٥) .

١٠

هارون الرشيد

وَقَعَ إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحك لا يَتَسع . وإلى عامله على مصر : أحذر
 أن تُخرب خِزانتى وخِزانة أخى يوسف ، فَيَأْتِيكَ مِنى^(٦) ما لا قِبَل لك به ، ومن الله
 أ كثر منه . وَقَعَ في قصة [رجل من] البرامكة : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية .

١٥

(١) القارة : قبيلة ؛ وكانوا رماة في الجاهلية . ويزعمون أن رجلين النخيا أحدهما قارى ،
 واختار الآخر المرامة ، فقال القارى هذا المثل .

(٢) كذا في ي والطبرى (ق ٣ ص ٤٧٠) طبعة أوربية . وهو يوسف بن
 إبراهيم البرم . وكان خروجه على المهدي بخراسان سنة ستين ومائة . والذي
 في سائر الأصول : « الروى » .

٢٠

(٣) في بعض الأصول « ظفر » .

(٤) لعاه أبو حنيفة حرب بن قيس . (انظر الطبرى) .

(٥) يقال : تمرس الرجل ، إذا مارس الفتن وخرج على إمامه .

(٦) في بعض الأصول : « منه » .

٢٥

- وإلى عامله على فارس : كُن مَقِيَّ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الْبَيْتِ . وَإِلَى عَامِلِ خِرَاسَانَ :
- إِنَّ الْمَلُوكَ يُؤَثَّرُ عَنْهُمْ الْخَزْمُ^(١) . وَإِلَى خَزِيمَةَ بْنِ خَازِمٍ ، إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَضَعَ
 [فِيهِمْ] السِّيفَ حِينَ دَخَلَ أَرْضَ إِرمينية : لَا أُمُّ لَكَ ! تَقْتُلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .
 وَفِي قِصَّةِ مَجْبُوسٍ : مَنْ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ نَجَا . وَفِي قِصَّةِ مَتَزَلِّمٍ : لَا يُجَاوِزُ بَدَكَ الْعَدْلُ ،
 وَلَا يُقَصِّرُ بِكَ دُونَ الْإِنصَافِ . وَإِلَى صَاحِبِ السَّنَدِ ، إِذْ ظَهَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ^(٢) : كُلُّ
 ٥ مَنْ دَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ ، تَمَجَّلَ إِلَى الْمَنِيَّةِ . وَإِلَى عَامِلِهِ عَلَى خِرَاسَانَ : كُلُّ مَنْ رَفَعَ
 رَأْسَهُ فَأَزَلَّهُ عَنْ بَدَنِهِ . وَفِي رُقْعَةٍ مَتَزَلِّمٍ مِنْ عَامِلِهِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ بِالْمَتَزَلِّمِ
 عَارِفًا : قَدْ وَلَّيْنَاكَ مَوْضِعَهُ فَتَنَكَّبَ سِيرَتَهُ . وَفِي كِتَابِ بَكَارِ الزُّبَيْرِيِّ^(٣) إِلَيْهِ
 يُخْبِرُهُ بِسِرِّ مَنْ أَسْرَارَ الطَّالِبِيِّينَ : جَزَى اللَّهُ الْفَضْلَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي اخْتِيَارِهِ إِيَّاكَ ،
 ١٠ وَقَدْ أَتَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَائَةَ أَلْفٍ بِحُسْنِ نَيْتِكَ . وَإِلَى مَحْفُوظٍ^(٤) صَاحِبِ خِرَاجِ
 مِصْرَ : يَا مَحْفُوظُ ، اجْعَلْ خَرَجَ مِصْرَ خَرَجًا^(٥) وَاحِدًا وَأَنْتَ أَنْتَ . وَإِلَى صَاحِبِ
 الْمَدِينَةِ : ضَعَّ رِجْلَيْكَ عَلَى رِقَابِ أَهْلِ هَذَا الْبَطْنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَطَالُوا لَيْلِي بِالشَّهَادِ ،
 وَنَفَوْا عَنِّي لَدَيْدَ الرَّقَادِ . وَوَقَعَ إِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ : خَفِ اللَّهُ وَإِمَامَكَ
 فَهَمَا نَجَاتُكَ . وَإِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْهُ يَذْكَرُ فِيهِ وَتُوبِ
 ١٥ أَهْلِ دِمَشْقَ : أَسْتَجِيبُ لَشَيْخِ وَلَدِهِ الْمَنْصُورِ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ وَلَدَتِهِ كِنْدَةَ وَطِيءَ ،
 فَهَلَّا قَابَلْتَهُمْ بِوَجْهِكَ ، وَأَبْدَيْتَ لَهُمْ صَفْحَتَكَ^(٦) ، وَكُنْتَ كَمُرْوَانَ بْنِ عَمِكَ
 إِذْ خَرَجَ مُصَلِّقًا سَيْفَهُ مَتَمَثِّلًا بِبَيْتِ الْجَحَّافِ بْنِ حُكَيْمٍ :
- مُتَقَلِّدِينَ صَفَائِحًا هُنْدِيَّةً يَتَرَكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كَمَنْ لَمْ يُؤَلِّدِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَنْهَا الْحِظُّ » . وَلَعَلَّ « الْخَطُّ » مَحْرُفَةٌ عَنِ « الْخَطَأِ » ،

٢٠ يَرِيدُ أَنْ هَفْوَةَ الْمَلُوكِ مَشْهُورَةٌ بِأَثَرِهَا النَّاسُ بِبَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضٍ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَعْصِيَّةُ » .

(٣) لَعَلَّهُ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْصَبِ الزُّبَيْرِيِّ . (انظر الطبري) .

(٤) هُوَ مَحْفُوظُ بْنُ سُلَيْمَانَ . (انظر الولاية والفضيلة للسكندري) .

(٥) الْخِرَاجُ : الْإِتَاوَةُ ، كَالْخِرَاجِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَرَجٌ ... فَرَجًا » .

٢٥ (٦) زَيْدٌ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَبَدَلْتَ لَهُمْ مَنَعَتَكَ » . وَهِيَ كَمَا تَرَى لَا تَلْتَمُّ مَعَ غَيْرِهَا

مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَفِيدُ أَمْرَهُ بِاسْتِعْمَالِ الشَّدَةِ وَالْقَسْوَةِ .

فجالد به حتى قُتل^(١) ، لله أم ولدته ، وأبُّ أنهضه ! وكتب مُتملك^(٢) الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي ، وكل بطل في جندي . فوقع في كتابه : سيعلم الكافر لمن عُقبى الدار . وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحسن بالموت : قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم . فوقع فيه الرشيد : الحكم الذي رَضِيته في الآخرة لك هو الذي أعدى الخصم [في الدنيا] عليك ، وهو من لا يُرد حكمه ، ولا يُصرف قضاؤه .

المأمون

وقع إلى [على] بن هشام في أمر تظلم فيه منه : من علامة الشَّرِيف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ وإلى هشام^(٣) : لا أذنيك ولاك بباني خصم . وإلى الرُّستمي في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آنتك من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ ، وجارك طاوٍ . وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، أعرم نعمتك بالعدل ، فإن الجور يهدمها . وفي قصة متظلم من أبي عبيد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة . وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وفي قصة متظلم من حميد الطوسي : يا أبا غانم^(٤) ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبده في الحق سيان . وإلى طاهر صاحب خراسان : احمد الله أبا الطيب إذ أحلك من خليفته محل نفسه^(٥) ، فما لك مَوْضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده . وفي

(١) في بعض الأصول بعد قوله « قتل » : « إما بدعة وإما خلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا أن يقال لقلت رحمه الله »

(٢) في ي : « ملك » .

(٣) في ي : « أحمد بن هشام » .

(٤) في بعض الأصول « يا أبا غنم » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والأغانى (ج ١٨ ص ١٠٧ و ١١٢) .

(٥) في بعض الأصول : « خليفة محل نفسه من نفسه » .

- كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله [عليه] في مُناجاتي إياه . وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فدك^(١) حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فدك كما أرضى الله رسوله^(٢) فيها . وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطُومسي : قد احتملنا بذكاءك وشكاسة خُلقك ، فأما ظلمك للرعية فإننا لا نَحتمله . ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه أستصلاحها .
- وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن غفرت فبفضلك ، وإن أخذت فبحقك . فوقع في كتابه : القدرة تُذهب الخفيضة ، والندم جزء من التوبة ، وبينهما عفو الله . ووقع في رُقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ، ولكذك آتت الرقاد ، فحظك الرثويا . ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه ، وقد وافته الأموال : يُؤمر له بخمسمائة ألف لطول هيمته^(٣) . وثمامة بن ١٠ أشرس بثلاثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه . ولأبي محمد اليزيدي : يُؤمر له بخمسمائة ألف لكبره . والمعلى بخمسمائة ألف لصحيح نيته . ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته . وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه . ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لمخالفة شهوته . ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته . وللعريسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوءه . واعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه . ١٥

(١) فدك (بالتحريك) : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله

على رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا ، وادعت فاطمة أن الرسول نحلها إياها . ثم أعطها عمر إلى ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما ولي عمر بن عبدالعزيز ردها إلى ولد فاطمة . فلما ولي يزيد قبضها . حتى ولي السفاح فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي . فلما ولي المنصور قبضها . فلما ولي المهدي أعادها . ثم قبضها المهدي إلى أيام المأمون ، فكتب بها سجلا لبني علي بن أبي طالب . (انظر مجمع البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « خليفته » .

(٣) في ي : « ووقع في رقعة غسان بن عباد يوصى له بثلاثمائة ... الخ » مكان قوله :

« ووقع في يوم عاشوراء » إلى هنا .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وَقَعَ إِلَى بَعْضِ عَمَّالِهِ : قَدْ كُنْتَ عَلَى الدُّعَارِ ، وَإِخْلَاكَ دَاعِرًا . وَكُتِبَتْ
إِلَيْهِ عَائِشَةُ فِي وَصَاةِ رَجُلٍ ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهَا : هُوَ بَيْنَ أَبِيهِ . وَإِلَى صَاحِبِ
خُرَّاسَانَ فِي أَمْرِ خَالَفِهِ فِيهِ : أَشْتَرَّ بَعْضَ دِينَكَ بِيَعُضٍ وَإِلَّا ذَهَبَ كُلُّهُ . وَإِلَى
عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ : أَمِطِ الْخُدُودَ عَنْ ذَوِي الْمُرَوَّاتِ . وَفِي قِصَّةِ مَتَزَلِّمٍ : أَنَا مَعَكَ .
وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ رَفَعُوا عَلَى عَامِلٍ [رَفِيعَةً] ^(١) : مَنْ أَمَالَهُ الْبَاطِلَ قَوْمَهُ الْحَقُّ . وَفِي
قِصَّةِ مُسْتَمْنَحٍ : لَكَ الْمُوَاسَاةُ . وَإِلَى عَامِلِهِ فِي خَوَارِجٍ خَرَجُوا بِالْبَصْرَةِ : النَّسَاءُ
تُحَارِبُهُمْ دُونَكَ . وَفِي قِصَّةِ سَارِقٍ : الْقَطْعُ جَزَاؤُكَ . وَفِي قِصَّةِ أَمْرَأَةٍ حُبَسَتْ
زَوْجُهَا : حُكِمَ إِلَى اللَّهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ نَقَبُوا : تُنْقَبُ ظُهُورُهُمْ . وَفِي قِصَّةِ نَبَّاشٍ :
يُدْفَنُ حَيًّا فِي قَبْرِهِ . وَفِي قِصَّةِ مَتَزَلِّمٍ : الْحَقُّ يَسْعُكَ . وَفِي قِصَّةِ مُتَنَصِّحٍ :
* مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ إِسْمَاعِي ^(٢) *

وَفِي قِصَّةِ مَتَزَلِّمٍ : كُفِّيتَ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَاَ إِلَيْهِ عُمُوقُ ابْنِهِ : رَبَّمَا كَانَ
عُمُوقُ الْوَلَدِ مِنْ سُوءِ تَأْدِيبِ الْوَالِدِ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَاَ الْحَاجَةَ : لَكَ فِي مَالٍ
اللَّهُ نَصِيبٌ أَنْتَ آخِذُهُ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ جَارِحٍ : الْجُرُوحُ قِصَاصٌ . وَفِي قِصَّةِ
مُحْبَسٍ : التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ شَكُوا غَرَقَ
ضِيَاعِهِمْ : لَا نَعْرُضُ فِيهَا تَفَرُّدَ اللَّهِ بِهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ أَشْتَكُوا اجْتِيَاحَ الْجِرَادِ
لِزُرُوعِهِمْ : لَا حُكْمَ فِيهَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .

الحجاج بن يوسف

وَقَعَ فِي كِتَابِ أَتَاهُ مِنْ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَشْكُو كَثْرَةَ الْجِرَادِ وَذَهَابَ الْغَلَاتِ ٢٠

(١) الرفيعة : ما رفع به على الرجل . (٢) هذا مجز بيت لأبي قيس بن الأسلت
الأنصاري وصدوره : * قالت ولم تقصد لقبل الحنا * (انظر المفضليات) .

وما حلّ بالناس من القحط : إذا أزيّف خراجك فأَنْظِر لرعيّتك في مصالحها ،
 فبيتُ المال أشدّ اضطِلاعاً بذلك من الأرملة واليتيم وذى العيلة . وفي كتاب
 قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومُحاربة الترك : لا تخاطر بالمُسلمين حتى تعرفَ
 موضعَ قدمك ، ومرمى سهامك . وفي كتاب صاحب الكوفة يُخبره بسوء
 طاعتهم وما يُقاسى من مُداراتهم : ما ظنّك بقوم قتلوا مَنْ كانوا يُعبدونه . وفي
 قصة محبوبس ذكروا أنه تاب : ما على المُحسنين من سبيل . وإلى قتيبة : خذ
 عسكرياً^(١) بتلاوة القرآن ، فإنه أَمْنَع من حُصونك . وفي كتابه إلى بعض عماله :
 إياك والملاهي حتى تستنظف^(٢) خراجك . وفي كتابه إلى ابن أخيه :
 مارَكِب يهودىً قبلك منبراً . وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مُسلم : أنت أبو عبيدة
 هذا القرن .

أبو مسلم

وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي : لِسِكلٍ نَبأ مُستقرّ وسوّف
 تَعلمون . وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هُبيرة : قلّ طريقُ سهل تُلقى
 فيه الحجارة إلا عاد وعُرا ، والله لا يصلح طريقٌ فيه ابنُ هُبيرة أبداً . وإلى ابن
 قحطبة : لا تَنسَ نصيبك من الدنيا . وإليه : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة . وإليه : لا تَرَكِنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار . وإلى محمد
 ابن صُول ، وكتب إليه بسلامة أطرافه : وأما بنعمة ربك فحدّث . وكتب إليه
 قحطبة^(٣) : إن بعض قواده خرج إلى عسكر ابن ضُبارة راغباً ، فوقع في كتابه :
 (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) الآية . وإلى عامله ببلخ : لا تُؤخّر عمل
 اليوم لغد . وإلى أبي سلَمة الخلال حين أنكر نيّته : وإذا لقوا الذين آمنوا

(١) في بعض الأصول : « أهل عسكرك » .

(٢) يقال : استنظف الوالى ما عليه من الخراج ، إذا استوفاه .

(٣) هو قحطبة بن شبيب الطائي .

قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم

جعفر بن يحيى

- وقع في قصة محبوبس : لسكان أجل كتاب . وفي مثله : العذل يُوبقه (١) ،
 والتوبة تطلقه . وفي قصة مُتَنَصِّح : بعضُ الصَّدق قَبِيح . وإلى بعضِ عَمَّاله (٢) :
 قد كثر شاكوك ، وقُل شاكوك ، فأما عدلت ، وإما أعتزلت . وفي قصة رجل
 شكا بعضَ خَدَمه : خذ بأذنه ورأسه فهو مالك . وإلى عامل فارس في رجل
 كتب إليه بالوَصاة : كُن له كأبيه لو كان مكانك . وإلى عامل مصر في رجل
 من بطانته يُوصيه : إنه رَغِب إلى شِعْبِكَ ، فأرغب في اصطناعه . وفي قصة متظلم
 من بعضِ عَمَّاله : إني ظلمتُك دونه . وفي قصة محبوبس : الجنايةُ حَبَسَتْه ، والتوبةُ
 تطلقه . وإلى قوم : عين الخليفة تَسْكَلُوكم ، ونظره يعممكم . وفي رُقعة صارورة
 استأذنه في الحج : مَنْ سافر إلى الله أنجح . وفي قصة رجل شكا عَزُوبة : الصَّوم
 لك وجاء (٣) . وفي رُقعة رجل سأل ولاية : لا أُولَى بعضَ الظالمين بعضا . وفي
 قصة رجل سألَه أن يُقفل أبْنَه فقد طال غيبته عنه : غيبية يوسف صلى الله عليه
 وسلم كانت أطول . وفي قصة رجل تظلم من بعضِ عَمَّاله : أنا لثله حتى يُنصفك . وفي
 قصة قوم شكوا سُوءَ جِوارِ بعضِ قَرابته : يرحل عنكم . وفي قصة مُسْتَمْنَحٍ قد
 كان وصله مراراً : دَعِ الصَّرْعَ يَدِيرُ لغيرك كما دَرَّ لك . وإلى الفضل بن الربيع ،
 وجاء منه كتاب غَمّه وأُكْرِبَه : كَثْرَةُ مُلاحاةِ الرجالِ ربما أراقت الدماء .
 وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم تزرعك لنحصدك . وإلى بعضِ عَمَّاله :
 اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا . وإلى بعضِ نَدَمائه : لا تبعد عن ضَمِّكَ .
 ووقع إلى مُتَنَصِّلٍ من ذَنب : حُكْمُ الفاتماتِ خلافُ حُكْمِ الإصرار .

(١) في ي : « أوثقه » .

(٢) في بعض الأصول : « وفي رجل شكا بعضِ عماله » .

(٣) وجاء : شبيهه بالخضاء .

الفضل بن سهل

- كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخي ، فما يبيتُ خليفة الله إلا على ذكرك . وإلى طاهر : لخير ما اتضعت^(١) . وإليه : لشر ما سموت . وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يحل ما عقدت . وفي قصة متظلم : كفى بالله المظلوم ناصراً .
- ٥ وفي قصة رجل نَقَبَ بيتَ المال : يدرأ عنه الحدَّ إن كان له فيه سهم . ووقع إلى حاجبه : تمهل وتمهل . وإلى صاحب الشرطة : ترفق ترفق . وإلى رجل شكَا
- ٢٣٣
٢ غلبة الدين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسدسها بمثلها ليرغب المستمنحون^(٢) .
- وفي قصة متظلم : طِبْ نفساً فإن الله مع المظلوم . وإلى رجل شكَا إليه الدين : الدين سوء يهيبض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . وفي قصة قوم قطعوا الطريق :
- ١٠ (إنما جزاء الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويسعون في الأرض فساداً) . الآية . وفي أمرى قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه : كتابُ الله أحقُّ أن يُتبع . وفي قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضرب دون الحدِّ ويُشهر ضربه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

- وقع في قصة متظلم : يُنظر فيما رفع : فإن الحق منيع ، وإلا فشفاء السقيم^(٣)
- ١٥ دواء السقم . وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الحق أولى بنا ، والعدل بُعيتنا ، وإن صح ما أديتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفي قصة امرأة حُبِسَ زوجها : الحق يحبسُه والإنصاف يُطلقه . وفي رُقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق الكفاية مع الأقتصاد . وكتب إليه رجل من الشعراء^(٤) يقول له :

٢٠ (١) في بعض الأصول : « ما استطعت » .

(٢) في بعض الأصول : « المتنصحوون » .

(٣) في بعض الأصول : « فشأن السليم دواء السقيم » .

(٤) فيما مر من هذا الكتاب (ج ١ ص ٣١٦) أن هذا الشعر للبطين وكان كتب به

إلى علي بن يحيى الإرميني .

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا ولى وصيفٌ وفى كَفِّ دنانيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَّرَ غَدَاً عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فى الحِلْمِ خيراً وفى النَّوْمِ التَّبَاشِيرُ^(١)
فَوَقَعَ فى أَسْفَلِ كِتَابِهِ : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .
وَأَطْلَقَ لَهُ مَا أَلْتَمَسَهُ .^(٢) ودخل بعضُ الشعراءِ^(٣) على [عبد الملك بن] بشر بن
مَرْوَانَ فَأَنشَدَهُ :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصَّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فى سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ رُعْبُوبَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا^(٤)
وَبِبَدْرَةٍ سُمِّتِ إِلَى وَبَغْلَةٍ دَهْمَاءُ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ إِجَامُهَا
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً عِوَضًا يُصِيبُكَ بَرْدُهَا^(٥) وَسَلَامُهَا
لَيْتَ الْمُنَابِرِ يَا بَنَ مِرْوَانَ النَّدَى أَضَحْتُ وَأَنْتَ خَطِيبُهَا وَإِمَامُهَا^(٦)
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ : فى كُلِّ شَيْءٍ أَصَبْتَ إِلَّا الْبَغْلَةَ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ
إِلَّا شَهْبَاءً . فَقَالَ لَهُ : امْرَأَتِي طَالِقٌ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا شَهْبَاءً ، إِلَّا أَنِّي غَلِطْتُ .

طاهر بن الحسين

وَقَعَ فى كِتَابِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ مِنْ أَصْحَابِ نَصْرِ بْنِ شَيْبِيبٍ : طَلَبْتَ الْحَقَّ فى
دَارِ الْبَاطِلِ . وفى قِصَّةِ رَجُلٍ طَلَبَ قَبَالَةَ^(٧) بَعْضِ أَعْمَالِهِ : الْقَبَالَةَ مِفْتَاحَ الْفَسَادِ ،
وَلَوْ كَانَتْ صِلَاحًا مَا كُنْتُ لَهَا مَوْضِعًا . وَإِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ ، وَجَاءَهُ مِنْهُ

(١) رواية هذا العجز فيما مر : * تعبير ذلك وفى الفأل التباشير *
(٢) هذا الخبر غريب على هذا الباب ، فهو لابن بشر والباب توقيعات للحسن بن سهل
فعل المؤلف ساقه للمشاكله ، أو لعله كان تحت عنوان آخر .
(٣) الشاعر هو الحكم بن عبدل . (انظر ج ١ ص ٣١٦ من هذه الطبعة) . والأغاني
(ج ٢ ص ٤٠٧) طبعة دار الكتب المصرية . وقد ذكر من هذا الشعر أبيات
فى الأغاني (ج ١٥ ص ٢٣) طبعة بلاق منسوبة لحزمة بن بيض .
(٤) جارية رعبوبة : بيضاء حسنة رطبة حلوة . (٥) فى بعض الأصول : « درها » .
(٦) بين الأبيات هنا وفى الأغاني خلاف فى بعض الألفاظ . (٧) القبالة : الكفالة .

كتاب يستعطفه فيه : عِشْ ما لم أرك . وإلى خُزَيْمَةَ بن خازم : الأعمال
بخواتيمها ، والصَّنِيعَةَ بأستدامتها ، وإلى النّايَةَ ما جرى الجواد ، فحُمدَ السابق ،
وذُمَّ الساقط . وإلى العباس بن موسى الهادي وأستبطأه في خراج ناحيته :

وايس أخو الحاجات من بات نائماً . ولكن أخوها من بيت هلى رَحَلِ (١)

- وفي رُقعة مُتَنَصِّح : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . وفي قصة
محبوس : يُطلق ويُعتق . وفي رُقعة مُستوصل : يُقام أودّه . (٢) وكتب أبو جعفر
إلى عمرو بن عُبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحابُ
الصدق ، والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق يتبعك أهله .

توقيعات العجم

- ٢٣٤
٢ وقع أزدشير في أزمة عمّت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيته
مخزونون . ثم أمر ففرّق في الكور جميع ما في بيوت الأموال . ورفع رجل
إلى كسرى بن قباد رُقعة يُخبره فيها أن جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم
وخبثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان . فوقع في أسفل كتابه : إنما أملاك ظاهراً
الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأخلص عن الأعمال لا عن
المرائر . ووقع كسرى في رُقعة مدّح : طوبى للمدوح إذا كان المدّح مُستحقاً ،
واللداعي إذا كان للإجابة أهلاً . وكتب إليه مُتَنَصِّح : إن قوماً من بطانته
أجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وتلموه . فوقع : لئن كانوا نطقوا بالسنّة شقّي لقد
أجتمعت مساويهم على لسانك ، فجرحك أرغب (٣) ، ولسانك أكذب . ورفع
إليه جماعة من بطانته [رُقعة] يشكون [فيها] سوء حالهم . فوقع : ما أنصفكم
من إلى الشكّية أحوجكم ؛ ثم فرّق بينهم ما وسعهم وأغناهم ، ووقع أنوشروان

(١) في بعض الأصول : « وجل » . (٢) يلاحظ أن هذا التوقيع لا يندرج

تحت توقيعات هذا الباب . فلعل مكانه مع توقيعات أبي جعفر فيما مضى من هذا

الكتاب (ص ٢١١) . (٣) أرغب : أوسع .

إلى صاحب خراجه : ما أستغزر الخراج بمثل العدل ، ولا أستنزر بمثل الجور .
 ووقع في قصة رجل تظلم منه : لا ينبغي الملاك الظلم ، ومن عنده يلمس العدل ،
 ولا البخل ، ومن عنده يتوقع الجود ؛ ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين
 يدي الموبد^(١) . ووقع في قصة محبوس : من ركب ما نهى عنه حيل بينه وبين
 ما يشتهي . ورفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ،
 فعرف كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فنقلته ، وأحسن إليك فكفرته ،
 فتب إلى الله يتب عليك . ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان
 أحفظ رأسك . ووقع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله :
 لا تصلح العائمة إلا ببعض الخيف على الخاصة ، فإن كنت صادقاً أبحاثك جميع
 ما يملكه . فلم بتظلم بعدها أحد من قرابته . ١٠

فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل : أعزك الله ، إن
 كل مجازاة قاصرة عن حق السابق^(٢) إلى أفتتاح الود ، وقد علمت أنني
 أستقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعه ، وأعتمدتُك من الرغبة فيك
 بما لم توله . ١٥

وفصل لأبي عليّ البصير : قد أكد الله بيننا من الود^(٣) ، ما نأمن الدهر
 على حل عقده ، ونقض مرائره ، وما يستوى فيه ثقتنا بأنفسنا لك ، وثقتنا^(٤)
 بما عندك .

(١) الموبد : فقيه الفرس ، كالموبدان .

(٢) في ي : « السائل » .

(٣) في بعض الأصول : « المودة » .

(٤) في بعض الأصول : « نفسنا » .

وفصل له : الحالُ فيما بيننا تحتمل الدالة ، وتوجب الأناس والثقة ، وبسَطَ اللسان بالاستزادة ، وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقربة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حبيلها^(١) ، والصناعة تُؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخٍ في إلقاء ، أو تخلف في مكاتبة ، موضوع بيننا يجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صبب إليك ، سامي الطرف نحوك ، وذِكْرُكَ مُلصق بلساني ، وأسمك حُلُو على لهواتي ، وشخصك مائل بين عيني ، وأنت أقرب الناس من قلبي ، وآخذهم بمجامع هواي .

١٠ وفصل له : لنحن أحقُّ بأبتدائك بما ابتدأنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديت مودتي إليك رغبةً ، ورضيتُ بالقبول منك مشوبةً ، فصرت بقبولها قاضيًا لحق ، ومالكًا لرق ، وصرتُ بالتسرع إلى الهدية ، والتتنظر^(٢) المَثوبة ، مُرتهن اللسان بالجزاء^(٣) ، واليدين بالوفاء .

١٥ وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانتقاد لك بغير زمام ، لأن النفس يقود بعضها بعضاً . وقال أبو العتاهية :

وللقب على القلب دليل حين يلقاه
وللناس من الناس مفايس وأشباه

(١) في بعض الأصول : « محبتها » .

(٢) في بعض الأصول : « والتخير » .

(٣) في بعض الأصول : « بالرضا » .

وفصل له : لساني رطب بذكرك ، وقلبي معمور بحببتك ، حضرت أو غبت ، سرت أو قمت ، كقول معقل أخى أبي ذلف :

أعمرى لئن قررت بقربك أعينُ لقد سخنت بالبين منك عيونُ
فيسر أو أقم وفتف عليك مودتي مكانك من قلبي عليك موصون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب مخبر وسائل ؛ فأما الإخبار ، فمن تصرف الخطوب بما^(١) يُوجب العذر عند صديقي العزيز عليّ في إبطائي بالتعمد له ؛ وأما السؤال ، فمن إمساك هذا الأخر الودود المودود عن مثل ذلك ؛ وإن العذر^(٢) كاشف ما سلف ، مُصلح لما أستونف .

فصول في الزيارة

١٠ كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له : نحن في مأذبة لنا أشرف على روضة تضحك الشمس حسناً ، قد باتت السماء تطلها^(٣) ، فهي شرقة^(٤) بماها ، حالمة بنوارها ، فبادر إلينا^(٥) لنكون على [سواء من] أستمعنا بعضنا ببعض . فكتب إليه : هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب أنتجاعها ، وحث المطى في أبتغائها ، فكيف في موضع أنت تسكنه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك ، وطيب شمائلك ، وأنا الجواب .

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه ، وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي فكتب إليه : عندي من أنا عنده ، وحجبتنا عليك^(٦) إعلامنا إياك .

- (١) في بعض الأصول : « على ما » .
(٢) في بعض الأصول : « البذل » .
(٣) في بعض الأصول : « تعلقها » .
(٤) في بعض الأصول : « مشرفة » .
(٥) في بعض الأصول : « فرأيك فينا » .
(٦) في بعض الأصول : « إليك » .

وفصل : إنه من ظمى شوقه من رؤيتك ، أستوجب الرضى من زيارتك .

ثم كتب تحت هذا :

سِرِّ إِلَيْنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنَ السُّو ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُنَا بِالتَّلَاقِ
وَأَجْعَلُنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتَ جَوَابِي فَلَقَدْ خِفْتُ سَطْوَةَ الْأَشْتِيَاقِ

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرط الحزن من فراقك ،
وظلم الأيام بعدك ، وأقول كما قال بعض المحدثين :

غَضَارَةٌ دُنْيَا أَظْلَمَ الْعَيْشُ بَعْدَهَا وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يُعْرَفُ فَقْدُهَا

وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت [بك] حتى كأنها

أعياد ، وقصرت [بك] حتى كأنها ساعات ، يفوت الصفات ؛ ومما يجده

ويكثر دواعيه تصاقب الديار ، وقرب الجوار ، ثم الله لنا النعمة المجددة فيك ١٠
بالنظر إلى الغرة المباركة ، التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلنا — أعزك الله — في قرب تجاوزنا ، وبعد تراورنا ، ما قيل

في أهل القبور :

هُمُ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا مَزَارُهُمْ فِدَانٍ ، وَأَمَا الْمُلتَقَى فَبَعِيدُ

١٥ وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ؛ للشغف بك ، والثقة بحسن
نيتك ، وسناخذ بقول أبي قيس بن الأسلت :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيُرْزَنُهَا وَتَفْعَلُ عَنِ إِيَابَانِهَا فَتُعْذَرُ

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العمر أقل من أن

تحتمل الهجر ، والسلام .

٢٠ وفصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعة [الصديق] لأنها لا تحل من

أحد وجهين : إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل . وكلاهما لا حجة فيه .

وفصل : طال العهدُ بالأجتماع حتى كِدْنَا نَتَنَاكِرُ عند الألتقاء ، وقد جعلك الله للسرور نظامًا ، وللأنس تمامًا ، وجعل المشاهد موحشة إذا خات منك . وكتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجبَ العذَرَ في تراخي اللِّقاء ما توالى مِن هذه الأنواء
فسلامُ الإله أهديه مِنِّي كُلَّ يومٍ لسيِّدِ الوزراء
لستُ أدري ماذا أقول وأشكو مِن سماءٍ تعوقني عن سماء
غيرَ أني أدعو على تلك بالثكل وأدعو لهـده بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمدًا فإذا التقينا تكلمت الضائرُ في الصدور
فأرجع لم ألمه ولم يلني وقد رضى الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

كتب الحسنُ بن وهب إلى مالك بن طوق في [ابن] أبي الشَّيص : كتابي إليك خططته بيمينى ، وفرغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ؟ أتراني أقبل العذر فيها ، أو أقصر في الشكر عليها ؟ وأبن أبي الشَّيص قد عرفته [عرفت] نسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا إلى غيرنا ، فاكتف بهذا منا .

وفصل : كتابي إليك كتاب مَعْنَى بمن كُتِبَ له ، واثقُ بمن كُتِبَ إليه ، وأن يَضِيعَ بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب العتَّابي فساد أن يُخل بالمعنى من شدة الاختصار ،

فكتب : حاملُ كتابي إليك أنا ، فسكن له أنا ، والسلام .

وفصل للحسن بن سهل : فلان قد أستغنى بأصطناعك إياه عن تحريكك إياك في أمره ، فإن الصنيفة حُرمة المصنوع إليه ، ووسيلة إلى مُصطنعه ، فبسط الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وفصل له : مُوصَّلَ كتابي إليك أنا ، فسكن له أنا ، وتأمّله بعين مُشاهدتي
وخلّتي ، فإسائه أشكرُ ما آتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

كتب أحمد بن يوسف : لولا حُسن الظنّ بك — أعزّك الله — لكان
في إغضائك عني ما يقبضني عن الطلّبة إليك ، ولكن أمسك برّمي من الرّجاء
عليّ برأيك في رعاية الحق ، وبسطُ يدك إلى الذي لو قبضتها عنه لم يكن له
إلا كرمك مُذكّراً ، وسؤددك شافعا .

فصل : ما أبعد البرء من مريض داؤه في دوائه ، وعائته في حِمِيته ، وأنا
منك كالغاصّ بالماء لا مساع له . وكما قال الشاعر :

كنتُ من كُرْبتي أفرُّ إليهم وهم كُرْبتي ، فأين الفرارُ ؟
فصل : أنا مُنتظرٌ واحدةً من اثنتين : عتبي تكون منك ، أو عتبي
تُغني عنك .

فصل : أما بعد فقد كنتَ لنا كلُّك ، فاجعل لنا بعضك ، ولا ترضى
إلا بالكلِّ لك منا^(١) .

فصل : أنا أبقى على ودك من عارض يغيّره ، أو عتاب^(٢) يقدح فيه ،
وأمْلُ عائداً من حُسن رأيك يعني عن اقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرُّشد بحسب ما منحك من الفضل . ولو أن كل
مَنْ نزع إلى الصّرم قلّدها عِنان الهجر لكنّا أولى بالذّنب منه ، ولـكنّا
نرد عليك من نفسك ، ونأخذ لها منك .

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : أما بعد ،
فقد عاقبني الشكّ في أمرك عن عزيمّة الرأي فيك ، ابتدأتني بلطف عن غير

(١) في بعض الأصول : « لنا منك » . (٢) في بعض الأصول : « كتاب » .

خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ، فأطمعني أولئك في إخوانك ، وآيسني آخرئك من وفائك ، فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، فأقننا على أنتلاف ، أو افترقنا على أختلاف .

فصل : إذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادته ، بعد أن جعلته حاكماً يحيف في حكومته ، فأين الموثل من جورك ، ولست أسلك طريقاً من العتب عليك ، إلا سده ما أنطوى عليه من مودتك . ولا سبيل إلى شكايته إلا إليك ، ولا أستماعة إلا بك ، وما أحق من جعلك على أمره عوناً أن تكون له إلى النجاح سبباً . وقال الشاعر :

عجبتُ لقلبك كيف أنقلبُ ومن طول ودك ، أنى ذهب ؟

وأنجب من ذا وذا أنتى أراك بعين الرضا في الغضب

وفصل : إن مسألتي إليك حوائجي مع عتبك على لمن الأوم ، وإن إمساكي عنها في حال ضرورة إليها مع علمي بكرمك في الشخط والرضا لعجز ؛ غير أني أعلم أن أقرب الوسائل في طلب رضاك مساء لئلك ما سنع من الحاجة ، إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

وفصل : لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك ، وكريم إخوانك ، ودوام عهدك ، لطال عتبي عليك في تواتر كتبي وأحتباس جواباتها عني ؛ ولكن الثقة بما تقدم عندي تعذر ، وتحسن ما يُقبَّح جفاؤك ، والله يُديم نعمته لك ولنا بك .

وفصل لأبن المدبر : وصل كتابك المفتح بالعتاب الجميل ، والتقرير اللطيف : فولوا ما غاب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غمماً بعتابك الذي لطف حتى كاد ينحفي عن أهل الرقة والفطنة ، وغاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله . فلا أعدمى الله رضاك مجازياً على ما أستحقه عتبك ، وأنت ظالم

فيه ، فهو^(١) وليُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : عتابُ الأخ خيرٌ من فَعْدِهِ وقال الشاعر :

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

وقال آخر في^(٢) هذا المعنى :

٥ إِذَا كُنْتُ تَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَتَعْتَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَيَّ
طَلَبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَّيْ عَدَدْتُكَ مَيْتًا وَإِنْ كُنْتُ حَيًّا
فَلَا تَعَجِبَنَّ بَمَا فِي يَدَيْكَ فَأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَّ

وفصل في عتاب : العِتَابُ قِبَلِ الْعِقَابِ ، فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،

ووعيدك بعد وعدك .

١٠ وفصل : قد حميتُ جانبَ الأملِ فيك ، وقطعتُ أسبابَ الرجاءِ منك ،

وقد أسلمتُ اليأسُ منك إلى العزاءِ عنك ، فإن ترغبتَ من الآنِ فصفحْ

لا تثرِبْ معه ، وإن تباديتَ فهجرْ لا واصلْ بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيمُ أملي فيك ، ما أتيتُ فيما بيني وبينك ذنباً

١٥ مُخْطِئاً ولا متعمداً ، ولعلَّ فلتةً لم ألقِ لها بالاً فأوطى لها أعتدراً ، وإن تسكن

فَنَفْثَةُ^(٣) حاسد زخرفها على لسانِ واش نبذها إليك في بعضِ غمراتك أصابت

مني مَقْتَلًا ، وشفت منه^(٤) غليلاً .

وفصل : ليس يُزِيلَنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلٌ حَمَلَكَ الْأَعْدَاءَ عَلَيْهِ ،

ولا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتَبٌ حَدَّثَ مِنْكَ عَلِيٌّ ، بل أرجو أن يتقاضى كرمك

٢٠ إِنْجَازَ وَعْدِكَ ؛ إِذْ كَانَ أْبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ ، وَأَوْجَبَ الْوَسَائِلَ لَدَيْكَ .

(١) في بعض الأصول : « وعتابك » مكان « فهو » .

(٢) في بعض الأصول : « في غير هذا » .

(٣) في بعض الأصول « فبغية » . (٤) في بعض الأصول : « منك » .

وفصل: أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والمعتوبة من أن تُجازي بني بالشوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان ، بل جناه على لسان واش . فأما قولك إنك لا تسهل سبيل العذر ، فأنت أعلم بالسكرم ، وأزعمي لحقوقه ، وأعرف^(١) بالشرف ، وأحفظ لذماماته^(٢) من أن ترد يد مؤملاك صفرًا من عفوك إذا أتمسه ، ومن عذرك إذا جعل فضلك شافعاً فيه ، وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : السكريم أوسع ما تكون مغفرتة ، إذا ضاقت بالمذنب معذرتة .

وفصل : يا أخي ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر^(٣) الدهر عندي ، وأنى مُعلق في حبال من لا يعرف موضعي ، ولا يحلو عنده موقعي ، أطلبُ منه الخلاص فيزيدني كُلفاً ، وأرتجى منه الحق فيزداد به ضناً ، فالثواء ثواء مقيم ، والنمّية نية ظاعن ، والزمامع زمامع^(٤) مُرتحل . ما أذهب إلى ناحية من الحيلة إلا وجدتُ من دونها مانعاً من العوائق ، فأحمل الدنب على الدهر ، وأرجع إلى الله بالشكوى^(٥) ، وأسأله جميل العقبى ، وحسن الصبر .

فصول في حسن التواصل

المفضل أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد^(٦) فيما أعطى . ولا حجة عليه فيما منع . [و] كن كيف شئت ، فإني قد أوليتك^(٧) خالصة سريرتي ، أرى ببقائك بقاء سروري ، وبدوام النعمة عندك ، ودوامها عندي .

(١) في بعض الأصول : « وأقعد » .

(٢) الذمامات : جمع ذمامة (بالفتح والسكر) وهي العهد .

(٣) في بعض الأصول : « شر » .

(٤) الزمامع (كسحاب وكتاب) : المضاء في الأمر والعزم عليه . وفي بعض الأصول :

« وبزمام الرأي » . (٥) في بعض الأصول : « بالشكر » .

(٦) في بعض الأصول : « وشاء والله الحمد ثم له قيا » .

(٧) في بعض الأصول : « واجد أمرى » مكان « قد أوليتك » .

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الدرّيمة إليك ، والأستعانة عليك ، لأنّ حُسن الظنّ ^(١) فيك ، وتأميل ^(٢) نُجح الرّغبة إليك ، فوق ^(٣) الشفعاء عندك .

وفصل: قد أفردتْك برجائي بعد الله ، وتعجّلت راحة اليأس ممن يوجد بالوعد ، ويضنّ بالإنجاز ، ويحسّن الفضل ويزهّد في أن يتفضل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

وفصل: ضعني — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعتُ نفسي من رجائك ، أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .

وفصل: لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك . فرة أتوقّف توقّف المخفّف عنك من المؤونة ، وسمرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة ، والمعتمد منك على المنة ^(٤) . لا أعدمنا الله دوام عزّك ، ولا سلّب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنّع لك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعمًا إلا في ظلك ، ولئن كانت الرّغبة إلى نفر ^(٥) من الناس خسارة وذلاً ، لقد جعل الله الرّغبة إليك كرامة وعزّاً ، لأنك لا تعرف حرّاً قعد به دهره إلا سبقت مسألته بالمطية ، وصنّت وجهه عن الطلب والذلة .

١٥ وفصل: لي عليك حقّ التأميل في الزيادة بما أبتدأت من المعروف ، ولك على حقّ الأصطناع والفضل ، والتّنويه بالاسم والشكر ^(٦) ، وليس يمنعي علمي بزيادة ^(٧) حقلك على ما أبلغه من شُكرك من مُساءلتك المزيّد ، إذ كنتُ قد

(١) في بعض الأصول: « بالله فيك » .

(٢) في بعض الأصول: « وتأويل » .

(٣) في بعض الأصول: « دون » .

(٤) المنة: المحبة .

(٥) في بعض الأصول: « بشر » .

(٦) في بعض الاصول: « التأمل والشكر بما ابتدأت ... بالاسم والزيادة في القدر » .

(٧) في بعض الأصول: « علمك زيادة » .

اتهمتُ إلى ما بلغه الجهود ، وخرجتُ من منزلة الإضاءة والتقصير ؛ وإذ كنتَ تسمع بالحق عليك ، وتطيب نفسًا عن حَقِّك^(١) ، وتُنكر اليسير ، ولا تُكَلِّفَ أحدًا شُكْرَكَ على الكثير .

وفصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومَعروفٌ يُوجب عليك الرَّبَّ^(٢) والإتمام .

وفصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِراسة تَعِدُّنيه فيك .

وفصل : قد أجلَّ الله قَدْرَكَ عن الاعتذار ، وأغناك^(٣) فى القول [عن الاعتلال] ، وأوجب علينا^(٤) أن نَقنع بما فعلتَ ، ونرضى بما أتيت^(٥) ، وصلت أو قطعت .

فصول فى الشكر

١٠

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المُعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراسانى ، فكان فى فصل منه : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة مُنتظرة لها [لكفى] . ثم قال ل محمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قُرطان بينهما وجه حسن .

وفصل لاحسن بن وهب : مَنْ شَكَرَكَ على درجة رفعته إليها ، أو ثروة أفدته إياها ؛ فإن شكرى لك على مُهجة أحييتها ، وحُشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكت به ، وقُمت بين التَّلف وبينه . فلكلِّ نعمة من نعمة الدنيا حدٌّ تنتهى إليه ، ومدى يُوقف عنده ، وغاية من الشُّكر يسمو إليها الطَّرف ، خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصفَ ، وطالت الشُّكر ، وتجاوزت كلَّ قَدْر ، وأنت من

٢٣٩
٢

(١) فى بعض الأصول : « حَقِّك على ما أبلغه من شُكْرِكَ وشُكْرِ اليسير » .

(٢) الرب : الزيادة . وفى بعض الأصول : « المودة » .

(٣) فى بعض الأصول : « وأغنانى » .

(٤) فى بعض الأصول : « عليك » . (٥) فى بعض الأصول : « أثبت » .

٢٥

وراء كل غاية ؛ رَدَّتْ عَمَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الْحَسُودِ ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ
مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكَنْفِ كَرِيمٍ . فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ
جَهْدَ الْمُجْتَهِدِ ؟

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

- ٥ رددت مالي ولم تمنن علي به وقبل ردك مالي قد حفت دمي
فأبت منك وقد جلتني نعمة هي الحياتان من موت^(١) ومن عدم
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذلك سوى عارية رجعت إليك لو لم تعرها كنت لم تلم
البربي منك وطى العذر عندك لي فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم
١٠ وقام علمك بي يحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصَلْ كِتَابُكَ فَمَا رَأَيْتُ
كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا ، وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا ، وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا ، وَلَا أَحْسَنَ مَقَاطِعَ
وَمَطَالِعَ ، مِنْهُ ؛ أَنْجَزَتْ فِيهِ عِدَّةَ الرَّأْيِ ، وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ ، وَعَادَ الظَّنُّ يَقِينًا ،
وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ .

١٥

فصل : الكلام كثيرة فنونه ، قليلة عيونه ؛ فنه ما يفككه الأسماع ،
ويؤنس القلوب ، ومنه ما يحمل الأذان ثقلاً ، ويملا الأذهان وحشة .

فصول في المدح

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر : إن جميع أكفائك ونظرائك

(١) في الأمل (ج ١ ص ١٩٩) : « وفر » . وبين الأبيات هنا وهناك خلاف في
بعض الألفاظ . وانظر سمط اللآلي (ج ١ ص ٤٧٧ — ٤٧٨) .

يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ ، فَإِذَا أُنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرَبُوا لَكَ ، وَيَتَنَافَسُونَ [فِي] الْمَنَازِلِ ، فَإِذَا بَلَغُوا وَقَفُوا دُونَكَ . فزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ ^(١) وَفِيكَ ، وَجَعَلْنَا مَنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ ، وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارَكَ ، وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْافَقَتِكَ ، وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

٥ **وفصل له :** إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنِيِّ عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيصَةُ الْكُذْبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةِ الْإِلَاحِ وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا يَعْدَمُ كَثْرَةَ الْمُشَاطِعِينَ ^(٢) لَهُ ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ .

وفصل : إِنْ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَيَزِيدُنِي بِصِيرَةٍ فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ ، أَنْكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَسْتَوْجِبْتَهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا ؛ وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ ، وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ أَنْ تَتَقَارَبَ ^(٣) ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلِّقُ إِلَى مَعْدِنِهِ ، وَيَحْنُ إِلَى عُنْصُرِهِ ، فَإِذَا صَادَفَ مِنْبَتَهُ ، وَنَزَلَ فِي مَعْرَسِهِ ، ضَرَبَ بِعِرْقِهِ ، وَسَمَقَ ^(٤) بِفِرْعِهِ ، وَتَمَسَّكَنَ تَمَسَّكَنَ الْإِقَامَةَ ، وَتَبَنَّنَكَ تَبَنَّنَكَ الطَّبِيعَةَ .

١٠ **وفصل :** إِنِّي فِيهَا أَعْطَى مِنْ مَدْحِكَ كَمَا لَمْخَبِرٍ عَنِ ضَوْءِ النَّهَارِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ . وَأَيَقَنْتُ أُنِي حَيْثُ أَنْتَهَى بِي الْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مَقْصُرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدَّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عِنْدَكَ إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ .

وفصل لِمُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ : إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ ، وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا ، وَشُهِرْتَ بِمَحَاسِنِهَا ، فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وَدَّكَ ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِجَبَلِكَ ، فَمَنْ أَثْبَتَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا فَقَدْ وَضَعَتْ ^(٥) خُلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرِّ زَهَا .

(١) فِي ي : « مِنْكَ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَتَابِعِينَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَتَقَارَمُ » . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَسَبَقَ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَضَعَ » .

وفصل لابن مكرم : السيفُ العتيقُ إذا أصابه الصّدأُ أستغنى بالقليل
من الجلاء حتى تعود جدّته ويظهر فرنده ، للين طبيعته ، وكرّم جوهره ،
ولم أصف نفسي لك عُجباً^(١) بل شكرًا .

وفصل له : زاد معرُوفك عندي عِظماً ، أنه عندك مسطورٌ حقير ، وعند
الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال :

زاد معرُوفك عندي عِظماً أنه عندك مسطورٌ حقير
تتناساه كأن لم تأتِه وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتّابي : أنت أيها الأمير وارثُ سلفك ، وبقيةُ أعلام أهل
بيتك ، المسدود به ثلهم ، المُجدّد به قديم شرفهم ، والمُحيّا به أيام سقيهم .
وإنه لم يتخمل من كنت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ،
ولا أتمحت أعلام من خلفته في رُتبته .

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف : أما بعد ، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعرَ
من طريقه إليك ؛ فالمعروف لديك ضائع ، والشُّكر عندك مهجور ؛ وإنما
غايبتك في المعروف أن تحقره ، وفي وليّه أن تكفّره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة : أما بعد ، فإني توسّلت
في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ،
فازددتُ بهما بعداً مما فيه تقربت ، وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسّمتُ اللائمة
بيني وبينك ؛ لأنني أخطأتُ في سُؤالك وأخطأتُ في منعي ، أمرتُ باليأس من
أهل البخل فسألتهُم ، ونهييتُ عن منع أهل الرّغبة فمنعتهم . وفي ذلك أقول :
فررتُ من الفقر الذي هو مُدركي إلى بخلٍ محظور النّوال مَنوع

(١) في بعض الأصول : « عجباً بك »

فَأَعْتَبَنِي الْحِزْمَانَ غِيبَ مَطَامِعِي كَذَلِكَ مَنْ تَلَقَّاهُ غَيْرَ قَنُوعٍ^(١)
وغيرُ بديعٍ مَنَعُ ذِي الْبُخْلِ مَالَهُ كَمَا بَدَّلُ أَهْلَ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعٍ
إِذَا أَنْتِ كَشَفْتِ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ لِأَعْرَاضِهِمْ مِنْ حَافِظٍ وَمُضِيعٍ^(٢)

وفصل لإبراهيم بن المهدي: أما بعد، فإنك لو عرفت فضل الحسن
لتجنبت شين القبيح، ورأيتك آثر القول عندك ما يضرُّك، فسكنت فيما كان
منك ومنًا، كما قال زهير بن أبي سلمى:

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلِيمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ
عَبَاتَ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

فصل: إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصفار، تميل معهما، وتتصرف

١٠ في آثاريها. وقد كنت أُحِلُّ مودتك بالحلِّ النَّفِيسِ، وأُنزِلها بالمنزل الرَّفِيعِ، حتى
رأيتُ ذلتك عند الضَّعة، وضرَّعتك عند الحاجة، وتغيَّرتك عند الاستغناء،
وأطراحتك لإخوان الصَّفاء، فكان ذلك أقوى أسباب عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ
مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرِكَ بَعِينَ عَدْلٍ، لَا يَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا يَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا.

فصل للمعتابي: تأتينا إفاقتك من سكرتك، وترقبنا أنتباهك من

١٥ رقدتك، وصبرنا على تجرُّع الغيظ فيك، حتى بان لنا اليأس من خيرك،
وكشف لنا الصبر عن وجه الغلظ فيك. فما أنا قد عرفتك حق معرفتك في
تعدُّيك لظُورِكَ، وأطراحتك حق من غلظ في اختيارك.

فصول في الأدب

٢٤١
٢

كتب سعيد بن حميد: إن من أمارات الحزم وصحة الرأي في الرجل تركه
٢٠ التماس ما لا سبيل إليه؛ إذ كان ذلك داعية لعناء لا ثمرة له، وشقاء لا دَرَكَ
فيه. وقد سمحت في أمرٍ تُخبرك أوائله عن أواخره، ويُنبئك بدوؤه عن عواقبه،
لو كان لهذا الخبر الصادق مُسْتَمِعٌ حَازِمٌ. ورأيتُ رائدَ الهوى مال بك إلى

(١) في ديوان أبي العتاهية: «من يلقاه». (٢) في الديوان: «ومذيع».

هذا الأمر ميلاً أيا من رَغْب فيك ، ودَلِّ عدوك على معائبك ، وكشف له عن مقاتلك . ولولا علمي بأن غِلظة الناصح تؤدي إلى نَفْع في أعتقاد صواب الرأي ، لكان غيرُ هذا القول أولى بك . والله يوفِّقك لما يجب ، ويوفِّق لك ما تحب .

٥ **وفصل :** أنت رجل لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ، فقدم على نفسك من قدمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دُنياه وفيما يُؤخذ بالعين كان أحرى أن يُخطئ في أمر دينه وفيما يُؤخذ بالعقل .

١٠ **وفصل :** قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع بما تعلم ، ولا يكن غيرك فيما يُبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحالٍ برضى بها حرٌّ ، ولا يُقيم عليها كريم ، وليس يرضى لك بهذا إلا من يبتغي لك أن ترضى به .

١٥ **وفصل :** أنت طالبٌ مُقيم ، وأنا دافعٌ مُغرَم^(١) ، فإن كنت شاكرًا فيما مضى ، فاعذر فيما بقي .

وفصل للعتابي ، أما بعد ، فإن قريبك من قَرَب منك خيرُه ، وأبْنُ عمك من عمك نفعُه ، وعشيرتك من أحسنِ عشرتك ، وأهدى الناسِ إلى مودَّتكَ من أهدى برِّه إليك .

٢٠ **فصول إلى عليل**

ليست حالي — أكرمك الله — في الأعتام بعلمتك حالَ المُشارك^(٢) فيها

(١) المغرم (ككرم ، بصيغة اسم المفعول) : أسير الدين .

(٢) في بعض الأصول : « المُشاركة » .

بأن ينفاني نصيبٌ منها وأسلمٌ من أكثرها ، بل أجمع على منها أنى مخصوص بها دونك ، مؤلمٌ منها بما يؤلمك ، فأنا عميلٌ مَصْرُوفُ العِنايةِ إلى عميلٍ ، كأنى سليمٌ يسهر على سليمٍ ؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك أن يختصني بها فيك ، فإنها شاملةٌ لي ولك .

• **وفصل :** إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك ، قادر على المدافعة عن حَوْبائك^(١) . فلو قلتُ إن الحق قد سقط عني في عيادتك لأنني عميلٌ بعلمتك ، لقام لي بذلك شاهدٌ عدلٌ في ضميرك ، وأثر باءٍ في حالي إمينك . وأصدقُ الخبر ما حققه الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفلَ قلبي ذِكرُك ، ولا لسانى فحْصاً عن خبرك ، فحْص من تقسّم^(٢) جوارحه وصُبك ، وزاد^(٣) في ألمها ألمك ، ومن تتصل^(٤) به أحوالك في السراء والضراء . ولما بلغتني إفاقتك كتبتُ مهتئماً بالعافية ، مُعْفِياً من الجواب ، إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

• **ولأحمد بن يوسف :** قد أذهب الله وَصَبَ العِلَّةَ ونصبها ، ووَفَّرَ أجزها وثوابها ، وجمل فيها من إرغام العدوِّ بعقبها ، أضعاف ما كان عنده من الشرور بقُبْح^(٥) أولها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ، إن كلُّ من عنيت به فِكرُك فما هو إلا سعيدٌ بوثر ، أو شقيٌّ بوثر .

(١) الحوباء : النفس .

(٢) في بعض الأصول : « يجب أن تتقسم » مكان « حص من تقسم » .

(٣) في بعض الأصول : « وإن زاد »

(٤) في بعض الأصول : « وان تضل » .

(٥) في بعض الأصول : « يفتح » .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة^(١) ، محمود التقية ، موفياً بما أخذ الله عليه ، مضطجعاً بما حمّله منه ، مؤدياً إلى الله حقه ، مقررّاً له بِنِعْمَتِهِ ، شاكرّاً لآلانه ، لا يأمر إلا عدلاً ، ولا ينطق إلا فصلاً ، راعياً لدينه وأمانته ، كافياً ليدِهِ ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم ، وتقويمُ أودهم ، ورياضةُ أخلاقهم ، وأن يميزَ بينهم ، فيقدّمُ مُحْسِنِهِمْ ، ويؤخّرُ مُسِيئِهِمْ ، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم .

وفصل له : إن أعظمَ الحقِّ حقُّ الدين ، وأوجبَ الحُرمةِ حُرمةُ المسلمين .
فَحَقِيقٌ لِمَنْ رَاعَى ذَلِكَ الْحَقَّ وَحَفِظَ تِلْكَ الْحُرْمَةَ أَنْ يُرَاعَى لَهُ حَسَبَ مَارِعَاءِ اللَّهِ بِهِ ، وَيُحَفِظَ لَهُ حَسَبَ مَا حَفِظَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ .

وفصل له : إن الله أوجبَ خُلْفَانَهُ على عباده حقَّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خُلْفَانِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرِّفَافَةِ ، وإحياءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فإذا أَدَّى كُلٌّ إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ ، واتصالِ الزِّيَادَةِ ، واتساقِ الْكَلِمَةِ ، ودوامِ الْأَلْفَةِ .

وفصل : ليس من نعمة يُجَدِّدُهَا اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا اتَّصَلَتْ بِرِعْيَتِهِ عَامَّةً ، وشملتَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، وعظُمَ بلاءُ اللهِ عندهم فيها ، ووجبَ عليهم شُكْرُهُ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ ، وبتدبيره وذِبحِهِ عن دينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ ، وبِحياطته حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فأطال اللهُ بقاءَ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) ، مؤيِّدًا بِالنَّصْرِ ، معزِّزًا بِالتَّمَكِينِ ، مَوْصُولَ الْبَقَاءِ بِالتَّعْيِيمِ الْمُقِيمِ .

(١) الضريبة : الطبيعة .

(٢) زيد في بعض الأصول بعد قوله « المؤمنين » : « منطوى القلب على مناصحته » .

ومكانها في الفصل الثاني حيث هي .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحته ، مشحوذ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبرّاً وبحراً .

وفصل : أفعال الأمير عندنا مَعسولة كالأمانى ، مُتصلة كالأيام ، ونحن نواتر الشكر لكريمِ فِعله ، ونواصل الدعاء له مُواصلَ برّه ؛ إنه الناهض بكلّنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد أنتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس في واحدة منهما عذر يوجب حُجّة ، ويُريل لأئمة : إمّا تقصيرٌ في عمل^(١) دعاك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإمّا مظاهره لأهل الفساد ومُداهنة لأهل الرّيب . وأية هاتين كانت منك لمُحِلّة الشكر^(٢) بك ، ومُوجبة العُقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحُجّة ، والتقدّم في الإعذار والإنذار . وعلى حسب ما أقلت من عظيم العثرة يجب^(٣) أجتهدك في تلافى التّقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين ، حين أخذ بغداد ، إلى إبراهيم بن المهدي :
 ١٥ أما بعد ، فإنه عزيزٌ على أن أكتب إلى أحد من بيت الخِلافة يغير كلام الإمرّة وسلامها ، غير أنه بلغنى عنك أنك مائلٌ الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغنى فكثيرٌ ما كتبتُ به قليلٌ^(٤) لك ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وقد كتبتُ في أسفل كتابي أبياتا فتدبرها :

(١) في بعض الأصول : « عمك » .

(٢) النكر : الأمر الشديد .

(٣) في بعض الأصول : « ما يجب » .

(٤) في بعض الأصول : « قليل . . . كثير » .

رُكُوبُكَ الْهَوْلَ مَا لَمْ تُتْلَفِ^(١) فَرُصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِتِحَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوُونُ بَدُنِيَا يُصِيبُ الْخَطَّائُونَ بِهَا حَظًّا الْمُصِيبِينَ وَالْمَعْرُورُ مَعْرُورٌ
 قَا زَرَعَ صَوَابَا وَخُذَ بِالْحَزْمِ حَيْطِطَتَهُ فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوَى الْأَبَابِ مَعْدُورٌ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلٌ أَعَانَتْهُ الْمَقَادِيرُ ٥

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتَمِّمُ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، الْهَادِي إِلَى
 شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِنَ
 الْفَضَائِلِ مَا فَرَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تَرَاتِيهَ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخِلَافَتِهِ ،
 وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

١٠ فصول لعمر بن بحر الجاحظ

منها فصول في عتاب : أما بعد ، فَإِنَّ الْمُسْكَافَةَ بِالْإِحْسَانِ فَرِيضَةٌ ،
 وَالتَّفَضُّلَ عَلَى [غَيْرِ] ذَوَى الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .

أما بعد ، فليكن^(٢) السُّكُوتُ عَلَى لِسَانِكَ ، إِنْ كَانَتْ الْعَافِيَةُ مِنْ شَانِكَ .

أما بعد ، فَلَا تَزْهَدْ فِي مَنْ رَغِبَ إِلَيْكَ فَتَكُونَ لِحَظِّكَ مُعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ

جَاحِدًا .

١٥ أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَى ضِدَّانَ ، فَفَرِّقْ بَيْنَ الْعَقْلِ التَّوْفِيقَ ، وَقَرِّبْ
 الْهَوَى الْحِذْلَانَ ، وَالنَّفْسَ طَالِبَةَ ، فَبِأَيِّهِمَا ظَفِرْتَ كَانَتْ فِي حِزْبِهِ .

أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتِ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَافَ

كَالْمَآرِ .

٢٠ أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ، وَالْعُقُولَ مُعَانِدَانِ ، فَمَا فِي الْوَعَاءِ يَنْفَعُ إِذَا لَمْ

يُؤَمِّدَهُ الْمَعْدِنُ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَلَقَّ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَلَهَا » .

أما بعد ، فسكني بالتجارب تأديباً ، وبتقلب الأيام عِظة ، وبأخلاق مَنْ عاشرت معرفة ، وبذِكْرِك الموت زاجراً .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب أهونُ من إطفائه بالشتم والقذع .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولو الاستعداد للنوائب ، وما عظمت

نعمته^(١) أمرى إلا أستغرقت الدنيا همته ، ومَنْ فرغ لطلب الآخرة شغله جعلَ الأيام مطايا عمله ، والآخرة مقيل مُرحله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير

ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل مَنْ حَلِمُ^(٢) أمسك ، وقد يُستجهل^(٣) الحليم

حين يستخفه الهجر^(٤) .

أما بعد : فإن أحببت أن تتم لك المِئمةُ في قلوب إخوانك ، فاستقلْ كثيراً

مما تُؤليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة مَنْ لَطَفَ حتى كَفَّ حربَ عدوه

بالصفح والتجاوز ، وأستلَّ حقه بالرفق والتحيب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني ، وبلغه عنه أنه نال منه : أما بعد ، فلو

كففتَ عداً من غزبك لسكننا أهلاً لذلك منك ، والسلام . فلم يُعد أبو حاتم

إلى ذكره بقبيح .

وله فصول في وصاة : أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ أضعفته في حاجته ،

وأجبتَه إلى طلبته ، مَنْ توسل إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

(١) في بعض الأصول : « بنية » .

(٢) في بعض الأصول : « علم » .

(٣) يقال : استجهله ، إذا حمله على شيء ليس من خلقه فيفضيه .

(٤) في بعض الأصول : « يستحق الهجران » .

أما بعد ، فما أقبِح الأُحدوثِة من مُستمحِ حرْمته ، وطالبِ حاجةِ رددته ،
ومُثابرِ حجبته ، ومُنْبسطِ إليك قبضته ، ومُقبِلِ إليك بعنانه لويتَ عنه .
فتنبَّت في ذلك ، ولا تُطع كل حَلّاف مهين ، هَمَّازِ مِشَاءِ بنميم .

أما بعد ، فإن فلاناً أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه عندنا ببلوغ موافقته
من أياديك ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته . فأولنا فيه ما نعرف به
موقعنا من حُسن رأيك ، ويكون مُكافأةً لحقه علينا .

أما بعد ، فقد أتانا كتابك في فلان ، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا
مكافأته ورعاية حقه ، ونحن من العناية^(١) بأمره على ما يُكافي^(٢) حرْمته ،
ويؤدي شكره .

١٠ **وله فصول في استنجاز وعمر :** أما بعد ، فقد رَسفنا في قيود مواعيدك ،
وطال مُقامنا في سُجون مَطْلَك ، فأطلقنا — أبقاك الله — من ضيقها وشديد
نعمها ، بـ « نَعَمْ » منك مُثمرة أو « لا » مُريجة .
أما بعد ، فإن شجرة مواعيدك قد أورقت ، فليكن ثمرها سالمًا من
جوائِح المَطْل .

١٥ **أما بعد ، فإنَّ سحابَ وَعْدِكَ قد بَرقت ، فليكن وَبَلها سالمًا من صواعق**
المَطْل والاعتلال .

وله فصول في الاعتذار : أما بعد ، فنِعَمَ البديلُ من الزلة الاعتذار ،
وبئس العِوضُ من التَّوبة الإصرار .

٢٤٤
٢
٢٠ **أما بعد ، فإنَّ أحقَّ من عَطفت عليه بِحِمْلِكَ مَنْ لم يَتَشَفَّعَ إليك بِفِيرِكَ .**
أما بعد ، فإنه لا عوضَ من إِيْخَانِكَ ، ولا خَلْفَ من حُسنِ رأيِكَ ، وقد
انتقمْتَ مِنِّي في زَلَّتِي بِجَفَائِكَ ، فأطلق أسيرَ تشوُّقِي إلى لقائِكَ .

(١) في بعض الأصول : « المعتبة » .

(٢) في بعض الأصول : « ما كان في » .

أما بعد ، فإنني بمعرفتي بمبلغ^(١) حِلْمِكَ ، وغاية عَفْوِكَ ، ضمنتُ لِنَفْسِي العفو من زَلَّتْهَا عِنْدَكَ .

أما بعد ، فإنَّ مَنْ جَعَدَ إِحْسَانَكَ بِسُوءِ مَقَالَتِهِ فِيكَ مُسَكِّدٌ نَفْسَهُ بِمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ .

أما بعد ، فقد مَسَّنِي مِنَ الأَلْمِ بِقَطِيعَتِكَ مَا لَا يَشْفِيهِ غَيْرُ مُوَاصَلَتِكَ ، مع حَبْسِكَ الأَعْتِذَارَ مِنْ هَفْوَتِكَ ؛ وَاسْكُنْ ذَنْبَكَ تَغْتَفِرْهُ مَوْدَّتِكَ ، فَأَمِنَ عَلَيْنَا بِصَلَاتِكَ تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ ، وَعِوَضًا مِنْ هَفْوَتِكَ .

أما بعد ، فلا خَيْرَ فِيمَنْ أَسْتَغْفِرَتْ مَوْجِدَتُهُ عَلَيْكَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَتَّسِعْ لِهِنَاتِ الإِخْوَانِ [صَدْرُهُ] .

أما بعد ، فإنَّ أَوْلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مِلْكِكَ التَّمَّاسُ رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ .

أما بعد ، فإن كنتَ ذَمَمْتَنِي عَلَى الإِسَاءَةِ فَلَمْ رَضَيْتَ لِنَفْسِكَ المِكَافَاةَ .

وله فصول في التعازي : أما بعد ، فإنَّ المَاضِيَ قَبْلَكَ البَاقِيَ لَكَ ، وَالبَاقِيَ بَعْدَكَ المَاجُورُ فِيكَ ، وَإِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

أما بعد ، فإنَّ فِي اللَّهِ العَزَاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَانْخَلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَنَقَّطَ نَفْسَهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَةً .

أما بعد ، فإنَّ الصَّبْرَ يَمُقِّبُهُ الأَجْرَ ، وَالجَزَعَ يَمُقِّبُهُ المَلْعَ ، فَتَمَسَّكَ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَنَلَّ بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ ، وَتُدْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ .

أما بعد ، فقد كُفِيَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَاعْظَمًا ، وَلذَوِي الأَبْهَابِ زَاجِرًا ، فَعَلَيْكَ بِالتَّلَاوَةِ تَنْجُ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ [بِهِ] أَهْلَ المَعْصِيَةِ .

(١) في بعض الأصول : « يبلوغ » .

صُرور الى خليفته: وَفَقَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالظَّفَرِ فِيمَا قَلَدَهُ وَأَيْدَهُ، وَأَصْلَحَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ — أَكْرَمَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالظَّفَرِ، وَأَيْدَهُ بِالنَّصْرِ فِي دَوَامِ نِعْمَتِهِ، وَحَاطَ الرَّعِيَّةَ بِطَوْلِ مَدَّتِهِ.

صُرور الى ولي عمره: مَتَّعَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِطَوْلِ مُدَّةِ الْأَمِيرِ، وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ فِعْلَ الْجَمِيلِ، وَأَنَسَ بَوْلَايَتَهُ الْمُؤْمِنِينَ — مَدَّ اللهُ لِلْأَمِيرِ النِّعْمَةَ، وَأَسْعَدَ بِطَوْلِ عَمْرِهِ الْأُمَّةَ، وَجَعَلَهُ غِيَاثًا وَرَحْمَةً — أَكْمَلَ اللهُ لَهُ الْكِرَامَةَ، وَحَاطَهُ بِالنِّعْمَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَمَتَّعَ بِهِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ — مَتَّعَ اللهُ بِسَّلَامَتِكَ أَهْلَ الْحُرْمَةِ، وَجَمَعَ لَكَ شَمْلَ الْأُمَّةِ، وَأَسْتَعْمَلَكَ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ.

صُرور الى ولي سُرطه: أَنْصَفَ اللهُ بِكَ الْمَظْلُومَ، وَأَعَاثَ بِكَ الْمَلْهُوفَ، وَأَيْدَكَ بِالتَّنْبِثِ، وَوَفَّقَكَ لِلصَّوَابِ — أَرْشَدَكَ اللهُ بِالتَّوْفِيقِ، وَأَنْطَلَقَكَ بِالصَّوَابِ، وَجَعَلَكَ عِصْمَةً لِلدِّينِ، وَحَصْنًا لِلْمَسَالِمِينَ — أَعَانَكَ اللهُ عَلَى مَا قَلَدَكَ، وَحَفِظَ لَكَ مَا أَسْتَعْمَلَكَ بِمَا يُرْضَى مِنْ فِعْلِكَ — سَدَّدَكَ اللهُ وَأَرْشَدَكَ، وَأَدَامَ لَكَ فَضْلَ مَا عَوَّدَكَ — زَادَكَ اللهُ شَرْفًا فِي الْمَنْزِلَةِ، وَقَدَّرَ فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ، وَزَلْفَةَ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ — نَصَرَ اللهُ بِمَدَدِكَ الْمَظْلُومَ، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَةَ الْمَلْهُوفِ، وَأَعَانَكَ عَلَى إِدَاءِ الْحَقُوقِ.

صُرور الى قاضي: أَهْمَكَ اللهُ الْحُجَّةَ، وَأَيْدَكَ بِالتَّنْبِثِ، وَوَرَدَ بِكَ الْحَقُوقَ. — أَهْمَكَ اللهُ الْأَعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ بِالْعِلْمِ، وَالتَّنْبِثَ فِي الْحُكْمِ — أَهْمَكَ اللهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخَطَابِ، وَجَعَلَكَ إِمَامًا لِدَوَى الْأَبْيَابِ — زَيَّنَ اللهُ بِفَضْلِكَ الزَّمَانَ، وَأَنْطَقَ بِشُكْرِكَ اللِّسَانَ، وَبَسَطَ يَدَكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، وَأَدَامَ اللهُ لَكَ الْإِفْضَالَ، وَحَقَّقَ فِيكَ الْأَمَالَ.

صُرور الى عالم: جَعَلَ اللهُ لَكَ الْعِلْمَ نُورًا فِي الطَّاعَةِ، وَسَبَبًا إِلَى النِّجَاةِ،

وزُفئة عند الله — نفع الله بعلمك المُستفيدين ، وقضى بك حوائج المُتحرِّمين ^(١) ،
وأوضح بك سُنن الدين ، وشرائع المُسلمين — أدام الله لك التطوّل بإسعاف
الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمّنك مكرهه العواقب .

٢٤٥
٢
٥
١٠
١٥

صُرور الى اموراه : مَتَّعَ اللهُ أَبْصَارَنَا بِرُؤْيَيْتِكَ ، وَقَلُوبَنَا بِدَوَامِ الْفِتْكَ ،
وَلَا أَخْلَانَا مِنْ جَمِيلِ عِشْرَتِكَ ، وَوَهَبَ لَكَ مِنْ كَرِيمِ نَفْسِكَ بِحَسَبِ مَا تَنْطَوِي
عَلَيْهِ مَوَدَّتِكَ ، وَأَبْهَجَ اللهُ إِخْوَانَكَ بِقُرْبِكَ ، وَجَمَعَ الْفَتْمَ بِالْأَنْسِ بِكَ ، وَصَرَفَ
اللهَ عَنِ الْفِتْنَةِ عَوَاقِبَ الْقَدَرِ ، وَأَعَاذَ صَفْوَةَ إِخْوَانِنَا مِنَ الْكُدْرِ ، وَجَعَلْنَا مِنْ أَنْ
اللهَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ — مَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِطَوْلِ مُدَّتِكَ ، وَأَنْسَ أَيَّامَنَا بِمُؤَاصَلَتِكَ ،
وَهَذَا نَا النَّعْمَةَ بِسَلَامَتِكَ — قَرَّبَ اللهُ مِنَّا مَا كُنَّا نَأْمُلُ مِنْكَ ، وَجَمَعَ شَمْلَ
الشُّرُورِ بِكَ — نَزَّ اللهُ بِقُرْبِكَ الْقُلُوبَ ، وَبَرُّؤْيَيْتِكَ الْأَبْصَارَ ، وَبِحَدِيثِكَ
الْأَسْمَاعَ — أَقْبَلَ اللهُ بِكَ عَلَى أَوْلِيائِكَ ، وَلَا أَبْتَلَاهُمْ بِطَوْلِ جَفَائِكَ — أَدَالَ
اللهَ حِرْصَنَا مِنْ فُتُورِكَ عَنَّا ، وَرَغَبْنَا فِيكَ ^(٢) مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي أُمُورِنَا — حَفِظَ اللهُ
لَنَا مِنْكَ مَا أَوْحَشْنَا فَقْدَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نَأْلِفُهُ وَنَعْبُدُهُ — رَحِمَ اللهُ
فَاقَةَ الْحَنِينِ إِلَيْكَ ، وَمَا بِي مِنْ تَبَارِيحِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ حُرْمَتَنَا
مِنْكَ ، الشَّفِيعَ لَدَيْكَ — يَسِّرَ اللهُ لَنَا مِنْ صَفْحِكَ مَا يَسَعُ تَقْصِيرَنَا ، وَمَنْ
حَلَمَكَ مَا يَرُدُّ سَخَطَكَ عَنَّا — زَيْنَ اللهُ الْفِتْنَةَ بِمُعَاوَدَةِ صَلَاتِكَ ، وَاجْتِمَاعِنَا
بِزِيَارَتِكَ — أَعَادَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ إِخَائِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ مَا يَكُونُ مَعَهُوداً
مِنْكَ ، وَمَأْلُوفاً لَكَ .

صُرور في عتاب : أَنْصَفَ اللهُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ مِنْ جَفَائِكَ لَنَا ، وَأَخَذَ
٢٠ لِبِرِّنَا بِكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ عَنَّا .

(١) يقال : تحرم منه بجرمة ، أى تمنع وتحمى بدمية .

(٢) فى بعض الأصول : « عنك » .

(١) وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وفقك الله
 لرُشدك . بلغني كلامك فإذا أوله بَطْر ، وآخره خَوْر ، ومن أبطره الغنى
 أذله الفقر ، وهما ضدَّان مُخادعان للمرء عن عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدَّواء
 من يبين له الداء ، والسلام . فأجابه : طاولتكَ النعم وطاولت بك . علو
 إنصافك يؤمِّن سطوة جورِك ، ذكرتَ أنى نطقتُ بما تسكره ، وأنا تخدوع ،
 وقد علمتُ أنى ملتُ إلى محبتك ولم أخدع ، ومثلك من شكر سعى مُعتذر ،
 وعفا زلة مُعترف (٢) .

(١) هذا الكلام لى آخر الباب لا يندرج تحت العنوان الذى هو « فصول لعمرو
 ابن بحر الجاحظ » .

(٢) فى ى بعد هذا : « تم الجزء الثامن والعشرون من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب
 المجنبية الثانية فى التوقيعات بحمد الله وعونه من تجزئة خمسين جزءا وهو السادس من
 الفرع . يتلوه الجزء التاسع والعشرون من كتاب العقد كتاب المسجدة الثانية فى
 أيام الخلفاء وتواريخهم وأيامهم من تجزئة خمسين جزءا » .

فرش كتاب المسجدة الثانية

في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى لنا قولنا في التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا كتابُ الفناء في أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ، وأسماء كتبهم وحُججهم .

أخبار الخلفاء

نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم

رَوَى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ^(١) عَنْ أَشْيَاخِهِ :
هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢) بْنِ هَاشِمِ
ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ^(٣) بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ
فِهْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ^(٤) بْنِ الْيَاسِّ بْنِ
مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِ بْنِ عَدْنَانَ . وَأُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ
زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم - قالوا : وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ لِأَثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِلْمَيْلَتَيْنِ
خَلَّتَا مِنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَعْدَ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ يَوْمًا . فَهَذَا جَمْعٌ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ عَنِ
مَوْلَاهُ^(٥) . وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ عَامًا . وَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا ، وَبِالْمَدِينَةِ

(١) كَذَا فِي فِهْرَسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ . وَفِي أَنْسَابِ السَّمْعَانِيِّ (ص ٥١٥) : « أَبِي شَيْبَةَ »
وَفِي الْأَصُولِ : « أَبِي يَوْسُفَ » . (٢) اسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : شَيْبَةُ ، وَقِيلَ عَامِرٌ .
(انظر السيرة لابن هشام والمعارف وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨١) .
(٣) اسْمُ هَاشِمٍ : عَمْرُو . وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ : الْمَغِيرَةُ . وَاسْمُ قُصَيٍّ : زَيْدٌ .
(٤) اسْمُ فَهْرٍ : قَرِيشٌ ؛ وَقِيلَ بَلْ فَهْرٌ اسْمُهُ وَقَرِيشٌ لِقَبِّ لِهْ . وَاسْمُ النَّضْرِ : قَيْسٌ .
(٥) وَاسْمُ مُدْرِكَةَ : عَامِرٌ . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِي مَوْلَاهُ » .

عشرا . وقال ابن عباس : أقام بمكة خمسَ عشرةَ وبالمدينة عشرا . والمُجمع عليه أنه أقام بمكة ثلاثَ عشرةَ وبالمدينة عشرا .

اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم — هاجر إلى المدينة يومَ الاثنينِ لثلاثِ عشرةَ خلت من ربيعِ الأول . ومات يومَ الاثنينِ لثلاثِ عشرةَ خلت من ربيعِ الأول ، اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم .
جعلنا الله ممن يرد حوضه ، وينال مُرافقته في أعلى عليين من درجات الفردوس ، وأسأل الله الذي جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ، ولا يَحْرِمنا رؤيته في الدنيا والآخرة .

صفة النبي صلى الله عليه وسلم — ربيعة بن [أبي] عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ ، مُشرباً حُمْرة^(١) ، ضَخْمُ الرَّأْسِ ، أَزْجٌ^(٢) الحاجبين ، عَظِيمُ العَينَينِ ، أَدْعَجُ أَهْدَبُ^(٣) ، شَتْنٌ^(٤) الكفَّينِ والقَدمَينِ . إذا مَشَى تَكَفَّأ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَيَمْشِي فِي صُعدِ كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ . إذا التفت التفت جميعا . ليس بالجمعد القَطَطُ ولا السَّبَطُ^(٥) . ذَا وَفْرَةٍ إلى شحمة أذنيه . ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المُتَطامن . عَرَفَهُ أَطيبُ من المسك الأذفر . لم تَلِدِ النساءُ قبله ولا بعده مثله . بين كَتْفَيْهِ خاتَمُ النبوة كَبَيْضَةِ الحَمَامَةِ . لا يَضْحَكُ إلا تَبَشُّمًا . في عَنقْفَتِهِ شعراتُ بَيبض لا تكاد تبين . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيبُ الذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة . وقيل له : يارسول الله ، عَجَلْ عليك الشيب . قال : شَيَّبَتْنِي هودُ وأخواتها .

هيئة النبي وقدرته صلى الله عليه وسلم — كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويمشي في الأسواق ، ويلبس العباة ، ويجالس المساكين ، ويقعد القرفصاء ، ويتوسد يده ، ويلعق أصابعه^(٦) ،

(١) في بعض الأصول : « بحمرة » . (٢) الزجاج في الحاجبين : دقتهما في طول .

(٣) أدعج : أسود العين واسمها . وأهدب : كثير أشفار العينين .

(٤) شتن : غليظ .

(٥) الجمعد : القصير ، وكذلك القَطَطُ . والسبَطُ (بالفتح ويحرك وكسكتف) تقيض الجمعد .

(٦) زيد في بعض الأصول بعد قوله « أصابعه » : « ويقضى من نفسه » .

ولا يأكل مُتَّكِنًا ، ولم يُرْ قَطُّ ضاحكًا مِلءَ فيه . وكان يقول : إنما أنا عبدٌ
آكلٌ كما يأكل العبد ، وأشربُ كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراعٍ
لأجبت ، ولو أهدى إلى كِرَاعٍ لَقَبِلت .

سُرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 ٥ أنا سيّد البشر ولا فخر ، وأنا أفصحُ العرب ، وأنا أوّل مَنْ يقرع بابَ الجنة ،
 وأنا أوّل مَنْ يَنشقُّ عنه التراب . دعالي إبراهيم ، وبشربي عيمى ، ورات
 أمى حين وَضعتنى نورًا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه
 وسلم : إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقةً فجعلنى فى خيرهم
 فرقةً ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خير بيت ؛
 ١٠ فأنا خيرُكم بيتاً وخيرُكم نسبا . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابنُ الفواطم^(١)
 والعواتك من سليم ، وأسْترضعتُ فى بنى سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعرب
 اللغات ، فلكل العرب فيه لغة ، ولبنى سعد بن بكر سبع لغات . وبنو سعد
 ابن بكر بن هوازن أفصحُ العرب ، فهم من الأعجاز ، وهى قبائلٌ من مُضر متفرقة ،
 وكانت ظنرُ النبي صلى الله عليه وسلم التى أرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب ،
 ١٥ من بنى ناصرة [بن قُصيبة بن نصر] بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوته
 فى الرضاغة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وخِدامة^(٢) بنت
 الحارث ، وهى التى أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى أسرى حُنين ، فَبَسَطَ لها

(١) فى القاموس (مادة فطم) : « الفواطم : اللاتى ولدن النبي صلى الله عليه وسلم قرشية وقيسيتان ويمانيتان وأزدية وخزاعية » . ثم فى مادة (عتك) : « والعواتك فى جدات النبي صلى الله عليه وسلم تسع ، ثلاث من سليم : بنت هلال بن فالج أم والد هاشم ، وبنت مرة بن هلال أم هاشم ، وبنت الأوقس بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف . والبواقي من غير بنى سليم » .

(٢) كذا فى بعض الأصول والإصابة ، وهى بكسر الحاء المعجمة ، كما نبه على ذلك السهيلي وأبو ذر . وفى السيرة : « خدافة » . وقد ذكرها أيضا السهيلي وأبو ذر وابن حجر على أنها رواية أخرى ، وزاد أبو ذر أنها هى الصواب . وفى الطبرى والطبقات : « جدامة » بالجميم والبدال المهملتين . وفى سائر الأصول : « جدامة » .

رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعوانك من سليم ثلاث : عاتكة بنت [مرة
 ابن] هلال ، ولدت هاشماً وعبد شمس ونوفلاً^(١) ؛ وعاتكة بنت الأوقص بن
 هلال ، ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة ؛ وعاتكة بنت [هلال بن] فالج^(٢) .
 وقال عليّ للأشعث إذ خطب إليه : أغرك ابن أبي قحافة إذ زوّجك أم فروة^(٣) ،
 وإنها لم تكن من الفواطم من قريش ، ولا العوانك من سليم .

٥

٢٤٧
٢

أبو النبي صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن عبد المطلب ، ولم يكن له
 ولدٌ غيره ، صلى الله عليه وسلم ، وتوفي وهو في بطن أمه . فلما ولد كَفَلَهُ جَدُّهُ
 عبد المطلب إلى أن تُوُفِّيَ ، فكَفَلَهُ عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ ، وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه ،
 فمن ذلك كان أشفقَ أعمام النبي صلى الله عليه وسلم عليه وأولام به . وأمّا أعمام
 النبي صلى الله عليه وسلم وعمّاته ، فإن عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه
 عشرة من الذكور وستة من الإناث . وأسماء بنيهِ : عبد الله ، والد النبي عليه
 الصلاة والسلام ، والزبير ، وأبو طالب ، وأسمه عبد مناف ، والعبّاس ، وضرار ،
 وحزمة ، والمقوم ، وأبو لهب ، وأسمه عبد العزّي ، والحارث ، والغيداق ، واسمه
 حَجَل^(٤) ، ويقال نوفل . وأسماء بناته ، عمّات النبي صلى الله عليه وسلم : عاتكة ،
 والبيضاء ، وهي أم حكيم ، وبرّة ، وأميمة ، وأروى ، وصفية .

١٥

ولد النبي صلى الله عليه وسلم — وُلِدَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ : القاسم والطيب
 وفاطمة وزَيْنَبُ ورُقِيَّةُ وأم كلثوم . وولد له من مارية القبطية : إبراهيم . جميع
 ولده من خديجة غير إبراهيم .

أزواجه صلى الله عليه وسلم — أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن

عبد العزّي ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت . ثم تزوج سودة بنت زمعة ، وكانت

(١) في السيرة لابن هشام : « المطلب » . وفيها أيضاً أن « نوفلاً » أمه واقدة بنت
 عمرو المازنية .

(٢) في الأصول : « فآخ » . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٥١) من هذا الجزء ، والطبرى .

(٣) كذا في سياتي في الأصول والمعارف والطبرى والاستيعاب . وهي أم فروة بنت

أبي قحافة ، أخت أبي بكر ، أم محمد بن الأشعث . وفي الأصول هنا : « أم فروة » .

(٤) ويقال إن اسم حجل : المغيرة . (انظر القاموس وشرحه مادة حجا) .

٢٥

تحت السَّكْرَانِ بنِ عَمْرٍو ، وهو من مهاجرة الحَبَشَةِ ، فمات ولم يُعَقِّبْ ، فتنزَّوجها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده . ثم تزَّوج عائِشَةَ بنتَ أَبِي بَكْرٍ بَكْرًا ، ولم يتزَّوج بَكْرًا غَيْرَهَا ، وَهِيَ ابْنَةُ سِتٍّ ، وَأَبْتُنِي عَلَيْهَا ابْنَةُ تِسْعٍ ^(١) ، وَتُوفِّيَ عَنْهَا وَهِيَ ابْنَةُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَعَاشَتْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ ، وَمَاتَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَقَدْ قَارَبَتْ السَّبْعِينَ ، وَدُفِنَتْ لَيْلًا بِالْبَقِيعِ ، وَأَوْصَتْ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ . وَتَزَوَّجَ حَفْصَةَ بنتَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ خُنَيْسِ بْنِ ^(٢) حُدَّافَةَ السَّمْعِيِّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ إِلَى كِسْرَى ، وَلَا عَقِبَ لَهُ . ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بنتَ خُزَيْمَةَ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، أَوَّلَ شَهِيدٍ كَانَ بِبَدْرٍ . ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بنتَ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ ، وَهِيَ بنتُ عَمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَزْوَاجِهِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ . ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ ، وَأَسْمَهَا رَمْلَةَ بنتَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَهِيَ أُخْتُ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدَةَ اللهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ ، فَتَنَصَّرَ وَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . وَتَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ بنتَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغَيَّرَةِ الْخَزَوِجِيَّةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ ، فَتُوفِّيَ عَنْهَا وَلَهُ مِنْهَا أَوْلَادٌ ، وَبَقِيَتْ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ . وَتَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بنتَ الْحَارِثِ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي رُحْمِ الْعَامِرِيِّ ^(٣) . وَتَزَوَّجَ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَّيِّ بْنِ أَخْطَبِ النَّضْرِيَّةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ ، يُقَالُ لَهُ كِنَانَةُ ^(٤) ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُنُقَهُ وَسَبَى أَهْلَهُ . وَتَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بنتَ الْحَارِثِ ، وَكَانَتْ مِنْ سَبْيِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ . وَتَزَوَّجَ خَوْلَةَ بنتَ حَكِيمٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) .

(١) انظر السيرة لابن هشام .

(٢) في بعض الأصول : « خنيس بن عبدالله بن خذامة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة والطبرى .

(٣) في الأصول : « أبي سيرة بن أبي رهم » . وما أثبتنا عن السيرة والطبرى .

(٤) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

(٥) قيل إن التي وهبت نفسها هي ميمونة بنت الحارث ، وقيل أم شريك الأزدي .

(انظر السيرة والمعارف) .

وتزوج امرأة يقال لها عمرة ، فطلقها ولم يكن بها ، وذلك أن أباهما قال له : وأزيدك أنها لم تمرض قط . فقال : ما لهذه عند الله من خير ، فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها : أميمة^(١) بنت النعمان ، فطلقها قبل أن يطأها . وخطب امرأة من بنى مرة بن عوف ، فردّه أبوها ، وقال : إن بها برصا . فلما رجع إليها وجدها برصاء .

- ٥ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهداهم — ككتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أرتد ولحق بمكة مشركا . وحاجبه : أبو أنيسة^(٢) ، مولاة . وخادمه : أنس بن مالك الأنصاري ، ويكنى أبا حمزة . وخازنه على خاتمه : معيقب بن أبي فاطمة . ومؤذناه : بلال وابن أم مكتوم . وحرّاسه : سعد بن زيد الأنصاري ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص . وخاتمه فضة ، وفضه حبشي مكتوب عليه : محمد رسول الله ، في ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر . وفي حديث أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم : وبه تختم أبو بكر وعمر ، وتختّم به عثمان ستة أشهر ، ثم سقط منه في بئر ذي أروان^(٣) ، فطلب فلم يوجد .

- ١٥ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم — توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وحفر له تحت فراشه في بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جميعا بلا إمام ، الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ودُفن ليلة الأربعاء في جوف الليل ، ودخل القبر على ، والفضل وقثم ، أبنا العباس ، وشقران مولاة ، ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتسكفينه وأمره كله ، وكفن

(١) كذا في الأصول والمعارف . والذي في السيرة والطبرى : أسماء .
(٢) في الأصول : « أبو أنيسة » . والتصويب عن شرح الفاموس (مادة أنس) .
ويقال : « أنيسة » .

(٣) ذو أروان : بئر بالمدينة . وقد جاء فيها : ذروان ، وأروان . غير أن المجمع عليه هو أن الحاتم سقط في بئر أريس . (انظر الطبرى والطبقات ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت) .

في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة^(١) ، ليس فيها قميص ولا عمامة . وأختلف في سنِّه .
فقال عبد الله ابن عباس وعائشة وجريُّ بن عبد الله ومعاوية : تُوفِّي وهو ابن
ستين سنة . وقال عروة بن الزُّبير وقتادة : أُنْتُتِن ومستين سنة .

نسب أبي بكر الصديق وصفته

رضى الله عنه

- هو عبد الله بن أبي قحافة ، وأسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن
سعد بن تميم بن مُرَّة ، وأمه أمُّ الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تميم بن مُرَّة .
- وكتبه : عثمان بن عفَّان . وحاجُّه : رشيدٌ ، مولاه . وقيل : كتب له
زيد بن ثابت أيضا . وعلى أمره كلُّه وعلى القضاء عمر بن الخطاب ، وعلى بيت
المال أبو عبيدة بن الجراح ، ثم وجهه إلى الشام . ومُؤدِّنه : سعدُ القرظ ، مولى
عمار بن ياسر .
- قيل لعائشة : صِفِي لَنَا أَبَاكَ . قالت : كان أبيض ، نحيفَ الجسم ، خفيفَ
العارضين ، أحنى لا يستمسك إزاره ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ،
عاري الأشاجع ، أقرع . وكان عمر بن الخطاب أصلع . وكان أبو بكر يُخَضَّب
بالحناء والكتِّم^(٢) . وقال أبو جعفر الأنصاري : رأيتُ أبا بكر كأنَّ لِحِيته
ورأسه جمر الغصَى . وقال أنس بن مالك : قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ، وليس في أصحابه أشمطُ^(٣) غير أبي بكر . فغلَّفها بالحناء والكتِّم .

(١) يروى : سحولية (بالفتح) : نسبة إلى السحول ، وهو القصار ، لأنه يسحلها ، أي
يفسلها ؛ أو إلى سحول ، وهي قرية باليمن . كما يروى : سحولية (بالضم) جمع سحول ،
وهو الثوب الأبيض النقي ، ولا يكون إلا من قطن ، وفيه شدوذ ، لأنه نسب
إلى الجمع . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضا . (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٢) الكتِّم (محرَّكة) : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه . وإذا طبخ
أصله بالماء كان مدادا للكتابة .

(٣) الأشمط : الذي يخالط بياض رأسه سواد .

وتوفى مساء ليلة الثلاثاء ، لثمان ليالٍ بقين من مجادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة من التاريخ . فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ . وكان نقش خاتم أبي بكر : نعم القادر الله .

مروفة أبي بكر رضى الله عنه — شعبة عن سعد بن إبراهيم عن عروة عن

- عائشة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : مروا أبا بكر فليصل بالناس .
 فقالت : يا رسول الله ، إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ،
 فمرو عمر فليصل بالناس . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة :
 فقالت حفصة : قولى له : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ،
 فمرو عمر ، ففعلت حفصة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه ! إنكن
 صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

١٠

أبو جعدة عن الزبير قال : قالت حفصة : يا رسول الله ، إنك مررت
 فقدمت أبا بكر . قال : لست الذى قدمته ، ولكن الله قدمه .

أبو سلمة عن إسماعيل بن مسلم عن أنس قال : صلى أبو بكر بالناس
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم مريض سبعة أيام .

- النضر بن إسحاق عن الحسن قال : قيل لعلى : علام بايعت
 أبا بكر ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمّت فجأة ، كان يأتيه
 بلال في كل يوم في مرضه يؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس ،
 وقد تركنى وهو يرى مكاني ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى
 المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم ، فبايعوه
 وبايعته .

٢٠

ومن حديث الشعبي قال : أول من قدم مكة ، بوفاة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وخلافة أبي بكر ، عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي ، فقال له

أبو قحافة : مَنْ ولى الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر أبُنك . قال : فرضى بذلك بنو عبدمناف ؟ قال : نعم . قال : لا مانع لما أعطى الله ولا مُعطى لما منع الله .
 جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنصرف لقي رجالاً في بعض طريقه مُقبلاً من المدينة ، فقال له : مات محمد ؟ قال : نعم . قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر . قال أبو سفيان : فما فعل المُستضعفان عليّ والعباس ؟ قال : جالسين . قال : أما والله لئن بقيتُ لهما لأرفعن من أعقابهما ، ثم قال : إني أرى غيرَها لا يُطفئها إلا دم . فلما قدم المدينة جمل يطوف في أزقتها ويقول :

١٠ بنى هاشم لا تطمع الناسُ فيكمُ ولا سَيِّمًا تيمُّ بنُ مُرة أو عدي
 فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ وليس لها إلا أبو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر : إن هذا قد قدم وهو فاعلٌ شرًّا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على الإسلام ، فدع له ما بيده من الصدقة ، ففعل . فرضى أبو سفيان وبايعه .

سقيفة بنى ساعدة

١٥ أحمد بن الحارث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن المُقبري : أن المهاجرين بينما هم في حُجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبضه الله إليه ، إذ جاء مَن بن عدى وعويم بن ساعدة ، فقالا لأبي بكر : بابُ فِتنة إن يُغلقه الله بك ، هذا سعد بن عبادة والأنصار يُريدون أن يُبايعوه . ففضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاءوا سقيفة بنى ساعدة ، وسعد على طنفسة مُتكئاً على وسادة ، وبه الحُمى ، فقال له أبو بكر : ماذا ترى أبا ثابت ؟ قال : أنا رجلٌ منكم . فقال حُباب بن المُنذر : منّا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجري في

- الأنصاري شيئاً ردّ عليه ، وإن عمل الأنصاري في المهاجري شيئاً ردّ عليه ،
 وإن لم تفعلوا فأنا جديدها المحكك وعديتها المرجب^(١) ، لنعيدنها
 جذعة^(٢) . قال عمر : فأردت أن أتكلم ، وكنت زوّرت كلاماً في نفسي .
 فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فماتت كلمة كنت زوّرتها في نفسي إلا تكلم
 بها ، وقال : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم
 داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأمشهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحماً ، وأنتم
 إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الدين ، نصرتهم وواسيتهم ، فجزاكم الله خيراً ،
 فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تدّين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا
 تنفّسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به ، فقد قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : الأئمة من قريش . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين — يعنى عمر ١٠
 ابن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح — فقال عمر : يكون هذا وأنت حى ! ما كان
 أحد ليؤخرك عن مقامك الذى أقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم
 ضرب على يده فبايعه ، وبايعه الناس وأزدحموا على أبي بكر . فقالت الأنصار :
 قتلتهم سعداً . فقال عمر : اقتلوه قتله الله ، فإنه صاحب فتنة . فبايع الناس
 أبا بكر ، وأتوا به المسجد يبأيعونه ، فسمع العباس وعلى التكبير في المسجد ،
 ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال على : ما هذا ؟ قال
 العباس : ما رُئي مثل هذا قط ، أما قلت لك !

٢٥٠
٢

- ومن حديث الثّمان بن بشير الأنصاري : لما ثقل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال
 قوم : أبي بن كعب . قال الثّمان بن بشير : فأنيت أياً فقلت : يا أبا ، ٢٠

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٨٦) من هذا الجزء .

(٢) الجذعة : الصغيرة ، وهى من الشياه ما كانت في الثانية ، ومن ذوات الحافر ما كانت

في الثالثة ، ومن الإبل ما كانت في الخامسة . وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال

بعضهم : إن شتم أعدناها جذعة ، فيعنى شينها من جديد .

إن الناس قد ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر أو إياك ،
فأنطلق حتى ننظر في هذا الأمر . فقال : إن عندى فى هذا الأمر من
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما أنا بذاكره حتى يقبضه الله إليه ،
ثم أنطلق . وخرجتُ معه حتى دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الصُّبح ، وهو يحسو حسواً فى قصعة مشعوبة . فلما فرغ أقبل على أبى فقال :
هذا ما قلت لك . قال : فأوص بنا . فخرج يخط برجليه حتى صار على المنبر ،
ثم قال : يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصارُ
كماهى لا تزيد ، ألا وإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا
كالمِلح فى الطعام ، فن ولى من أمرهم شيئاً فليقبل من محسنهم ، وليعف عن
مُسينهم ، ثم دخل . فلما توفى قيل لى : هاتيك الأنصارُ مع سعد بن عبادة
يقولون : نحن أولى بالأمر ، والمهاجرون يقولون : لنا الأمر دونكم . فأتيت
أبياً ففرعتُ بابه ، فخرج إلى ملتحفاً ، فقلت : ألا أراك إلا قاعداً ببيتك مُغلقاً
عليك بابك وهؤلاء قومك من بنى ساعدة ينازعون المهاجرين ، فاخرج إلى
قومك . فخرج ، فقال : إنكم والله ما أنتم من هذا الأمر فى شىء ، إنه لهم
دونكم ، يليها من المهاجرين رجالان ، ثم يُقبل الثالث ، ويُنزع الأمرُ فيكون
هاهنا ، وأشار إلى الشام ، وإن هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم أغلق بابهُ ودخل .

ومن حديث حذيفة قال : كُنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : إني لا أدري ما بقائى فيكم ، فاقتدوا بالذين من بعدى ، وأشار إلى
أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار ، وما حدّثكم أبى مسعود فصّدقوه .

الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر - على والعباس والزبير وسعد بن عبادة .
فأما على والعباس والزبير ، فقعّدوا فى بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر
ابن الخطاب ليُخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل

بقيس من نار على أن يُضرم عليهم الدار ، فلقمته فاطمة ، فقالت : يابن الخطاب ، أجمت لتُحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة . فخرج علي حتى دخل على أبي بكر فبايعه ، فقال له أبو بكر : أكرهت إمارتي ؟ فقال : لا ، ولكني آليت أن لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن ، فعليه حبست نفسي .

ومن حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت : لم يُبايع عليُّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة ، وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم . فأرسل عليُّ إلى أبي بكر ، فأناه في منزله فبايعه ، وقال : والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير ، ولكننا كُنتا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوننا ، وما نُنكر فضلك . وأما سعد بن عبادَةَ فإنه رحل إلى الشام .

١٠ أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي^(١) قال : بعث عمرُ رجلاً إلى الشام ، فقال : أدعه إلى البيعة وأحمل له بكل ما قدرت عليه ، فإن أبي فاستعن الله عليه . فقدم الرجلُ الشام ، فلقمه بجوران في حائطٍ ، فدعاه إلى البيعة ، فقال : لا أبايع قرشياً أبداً . قال : فإني أقاتلك . قال : وإن قاتلتني ! قال : أخرجُ أنت مما دخلت فيه الأمة ؟ قال : أمّا من البيعة فأنا خارج . فرماه بسهم ، فقتله .

١٥ ميمون بن مهران عن أبيه قال : رُمي سعد بن عبادَةَ في حَمَامٍ بالشام ، فقتل .

٢٥١
٢ سعيد بن أبي عروبة عن ابن سيرين قال : رُمي سعد بن عبادَةَ بسهم فوجد دفيناً في جسده . فمات ، فبكته الجنّ ، فقالت :

وقتلنا^(٢) سيّد الخزْ رج سعد بن عبادَةَ

٢٠ ورَمِينَاهُ بِسَهْمِيْنِ فَلَمْ نُخْطِئْ^(٣) فُوَادَهُ

(١) في بعض الأصول : « أبو محمد عن الكلبي » .

(٢) في بعض الأصول : « نحن قتلنا » .

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٥٤٠) : « فلم نُخْطِئْ » . وخطيء يخطأ . مثل أخطأ يخطيء .

فضائل أبي بكر رضى الله عنه — محمد بن المنكدر قال : نازع عمرُ
أبا بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركونى وصاحبى ؟
إنَّ اللهَ بعثنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافةً ، فقالوا جميعاً : كذبت ،
وقال أبو بكر : صدقت . وهو صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجليسه
في الغار ، وأوَّل من صلى معه وآمن به واتبعه .

وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيِّدنا ، وأعتق سيِّدنا . يريد بلالاً .
وكان بلال عبداً لأُمِّية بن خلف ، فأشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان من مؤلِّدى
مكة ، أبوه رباح ، وأمه سحامة .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أول من قام معك في هذا الأمر ؟
قال : حُرٌّ وعَبْد . يريد بالحرِّ أبا بكر ، وبالعبد بلالاً . وقال بعضهم :
على وخبَّاب .

أبو الحسن المدائنى قال : دخل هارون الرشيدُ مسجدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فبعث إلى مالك بن أنس ، فقيه المدينة ، فاتاه وهو واقف بين قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم [والمنبر] ، فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة ،
قال : يا مالك ، صِف لى مكان أبى بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحياة الدنيا . فقال : مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره .
فقال : شَفِيتَنى يا مالك .

الشَّعبى عن أبى سلمة^(١) : إنَّ عليًّا سُمِّل عن أبى بكر وعمر ، فقال : على
الخبير سقطت ، كانا والله إمامين صالحين مُصلحين ، خرَّجا من الدنيا تخميصين .
وقال على بن أبى طالب : سبق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وثقنى
أبو بكر ، وثلثت عمر ، ثم خبطتُنا فتنةً عمياء كما شاء الله .

وقالت عائشة : تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَجْرَى ونَحْرَى ،

(١) كذا في بعض الأصول : وهو يتفق مع ما فى التهذيب (ج ١٢ من ١١٦) . والذى
فى سائر الأصول : « أبو سلمة عن الشعبي » .

- فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهدها ، أشرب التَّفَاق ، وأرتدت
العرب ، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بَحْطَهَا وغنائها^(١) في الإسلام .
عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة ، أنه بلغها أن أناسا يتناولون من أبيها ،
فأرسلت إليهم ، فلما حضروا قالت : إنَّ أبي والله لا تعطوه الأيدي^(٢) ، طود
مُنيف ، وظل ممدود ، أنجح إذا كدِتم^(٣) ، وسبق إذونتم « سَبَقَ الجواد إذا
استولى على الأمد »^(٤) . فتى قریش ناشئا ، وكهفها^(٥) كهلا . يَفك عانها ،
ويريش مملقها^(٦) ، ويرأب [صَدَعها ، وَيَلَم] شَعنها . فما برحت شكيمته
في ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائها مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطون . وكان
وقيد الجوانح^(٧) ، غزير الدَّمعة ، شجى النشيج . وأصفت^(٨) إليه نسوان
مكة وولدانها يسخرون منه ويستهنون به ، والله يستهنى بهم ويمدِّهم
في طغيانهم يعمهون ، وأكبرت ذلك رجالات قریش ، فما قلوا له صفاة ،
ولا قصفوا^(٩) قناة ، حتى ضرب الحقُّ بجرانه ، وألقى بركه^(١٠) ، ورسا أوتاده .
فاما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ، ومدَّ طنبه ، ونصب حباله ، وأجلب
بخياله ورجله ، فقام الصديق حاسراً مشمراً . فردَّ [نشر] الإسلام على غره^(١١) ،
- (١) تريد أنه كان بين الصواب فيما اختلفوا فيه فيفوز بالثناء والثواب . وفي بعض
الأصول : « فوالله ما طاروا في نقطة إلا لحظها وغنائها » . وما أثبتنا عن سائر
الأصول وبلاغات النساء . (٢) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء .
ولا تعطوه : لا تلبغه . والنزى في سائر الأصول : « لا تعطوه إلى الأبد » .
(٣) أنجح ، أى أعطى ويسر . وأ كدى : منع . والنزى في الأصول : « ونجح إذا
كذبتم » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء . (٤) أى إذا بلغ الغاية .
(٥) الكهف : اللجأ . (٦) يریش مملقها ، أى يصلح حاله .
(٧) وقيد الجوانح ، أى محزون القلب ، كأن الحزن قد كسره وضعفه . ولما كانت الجوانح
تحبس القلب وتحويه ، فأضاف الوقوذ إليها . وفي بعض الأصول : « وقبض » .
قال ابن منظور في مادة وقذ : « قال ويقال : تركته وقبذا ووقبضا . قال : الوجه
عندى والقياس أن يكون الطاء بدلا من الذال .
(٨) أصفت إليه : اجتمعت . ويروى : « وانصفت له » وهى بمعناها . (انظر لسان العرب
مادة صفت) . وفي بعض الأصول : « تصفت » .
(٩) في بعض الأصول : « قصفوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .
(١٠) البرك من البعير : صدره .
(١١) الفر (بالفتح) : كل كسر متين في ثوب أو جلد ، ومنه : اطو الثوب على غره الأول
كما كان مطويا . أرادت عائشة تدبيره أمر الردة ومقابلة دائها بدوائها .

وأقام أوده بثقافه ، فابذع^(١) النفاق بوطئه ، وانتاش^(٢) الناس بعدله ، حتى أراح الحق على أهله ، وحقن الدماء في أهبها . ثم أتته منيته ، فسدت ثلثته نظيره في المرحمة ، وشقيته في المعدلة ، ذلك ابن الخطاب . لله دَرَّ أم حَفَلت له ودَرَّت عليه . ففتح الفتوح ، وشرذ الشرك ، وبَعَج الأرض ، فقادت أُكَلها^(٣) ، ولفظت جناها ؛ ترأمة وبأباها ، وتريده ويصدف عنها ، ثم تركها كما صحبها . فأروني ما ترتابون^(٤) ؟ وأي يومى أبى تنعمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم^(٥) ؟ أقول [قولى] هذا وأستغفر الله لى واسم .

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الليث بن سعد عن الزهري قال : أهدى لأبى بكر طعاماً وعنده الحارث ابن كلدة فأكل منه ، فقال الحارث : أكلنا سم سنة ، وإنى وإياك لميتان عند رأس الحول . فماتا جميعا فى يوم واحد عند أنقضاء السنة . وإنما سمته يهود كما سمّت النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فى ذراع الشاة . فلما حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة قال : ما زالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى . وهذا مثل ما قال الله تعالى (ثم لقطعنا منه الوتين) . والأبهر والوتين : عراقان فى الصلب إذا أقطع أحدهما مات صاحبه .

الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر يصلى بالناس . وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ . وغسلته امرأته أسماء بنت عميس .

(١) ابذع : تفرق وتبدد . وفى بلاغات النساء : « ابذقر » وهى بمعناها .

(٢) انتاش : أمهض . (٣) بعج الأرض ، أى شقها وأذلها ، تكنى عن فتوحه .

وقادت أكلها ، أى أظهرت نباتها وخزائنها .

(٤) كذا فى بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٣١) وصبح الأعشى (ج ١

ص ٢٤٨) . وفى سائر الأصول : « ماذا ترون » .

(٥) يوم ظعنه ، أى يوم وفاته . وأرادت بنظره لهم : عهده بالخلافة لى عمر .

وصلى عليه عمرُ بن الخطاب بين القبر والمنبر ، وكبّر أربعاً .

الزُّهري عن معيد بن المسيّب قال : لما تُوفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النَّوح ، فبلغ ذلك عمرَ فنهاهَنَّ ، فأبين . فقال لهشام بن الوليد : أخرج إلى بنت أبي جحافة ، فأخرج إليه أمّ فرّوة ، فعلاها بالدرة ضرباً ، فتفرقت النوائح .

وقالت عائشة وأبوها يغمض ، رضى الله عنه :

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ربيع اليتامى عِصمة للأرامل^(١)

قالت عائشة : فنظر إلى وقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أُغمى عليه . فقالت :

لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(٢)

فَنظَرَ إِلَى كَالغَضَبَانِ وَقَالَ : قَوْلِي : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ) . ثُمَّ قَالَ : انظروا ملاء تين خلقي^(٣) فاغسلوها وكفّنوني فيهما ، فإن الحى أحوجُ إلى الجديد من الميت .

عروة بن الزبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة أن يدفن

إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما تُوفى حُفِر له وجعل رأسه بين

كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورأسُ عمرَ عند حَقْوَى أَبِي بَكْرٍ . وَبَقِيَ ١٥

فِي الْبَيْتِ مَوْضِعَ قَبْرِ . فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَوْصَى بِأَنْ يُدْفَنَ مَعَ

جَدِّهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَلَمَّا أَرَادَ بَنُو هَاشِمٍ أَنْ يَحْفَرُوا لَهُ مَنَعَهُمْ مِرْوَانُ ، وَهُوَ وَالِي

الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : عَلَامَ تَمْنَعُهُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ جَدِّهِ ؟ فَأَشْهَدُ

لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ

أَهْلِ الْجَنَّةِ . قَالَ لَهُ مِرْوَانُ : لَقَدْ ضَمِعَ اللَّهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٠

إِذْ لَمْ يَرَوْهُ غَيْرُكَ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ قَلْتُ ذَلِكَ ، لَقَدْ صَحِبْتُهُ حَتَّى عَرَفْتُ مَنْ

(١) هذا البيت لأبي طالب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة له يدفع به عن الرسول

صلى الله عليه وسلم . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩١ — ٢٩٩ طبعة الحلبي) .

(٢) البيت لحاتم بن عبد الله من أبيات له . (انظر ج ١ ص ٣٣٥ — ٣٣٧) من

هذه الطبعة . (٣) في بعض الأصول : « ملاء تى خلقي » .

أحبّ ومن أبغض ، ومن نفى ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه . قال :
 وسطح قبر أبي بكر كما سطح قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورش بالماء .
 هشام بن عروة عن أبيه : إن أبا بكر صلي عليه ليلا ودُفن ليلا . ومات
 وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم . وعاش أبو حنيفة
 بعد أبي بكر أشهراً وأياماً ، ووهب نصيبه في ميراثه لولد أبي بكر . وكان نقش
 خاتم أبي بكر : نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سُجّي بثوب ، فأرجمت المدينة
 من البكاء ، ودَهش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء
 علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمتك
 الله أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاماً ، وأصدقهم إيماناً ، وأشدّهم يقيناً ،
 وأعظمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثهم على
 الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقتا وهديا وسمتا ؛
 فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . صدقت رسول الله
 حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقتت معه حين قعدوا ، وسمتك الله في
 كتابه صديقاً ، فقال : (والذي جاء بالصدق وصدق به) يريد محمداً ويريدك .
 كنت والله للإسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تضلل حجّتك ، ولم تضعف
 بصيرتك ، ولم تبجن نفسك . كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله
 القواصف . كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفاً في
 بدنك ، قويّاً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ،
 كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك
 قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ،
 فلا حرّمك^(١) الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي

(١) في بعض الأصول : « حرمتنا » .

توفي فيه فقالت : يا أبت ، أعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك^(١) ،
وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ، إنك محذور ومتصل بي لوعتكم ،
وأرى تخاذل أطرافك وانتقاع لونك ، فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب
حزني عليك . أرقاً فلا أرقاً^(٢) ، وأشكو فلا أشكي . قال : فرفع رأسه ،
وقال : يا أمه^(٣) ، هذا يوم يُحلى^(٤) لي فيه عن غطائي ، وأشهد جزائي ؛ إن فرحاً
فدائم ، وإن ترحاً فمقيم . إني اضطلعت بإمامة^(٥) هؤلاء القوم حين كان
الفسكوص إضاعة ، والخزل^(٦) تقريظاً ؛ فشهدى الله ، ما كان بقلبي^(٧) إلا إياه ،
فتبليت بصحفتهم ، وتعلت بدرّة لفتحهم ، فأقت صلاي^(٨) معهم ، لا مختالاً
أشراً ، ولا مكثرأ بطراً . لم أعد سدّ الجوعة ، وتورية العورة^(٩) ، وإقامة
القوام ، من طوى معض^(١٠) ، تهفو منه الأحشاء ، وتجنف له الأمعاء ،
فاضطرت إلى ذلك اضطرار الجرض^(١١) إلى [الماء] المغيث الآجن . فإذا أنامت
فردى إليهم صحفتهم وعبدهم ولقحتهم ورحامهم ودثارة ما فوق أتقيت بها البرد ،
ووثارة ما تحتي اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوها قطع السعف .
قال : ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك
تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيات من شقّ غبارك ! فكيف اللحاق بك ا .

- (١) في بلاغات النساء : « حامتك . . . سامتك » . والحامة : العامة ، والسامة : الخاصة .
(٢) أي أسكن نفسي فلا تسكن .
(٣) هي وإن كانت بنته إلا أنها أم المؤمنين ، فهو يخاطبها بهذا .
(٤) فيما مر (ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) : « يحل فيه عن » .
(٥) في بعض الأصول : « أطعت أمانة » . (وانظر ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .
(٦) الخزل ، أي التراجع . (وانظر ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .
(٧) في بعض الأصول : « يقيلني » .
(٨) الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذي أربع . وإقامة صلاه ، كناية
عن مساواته بينهم وبين نفسه .
(٩) تورية العورة ، أي سترها . وفي بعض الأصول : « ووري » .
(١٠) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء . ومعنى : مومج . والذي في سائر
الأصول : « عقص » .
(١١) كذا في بعض الأصول . والجرض : الذي يتلع ريقه بمجهد . والذي في سائر الأصول :
« المتبرض » . والتبرض : التبلع في العيش بالبلغة وتطلبه من هنا وهنا قليلا قليلا .

استخلاف أبي بكر لعمر

عبد الله بن محمد التيمي عن محمد بن عبد العزيز: إن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأه على الناس، فلما اجتمع الناس قاما فقالا: هذا عهد أبي بكر، فإن تقرأ به تقرأه، وإن تذكروه ترجمه. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب. ٥
٢٥٤
٢
إني أمرت عليكم عمر بن الخطاب، فإن عدل وأتقى فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن بدّل وغير فالخير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله.

١٠ (١) قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح، قال: حدثني محمد بن رُمح (٢) بن المهاجر التميمي قال: حدثني الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر رضى الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مُفميقا، فقال: أصبحت بحمد الله بارئاً. قال أبو بكر: أترأه؟ قال: نعم. قال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعني. إني ولّيت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر [من دونه]، ورأيت الدنيا مُقبلة، ولن (٣) تقبل — وهي مُقبلة — حتى تتخذوا سُتورا الحرير ونضائداً للديباج، وتألّموا الأضطجاع على الصوف الأذرنبي (٤) كما يألم أحدكم الأضطجاع على شوك السعدان. والله لأن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يحوض في عمرة الدنيا. ١٥
ألا وإنكم أول ضال بالناس غدا فتصدّوهم عن الطريق يميننا وشمالا. ياهادى الطريق ٢٠

(١) انظر الكامل للبرد والطبرى وإيجاز القرآن (ص ١١٦) فبين النصوص خلاف.

(٢) في بعض الأصول: «زمج». وانظر تهذيب التهذيب والسكندی.

(٣) في بعض الأصول: «ولما». (٤) نسبة إلى أذربيجان.

- إنما هو الفجر أو البجر^(١). قال: فقلت له: خَفَضَ عليك رَحْمَك اللهُ، فإن هذا يَهْمِيضُكَ على مابك، إنما الناس في أمرك بين رجلين، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو يُشِيرُ عليك برأيه، وصاحبك كما تُحِبُّ، ولا نَعْلَمُكَ أردتَ إلا الخير، ولم تزل صالحاً مُصلِحاً، مع أنك لا تَأْسَى على شيء من الدنيا.
- فقال: أجل، إني لا آسَى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعاتهن وودتُ أني ٥
تركتهن، وثلاثٍ تركتهن ووددتُ أني فعلتهن، وثلاثٍ وددتُ أني سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُنَّ. فأما الثلاث التي فعلتهن ووددتُ أني تركتهن: فوددتُ أني لم أكشف بيتَ فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على الحرب؛ ووددتُ أني لم أكن حَرَقْتُ الفُجَاءَةَ^(٢) السُّلَمِيَّ، وأنِّي قَتَلْتُهُ سَرِيحاً أو خَلَيْتُهُ نَجِيحاً^(٣)؛ ووددتُ أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميتُ الأمر في عُنُقِ أَحَدِ ١٠
الرجلين، فكان أحدهما أميراً وكنتُ له وزيراً — يعني بالرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح — وأما الثلاث التي تركتهن ووددتُ أني فعلتهن: فوددتُ أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربتُ عنقه؛ فإنه يُخِيلُ إلى أنه لا يرى شرّاً إلا أعان عليه؛ ووددتُ أني يوم سيرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقت بذى القصة^(٤)؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن أنهزموا كنتُ بصدد لقاء أو مدد؛ ووددتُ أني وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ووجهتُ عمر

(١) البجر (بالفتح والضم): الداهية والأمر العظيم. أي إن انتظرت حتى يضيء الفجر بصرت الطريق، وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المسكروه. وروى: «البحر» بالحاء المهملة. يريد غمرات الدنيا. شبهها بالبحر لتعير أهلها فيها.

(٢) في الأصول: «النعمام». والتصويب عن الطبري. وكان من حديث الفجاءة هذا أنه أتى أبا بكر فادعى الإسلام وطلب إليه جهاد من ارتد وأن يحملها، فغمله وأعطاه سلاحاً، فشد غارة على كل مسلم. ولما أمكنت أبا بكر الفرصة منه أوقد ناراً ثم رمى به فيها مقموطاً.

(٣) سريحاً: سريعاً. ونجيحاً: وشيكاً. وفي بعض الأصول: «شديحاً» مكان «سريحاً». وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري وابن عساكر في ترجمة أبي بكر.

(٤) ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً. وبه نزل أبو بكر في خلافته لما وجه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة. (انظر معجم البلدان).

ابن الخطاب إلى العراق ، فأكون قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله . وأما
الثلاث التي وددتُ أني أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم : فأني وددتُ
أني سألته : لمن هذا الأمر من بعده فلا يُنازعه أحد ، وأنى سألته هل للأنصار
في هذا الأمر نصيب فلا يُظلموا نصيبهم منه ، ووددتُ أني سألته عن بنت الأَخ
والعمة ، فإن في نفسي منهما شيئاً .

نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن عليّ بن محمد قال : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّي
ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك . وأمه حنّمة بنت هاشم^(١) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢)
بن مخزوم . وهاشم هو ذو الرّثمين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلاً آدمَ مُشرباً
مُحرة طويلاً أصلع له حفّافان^(٣) ، حسن الخدين والأنف والعينين ، غليظ القدمين
والكفين ، مجذول اللحم ، حسن الخلق ، ضخم السكراديس^(٤) ، أعسر يسر^(٥) ،
إذا مشى كأنه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من مجادى الآخرة
سنة ثلاث عشرة من التاريخ . وطعن ثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث
وعشرين من التاريخ . فعاش ثلاثة أيام ، ويقال سبعة أيام .
معدان بن أبي حفصة^(٦) ، قال : قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من
ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، في رواية الشعبي .
ولها مات أبو بكر ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) وقيل بنت هشام أخت أبي جهل (انظر الاستيعاب والسيرة) .
(٢) في بعض الأصول : « عمرو » وهو تحريف . (انظر السيرة) .
(٣) الحفّاف (ككتاب) : الطرة من الشعر حول رأس الأسمع .
(٤) السكراديس : رءوس العظام ؛ واحدها كردوس .
(٥) أعسر يسر ، أى يعمل بيديه جميعاً .
(٦) في بعض الأصول : « صفحة » . ولعله « معدان بن أبي طلحة » . (انظر الطبرى) .

فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشهب^(١) عن الحسن^(٢) ، قال : عاتب عُمَيْنَةُ عُمَانَ ، فقال له : كان عمر خيراً لنا منك ؛ أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فأثقتنا . وقيل لعثمان : مالك لا تكون مثل عمر ؟ قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم .

- القاسم بن عمر قال : كان إسلام عمر فتحةً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . وقيل : إن عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة ، فزوجها المغيرة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا زوجتم عمر ؛ فإنه خير قریش أولها وآخرها ، إلا ما جعل الله لرسوله .

- الحسن بن دينار عن الحسن ، قال : ما فضل عمرُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة ، وأكثرهم صياماً ؛ ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم في أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمّال عمر ، وأدعى أنه ضربه وتعدّى عليه ، فقال : اللهم إني لا أحلُّ لهم أشعارهم ولا أبشارهم . كلُّ من ظلمه أميرُه فلا أميرَ عليه دوني ، ثم أقاده منه .

- عَوَانَةُ^(٣) عن الشعبي قال : كان عمر يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخوصوم .

وقال المغيرة بن شعبه ، وذكر عمر ، فقال : كان والله له فضلٌ يمنعه [من] أن يتدع ، وعقلٌ يمنعه [من] أن يتخذع . فقال عمر : لست بخبٍ ولا الخبُّ يتدعني .

عكرمة عن ابن عباس ، قال قال : بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب في خلافته وهو عامد لحاجة له وفي يده الدرّة ، فأنا أمشي خلفه وهو يُحدّث نفسه

٢٠ (١) هو أبو الأشهب المطاردى جعفر بن حيان . (انظر المعارف) .

(٢) هو الحسن البصرى .

(٣) هو عوانة بن الحكم السكبي .

ويضرب وحشى قدميه بدرته ، إذ التفت إلى ، فقال : يا بن عباس ، أتدرى ما حملني على مقاتلي^(١) التي قلت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال : الذي حملني على ذلك أني كنت أقرأ هذه الآية : (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فوالله إنى كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا بأخف أعمالنا ، فهو الذي دعاني إلى ما قلت .

١٠ أن داب قال : قال ابن عباس : خرجت أريد عمر في خلافته ، فألفيته راكباً على حمار قد أرسنه بجبل أسود ، وفي رجليه نعلان مخصوصتان ، وعليه إزار قصير وقميص قصير ، قد أنكشفت منه ساقاه ، فشيت إلى جنبه وجعلت أجيد الإزار عليه ، فجعل يضحك ويقول : إنه لا يطيعك . حتى أتى العالية ، فصنع له قوم طعاماً من خبز ولحم ، فدعوه إليه ، وكان عمر صامئاً ، فجعل ينبذ إلى الطعام ويقول : كل لي ولك .

١٥ ومن حديث ابن وهب عن الليث [بن سعد] : أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجرى عليه من النقيء درهماً ، إلا أنه أستلف منه مالاً ، فلما حضرته الوفاة أمر عائشة برده . وأما عمر بن الخطاب فكان يجرى على نفسه درهمين كل يوم . فلما ولي عمر بن عبد العزيز قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ قال : كان عمر لا مال له ، وأنا مالى يُغنيبنى ؛ فلم يأخذ منه شيئاً .

(١) يريد مقالته : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، قد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قدمات . والله ليرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال : قال عمر وقام على الرّدم^(١) : أين حنك يا أبا سفيان مما هنا ؟ قال : مما تحت قدميك إلى . قال : طالما كنت قديم الظلم ، ليس لأحد فيما وراء قدمي حق ، إنما هي منازل الحاجّ .

قال الأصمعيّ : وكان رجلٌ من قريش قد تقدّم صدرٌ من داره عن قدمي عمر فهدمه . وأراد أن يُغور البئر ، ثقيل له : في البئر للناس منفعة ، فتركها .

قال الأصمعيّ : إذا ودّع الحاجُّ ثم بات خلف قدمي عمر لم أر عليه أن يرجع . يقول : قد خرج من مكة .

مقتل عمر

أبو الحسن : كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له : فيروز أبو لؤلؤة ، وكان نجاراً لطيفاً ، وكان خراجُه^(٢) ثقيلاً ، فشكا إلى عمر ثقل الخراج ، وسأله أن يكلم مولاة أن يُخفّف عنه من خراجه ، فقال له : وم كم خراجك ؟ قال ثلاثة دراهم في كل شهر . قال وما صناعتك ؟ قال : نجار . قال : ما أرى هذا ثقيلاً في مثل صناعتك . فخرج مُغضباً ، فأستل^(٣) خنجرأ محدود الطرفين . وكان عمر قد رأى في المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات ، فتأوله رجلاً من العجم يقطعنه ثلاث طعنات . فقطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك في صلاة الصبح ثلاث طعنات ، إحداهما بين سُرته وعانته ، فخرقت الصفاق ، وهي التي قتلته . وطعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة . فأقبل رجلٌ من بني تميم ، يقال له حيطان ، فألقى كساءه عليه ثم أحتضنه . فلما علم العليج أنه مأخوذ طعن نفسه . وقدم عمر صهيياً يصلّي بالناس ، فقرأ بهم في صلاة الصبح : (قل هو الله أحد) في الرّكعة الأولى ، و (قل يا أيها الكافرون) في الرّكعة الثانية . واحتمل عمر إلى بيته ،

(١) الردم : موضع بمكة . (٢) ضبطه التهانوي ، بالعبارة ، بالسكس .

(٣) في بعض الأصول : « فاستعمل » .

فعاش ثلاثة أيام ثم مات . وقد كان أستاذن عائشة أن يُدفن في بيتها مع صاحبيه ، فأجابته وقالت : والله لقد كنت أردتُ ذلك المضعج لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى . فكانت ولاية عمر عشر سنين . صلى عليه صُهيب بين القبر والمنبر ، ودفن عند غروب الشمس كاتبه : زيد بن ثابت ، وكتب له مَعِيْقِب أيضا . وحاجبه : يرفأ ، مولاة . وخازنه : يسار . وعلى بيت ماله : عبد الله ابن الأرقم .

وقال الليث بن سعد : كان عمرُ أول من جَدَّ الأجناد ، ودَوَّن الدواوين ، وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين ، وهم : عليّ وعُثمان وضاحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، ليختاروا منهم رجلا يولونه أمرَ المسلمين . وأوصى أن يحضُر عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من أمر الشورى شيء .

أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال : قال ابن عباس : دخلت على عمر في أيام طعنته ، وهو مضطجع على وسادة من أدم ، وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل : ليس عليك بأس . قال : ائمن لم يكن عليّ اليوم ليكون بعد اليوم ، وإن للحياة لفصيهاً من القلب ، وإن للموت لسكرة ، وقد كنت أحب أن أنجى نفسى وأنجو منكم ، وما كنت من أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ، ويخشى أن يموت دونها ، فهو يركض بيديه ورجليه ؛ وأشدُّ من الغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول . ولقد تركت زهرتكم كما هي ، ما لبستها فأخلفتها ، ومرتكم يانعة في أكامها ما أكلتها ، وما جنيت ما جنيت إلا لكم ، وما تركت ورائي درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ، ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أبشر ، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ ، وإن المسلمين راضون عنك . قال : المَرُورُ والله من غَرَرْتُمُوهُ ، أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديتُ به من هَوْلِ المَطَّلَعِ .

داود بن أبي هند عن قتادة قال : لما نُقِلَ عمر قال لولده عبد الله : ضَعْ خَدِّي على الأرض . فَكَرِهَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ . فَوَضَعَ عَمْرُ خَدَّهُ على الأرض ٥ وقال : ويلٌ لعمر ولأم عمر إن لم يَعْفُ اللهُ عنه .

أبو أمية بن يعلى عن نافع قال : قيل لعبد الله بن عمر : تُغَسَّلُ الشهداء ؟ قال : كان عمر أفضل الشهداء ، فُغَسِّلَ وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عليه .

يونس عن ^(١) الحسن ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال ^(٢) : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ، لو استخلفت ؟ قال : إن تركتكم فقد ترككم مَنْ هو خيرٌ مِنِّي ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ مِنِّي ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربِّي قلت : سمعتُ نبيَّك يقول : إنه أمينُ هذه الأمة ؛ ولو كان سالمٌ مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربِّي قلت : سمعتُ نبيَّك يقول : إنَّ سالمًا لِيُحِبُّ اللهُ حُبًّا لو لم يَخْفِه ما عصاه . قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله فإنه له أهلٌ في دينه وفضله ١٥ وقديم إسلامه . قال : بِحَسَبِ آلِ الخَطَّابِ أَنْ يُحَاسِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ واحدٌ عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولوددتُ أني نجوتُ من هذا الأمر كغافًا لآلى ولا على . ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدتَ ؟ فقال : قد كنتُ أجمعتُ بعد مقاتلي لكم أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقِّ — وأشار

(١) في بعض الأصول : « بن » مكان « عن » . وهو تحريف . ويروى عن الحسن

البحري يونس بن أبي إسحاق ويونس بن أبي الفرات ؛ كما يروى عنه من أصحابه

يونس بن عبيد ، وقد يكون هو المعنى هنا . (انظر الطبري) .

(٢) في بعض الأصول : « قال » .

إلى عليّ - ثم رأيتُ أن لا أتحمّلها حيّاً وميتاً ، فعليكم بهؤلاء الرّهط الذين
 قال فيهم النبيّ صلى الله عليه وسلم . إنهم من أهل الجنة ، منهم سَعِيد بن زيد
 ابن عمرو بن نفيل ، ولستُ مُدخِلَه فيهم ، ولكن الستّة : عليّ وعثمان ، أبنا
 عبد مناف ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 والزُّبير ، حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمّته ، وطلحة الخير ،
 فليختاروا منهم رجلا ، فإذا ولوكم والياً فأحسنوا مُؤازرته . فقال العباس لعليّ :
 لا تدخل معهم . قال : أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تكره . فلما
 أصبح عُمرُ دعا عليّاً وعثمان وسعداً والزُّبير وعبد الرحمن ، ثم قال : إني نظرتُ
 فوجدتُكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وإني
 لا أخاف الناسَ عليكم ، ولكنني أخافكم على الناس ، وقد قبض رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض ، فأجمعوا إلى حُجرة عائشة بإذنها ،
 فتشاوروا وأختاروا منكم رجلا ، وليُصلِّ بالناس صُهيّب ثلاثة أيام ، ولا يأتي
 اليومُ الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم ، ويحضركم عبدُ الله مُشيراً ، ولا شيء له من
 الأمر ، وطلحةٌ شريككم في الأمر ، فإن قَدِم في الأيام الثلاثة ^(١) فأحضروه أمركم ،
 وإن مَضت الأيام الثلاثة قبل قُدومه فأمضوا أمركم . ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد :
 أنا لك به إن شاء الله . ثم قال لأبي طلحة الأنصاري ^(٢) : يا أبا طلحة ، إن الله قد
 أعزّ بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرّهط
 حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمقداد بن الأسود الكِنديّ : إذا وضعتُموني
 في حُفرتي فاجمع هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصُهيّب : صلِّ
 بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليّاً وعثمان والزُّبير وسعداً وعبد الرحمن وطلحة ، إن

(١) في بعض الأصول : « في الثلاثة أيام » .

(٢) هو أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، كان من فضلاء الصحابة . مات سنة

أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . (انظر الاستيعاب) .

- حَضَرَ ، [بيت عائشة] وأحضر عبد الله بن عمر ، وليس له في الأمر شيء ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اجتمع أربعة فترضوا وأبى الأثنان فأضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ، إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا . فقال عليّ لقوم معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبدا . وتلقاه العباس فقال له : عدلت عني . قال له : وما أعلدك ؟ قال : قرن بي عثمان ، ثم قال : إن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة^(١) رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، [فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان ، لا يختلفون] ، فلو كان الآخرا منى ما نفعانى .
- ١٠ فقال العباس : لم أدفعك في شيء إلا رجعت إلى مستأخرا بما أكره ، أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن تسأله فيمن] هذا الأمر فأبيت ، وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعاجل الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين سمّك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت ، فاحفظ عني واحدة : كل ما عرض عليك القوم فأمسك إلى أن يوتوك ، واحذر هذا الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به^(٢) غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدّى عليّ وعثمان أيهما يصلى عليه . فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الأمر ، لستما من هذا في شيء ، هذا ضهيب ، أستخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام . فصلى عليه ضهيب . فلما دُفن عمر جمع للمقداد بن الأسود أهل الشورى في بيت عائشة بإذنها وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب ،
- ١٥
- ٢٠

(١) في بعض الأصول : « رجلان ... ورجلان » مكان : « ثلاثة وثلاثة » .

(٢) في بعض الأصول « فيه » .

وأمروا أبا طلحة^(١) فحججهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا
 بالباب ، فخصبهما سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولوا : حضرنا وكُنَّا
 في [أهل] الشورى ! فتنافس القوم في الأمر ، وكثر بينهم الكلام ، كلٌّ يرى
 أنه أحقُّ بالأمر . فقال أبو طلحة : أنا كنتُ لأن تدفعوها أخوفَ مني
 لأن تنافسوها^(٢) ، لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة
 التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها
 نفسه ويتقلدها على أن يؤئبها أفضالكم ؟ فلم يجبه أحد . قال : فأنا أنخلع منها .
 قال عثمان : أنا أولُ من رضى ، فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : عبدُ الرحمن أمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض . فقال القوم : رضينا ،
 وعلى ما كنت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : إن أعطيتني مؤثقا
 لتؤثرن الحقَّ ، ولا تتبع الهوى ، ولا تحض ذارحم ، ولا تألو الأمة نصحاء .
 قال : أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من نسل ، وأن ترضوا بما
 أخذت لكم . فمتوثق بعضهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن . فخلاً بعلي ،
 فقال : إنك أحقُّ بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ، ولم تبعد ، فن أحقُّ
 بها بمدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان^(٣) . ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال :
 علي . ثم خلا بسعد ، فقال : عثمان^(٤) ، ثم خلا بالزبير . فقال : عثمان^(٥) .

(١) كذا في الطبري . وفي الأصول : « أبا فروة » .

(٢) في بعض الأصول : « لا تندافعوا فإني أخاف أن تناقصوها » مكان قوله « أنا

كنت ... تنافسوها » . (٣) في بعض الأصول : « علي » .

(٤) في بعض الأصول : « علي » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري .

(٥) زيد في بعض الأصول بعد قوله عثمان ما يأتي : « فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن : إن

أردت أن لا يختلف عليك اثنان فقول عليا . وقال ابن أبي سرح : إن أردت أن

لا يختلف عليك قرشي فقول عثمان . وقال عبد الرحمن : والله ما خلعت نفسي وأنا

أرى فيه خيراً ؟ لأنني علمت أنه لا يلي بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره .

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الأحداث من أهل بيته وتقديم قرابته ، قيل

لعبد الرحمن : هذا كله فملك ، قال : لم أظن هذا به ، ولكن لله على أن أكله

أبدا . فقات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً ، فتحول عنه

إلى الحائط ولم يكلمه » . ثم اضطربت في سرد الحديث على غير ما أثبتنا فقدمت وأخرت .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- ٢٦٠
٤ أبو الحسن قال : لما خاف علي بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعدا أن يكونوا مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين ، فقال له : (اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) . أسألك برحم أبي هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرحم عمي حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على لعثمان ، فإني أدلى إليك بما لا يدلى به عثمان .
- ٥ ثم دار عبد الرحمن ليلتيه تلك على مشايخ قريش يساورهم ، فكأنهم يشير بعثمان ، حتى إذا كان في الليلة التي أستكمل في صبيحتها الأجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد هجعة من الليل فأيقظه ، فقال : ألا أراك [إلا] نائما ولم أذق في هذه الليالي نوما ، فأطلق فادع لي الزبير وسعدا ، فدعا بهما . فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد ، فقال [له] : خلّ بنى عبد مناف لهذا الأمر . فقال : نصيبى لعلي . فقال
- ١٠ لسعد : أنا وأنت كالآلة فاجعل نصيبك لي فأختار . قال : أما إن اخترت نفسك فنعم ، وأما إن اخترت عثمان فعلى أحبّ إليّ منه . قال : يا أبا إسحاق ، إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ، ولو لم أفعل وجعل لي الخيار ما أردتها ، إني رأيت كأني في روضة خضراء كثيرة العشب ، فدخل فحلّ لم أر مثله
- ١٥ فخلا أكرم منه ، فتر كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها ، ودخل بعير يتلوه فأتبع أثره حتى خرج إليه من الروضة ، ثم دخل فحلّ عبقرى يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا ويمضي قصد الأوائن ، ثم خرج من الروضة ، ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة ، ولا والله لا أكون البعير الرابع ، ولا يقوم بعد أبي بكر وعمر أحد فيرضى الناس عنه . ثم أرسل المسور إلى علي ،
- ٢٠ وهو لا يشك أنه صاحب الأمر . ثم أرسل المسور إلى عثمان فناجاه طويلا حتى فرّق بينهما أذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع إليه الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين والأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، حتى ارتج المسجد بأهله

فقال : أيها الناس ، إنَّ الناس قد أحبُّوا أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال عمار بن ياسر : إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليًّا . فقال المقداد بن الأسود : صدق عمار ، إن بايعت عليًّا قلنا : سمعنا وأطعنا . قال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا يختلف قريش فبايع عثمان ، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا . فشتم عمار ابن أبي سرح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين ! فتكلم بنو هاشم وبنو أمية . فقال عمار : أيها الناس ، إن الله أكرمنا بنبيِّنا وأعزنا بدينه ، فأني تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيِّكم ! فقال له رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يا ابن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها . فقال سعد بن أبي وقاص : يا عبد الرحمن ، أفرغ قبل أن يفتتن الناس . [فقال عبد الرحمن : إني قد نظرت وشاورت] ، فلا تجعل أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليًّا فقال : عليك عهدُ الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده ؟ قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتي . ثم دعا عثمان ، فقال : عليك عهدُ الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده ؟ فقال : نعم ، فبايعه . فقال علي : حبوته محاباة ، ليس ذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا ، أما والله ما ولّيت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في شأن . فقال عبد الرحمن : يا علي ، لا تجعل على نفسك سبيلا ، فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بهمان أحدا . فخرج علي وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله . فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب الحسنين . ثم قال : ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيِّهم ، [إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول إن أحدا أعلم] منه ، ولا أفضى

٥

١٠

١٥

٢٦١
٢

٢٠

بالعدل ، ولا أعرفَ بالحق ، أما والله لو أجد أعوانا ! قال له عبدُ الرحمن :
يا مقداد ، اتق الله فإنى أخشى عليك الفتنه .

قال : وقدم طلحة في اليوم الذى بُوع فيه عثمان ، فقيل له : إن الناسَ
قد بايعوا عثمان . فقال : أكلُ قُرَيْشِ رضوا به ؟ قالوا : نعم . وأتى عثمان ،
فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك . قال طلحة : فإن أبيتُ أتردّها ؟ قال :
نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : قد رضيتُ ، لا أرغب
عما اجتمعت الناسُ عليه ، وبايعه .

وقال المغيرة بن شعبه لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان
ولو بايعت غيره ما رضينا . قال : كذبت يا أعور ، لو بايعت غيره لبايعته
وقلت هذه المقالة .

١٠

وقال عبدُ الله بن عباس : ماشيتُ عمرَ بن الخطاب يوماً فقال لى :
يا بن عباس ، ما يمنع قومك منكم وأنتم أهل البيت خاصة ؟ قلت : لا أدرى .
قال : لستى أدرى ، إنكم فضلتهم بالنبوة ، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة
لم يُبقوا لنا شيئاً ، وإن أفضل النّصيبين بأيديكم ، بل ما إخالها إلا مجتمعة لكم
وإن نزلت على رغام أنف قريش .

١٥

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجيلة
من أصحاب محمد ، قيل لعبد الرحمن : هذا عملك ، قال : ما ظننتُ هذا ، ثم مضى
ودخل عليه وعاتبه ، وقال : إنما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ،
فخالفتهم وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إن عمر كان
يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبدُ الرحمن : لله على أن
لا أكلك أبداً ، فلم يُكلمه أبداً حتى مات ، ودخل عليه عثمان عانداً له في مرضه ،
فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يُكلمه .

٢٠

ذكروا أن زيادا أوفد ابن حُصين^(١) على معاوية ، فأقام عنده ما أقام ، ثم إن معاوية بعث إليه ليلا ، فخلاه ، فقال له : يا ابن حُصين ، قد بلغني أن عندك ذهنا وعقلا ، فأخبرني عن شيء أسألك عنه . قال : سألني عما بدا لك . قال : أخبرني ما الذي شئت أمر المسلمين وفرق أهواءهم^(٢) وخالف بينهم ؟ قال : نعم ، قتل الناس عثمان . قال : ما صنعت شيئا . قال : فمسيرُ علي^(٣) إليك وقتاله إليك . قال : ما صنعت شيئا . قال : فمسيرُ طلحة والزبير وعائشة وقتالُ علي^(٤) إياهم . قال : ما صنعت شيئا . قال : ما عندي غيرُ هذا يا أمير المؤمنين . قال : فأنا أخبرك ، إنه لم يُشَدَّت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم [ولا خالف بينهم] إلا الشورى التي جعلها عمرُ إلى ستة نفر ، وذلك أن الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فعمل بما أمره الله به ، ثم قبضه الله إليه ، وقدم أبا بكر للصلاة ، فرضوه لأمر دنياهم إذ رَضِيَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيره ، حتى قبضه الله ، وأستخلف عمرَ ، فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر ، فلم يكن رجلٌ منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه ، وتطلعت إلى ذلك نفسه . ولو أن عمرَ أستخلف عليهم كما أستخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف .

وقال المغيرة بن شعبه : إن لعند عمر بن الخطاب ، ليس عنده أحدٌ غيري ، إذا أتاه أتٍ فقال : هل لك يا أمير المؤمنين في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يزعمون أن الذي فعل أبو بكر في نفسه وفيك لم يكن له ، وأنه كان بغير مشورة ولا مؤامرة ، وقالوا : تعالوا نتعاهد أن لا نعود إلى مثلها . قال عمر : وأين هم ؟ قال : في دار طلحة . فخرج نحوهم وخرجتُ معه ، وما أعلمه يبصرني من شدة الغضب ، فلما رأوا كرهوه وظنوا الذي جاء له . فوقف عليهم ، وقال : أنتم القائلون ما قلتم ؟ والله لن^(٣) تتحابوا حتى يتحاب الأربعة : الإنسان والشیطان

(١) هو عمران بن حُصين .

(٢) في بعض الأصول : « وملائم » مكان « وفرق أهواءهم » .

(٣) في بعض الأصول : « لا » .

- يُغويه وهو يلعنه ، والنار والماء يطفئها وهي تُحرقه ، ولم يَأْنِ لَكُمْ بَعْدُ ، وقد
 آن ميعادُكم ميعاد المسيح^(١) متى هو خارج . قال : فتفرقوا فسلك كل واحد
 منهم طريقا . قال المغيرة : [ثم] قال لي : أدرك ابن أبي طالب فأحسبه علي .
 فقلت : لا يفعل أمير المؤمنين وهو مُغَدَّ^(٢) . فقال : أدركه وإلا قلتُ
 لك يا ابن الدبّاعة . قال : فأدر كُتُه ، فقلت له : قِفْ مكانك لإمامك وأحلم
 فإنه سلطان وسيندم وتندم . قال : فأقبل عمر ، فقال : والله ما خرج هذا الأمر
 إلا من تحت يدك . قال علي : أتق أن لا^(٣) تكون الذي نُطيعك فنفتنك . قال :
 وتُحِبُّ أن تكون هو ؟ قال : لا ، ولكننا نذكرك الذي نَسيتَ . فالتفت إلى
 عمرُ فقال : أنصرف ، فقد سمعتَ منّا عند الغضب ما كفاك . فتنحيتُ قريبا ،
 وما وقفتُ إلا خشية أن يكون بينهما شيء فأكون قريبا ، فتكلمنا كلاما غير
 ١٠ غَضبانين ولا راضيين ، ثم رأيتُهما يضحكان وتفرقا . وجاءني عمر ، فمشيتُ
 معه وقلت : يَغْفِرُ اللهُ لك ، أغضبتَ ؟ قال : فأشار إلى علي وقال : أما والله لولا
 دُعابةٌ فيه ما شككتُ في ولايته ، وإن نزلتُ على رَغمِ أنف قريش .
- العُتبي عن أبيه : إن عُتبة بن أبي سُفيان قال : كنتُ مع معاوية في دار
 ١٥ كِنْدَةَ ، إذ أقبل الحسنُ والحسينُ ومحمد ، بنو علي بن أبي طالب ، فقلت :
 يا أمير المؤمنين ، إن هؤلاء القوم أشعرا وأبشارا ، وليس مثلهم كذب ، وهم
 يزعمون أن أباهم كان يعلم . فقال : إليك من صوتك ، فقد قُربَ القوم ، فإذا
 قاموا فذكرتني بالحديث ، فلما قاموا قلت : يا أمير المؤمنين ، ما سألتك عنه
 من الحديث ؟ قال : كل القوم كان يعلم وكان أبوهم من أعلمهم . ثم قال :
 ٢٠ قدمتُ على عمر بن الخطاب ، فإني عنده إذ جاءه علي وعثمان وطلحة والزبير
 وسعدُ وعبدُ الرحمن بن عوف ، فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فدخلوا وهم يتدافعون

(١) في بعض الأصول : « المسيح » بالحاء المهملة .

(٢) مغد : غضبان . وفي بعض الأصول : « فوالله ما غددت أبغضهم » .

(٣) أي لئلا تكون .

ويضحكون ، فلما رأهم عمرُ نكس ، فعلموا أنه على حاجة ، فقاموا كما دخلوا .
 فلما قاموا أتبعهم بصره ، فقال : فِتْنَةٌ (١) ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وقد كَفَانِي اللَّهُ
 شَرَّهُمْ . قال : ولم يكن عمر بالرجل يُسأل عما لا يُفسر . فلما خرجتُ جعلت
 طريقى على عثمان فحدثته الحديثَ وسألته السَّتر . قال : نعم ، على شريطة .
 قلت : هـى لك . قال : تسمع ما أخبرك به وتَسكت إذا سكتُ . قلت : نعم .
 قال : ستة يُقدح بهم زناد الفِتنَةِ يجرى الدمُ منهم على أربعة . قال : ثم سكت .
 وخرجتُ إلى الشام ، فلما قدمتُ على عمر سَعدتُ من أمره ما حَدث ، فلما
 مضت الشورى ، ذكرتُ الحديثَ ، فأنتيت بيتَ عثمان وهو جالس وبيده قضيب ،
 فقلت : يا أبا عبد الله ، تذكر الحديثَ الذى حَدَّثْتَنِي ؟ قال : فَأَزَمَ عَلَى الْقَضِيبِ
 عَضًا ، ثم أقلع عنه وقد أثر فيه ، فقال : ويحك يا معاوية ، أى شىء ذَكَرْتَنِي !
 لولا أن يقول الناسُ خاف أن يُؤخذ عليه لخرجتُ إلى الناس منها . قال :
 فأبى قضاء الله إلا ما ترى .

٢٦٠
٢

١٠

ومما نَمَّ الناسُ على عثمان أنه آوى طريقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الحَكم بن أبى العاص ، ولم يُؤوه أبو بكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف ، وسَيَّر
 أبا ذَرَّ إلى الرَبذة ، وسَيَّر عامرَ بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ، وطَلَب منه
 عبِيد الله بن خالد بن أسيد صلَّة فأعطاه أربعمائة ألف ، وتصدَّق رسولُ الله صلى
 الله عليه وسلم بمهزور — موضع سوق المدينة — على المسلمين ، فأقطعها الحارث بن
 الحَكم ، أخا مروان ، وأقطع فَدَك (٢) مروان ، وهى صدقة لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وافتتح إفريقية ، وأخذُ خمسة فوهبه لمروان . فقال عبد الرحمن بن
 حَنْبَل (٣) الجُمحى :

٢٥

(١) فى بعض الأصول : « فتنية » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢١٦) من هذا الجزء .

(٣) فى بعض الأصول : « جعل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والمعارف والطبرى .

فَأَحْلِفُ بِاللَّهِ رَبِّ الْأَنَا مَ مَا كَتَبَ^(١) اللَّهُ شَيْئًا سُدِّي
 وَلَكِنْ خُلِقْتُ لَنَا فِتْنَةً لَكِي نُبْتَلِي بِكَ أَوْ تُبْتَلِي
 فَإِنَّ الْأَمِينِينَ قَدْ بَدَّنَا مَنَارًا لِحَقِّ عَلَيْهِ الْهُدَى
 فَمَا أَخْذًا دِرْهَمًا غِيْلَةً وَمَا تَرَكََا دِرْهَمًا فِي هَوَى
 وَأَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خُمْسَ الْعِبَا دَ هِيَهَاتَ شَاوُكَ مِنْ شَأَى^(٢)

نسب عثمان وصفته

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
 أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأما البيضاء بنت
 عبد المطب بن هاشم ، عمه النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عثمان أبيض مشرباً
 صُفْرَةً ، كأنها فضة وذهب ، حسن القامة ، حسن الساعدين ، سببط الشعر ،
 أصلع الرأس ، أجمل الناس إذا أعتَمَّ ، مُشْرِفَ الْأَنْفِ ، عَظِيمَ الْأَرْزَنِ ، كثير
 شعر الساقين والذراعين ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، بعيد ما بين المنكبين . ولما
 أسنَّ شدَّ أسنانه بالذهب ، وسلس بؤله ، فكان يتوضأ لكل صلاة . ولي
 الخلافة مُنْسلَخَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ ، وقُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ عِيدِ
 الْأَضْحَى سَنَةَ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ . وفي ذلك يقول حسان :

صَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأْنَا^(٣)
 لَنَسْمَعَنَّ وَشِيكًَا فِي دِيَارِهِمْ^(٤) اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُمَانَا

فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وستة عشر يوماً . وهو ابن أربع وثمانين
 سنة . وكان على شرطته — وهو أول من اتخذ صاحب شرطة — عبيدُ الله

(١) في بعض الأصول : « ماترك » .

(٢) في بعض الأصول : « تشاء » .

(٣) هذا البيت ليس من أبيات الديوان .

(٤) في الديوان : « في دياركم » .

ابن قنفذ^(١) . وعلى بيت المال ، عبد^(٢) الله بن أرقم ، ثم أستعفاه . وكتبه : مروان . وحاجبه : مُحْران ، مولاة .

فضائل عثمان

سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر ، قال : أصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك ، فأشترى عثمان طعاماً على ما يصلح العسكر ، وجَهَّز به عيراً . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى سواد مُقبل ، فقال : هذا جمل أشقر قد جاءكم بميرة^(٣) . فأنيخت الرِّكائب ، فَرَفَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء وقال : اللهم إنى قد رضيتُ عن عثمان فارضَ عنه . وكان عثمان حليماً سخياً مُحبباً إلى قريش ، حتى كان يقال : « أحبك والرَّحمن ، حبُّ قُريش عثمان » . وزوَّجه النبي صلى الله عليه وسلم رُقِيَّة أبنته ، فماتت عنده ، فزوَّجه أم كلثوم أبنته أيضاً .

الزهرى عن سعيد بن المسيَّب^(٤) ، قال : لما ماتت رُقِيَّة جَزَع عثمانُ عليها ، وقال : يا رسول الله ، انقطع صِهْرى منك . قال : إنَّ صهرك منى لا ينقطع ، وقد أمرنى جبريلُ أن أزوجه أختها بأمر الله .

عبد الله بن عباس قال : سمعتُ عثمان بن عفان يقول : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، فرآنى ضجيجاً^(٥) لأم كلثوم ، فاستعبر^(٦) . فقلت : والذي بعثك بالحق ما أضطجعتُ عليه^(٧) أنثى بعدها . فقال : ليس لهذا

(١) الذى فى الاشتقاق لابن دريد : « قنفذ بن عمير بن جدعان » .

(٢) فى بعض الأصول : « عبيد » .

(٣) فى بعض الأصول : « بخير » .

(٤) المسيَّب ، كحدث ، بصيغة اسم الفاعل ، ويفتح .

(٥) فى بعض الأصول : « ضجعا » .

(٦) فى بعض الأصول : « فاستعفر » .

(٧) عليه ، أى على فراش رقية . وفى بعض الأصول : « ما أضجعت على » .

أستعبرت^(١) ، فإن الثياب للحى وللميت الحجر ، ولو كن يا عثمان عشرًا
لزوجتكمهن واحدة بعد واحدة .

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فأبى منها ، فشكاه عمر
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سيزوج الله أبنتك خيراً من عثمان ،
ويزوج عثمان خيراً من أبنتك . فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ،
وزوج أبنته من عثمان بن عفان .

[ومن حديث الشعبي أن النبي عليه السلام] دخل عليه عثمان ، فسوى
نوبه عليه وقال : كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة !

مقتل عثمان بن عفان

١٠ الرياشي عن الأصمعي قال : كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر
عثمان أربعة : عبد الرحمن بن عديس التنوخي ، وحكيم بن جبلة العبدي ،
والأشتر النخعي ، وعبد الله بن فديك الخزاعي . فقدموا المدينة فحاصروه ،
وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار ، حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف
بين يديه . ثم تقدموا إليه وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر ، وأرادوا أن يقطعوا
رأسه ويذهبوا به ، فرمت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة ، وابنة شيبه بن
١٥ ربيعة^(٢) ، فتركوه وخرجوا . فلما كان ليلة السبت أنتدب لدفنه رجال ، منهم : جبير
٢٦٣
٢ ابن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم^(٣) بن حذيفة ، وعبد الله بن الزبير ،
فوضعوه على باب صغير ، وخرجوا به إلى البقيع ، ومعهم نائلة بنت الفرافصة
بيدها السراج . فلما بلغوا به البقيع منهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة ،

(١) في بعض الأصول : « استغرت » .

(٢) هي رملة بنت شيبه بن ربيعة . وفي بعض الأصول : « علية » تحريف . (انظر
الطبرى والطبقات) .

(٣) في الإصابة والطبقات والطبرى : « وأبو جهم » .

فردّوه إلى حُشّ كوكب^(١) ، فدفنوه فيه ، وصلى عليه جُبَيْر بن مُطعم ، ويقال :
حكيم بن حِزام . ودخلت القبرَ نائلةُ بنت الفرافصة ، وأمّ البنين بنت عُيينة^(٢) ،
زوجته ، وهما دلّتاها في القبر .

والحُشّ : البستان . وكان حُشّ كوكب ، اشتراه عثمان ، فجعله أولاده

مقبرة للمسلمين .

يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقي عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهري قال : قلت لسعيد بن المسيّب : هل
أنت تُخبرني كيف قُتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : قُتل عثمان مظلوما ، ومن قتله كان ظالما ، ومن خذله
كان معذورا . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن عثمان لما ولى كرهه ولايته نفر من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن عثمان كان يُحب قومه ، فولى الناس
أثنتي عشرة سنة ، وكان كثيرا ما يوتى بنى أمية ، ممن لم يكن له من رسول الله
صلى الله عليه وسلم صُحبة ، وكان يجيء من أسرائه ما يُنكره^(٣) أصحاب محمد ، فكان
يُستعذب فيهم فلا يعزّهم . فلما كان في الحجج الآخرة^(٤) استأثر بيني عمه فولاهم
وأمرهم بتقوى الله ، فخرجوا . وولى عبد الله بن أبي سرح مصر ، فكثت عليها
سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه . ومن قبل ذلك كانت من عثمان
هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذرّ وعمّار بن ياسر . فكانت هذيل وبنو
زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي
ذرّ في قلوبهم ما فيها . وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بما قال^(٥) عمّار بن

(١) كوكب ، الذي أضيف إليه « حش » اسم رجل من الأنصار . وحسن كوكب :

عند بقيع الغرقد ، اشتراه عثمان بن عفان وزاده في البقيع . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في الأصول : « عتبة » .

(٣) في بعض الأصول : « ما يكره » .

(٤) في بعض الأصول : « الباقية » .

(٥) في بعض الأصول : « بحال » مكان « بما قال » .

- يامر . وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتاباً
 يتهدده ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه ، وضرب رجلاً ممن أتى
 عثمان ، فقتله . فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجد ،
 وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن
 ٥ أبي سرح . فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه
 عائشة : قد تقدم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل
 هذا الرجل فأبيت أن تعزله ، فهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك .
 ودخل عليه علي ، وكان متكلم القوم ، فقال : إنما سألوك رجلاً مكان رجل ،
 وقد أدعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، وأقض بينهم ، وإن وجب عليه حق فأنصفهم
 ١٠ منه . فقال لهم : أختاروا رجلاً أوله عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم بمحمد
 ابن أبي بكر . فقالوا : أستمعل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهدته وولاه ،
 وأخرج معهم عِدَّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي
 سرح . فخرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم
 بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يُطلب . فقال
 له أصحاب محمد : ما قصتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب . فقال : أنا
 ١٥ غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر . فقالوا : هذا عامل مصر معنا .
 قال : ليس هذا أريد . وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه ،
 فأتى به ، فقال له : غلام من أنت ؟ قال : فأقبل مرّة يقول : غلام أمير
 المؤمنين ، ومرّة : غلام مروان ، حتى عرفه رجل منهم أنه لعثمان . فقال له محمد :
 إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر . قال : بماذا ؟ قال : برسالة . قال : معك
 ٢٦٤ كتاب ؟ قال : لا . ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا إداوة قد بيست فيها شيء
 يتقلقل ، فخرّكوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ، فإذا فيها كتاب من عثمان
 إلى ابن أبي سرح . فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك

الكتاب بمحض منهم ، فإذا فيه : إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم ، وأبطل كتابهم ، وقرّ على عمك حتى يأتيك رأى ، وأحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأى إن شاء الله . فلما قرءوا الكتاب فرّجوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة ، وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فكوا الكتاب بسحر منهم وأخبروهم بقصة الغلام ، وأقره وهم الكتاب . فلم يبق أحد في المدينة إلا حنق على عثمان ، وأزداد من كان منهم غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر غضباً وحنقاً ، وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو مقتم بما قرءوا في الكتاب . وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بنى تيم وغيرهم ، وأعان طلحة بن عبید الله على ذلك . وكانت عائشة تقرّضه^(١) كثيراً . فلما رأى ذلك على بنت طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم بدرى ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، وقال له على : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . والبعير بعيرك ؟ قال : نعم . والخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . فأنت كتبت الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله : ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام إلى مصر قط . وأما الخط ففرّجوا أنه خط مروان ، وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبى . وكان مروان عنده في الدار . ففرج أصحاب محمد من عنده غضاباً ، وشكوا في أمر عثمان ، وعلموا أنه لا يحلف باطلاً ، إلا أن قوما قالوا : لا نبرى عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان ، حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق ! فإن يك عثمان كتبه عزلناه ، وإن يك مروان كتبه على لسانه نظرنا

(١) التقريض : المدح والذم ، والمراد هنا الثانى .

في أمره ، ولزموا بيوتهم . وأبى عثمان أن يُخرج إليهم مروان ، وخشى عليه القتل .
وحاصر الناسُ عثمانَ ومنعوه الماء ، فأشرف عليهم ، فقال : أفيكم علي ؟ قالوا :
لا . قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا . فسكت ثم قال : ألا أحدٌ يبلغ عليًّا فيسقيننا
ماء ؟ فبلغ ذلك عليًّا ، فبعث إليه ثلاث قِرب مملوءة ماء ، فما كادت تصلُ إليه ،
وَجُرِحَ بسببها عِدَّةٌ من موالى بنى هاشم وبنى أمية ، حتى وصل إليه الماء .
فبلغ عليًّا أن عثمان يراد قتله ، فقال : إنما أردنا منه مروان ، فأما قتل عثمان فلا .
وقال للحسن والحسين : أذهبا بسيفيكما حتى تقوموا على باب عثمان فلا تدعوا
أحدًا يصل إليه بمكروه . وبعث الزبيرُ ولده ، وبعث طلحةُ ولده على كره منه .
وبعث عِدَّةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ليمنعوا الناسَ أن
يدخلوا على عثمان ، وسألوه إخراج مروان . ورعى الناس عثمان بالسهم حتى
خُضِبَ الحسن بن عليٍّ بالدماء على بابه ، وأصاب مروان سهمٌ في الدار ، وخُضِبَ
محمد بن طلحة ، وشُجَّ قنبر ، مولى عليٍّ . وخشى محمد بن أبي بكر أن تغضب
بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيئثرونها ، فأخذ بيدي رجلين فقال لهما : إذا
جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كُشف الناس عن
عثمان وبطل ما تُريد ، واسكن مروان بنا حتى تنسورَ عليه الدار فنقتله من غير
أن يعلم أحد . فنسورَ محمد بن أبي بكر وصاحبا من دار رجل من الأنصار .
ويقال من دار محمد بن حزم الأنصاري . ومما يدل على ذلك قولُ الأحرص :
لا ترثينَ الحزميَ ظفرتَ به طرًّا ولو طرَحَ الحزميُّ في النارِ (١)
الناخسينَ بمروانِ بذى خُشب والمُدخلينَ على عُثمانِ في الدارِ (٢)

٢٠ (١) انظر الأغاني (ج ١ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٢٣٨) طبعة دار الکتب فبین
الروایتین خلاف .

(٢) ذوخشب : دار على مسيرة ليلة من المدينة . والناخسين بمروان . يريد الطاردين لمروان

والمزيجين له ؛ يقال : نخس بفلان ، إذا نخس دابته من خلفه وطرده وسيره في البلاد .

يشير إلى قصة طرد مروان من ذي خُشب بعد أن مضى إليها ونخس حريث رقاسة .

٢٥ به حتى كاد يسقط عن ناقته . (انظر الأغاني ج ١ ص ٢٣ طبعة دار الکتب) .

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة ، والمصحف في حجره ،
ولا يعلم أحد ممن كان معه ، لأنهم كانوا على البيوت . فتقدم إليه محمد وأخذ
بلحيته ، فقال له عثمان : أرسل لحييتي يا بن أخي فلو رآك أبوك لساءه مكانك .
فترأخت يده من لحيته ، وعمر الرجلين فوجاه بمشاقص معهما حتى قتلاه ،
وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وخرجت امرأته فقالت : إن أمير المؤمنين
قد قُتل . فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبحاً ،
فأكبوا عليه يبكون . وبلغ الخبرُ عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة ،
فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً ، فأسترجعوا .
وقال عليٌّ لأبنتيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأتما على الباب ؟ ورفَع يده فلطم
الحسين ، وضرب صدر الحسن ، وشم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير .
ثم خرج عليٌّ وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه . فلقيه طلحة فقال : مالك
يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال : عليك وعليهما لعنة الله ، يُقتل
أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ، ولم تقم بينة
ولا حجة . فقال طلحة : لو دفع مروان لم يُقتل . فقال : لو دفع مروان قُتل
قبل أن تثبت عليه حجة . وخرج عليٌّ فأتى منزله . وجاءه القوم كلهم يهرعون
إليه ، أصحاب محمد وغيرهم ، يقولون : أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب . فقال :
ليس ذلك إلا لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحدٌ من
أهل بدر إلا أتى عليّاً ، فقالوا : ما نرى أحداً أولى بها منك ، فمد يدك نبايعك .
فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه ، وسعد
بيده . فلما رأى ذلك عليٌّ خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فكان أول من صعد
طلحة فبايعه بيده ، وكانت إصبه سلاء ، فتطير منها عليٌّ ، وقال : ما أخلقه أن
ينكث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعاً . ثم نزل ، ودعا الناس ،
وطلب مروان فهرب منه .

وخرجت عائشة باكية تقول: قُتل عثمان مظلوما! فقال لها عمَّار: أنتِ بالأمس تحرضين عليه، واليوم تبكين عليه! وجاء عليٌّ إلى امرأة عثمان، فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري، دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجوههما، وكان معهما محمد بن أبي بكر، وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر. فدعا عليٌّ بمحمد، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان. فقال محمد: لم تكذب، وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله، فذكر لي أبي، فقامت وأنا تائب، والله ما قتلته ولا أمسكته. فقالت امرأة عثمان: صدق، ولكنه أدخلهما.

المعتمر عن أبيه عن الحسن: إن محمد بن أبي بكر أخذ بدمية عثمان، فقال له: يا بن أخي، لقد قعدت متى مقعداً ما كان أبوك ليقعده. وفي حديث آخر:

١٠ إنه قال: يا بن أخي، لو رأك أبوك لساءه مكانك. فأستترت يده، وخرج محمدٌ. فدخل عليه رجلٌ والمصحف في حجره، فقال له: بيني وبينك كتابُ الله، نخرج وتركه. ثم دخل عليه آخر، فقال: بيني وبينك كتابُ الله، فأهوى إليه بالسيف، فأتقاه بيده، فقطعها. فقال: أما إنها أول يد خَطَّت المِفْصَل (١).

١٥ القواد الذين أقبلوا إلى عثمان

الأصمعي عن أبي عوانة قال: كان القواد الذين أقبلوا إلى عثمان: علقمة ابن عثمان، وكنانة بن بشر، وحكيم بن جبلة، والأشتر النخعي، وعبد الله ابن بُدَيْل.

وقال أبو الحسن: لما قدم القواد قالوا لعلِّي: قم معنا إلى هذا الرجل.

٢٠ قال: لا والله لا أقوم معكم. قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قط. قال: فنظر القوم بعضهم إلى بعض، وخرج عليٌّ من المدينة.

(١) المفصل: القرآن. وكان عثمان من كتاب الوحي.

الأمش عن عُيَينة عن مَسْرُوق قال : قالت عائشة : مُصْتَموه ^(١) مَوْص الإِناء حتى تركتموه كالثوب الرّحِيض ^(٢) نَقِيًّا من الدنس ، ثم عدّوتم فقتلتموه ! فقال مَرْوان : فقالت لها : هذا عملك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد بياض ، حتى جاست في مجلسي هذا . فكانوا يرون أنه كتب على لسان علي وعلى لسانها ، كما كتب أيضاً على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً للفتنة .

وقال أبو الحسن : أقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدي ، وأهل الكوفة عليهم الأشتر ١٠ — وأسمه مالك بن الحارث النخعي — في أمر عثمان حتى قدموا المدينة .

قال أبو الحسن : لما قدم وفد أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا : كتبت فينا كذا وكذا ؟ قال : إنما هما أثنتان ، أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل ، ويُنقش الخاتم على الخاتم . قالوا : قد أحل الله دمك ، وحصره في الدار . فأرسل عثمان إلى الأشتر ، فقال له : ما يريد الناس مني ؟ قال : واحدة من ثلاث ليس عنها بُد . قال : ما هي ؟ قال : يُخَيِّرُونَكَ بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فقلّده من شئتم ؛ وإما أن تقتص من نفسك ؛ فإن أبيت فالقوم قاتلوك . قال : أما أن أخلع لهم أمرهم ، فما كنت لأخلع سراً سراً بلنيه الله فتكون سنة من بعدي ، كلما كرهه القوم ٢٠ إمامهم خلعوه ؛ وأما أن أقتص من نفسي ، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين

(١) الموص : غسل لين ، والدلك باليد .

(٢) الرحيض : المغسول . وفي بعض الأصول : « الرحض »

يدى قد كانا يُعاقبان ، وما يقوى بدنى على القصاص ؛ وأما أن تقتلوني ، فلئن قتلتموني لا تتجارتون بعدى أبداً ولا تُصلون بعدى جميعاً أبداً .

قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على النوى جميعاً ، وإن قلوبهم مختلفة .

وقال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان وقال : إنه لا يحل سفك دم امرئ

- ٥ مسلم إلا في إحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس ، فهل أنا في واحدة منهن ؟ فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم ، فنزل الجبل حتى همّت أحجاره أن تتساقط ، فقال : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : شهدوا لي ورب الكعبة .

١٠

قال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان فقال : السلام عليكم ، فما ردّ أحدٌ عليه السلام . فقال : أيها الناس ، إن وجدتم في الحق أن تضعوا رجلي في القبر فضعوها . فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أستغفر الله إن كنت ظلمت ، وقد غفرت إن كنت ظلمت .

- ١٥ يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عاصم بن ربيعة قال : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويُلقي سلاحه . فألقى القوم أسلحتهم .

- ٢٦٧
٧ ابن أبي عروبة عن قتادة : إن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار ، فقال : إن هذه الأنصار بالباب وتقول : إن شئت كُنّا أنصار الله مرتين . قال : لا حاجة لي في ذلك ، كُفوا .

٢٠

ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع : إن عبد الله بن عمر لبس

دِرْعَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ يَوْمَ الدَّارِ ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ عُمَانُ أَنْ يُخْرِجَ وَيَضَعَ سِلَاحَهُ وَيَكْفَ يَدَهُ ، فَفَعَلَ .

محمد بن سيرين قال قال سَلَيْطُ : نهانا عثمان عنهم ، ولو أُذِنَ لنا عثمان فيهم لَضَرَبْنَاهم حتى نُخْرِجَهُم من أقطارنا .

ما قالوا في قتلة عثمان

١٠ العُتَيْبِيُّ قال : قال رجل من بني ليث : لقيتُ الزبيرَ قادمًا ، فقلت : أبا عبد الله ، ما بالكَ ؟ قال : مَطْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، يَغْلِبُنِي أُنْبَى ، وَيَطْلِبُنِي ذَنْبِي . قال : فقدمتُ المدينةَ فلقيتُ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ ، فقلت : أبا إسحاق ، من قتل عثمان ؟ قال : قتله سيفُ سَلْتَةَ عائِشَةَ ، وشَحْذَةُ طلْحَةَ ، وسمَّه عليٌّ . قلت : فما حال الزُّبَيْرِ ؟ قال : أشار بيده وصمَّت بلسانه .

وقالت عائشة : قَتَلَ اللهُ مَذْمُومًا بسعيه على عثمان ، تريد محمدًا أخاها ، وأهراق دم ابن بُدَيْلٍ على ضلالتِهِ ، وساق إلى أَعْيُنِ بني تَمِيمٍ هوانًا في بيته ، ورمى الأَشْتَرِ بسهم من سهامه لا يُشَوِي . قال : فما منهم أحدٌ إلا أدركته دعوة عائِشَةَ .

١٥ سفيان الثوري قال : لقي الأَشْتَرُ مَسْرُوقًا فقال له : أبا عائِشَةَ ، ما لي أراك غَضبانَ على ربِّكَ من يوم قَتَلَ عثمان بن عفان ؟ لو رأيتنا يوم الدار ونحن كأصحابِ عَجَلِ بني إسرائيل !

وقال سعدُ بن أبي وقاصٍ لعَمَّارِ بن ياسر : لقد كنتَ عندنا من أفاضل أصحابِ محمدٍ حتى إذا لم يَبْقَ من عمرك إلا ظَمُّ الحِجَارِ (١) فعلتَ وفعلتَ ، يُعْرِضُ له

٢٠ (١) هو أعين بن ضبيعة المجاشعي ، من بني تميم . وفي بعض الأصول : « أعين بن تميم » . تحريف . (انظر الطبري) .

(١) من أمثالهم : أقصر من ظم الحجار ، لأنه لا يصبر على العطش أكثر من يوم . والظم : ما بين الشربتين ، طويلا كان أو قصيرا . وأقصر الأظماء ظم الحجار . يريد : لم يبق من عمرك إلا يسير .

بقتل عثمان . قال عمار : أى شىء أحب إليك ؟ مودةً على دَخَل أو هَجْر جميل ؟
قال : هَجْر جميل . قال : فله على " ألا أكلمك أبدا .

دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ، لو رأيتنى يومَ الجمل
وقد نفذت النصال^(١) هُودجى حتى وصل بعضها إلى جِلدى . قال لها المغيرة :
وددتُ والله أن بعضها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ قال :
لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان . قالت : أما والله إن قلت ذلك لما علم
الله أنى أردتُ قتله ، ولكن علم الله أنى أردتُ أن يُقاتل فقوتلتُ ، وأردتُ
أن يُرمى فرميت ، وأردتُ أن يُعصى فعصيت ، ولو علم منى أنى أردتُ
قتله لقتلت .

وقال حسان بن ثابت لعلى : إنك تقول : ما قتلت عثمان ولكن خذتُه ،
ولم أمر به ولكن لم أنه عنه ، فاختاذل شريك القاتل ، والساكتُ شريك القاتل .
أخذ هذا المعنى كعبُ بن جُعيل النخعي ، وكان مع معاوية يوم صفين ، فقال
في على بن أبي طالب :

وما في على لمستحدث^(٢) مقال سوى عصمه^(٣) المحدثينا
وإيثاره^(٤) لأهالي الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سئل عنه زوى وجهه^(٥) وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط ولا فى النهاية ولا الأمرينا

(١) يقال : نفذ السهم الرمية ، إذا خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر
وسأره فيها . وفى بعض الأصول : « أنفذت النصل » .

(٢) فى الكامل للمبرد (ص ١٨٤) طبعة أوربة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
(ج ١ ص ١٥٨) : « لمستعب » .

(٣) فى الكامل وابن أبي الحديد : « ضمه » .

(٤) فى الكامل وابن أبي الحديد : « وإيثاره اليوم أهل » .

(٥) فى الكامل وابن أبي الحديد : « حدا شبهة » . وحدا : ساق .

ولا هو ساء^(١) ولا سره^(٢) ولا آمن^(٣) بعضا أن يكونا^(٤)
 وقال رجل من أهل الشام في قتل عثمان رضي الله تعالى عنه :

خذلته الأنصار إذ حضر الموت وكانت ثقافته الأنصار
 ضربوا بالبلاء فيه مع الناس وفي ذلك للبرية عار
 حرمة بالبلاد من حرم الله ووال من الولاية وجار
 أين أهل الحياء إذ منع الما ء فذته الأسماع والأبصار
 من عذيري من الزبير ومن طدا حة هاجا أمرا له إصهار
 تركوا الناس دونهم عبرة العجب ل فشببت وسط المدينة نار
 هكذا زاغت اليهود عن الحق بما^(٥) زخرت لها الأخبار
 ثم وافى محمد بن أبي بكر ر جهارا وخلفه عممار
 وعلى في بيته يسأل الناس س ابتداء وعنده الأخبار
 باسطا لتي يريد يديه وعليه س كينة وقار
 يرقب الأمر أن يزف إليه بالذي سببت له الأقدار
 قد أرى كثرة الكلام قبيحا كل قول يشينه إكثار

٥

٢٦٨
٢

١٠

وقال حسان يرثي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه :

١٥

من سره الموت صيرقا لا مزاج له فليات مأسدة في دار عثمانا
 صبرا فدى لكم أمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
 لعلمكم أن تروا يوما بمهيفة خليفة الله فيكم كالذي كانا
 إني لمنهم^(٦) وإن غابوا وإن شهدوا ما دمت حيا وما سُميت حسانا

(١) ساء، أي ساءه، غذف الهمزة وسهل . وفي الكامل وابن أبي الحديد : « ساء » .

(٢) في الكامل وابن أبي الحديد : « ولا بد من بعض » .

(٣) نسب هذا الشعر في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ٤٤٢ طبعة البهية) لحسان بن ثابت .

(٤) في بعض الأصول : « قتلة » (٥) في بعض الأصول : « حسبنا » .

(٦) أي إني لمنهم بري .

٢٠

٢٥

يا ليت شعري وليت الطير تُخبرني ما كان شأنُ عليّ وأبنِ عَفَّانا
 لتسمعنَّ وشيكا في ديارهمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا
 ضَحَّوْا بأشمطَ عنوانُ السُّجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيحاً وقرآنا

في مقتل عثمان بن عفان

٥ أبو الحسن عن مسleme عن ابن عون^(٢) : كان ممن نصر عثمان سبعمائة ، فيهم الحسن بن عليّ ، وعبدُ الله بن الزُّبير . ولو ترَكهم عثمانُ لضربوهم حتى أخرجوهم من أقطارها .

أبو الحسن عن جُبَيْر بن سِيرين قال : دخل ابنُ بُدَيْلِ عليّ عثمانَ وبِيده سيفٌ ، وكانت بينهما شَحْناءٌ ، فضربه بالسيف ، فأتقاه بيده فمَظَعها ، فقال :
 ١٠ أما إنها أولُ كفٍ خَطَّتْ المُفَصَّلَ^(٢) .

أبو الحسن قال : يومُ قُتِلَ عثمانُ يقالُ له : يومُ الدارِ . وأغلق عليّ ثلاثة من القتلى : غلامُ أسود كان لعثمان ، وكفانة بنِ بشر ، وعُثمان .

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوْح الخِزاعي لعمر بن العاص : كان بينكم وبين الفتنة بابٌ فكسرتموه فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نُخرج الحق من حَفيرة^(٣) الباطل وأن يكون الناس في الحق سواء .

١٥ مجالد عن الشعبي قال : كتب عثمان إلى معاوية : أن أمدني . فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز البَجَلِي^(٤) . فمَلَقاته الناس بقتل عثمان فأُنصرف ، فقال : لو دخلتُ المدينة وعثمان حيٌّ ما تركتُ بها مُختلفاً إلا قتلته ، لأن الخاذل والقاتل سواء .

٢٠ قيس بن رافع قال قال زيد بن ثابت : رأيتُ عليّاً مُضطجعاً في المسجد ،

(١) في بعض الأصول : « ابن عوف » .

(٢) المفصل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحي . (٣) الحفيرة الحفرة .

(٤) في الأصول : « العجلى » ، وما أثبتنا من الطبري .

فقلت : أبا الحسن ، إن الناس يَرَوْنَ أنك لو شئت رددت الناس عن عثمان .
فجلس ، ثم قال : والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت في شيء من شأنهم . قال :
فأثبت عثمان فأخبرته ، فقال :

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَ حَتَّى إِذَا أَضْطَرَمْتُ أَجْذَمَا^(١)

الفضل عن كثير عن سعيد المقبري قال : لما حَصَرُوا عُثْمَانَ وَمَنَعُوهُ الْمَاءَ ،

قال الزبير : وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشياعهم من قبل .

ومن حديث الزهري قال : لما قَتَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ

الْحَرَّةِ^(٢) ، قال عبد الله بن عمر : بفعلهم في عُثْمَانَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ .

ابن سيرين عن ابن عباس قال : لو أمطرت السماء دماً لَقَتَلَ عُثْمَانَ لِسْكَانِ

١٠ قليلاً له .

أبو سعيد مولى أبي حذيفة^(٣) قال : بعث عثمان إلى أهل الكوفة : مَنْ كَانَ

يُطَالِبُنِي بِدِينَارٍ أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ لَاطِمَةٍ فَلْيَأْتِ بِأَخَذِ حَقَّهُ ، أَوْ يَتَصَدَّقْ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي

الْمُتَصَدِّقِينَ . قال : فبكى بعضُ القومِ ، وقالوا : تصدَّقنا .

ابن عون^(٤) عن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله

١٥ عليه وسلم أشدَّ على عثمان من طلحة .

أبو الحسن قال : كان عبد الله بن عباس يقول : ليغلبن معاوية وأصحابه

علياً وأصحابه ، لأن الله تعالى يقول : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً) .

أبو الحسن قال : كان مُمامة الأنصاري عاملاً لعثمان ، فلما أتاه قَتَلَهُ بِكَيْ ،

(١) البيت للربيع بن زياد العبسي . والإجذام : الإسراع . يقول : ألهب قيس بن زهير

البلاد على فلما استمرت حرب ، وذلك لأن قيساً ترك أرض العرب وانتقل إلى عمان

بعد إثارة الفتنة في سبب داحس . والذي في الأصول : « أحججا » مكان « أجذما » .
وما أثبتنا عن شرح الحماسة .

(٢) هي حررة واقم ، إحدى حرقى المدينة ، وهي الشرقية . وفي هذه الحررة كانت

وقعة الحررة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في الطبري : « أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري » .
(٤) في بعض الأصول : « ابن عوف » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري .

وقال : اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف ، فمن غلب على شيء أكله .

- أبو الحسن عن أبي مخنف عن نُمير بن وَعلة عن الشعبي : أن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير ، وبعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء ، وكان في كتابها : من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأتقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم ، فإنه قال : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفيء إلى أمر الله) . فإن أمير المؤمنين بُغى عليه ، ولو لم يكن لعُثمان عليكم إلا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجو إمامته أن ينصره ، فكيف وقد علمتم قديمه في الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أجاب الله ، وصدق كتابه ، وأتبع رسوله ، والله أعلم به إذ أنتخبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .
- وإني أقص عليكم خبره ، إني شاهدة أمره كله : إن أهل المدينة حصروه ١٥ في داره وخرسوه ليلهم ونهارهم ، قياماً على أبوابه بالسلاح ، يمنعونه من كل شيء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ، فكث هو ومن معه خمسين ليلة ؛ وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير ، فأصروهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جُهينة ومُزينة وأنباط يثرب ، فهؤلاء كانوا أشد الناس عليه . ثم إنه حُصر ٢٠ فرُشق بالنبل والحجارة ، فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه ، فأتاه الناس يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم ، فردوها عليهم ؛ فما زادهم ذلك في القتل إلا جرأة ، وفي الأمر إلا

إغراقاً ، فخرقوا باب الدار . ثم جاء نفرٌ من أصحابه فقالوا : إن ناساً يريدون أن يأخذوا بين الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعةً وأسلحةُ القوم مُطلَّةٌ عليه من كل ناحية ، فقال : ما أرى اليوم أحداً يعدل ، فدخل الدار . وكان معه نفرٌ ليس على عاتقهم سلاح ، فلبس درعه وقال لأصحابه : لولا أتم ما لبست اليوم درعى . فوثب عليه القوم ، فكلمهم ابنُ الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة بعث بها إلى عثمان : عليكم عهدُ الله وميثاقُهُ أن لا تقرُّوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا ، فوضع السلاح ، ولم يكن إلا وضعه . ودخل عليه القومُ يُقدِّمهم محمدُ بنُ أبي بكر ، فأخذ بلحيته ، ودَعَوْهُ باللَّقب . فقال : أنا عبدُ الله وخليفتهُ عثمان . فضربوه على رأسه ثلاثَ ضَرَبَاتٍ ، وطَعَنوه في صدره ثلاثَ طعنات ، وضربوه على مَقْدَمِ العين فوق الأنف ضربةً أسرعَ في العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثنوه وبه حياة ، وهم يُريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به ، فأنتنى ابنةُ شيبَةَ بنِ ربيعة فألقت بنفسها معي ، فوطئنا وطئاً شديداً ، وعُرِينَا من حَلِينَا . وحُرْمَةُ أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوا أمير المؤمنين في بيته مهجوراً على فراشه . وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه دمه ، فإنه والله إن كان أتم من قتله فما سلم من خذله ، فانظروا أين أتم من الله . وأنا أشتكى كلَّ ما مسَّنا إلى الله عز وجل ، وأستصرخ بصالحى عباده . فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة ، وسقى منهم الصدور .

فلان رجال من أهل الشام أن لا يمشوا غسلاً حتى يقتلوا علياً أو تفتى

٢٠ أرواحهم .

وقال الفرزدق في قتل عثمان :

إن الخِلافةَ لما أظعنت ظعنَت
عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم ووارثها
لما رأى الله في عثمان ما أتتهكوا

السافكي دمه ظلماً ومَعْصِيَةً أَيِّ دِمٍّ لَا هُدُوءًا مِنْ غِيَمِهِمْ سَقَّوْا
وقال حسان :

إِنْ تَمَسَّ دَارُ بَنِي عُمَانَ خَاوِيَةً بَابُ صَرِيحٍ وَبَيْتٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فَقَدْ يُصَادَفُ بِأَعْيِ الْخَيْرِ حَاجَتَهُ فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ابْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ (١)

تبرؤ علي من دم عثمان

قال علي بن أبي طالب على المنبر : والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً ، ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً . وأشرف علي من قصر له بالكوفة ، فنظر إلى سفينة في دجلة فقال : والذي أرسلها في بحره مسخرة بأمره ما بدأت في أمر عثمان بشيء ، ولئن شاءت بنو أمية لأباهلنهم (٢) عند الكعبة خمسين يمينا ما بدأت في حق عثمان بشيء . فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال : إني لا أحسبه صادقا .

قال معبد الخزاعي : لقيت علياً بعد الجمل ، فقلت له : إني سأئلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فإن نجوت اليوم نجوت غداً إن شاء الله . قال : سل عما بدا لك . قلت : أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره ؟ قال : إن عثمان كان إماماً وإنه نهى عن القتال ، وقال : من سل سيفه فليس مني ، فلو قاتلنا دونه عصينا . قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذ استسلم حتى قتل ؟ قال : المنزلة التي وسعت ابن آدم ، إذ قال لأخيه : (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) . قلت : فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل ؟ قال : إنا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا ، قال

(١) انظر ديوان حسان (ص ٢٨) طبعة أوربة . فبين الشعر هنا وهناك خلاف يسير في الألفاظ .

(٢) المباهة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

الله : (ولئن أنتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيلُ على الذين يظلمون الناسَ ويَبغون في الأرضِ بغيرِ الحَقِّ أولئك لهم عذابٌ أليمٌ . ولئن صَبَر وعَفِر إنَّ ذلك لمن عَزَمَ الأمور) . فقاتلنا نحن من ظَلَمنا وصَبِرَ عثمانُ ، وذلك من عَزَمَ الأمور .

٥ ومن حديث بكر بن حماد : إن عبد الله ابن الكوّاء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين ، فقال له : أخبرني عن نخرجك هذا ، تضرب الناس بعضهم ببعض ، أعهد إليك عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى أرتأيتَه ؟ قال علي : اللهم إني كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه ، لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركت أخا تيم وعدي على منابرها ؛ ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة ، مريض أياما وليالي ، فقدّم أبا بكر على الصلاة ، وهو يراني ويرى مكاني . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضينا لأمر دُنِيانا إذ رضيه رسول الله لأمر ديننا . فسلمتُ له ^(١) وبايعتُ وسمعتُ وأطعتُ ، فكنتُ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يديه . ثم أنته منيته ، فرأى أن عمر أطوق لهذا الأمر من غيره ، والله ما أراد به المحاباة ، ولو أرادها لجعلها في أحد ولديه . فسلمتُ له وبايعتُ وأطعتُ وسمعتُ ، فكنتُ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يديه . ثم أنته منيته ، فرأى أنه من أستخلف رجلاً فعمل بغير طاعة الله عدّبه الله به في قبره ، فجعلها سُوري بين سنتة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكنتُ أحدهم ، فأخذ عبد الرحمن موائيقنا وعهودنا على أن يتخلع نفسه وينظر لعامة المسلمين ، فبسط يده إلى عثمان فبايعه . اللهم إن قلتُ إني لم أجد في نفسي فقد كذبتُ ، ولكنني نظرتُ في أمرى فوجدتُ طاعتي قد تقدّمت معصيتي ، ووجدتُ الأمر الذي كان بيدي قد صار بيد غيري . فسلمتُ وبايعتُ وأطعتُ

(١) في بعض الأصول : « عليه » .

- وسمعتُ ، فكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يديه .
ثم نَقَمَ الناس عليه أموراً فَمَتَلُوهُ . ثم بقيتُ اليومَ أنا ومُعاوية ، فأرى نفسي أحقَّ
بها من مُعاوية ؛ لأنني مهاجرى وهو أعرابيٌّ ، وأنا ابنُ عم رسول الله وصهره ،
وهو طليقُ ابن طليق . قال له عبدُ الله بن الكوّاء : صدقتَ ، ولكنّ طلحةَ
والزُّبيرَ ، أما كان لهما في هذا الأمر مثلُ الذي لك ؟ قال : إن طلحةَ والزُّبيرَ
بايعاني في المدينة ونكثا بيّعتي بالعراق ، فقاتلتُهما على نكثهما ، ولو نكثا بيعة
أبي بكرٍ وعمر لقاتلتهما على نكثهما كما قاتلتُهما . قال : صدقتَ ، ورجع إليه .
وأستعمل عبدُ الملك بن مروان نافعَ بن علقمة بن صفوان على مكة ، فخطب
ذات يوم ، وأبانُ بن عثمان قاعدٌ عند أصل المنبر ، فنال من طلحةَ والزُّبيرَ ، فلما
نزل قال لأبان : أرضيتك من المدهنين في [أمر] أمير المؤمنين ؟ قال : لا ،
ولكنك سُوتني ، حسبي أن يكونا بريئين من أمره . وعلى هذا المعنى قال إسحاق
ابن عيسى : أعيذ عليّاً بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيذ عثمان أن يكون قتله
عليٌّ . وهذا الكلامُ على مذهب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن أشد الناس
عذاباً يوم القيامة رجلٌ قتل نبياً أو قتله نبيٌّ .
- ١٥ سعيد بن جبير عن أبي الصَّهْبَاء : إن رجلاً ذكروا عثمان فقال رجلٌ من
القوم : إني أعرفُ لكم رأيَ عليٍّ فيه . فدخل الرجلُ على عليٍّ ، فنال من
عثمان ، فقال عليٌّ : دَعْ عنك عثمان ، فوالله ما كان بأشراً ، ولكنه وليٌّ فأستأثر
فخرمنا فأساء الحرمان^(١) .
- وقال عثمان بن حنيف^(٢) : إني شهدتُ مشهداً اجتمع فيه عليٌّ وعمار ومالك
الأشتر وصعصعة ، فذكروا عثمان ، فوقع فيه عمار ، ثم أخذ مالكٌ فحذا حدّوه ،
ووجهُ عليٍّ يتممَّر^(٣) ، ثم تكلم صعصعة ، فقال : ما على رجلٍ يقول : كان والله

(١) في بعض الأصول : « فخدعنا فأسأنا الخدع » .

(٢) في بعض الأصول : « حبيب » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٣) يتمعر : يتغير غيظاً .

أَوَّلَ مَنْ وَلى فَاسْتَأْثَرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَفَرَّقَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ! فَقَالَ عَلِيٌّ : إِلَى
أَبَا الْيَقْظَانَ ، لَقَدْ سَبَقَتْ لِعِمَّانِ سَوَابِقُ لَا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بِهَا أَبَدًا .

مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ يَوْمَ الْجَمَلِ : أَنْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَبْلِغْهُمْ
كُتْبِي وَقَوْلِي . فَقُلْتُ : إِنْ قَوْمِي إِذَا أَتَيْتَهُمْ يَقُولُونَ : مَا قَوْلُ صَاحِبِكَ فِي عُمَانَ ؟
فَقَالَ : أَخْبِرْهُمْ أَنَّ قَوْلِي فِي عِمَّانِ أَحْسَنُ الْقَوْلِ ، إِنْ عِمَّانُ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ عَلِيًّا أَتَّهُمْ فِي دَمِ
عُمَانَ حَتَّى يُوبِعَ ، فَلَمَّا بُويعَ أَتَهُمُ النَّاسُ .

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ : إِنِّي عَنْ يَمِينِ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ وَابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ يَسَارِهِ ، إِذْ
سَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَائِشَةُ تَلْعَنُ قَتْلَةَ عِمَّانِ . فَقَالَ عَلِيٌّ : لَعَنَ اللَّهُ
قَتْلَةَ عِمَّانِ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ .

ما نقم الناس على عثمان

ابن دأب قال : لما أنكر الناس على عثمان ما أنكروا من تأمير الأحداث
من أهل بيته على الجلالة الأكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا
لعبد الرحمن بن عوف : هذا عملك واختيارك لأمة محمد . قال : لم أظن هذا به .

ودخل على عثمان فقال له : إني إنما قد متك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر
وعمر ، وقد خالفتهما . فقال : عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في
الله . فقال له : لله على أن لا أكلمك أبدًا . فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم
عثمان .

ولما رد عثمان الحكم بن أبي العاصي ، طريد النبي صلى الله عليه وسلم
وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة ، تكلم الناس في ذلك ، فقال عثمان : ما ينقم
الناس مني ! إني وصلت رحما وقربت قرابة^(١) .

(١) في بعض الأصول : « عينا » .

حُصَيْنَ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ : مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَنْزِلِهِ .
فَقَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّمَا هِيَ فِي أَهْلِ
الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : إِنَّهَا لَفَيْنَا وَفِيهِمْ . فَسَكَّتُ إِلَى عُمَانَ : أَقْبِلْ . فَلَمَّا قَدِمْتُ
رَكِبْتَنِي النَّاسُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَطُّ ، فَشَكَّوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُمَانَ . فَقَالَ : لَوْ
أَعْتَزتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَزَلْتُ هَذَا الْمَنْزِلَ ، فَلَا أَدْعُ قَوْلِي ، وَلَوْ أَمَرُوا عَلِيَّ
عَبْدًا حَبَشِيًّا لَأَطَعْتُ .

الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً
لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) . قَالَ : لَقَدْ نَزَلَتْ وَمَا نَدْرِي مِنْ يَخْتَلِفُ لَهَا .
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَلِمَ جِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ، إِنَّا
نَنْظُرُ وَلَا نُبْصِرُ .

أَبُو نَضْرَةَ^(١) عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : إِنْ نَاسًا كَانُوا عِنْدَ فُسْطَاطِ
عَائِشَةَ وَأَنَا مَعَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَمَرَّ بِنَا عُمَانُ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا لَعَنَهُ غَيْرِي ،
فَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَ عُمَانُ عَلَى الْكُوفِيِّ أَجْرًا مِنْهُ عَلَى
غَيْرِهِ ، فَقَالَ : يَا كُوفِي ، أَتَشْتُمُنِي ؟ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ يَتَهَدَّدُهُ . قَالَ : فَقِيلَ
لَهُ : عَلَيْكَ بِطَلْحَةَ . قَالَ : فَأَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَانَ . فَقَالَ عُمَانُ : وَاللَّهِ
لَأَجْلِدَنَّهَ مِائَةَ سَوْطٍ . قَالَ طَلْحَةُ : وَاللَّهِ لَا تَجْلِدُنِي مِائَةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَانِيًا .
قَالَ : وَاللَّهِ لِأَحْرَمَنَّهُ عَطَاءَهُ . قَالَ : اللَّهُ يُرِزِقُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي قَتَيْبَةَ^(٢) عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ : خَرَجَ
عَلَيْنَا ابْنُ مَسْعُودٍ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَأَمِيرُ الْكُوفَةِ .
الْوَلِيدُ بْنُ عُقَيْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فُقِدْتُ مِنْ بَيْتِ مَالِكُمْ

(١) هو المنذر بن مالك العبدي (انظر الطبري وتهذيب التهذيب) .

(٢) كذا في الأصول هنا . وفيها سيأتي بعد قليل : «أبو بكر بن أبي شيبة» . وقد كان

وفاة الأعمش سنة ١٤٥ هـ أي قبل وفاة أبي قتيبة بنحو تسعين سنة .

الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة .
قال : فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك ، فنزعه عن بيت المال .

ومن حديث الأعمش يرويه أبو بكر بن أبي شيبه قال : كتب أصحاب
عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة ، ثم قالوا : من يذهب بها إليه ؟ قال
عمار : أنا . فذهب بها إليه . فلما قرأها قال : أرغم الله أنفك . قال : وأنف
أبي بكر وعمر . قال : فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه . ثم ندم عثمان وبعث
إليه طلحة والزبير يقولان له : اختر إحدى ثلاث : إما أن تغفوا ، وإما أن
تأخذ الأرض^(١) ، وإما أن تقتص . فقال : والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى
الله . قال أبو بكر : فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح ، فقال : ما كان
على عثمان أكثر مما صنع .

٢٧٣
٢

١٠

ومن حديث الليث بن سعد قال : مرَّ عبد الله بن عمر بخديفة فقال :
لقد اختلف الناس بعد نبيهم ، فإما من أحد إلا أعطى من دينه ما عدا
هذا الرجل .

وسئل سعد بن أبي وقاص عن عثمان فقال : أما والله لقد كان أحسننا
وُضوءاً ، وأطولنا صلاة ، وأتقانا لكتاب الله ، وأعظمنا نفقة في سبيل الله .
ثم ولي فأنكروا عليه شيئاً ، فأتوا إليه أعظم مما أنكروا .

١٥

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سعيد بن العاص : أما بعد .
فإني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاماً حين ذهب شرّخه ، وثاب حلمه ،
وأوصيته بكم ولم أوصكم به ، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريره . وقد وليتكم
سعيد بن العاص ، وهو خير عشيرته ، وأوصيكم به خيراً فأستوصوا به خيراً .

٢٠

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه ، وكان عامله على الكوفة ، فصلّى بهم
الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدّكم .

فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان ، فقال لطلحة : قم فاجلده . قال : لم أكن
من الجالدين . فقام إليه عليّ سجّده .

وفيه يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلتقي ربه أن الوليد أحق بالعدر
(١) لينزيدهم خيراً ولو قبّلوا لجمت^(٢) بين الشفع والوتر
مَسَكُوا عَنَّاكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوْا عَنَّاكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

ابن داب قال : لما أنكر الناسُ على عثمان ما أنكروا واجتمعوا إلى عليّ
وسألوه أن يلتقي لهم عثمان . فأقبل حتى دخل عليه فقال : إن الناسَ ورأى قد
كأمنوني أن أكلك ، والله ما أدري ما أقولُ لك ، ما أعرف شيئاً تُنكره ،
ولا أعلمك شيئاً تجهله ، وما ابنُ الخطابِ أولى بشيء من الخير منك ، وما نبصرك
من عمى ، وما نعلمك من جهل ، وإن الطريق لبين واضح . تعلم يا عثمان أن
أفضل الناس عند الله إمامٌ عدلٌ ، هُدى وهُدَى ، فأحيا سنة معلومة ، وأمات بدعة
مجهولة ؛ وأن شر الناس عند الله إمامٌ ضلالة ، ضل وأضل ، فأحيا بدعة مجهولة ،
وأمات سنة معلومة . وإني سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُؤتى
بالإمام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصرٌ ولا له عاذرٌ فيلقى في جهنم فيدور دوراً
الرحى يرتطم بحجارة النار إلى آخر الأبد . وأنا أحذرك أن تكون إمامَ هذه
الأمّة المقتول ، يُفتح به بابُ القتل والقتال إلى يوم القيامة ، يمرّج به أمرهم
ويمرّجون . فخرج عثمان ، ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة .

وكان عليّ كلما أشتكى الناسُ إليه أمرَ عثمان أرسل ابنه الحسن إليه ،
فلما أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ،
فكفّ عنا . فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك .

(١) قبل هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ١٧٨ طبعة بلاق) :

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري

(٢) في الأغاني : « فأبوا أباهب ولو أذنوا * لقرنت » .

وذكروا أن عثمان صَلَّى العَصْرُ ثم خَرَجَ إلى عليٍّ يَعوده في مَرَضِهِ ، وَمَرَوَانُ معه ، فَرَأَهُ ثَقِيلًا . فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَرَى مِنْكَ مَا كُنْتُ أَتَاكُم بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَاكُم بِهِ ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي أَيَّ يَوْمَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَوْ أَبْغَضُ ، أَيُّومُ حَيَاتِكَ أَوْ يَوْمُ مَوْتِكَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتَ لَا أَعْدَمُ شَامِتًا يَبْعُدُكَ كَنَفًا^(١) ، وَيَتَخَذُكَ عَضْدًا ، وَلَئِنْ مِتَّ لَا أَجْعُنُ بِكَ . فَحَظِّي مِنْكَ حَظَّ الْوَالِدِ الْمَشْفُوقِ مِنَ الْوَالِدِ الْعَاقِ ، إِنْ عَاشَ عَقَبَهُ ، وَإِنْ مَاتَ فَجَعَلَهُ . فَلَيْتَكَ جَعَلْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ عَلَمًا نَقْفُ عَلَيْهِ وَنَعْرِفُهُ ، إِمَّا صَدِيقٌ مُسَالِمٌ وَإِمَّا عَدُوٌّ مُعَانِدٌ ، وَلَمْ تَجْعَلْنِي كَالْمُخْتَنِقِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَرْتُقِي بِيَدٍ ، وَلَا يَهْبِطُ بِرِجْلِ . أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتِكَ لَا أُصِيبُ مِنْكَ خَلْفًا ، وَلَئِنْ قَتَلْتَنِي لَا تَصِيبُ مِنِّي خَلْفًا ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى بِعَدِّكَ . قَالَ مَرَوَانُ : أَيُّ وَاللَّهِ وَأُخْرَى ، إِنَّهُ لَا يُقَالُ مَا وِرَاءَ ظُهُورِنَا حَتَّى تُكْسَرَ رِمَاحُنَا وَتُقَطَّعَ سِيوفُنَا ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ هَذَا . فَضَرَبَ عُثْمَانَ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : مَا يُدْخِلُكَ فِي كَلَامِنَا ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنِّي وَاللَّهِ فِي شُعْلِ عَن جَوَابِكَ ، وَلَسَكُنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يَوْسُفَ : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ) .

وقال عبدُ اللهِ بنُ العباس : أرسَلَ إلى عُثْمَانَ فَقَالَ لِي : اكْفِنِي ابْنَ عَمِّكَ . فَقُلْتُ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي لَيْسَ بِالرَّجُلِ يُرَى لَهُ وَلَسَكُنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ ، فَأَرْسَلَنِي إِلَيْهِ بِمَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَخْرُجْ إِلَى مَالِهِ بِالْيَنْبُوعِ فَلَا أُغْتَمَّ بِهِ وَلَا يَغْتَمَّ بِي . فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : مَا آتَخَذَنِي عُثْمَانُ إِلَّا نَاصِحًا ، ثُمَّ أَنشَدَ يَقُولُ :

فكيف به أني أداوي جراحه فيدوي فلا ملّ الدواء ولا الداء
أما والله إنه ليختبر القوم . فأتيت عثمان ، فحدثته الحديث كله إلا البيت الذي
أنشده . وقوله : إنه ليختبر القوم . فأنشد عثمان :

فكيف به أني أداوي جراحه فيدوي فلا ملّ الدواء ولا الداء
وجعل يقول : يا رحيم ، انصُرني ، يا رحيم ، انصُرني ، يا رحيم ، انصُرني .

(١) في بعض الأصول : « كهفا » .

قال : فخرج عليّ إلى يَنْبَع ، فسكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر : أما بعد .
فقد بلغ السيل الزُّبى ، وجاوز الحزام الطُّبَّيين ، وطَمِعَ في مَنْ كان يَضْمُنُ
عن نفسه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغْلَبٍ^(١)
فأقبِلْ إلىّ على أيّ أمرٍ أحببتَ ، وكُنْ لي أمّ عليّ ، صديقاً كنتَ
أمّ عدوّاً :

فإن كنتَ ما كولا فكنْ خيراً كلٍّ وإلا فأدركني ولما أمزق^(٢)

خلافة علي بن أبي طالب

رضى الله عنه

- قال : لما قُتِلَ عثمان بن عفان ، أقبل الناس يُهْرَعُونَ إلى علي بن أبي طالب
فترا كمت عليه الجماعة في البيعة ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بَدْر
ليُبايعوا . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فبايعوا ، ثم بايعه المهاجرون
والأنصار ، ثم بايعه الناس . وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة
سنة خمسٍ وثلاثين ، وكان أولَ مَنْ بايع طلحةً ، فكانت إصبغه سِلاءً ، فتطير
منها عليّ ، وقال : ما أخلقه أن يَنْسَكُ . فكان كما قال عليّ رضي الله عنه . ١٥

نسب علي بن أبي طالب وصفته

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمّه فاطمة
بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته ، كان أصلع بطيماً حَمْشاً^(٣) الساقين .

(١) هذا البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها :

٢٠ خليلى صرايى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المغلب
(انظر العقد الثمين ص ١١٦ — ١١٧ طبعة أوربة) .

(٢) هذا البيت من أبيات للممزق العبدى قالها لعمر بن هند . (انظر ج ٢ ص ١٦٣
— ١٦٤ من هذه الطبعة) .

(٣) حش الساقين : دقيقهما .

صاحب شُرطته مَعْقِل بن قيس الرِّياحى ، ومالك بن حَبِيب اليزْجى ، وكاتبه سعيد بن نمران^(١) ، وحاجبه قُنْبَر ، مولاة . وقُتِل يوم الجمعة بالكوفة ، وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصبح ، لسبع بقين من شهر رمضان ، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، صَلَّى عليه ولده الحسن ، ودُفِن بِرَحْبَةِ الكوفة ، ويقال في الحِيف^(٢) الحيرة ، ومُعَمَّى قبره . واختُلف في سنه ، فقال الشعبي : قُتِل على رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ووُلِدَ على بمكة في شعب بنى هاشم .

فضائل على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

أبو الحسن قال : أسلم على وهو ابنُ خمس عشرة سنة ، وهو أول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله . ٢٧٥
١٠

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : مَنْ كَفَتْ مولاة فعلى مولاة . اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه . وقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَتَّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ وبهذا الحديث سَمَّتِ الشَّيْعَةُ عَلَى بن أبى طالب الوصى ، وتأولوا فيه أنه أستخلفه على أمته إذا جعله منه بمنزلة هارون من موسى ؛ لأنَّ هارون كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحُمَيْرى رحمه الله تعالى :

إني أدينُ بما دانَ الوصِيُّ به وشاركتُ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِينَا

وجمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمةَ وعليّاً والحسنَ والحسينَ فألقى عليهم كساءه وضمَّهم إلى نفسه ثم تلا هذه الآية : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . فتأولت الشيعة الرِّجْسَ ها هنا بالخوض في غمرة^(٣) ٢٠

(١) كذا في الطبرى . والذي في الأصول هنا : « سعد بن مهران » . وانظر الحاشية

(رقم ٢ ص ١٦٤) من هذا الجزء .

(٢) اللحن (بالكسر) : الصقع . (٣) في بعض الأصول : « في عشرة » .

الدُّنْيَا وَكُدُورَتِهَا^(١). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: لِأَعْيُنِ الرَّايَةِ غَدَاً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا يُمَسِّسِي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ. فَدَعَا عَلِيًّا، وَكَانَ أَرْمَدًا، فَتَفَلَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ قِهِ دَاءَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. فَكَانَ يَلْبَسُ كُسُوتَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَكُسُوتَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَلَا يَضُرُّهُ.

٥ أبو الحسن قال: ذُكِرَ عَلِيٌّ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وَلَا رَأَيْتُ أَمْرَأَةً كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَأَتِهِ.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: أَنَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمِّهِ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَذَّابٌ.

١٠ الشَّعْبِيُّ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلَ الْمَسِيحِ بِنِ مَرْيَمَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَحَبَّهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي حُبِّهِ، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي بُغْضِهِ.

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهَا خَيْرٌ مِنْهُمَا.

١٥ أبو الحسن قال: كَانَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَسِّمُ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ حَتَّى لَا يُبْقِيَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ يُفْرِشُ^(٢) لَهُ وَيَقِيلُ فِيهِ. وَيَتِمَّمَلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَيَّ فِيهِ^(٣)

كَانَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ وَنَظَرَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ قَالَ:

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «وَلِنَاتِهَا». (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «يَرِشُ». (٣) هَذَا مِثْلُ، وَأَوَّلُ مِنْ تَكَلَّمَ بِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ جَذِيمَةَ أَمْرَ النَّاسِ أَنْ يَجْتَنُوا لَهُ السُّكْمَةَ، فَسُكِّلَ مِنْ وَجَدَ خِيَارًا آثَرَهُ نَفْسَهُ إِلَّا عَمْرًا. يَقُولُ: هَذَا مَا اجْتَنَيْتَهُ وَلَمْ آخِذْ لِنَفْسِي خَيْرَ مَا فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ مَائِلَةٌ إِلَيْهِ بِأَكْلِهِ. (انظر فرأيد اللآلي ج ٢ ص ٣٤٩).

٢٥

أَبِيضَى وَأَصْفَرَى وَغُرَى غَيْرِي إِنِّي مِنْ اللَّهِ بِكُلِّ خَيْرٍ

ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصرى فقال : يا أبا سعيد ، إنهم يزعمون أنك تبغض علياً . قال : فبكى الحسن حتى أخضلت لحيته ، ثم قال : كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من سراى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالثومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا اللولة^(١) فى ذات الله ، ولا السروفة لمال الله . أعطى القرآن عزائمهم ففاز منه برياض مؤنقة [وأعلام بيّنة] ، ذلك على بن أبى طالب يا كعم .

يوم الجمل

١٠ أبو اليمّظان قال : قدّم طلحة بن عبّيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهم الناس بأعلى الرّيد ، حتى لو رموا بحجر ما وقع إلا على رأس إنسان ، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة ، وكثر الالغظ ، فجعل طلحة يقول : أيها الناس ، أنصتوا . وجعلوا يركبونه ولا ينصتون . فقال . أف أف ! فرأى نار ، وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الأنصارى عامل على بن أبى طالب على البصرة ، فخرج إليهم فى رجاله ومن معه ، فتوقفوا حتى زالت الشمس ، ثم أصطلحوا ، وكتبوا بينهم كتاباً أن يكفوا عن القتال حتى يقدم على بن أبى طالب ، واعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال ، فكفوا . ووجه على بن أبى طالب الحسن أبنه وعمّار بن ياسر إلى أهل الكوفة يستنفرانهم ، فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال لهم عمّار : أما والله إنى لأعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبّعوها . وخرج على فى أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . وراية على مع ابنه محمد

(١) فى بعض الأصول : « اللومة » . وانظر (ج ٢ ص ٢٢٩) من هذه الطبعة .

ابن الحنفية ، وعلى ميمنته الحسن ، وعلى ميسرته الحسين ، وعلى الخليل عمار بن ياسر ، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر ، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس . ولواء^(١) طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام ، وعلى الخليل طلحة بن عبيد الله ، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير . فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس . وكانت الواقعة يوم الجمعة .

وقالوا : لما قدم علي بن أبي طالب البصرة قال لأبن عباس : أنت الزبير ولا تأت طلحة ، فإن الزبير أئبن ، وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً بقرنه يركب الصعوبة ، ويقول : هي أسهل ، فأقرنه السلام ، وقُل له : يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز ، وأنكرتنى بالعراق ، فما عدا ما^(٢) بدا ؟ قال ابن عباس : فأئبته فأبلغته . فقال : قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ، ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة ، وأنفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العشيرة ، ونشر المصاحف ، نُحِل ما أحلت ، ونُحَرِّم ما حَرَّمت .

وقال علي بن أبي طالب : ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنّا .

وقال طلحة لأهل البصرة وسألوه عن بيعة علي فقال : أَدْخَلُونِي فِي حُسٍّ نَمَّ وَضَعُوا اللَّحْجَ عَلَى قَفِي فَقَالُوا : بَايِعْ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ . قوله : اللج ، يريد السيف ، وقوله : قفي ، لغة طيبي ، وكانت أمه طائية .

وخطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل فقالت : أيها الناس ، صه صه ، كأنما قطعت الأسن في الأفواه . ثم قالت : إن لي عليكم حرمة الأمومة ، وحق^(٣) الموعدة ، لا يتهمني إلا من عصي ربه . مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، وأنا إحدى نسائه في الجنة ، له ادخرنى ربي وسأني^(٤) من كل

(١) في بعض الأصول : « وأبو » . (٢) في بعض الأصول : « مما » .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٢٨) من هذا الجزء .

(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٩) من هذا الجزء .

بُضِعَ^(١) ، وبي مَيَزَ بين مُنَافِقِكُمْ ومُؤْمِنِكُمْ ، وبي أَرَخَصَ لَكُمْ في صَعِيدِ الأَبْوَاءِ^(٢) .
 ثم أبي ثَالِثُ ثَلَاثَةِ من المُؤْمِنِينَ وثَانِي أثنِينَ في الغَارِ ، وأول من سُمِّيَ صِدِّيقًا . مَضَى
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطَوَّقَهُ طَوَّقَ^(٣) الإمامة . ثم أَضْطَرَبَ
 حبلُ الدينِ فَمَسَكَ أبي بَطْرَفِيه ، ورتقَ لِسْمَ أثنَاءه^(٤) ، فَوَقَمَ^(٥) النِّفَاقَ ، وَأَغَاضَ نَبِيحَ
 الرِّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ مَا حَشَتِ^(٦) يَهُودَ ، وَأَنتم يَوْمَئِذٍ جُحِظَ العيونُ ، تَنْظُرُونَ العَدُوَّةَ^(٧) ،
 وتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأْيَ^(٨) ، وَأَوذَمَ العَطَلَةَ^(٩) ، وَأَنْتَاشَ^(١٠) من الهُوَّةِ ،
 وَأَجْتَحَى^(١١) دَفِينِ الدَّاءِ ، حَتَّى أُعْطِنَ الوَارِدَ^(١٢) ، وَأُورِدَ الصَّادِرَ ، وَعَلَّ
 النَّاهِلَ ، فَتَمَبَّضَهُ اللهُ واطِئًا على هَامَاتِ النِّفَاقِ ، مُذْ كِيًّا نَارَ الحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ .
 وَأَنْتَظَمْتَ طَاعَتَكُمْ بِحَبْلِهِ . ثم وَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مَرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدًا

- ١٠ (١) كَذَا في بلاغات النساء ، أى من كل نكاح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
 بكراً من بين نسائه . والذي في الأصول : « بضاعة » .
 (٢) تغير إلى حديث الإفك ونزول الوحي ببراءتها ، فيه تمييز المؤمنون الذين وثقوا من
 براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها .
 (٣) في بلاغات النساء : « وهف » مكان « طوق » والوهف : الثقل . وفي لسان
 العرب (ماده وهف) : « قلده رسول الله صلى الله عليه وسلم وهف الأمانة .
 ١٥ وفي رواية : وهف الدين . أى قلده القيام شرف الدين بعده ... وقيل وهف
 الأمانة ، ثقلها » .
 (٤) كَذَا في بعض الأصول وبلاغات النساء . والرتق : ضد الفتق . وأثناء الشيء :
 قواه . والذي في سائر الأصول : « وزين له أفياءه » .
 (٥) وقه : قهره وأذله . وفي بلاغات النساء : « وقذه » . والوقذ : السكسر والدفع .
 ٢٠ (٦) حش النار : أوقدها .
 (٧) العدوثة : الوثبة . وفي الأصول : « النفرة » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء .
 وانظر الحاشية (رقم ٨ ص ١٢٩) من هذا الجزء .
 (٨) رأب : أصله . والثأى (بالفتح والتحرير) : الإفساد .
 (٩) العطلة (كفرحة) من الدلاء : التى انقطع وذمها ، وهى السيور بين آذان الدلو
 ٢٥ والعراقي . وأوذمها : شدها . وفيها صر من هذا الجزء (ص ١٢٩) : « وأود
 من الغلظة » .
 (١٠) انتاش : أخرج .
 (١١) اجتحنى : استأصل .
 ٣٠ (١٢) أعطن الوارد : حبس لإبله عن الماء . وهذا كناية عن تأمين السبل .

ما بين اللابتين^(١) إذا ضل ، عرُوكة للأذاة بجنبه^(٢) ، يقظان الليل في نصره الإسلام ، فسلك مسلك السابقين ، ففرق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نصب المسألة عن مسيرى^(٣) هذا . لم أتمس إثمًا ، ولم أؤرث^(٤) فتنة أوطسكوها . أقول قولي هذا صدقًا وعدلا ، وإعذارًا وإنذارًا^(٥) ، وأسأل الله أن يُصلي على محمد وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

٥

٣٧٧
٣

وكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين إذ عنمت على الخروج يوم الجمل : من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، إنك^(٦) سُدَّة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ، حجاب^(٧) مضروب على حرمتها . قد جمع القرآن ذلك فلا تندحيه^(٨) ، وسكَّرَ خفارتك فلا تبتذليها^(٩) . فالله من وراء هذه الأمة . لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك . أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة^(١٠) في البلاد^(١١) ، فإن عمود الدين^(١٢) لا يثبت بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهن

- (١) اللابتان : مثنى اللاية ، وهي الحرة . تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس .
 (٢) العرُوك : الدلك . ويقال : عرُوك بجنبه ما كان من صاحبه ، كأنه حكك حتى عفا .
 (٣) تصفه بالاحتمال .
 (٤) أى أنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لم خرجت .
 (٥) أؤرث : أشعل وأوقد .
 (٦) فى بعض الأصول : « وتعذيرا » .
 (٧) فى بعض الأصول : « فقد هتكت » مكان « إنك سدة » وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .
 (٨) فى بلاغات النساء : « حجابك » .
 (٩) فلا تندحيه ، أى لا توسعيه بخروجك إلى البصرة . وفى بعض الأصول : « ذبولك فلا تسحبها » .
 (١٠) كذا فى الأصول . وسكَّر : حبس . ومنه قوله تعالى : « سكرت أبصارنا » أى حبست عن النظر ، أو غطيت وغشيت . وفى بلاغات النساء ولسان العرب (مادة عقر) : « وسكن الله عقيرك فلا تصحريها » أى أسكنك الله بيتك وعقارك وسترك فيه فلا تبرزيه . والعقير : مصغر مشتق من عقر الدار .
 (١١) الفراطة : التقدم . (١٢) فى بعض الأصول : « فى الدين » .
 (١٣) فى الأصول : « الدين » . وما أثبتنا من بلاغات النساء .

٣٥

إن أنصدع؟ جهاد النساء غرض الأطراف، وضمّ الذئبول، وقصر الموادة. ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصّة^(١) فعودا، من منهل إلى منهل؟ وغداً تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة، ادخلي الجنة، لاستحييت أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجاباً ضرب به علي. فاجعليه سترك، وقاعة البيت حصنك؛ فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم. ولو أني حدثتكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتني^(٢) نهش الحية الرقشاء المطرقة. والسلام.

فأجابها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فأقبلني لو عظك، وأعرفني لحق نصيحتك، وما أنا بمعمرة^(٣) بمد تعريج، ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فمتين متشاجرتين من المسلمين، فإن أقعد فعم غير حرج، وأن أمض فإلى ما لا غنى بي عن الأزد ياد منه. والسلام.

وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان إذ قدمت البصرة: من عائشة أم المؤمنين إلى أبنها الخالص زيد بن صوحان، سلام عليك. أما بعد، فإن أباك كان رأساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلّي من السابق، يقال كاد أو لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان، ونحن قادمون عليك، والعيمان أشفي لك من الخبر. فإذا أتاك كتابي هذا فتنبّط الناس عن علي بن أبي طالب، وكُن مكانك حتى يأتيك أمرى، والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين. سلام عليك، أما بعد، فإنك أمرت بأمر وأمرنا بغيره، أمرت أن تقرّي في بيتك، وأمرنا

(١) القعود (بالفتح): من الإبل يقتعهه الراعي في كل حاجة. وناصة: اسم فاعل

من النصب، وهو أن تستخرج من الناقة أفضى سيرها.

(٢) في بعض الأصول: «نهشت». وما أثبتنا من سائر الأصول والإمامة والسياسة.

(٣) الاحتمار: الزيارة. تريد أنها ليست راجعة عما عزمتم عليه.

أَنْ تُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً . فَتَرَكْتِ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَكُتِبَتْ تَنْهِينَا
عَمَّا أَمَرْنَا بِهِ ، وَالسَّلَامُ .

- وخطب على رضى الله عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذ أقبلوا إليه مع
الحسن بن علي فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على
سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، أما بعد . فإن الله بعث محمداً صلى الله
عليه وسلم إلى الثقلين كافة ، والناس في أخلاف ، والعرب بشر المنازل ،
مُسْتَضْعَفُونَ لِمَا بِهِمْ ، فَارَابَ اللَّهُ بِهِ الثَّمَى ، وَلَأْمٌ بِهِ الصَّدْعُ ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتَقُ ،
وَأَمَّنَ بِهِ السَّبِيلُ ، وَحَتَمَنَ بِهِ الدَّمَاءُ ، وَقَطَعَ بِهِ الْعِدَاةَ الْمَوْغِرَةَ^(١) لِلْقُلُوبِ ، وَالضَّغَائِنَ
الْمُشْحِنَةَ^(٢) لِلصُّدُورِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَشْكُوراً سَمِيحاً ، مَرْضِيّاً عَمَلَهُ ، مَغْفُوراً
ذَنْبَهُ ، كَرِيماً عِنْدَ اللَّهِ نُزْلَهُ . فَيَا هَا مِنْ مُصِيبَةٍ عَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَصَّتِ الْأَقْرَبِينَ .
وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ فَسَارَ فَيُنَا بَسِيرَةَ رِضَا ، رَضِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ . ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ فَسَارَ بَسِيرَةَ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ثُمَّ وَلِيَ عُثْمَانُ فَنَالَ مِنْكُمْ وَنَلِمَ مِنْهُ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
مَا كَانَ ، أَنْتَمُوهَ فَمَقْتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَنْتَمُومَنِي فَمَقْتَلْتُمَنِي : لَوْ بَايَعْتُمَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ ،
وَقَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعْتُمْ كَفِّي فَجَذَبْتُمُوهَا ، وَقُلْتُمْ : لَا نَرْضَى إِلَّا
بِكَ ، وَلَا نَجْتَمِعُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَتَرَاكُمُ عَلَى تَرَاكِمِ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ
وُرُودِهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ قَاتِلِي وَأَنْ بَعْضَكُمْ قَاتِلِي بَعْضاً ، فَيَا بَعْثُمُونِي ،
وَيَا بَعْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، ثُمَّ مَا لَبِثْنَا أَنْ أَسْتَأْذِنَانِي إِلَى الْعُمْرَةِ . فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ
فَقَاتَلَا بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَفَعَلَا بِهَا الْأَفَاعِيلَ ، وَهَمَا يَعْلَمَانِ وَاللَّهُ أَنِّي لَسْتُ بِدُونَ مَنْ
مَضَى ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطْعَا قَرَابَتِي ، وَنَكْثَا بَيْعِي ،
وَأَلْبَا عَلَى عَدَوِي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكَمْ لَهَا مَا أُرْمَا ، وَأَرِهَا الْمَسَاءَةَ فَيَا عَمَلَا .
وَأُمَلِي عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ عَنِ مَسْلَمَةَ^(٣) بَنِي مُحَارِبٍ عَنِ دَاوُدَ عَنِ أَبِي هِنْدَ عَنِ أَبِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْوَاغِرَةُ » .

(٢) الْمَشْحِنَةُ ، أَى الْمَوْغِرَةُ ؛ يُقَالُ : شَحَنَ عَلَيْهِ ، كَفَرَحَ : إِذَا حَقَسَدَ . وَفِي بَعْضِ

الْأَصُولِ : « الْمَحْشِنَةُ » . مِنْ الْحَشْنَةِ (بِالْكَسْرِ) : الْحَقْدُ .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « سَلَمَةُ » . وَمَا أَثْبَتْنَا عَنِ الطَّبْرِيِّ .

حَرَبَ عَنْ أَبِي الْأَسودِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عِمْرانِ بْنِ حُصَيْنٍ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْنَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرِينَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا . عَهْدُ عَهْدِهِ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَمْ رَأَى رَأْيَيْهِ ؟ قَالَتْ : بَلِ رَأَى رَأْيَيْهِ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، إِنْ نَقَمْنَا عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِالسَّوْطِ ، وَمَوْعِ الْمَسْحَاةِ الْمُحْمَاةِ ، وَإِمْرَةَ سَعِيدِ وَالْوَلِيدِ^(١) ، فَعَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَأَسْتَحْلَلْتُمْ مِنْهُ الثَّلَاثَ الْحَرَمَ : حُرْمَةَ الْبَلَدِ وَحُرْمَةَ الْخِلَافَةِ وَحُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بَعْدَ أَنْ مُضْتَمَّوهُ كَمَا يُمَاصُّ^(٢) الْإِنَاءَ ، فَغَضَبْنَا لَكُمْ مِنْ سَوْطِ عُثْمَانَ ، وَلَا نَغْضَبُ لِعُثْمَانَ مِنْ سَيْفِكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَنْتِ وَسَيْفُنَا وَسَوْطُ عُثْمَانَ ، وَأَنْتِ حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْرُكَ أَنْ تَقْرَرِي فِي بَيْتِكَ فَجِئْتِ تَضْرِبِينَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ! قَالَتْ : وَهَلْ أَحَدٌ يَقَاتِلُنِي أَوْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَتْ : وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ هَلْ أَنْتِ مُبْلِغٌ عَنِّي يَا عِمْرانُ ؟ قَالَ : لَسْتُ مُبْلِغًا عَنْكَ حَرَفًا وَاحِدًا . قُلْتُ^(٣) : لَسَكُنِّي مُبْلِغٌ عَنْكَ ، فَهَاتِي مَا شِئْتِ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ اقْتُلْ مُذَمِّمًا قِصَاصًا بِعُثْمَانَ ، وَأَرْمِ الْأَشْرَ بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِكَ لَا يُشْوِي ، وَأَذْرِكْ عِمَارًا بِخَفَرِهِ بِعُثْمَانَ^(٤) .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ حُصَيْنٍ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ ، فَأَنْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَرَى هَذَا^(٥) إِلَّا مَقْتُولًا ، فَمَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ كَمَا تَرْضِيَانِهِ لِي ؟ قَالَا : نَأْمُرُكَ بِعَلِيٍّ . قُلْتُ : فَتَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِهِ لِي ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ وَبِهَا عَائِشَةُ

(١) سعيد ، هو ابن العاص . والوليد ، هو ابن عقبة . وقد وليا الكوفة لعثمان ، وليها الوليد ثم وليها سعيد فأتيا ما أنكره الناس عليهما . (انظر مروج الذهب) .

(٢) الموس : غسل ابن ، والدلك ياليد . (وانظر ص ٢٩٢ من هذا الجزء) .

(٣) الضمير في قلت : « لوالد أبي الأسود » الذي خرج مع ابن حصين وابن حنيف إلى عائشة . وقد تقدم ذكره في أول هذا الخبر .

(٤) يقال : خفر به خفرا وخفورا ، إذا نقض عهده وغدره . (انظر القاموس مادة خفر) . وفي بعض الأصول : « بجيرته على عثمان » . وقد مر هذا الخبر عن عائشة (ص ٢٩٤) من هذا الجزء مع قليل من الاختلاف .

(٥) يريد عثمان بن عفان .

- أم المؤمنين ، فانطلقت إليها فقلت : مَنْ تأمريني أن أبايع ؟ قالت : علي بن أبي طالب .
 قلت : أتأمريني به وترضينه لي ؟ قالت : نعم . قال : فمررتُ على علي بالمدينة
 فبايعته ، ثم رجعتُ إلى البصرة ، وأنا أرى أن الأمر قد أستقام ؛ فإراعنا إلا
 قدومُ عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة^(١) . قال : فقلت :
 ما جاء بهم ؟ قالوا : قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان ، إنه قُتل مظلوما .
 قال : فأتاني أفضح أمر لم يأتني قط . قلت : إن خذلان هؤلاء ومهمهم أم المؤمنين
 وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإن قتال ابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعد أن أمروني ببيعته لشديد . قال : فلما أتيتهم قالوا :
 جئناك نستصرحك على دم عثمان ، قُتل مظلوماً . قال : فقلت : يا أم المؤمنين ،
 أنشدك الله ، أقلت لك : مَنْ تأمريني به وترضينه لي ، فقلت : علي ؟ قالت : بلى ،
 ولكن بدّل . قلت : يا زبير ، يا حواري رسول الله ، ويا طلحة ، أشدتنكما بالله ،
 قلت لكما : مَنْ تأمراني به وترضيانه لي ، فقلتما علي ؟ قالوا : بلى ، ولكن بدّل .
 قال : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل علياً ابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ولكن أختاروا مني إحدى ثلاث خصال : إما أن تفتحوا
 لي باب الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضى الله من أمره ما يقضى ، وإما
 أن ألحق بمكة فأكون بها ، أو أتحوّل فأكون قريباً ؟ قالوا : نأتمر ثم نرسل
 إليك . قال : فأتروا وقالوا : نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والمخاضل ،
 أو يلحق بمكة فيفحشكم في قريش ويخبرهم بأخباركم ، اجعلوه هاهنا قريباً حيث
 تنظرون إليه . فأعزل بالجلحاء ، من البصرة على فرسخين ، واعتزل معه زهاء
 ستة آلاف من بني تميم .

مقتل طلحة

أبو الحسن قال : كانت وقعة الجمل يوم الجمعة في النصف من مجادى الآخرة ،

(١) الخريبة (بلفظ التصغير) : موضع بالبصرة ، وعنده كانت وقعة الجمل بين علي
 وعائشة . (انظر معجم البلدان) .

التقوا فكان أول مَضْرُوعٍ فِينَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَاهُ سَهْمٌ غَرَبٌ ^(١) فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَمْسَكُوهُ فَتَرَ الدَّمَّ ، وَإِذَا تَرَكَوهُ أَنْفَجَرَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أتركوه ، فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ .

حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ السَّكْمِيِّ ^(٢) لَمَّا طَلَبْتُ ^(٣) رِضَاءَ بَنِي حَزْمٍ ^(٤) بِزَعْمِي
اللَّهُمَّ خذْ مَنِّي لِعِثْمَانَ حَتَّى يَرْضَى .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبه قال : لما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طائفة بن عبيد الله قال : لا أنتظر بعد اليوم بشأري في عثمان ، فانتزع له سهماً ^(٥) فقتله .

ومن حديث سفيان الثوري قال : لما أنقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاة وببده شمعة يتصفح وجوه القتلى ، حتى وقف على طلحة بن عبيد الله في بطن وادٍ متعفراً ، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : أعز علي يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية ، إنا لله وإنا إليه راجعون . شققت نفسي وقتلت معشري ، إلى الله أشكو مجرى ومجرى ^(٦) . ثم قال : والله إني لأرجو أن أكون أنا وعمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وإذا لم نسكن نحن فمن هم ؟

(١) سهم غرب ، بالإضافة وفتح غرب ومجرك ، وسهم غرب ، نعنا : أي لا يدري راميه .

(٢) السكمي الذي يضرب به المثل في الندامة ، رجل رام رمى بعد أن أسدف الليل

غيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، وقيل قطع لإصبعه ، ثم ندم من الغد

حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) في بعض الأصول : « شريت » . وما أثبتنا من سائر الأصول والرواج (ج ٢ ص ١١) .

(٤) في بعض الأصول « جرم برغمي » .

(٥) انتزع له سهماً : رماه به . وفي بعض الأصول : « فانتزعه بسهم » .

(٦) عجره وبجره : عيوبه وأحزانه ، وما أبدى وما أخفى .

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مُطَرِّف : أن علي بن أبي طالب أجاس
طلحة يوم الجمل ومسح العُبار عن وجهه وبكى عليه .

ومن حديث سُفيان : أن عائشة بنت طلحة كانت ترى في نومها طلحة ،
وذلك بعد موته بمشرين يوماً^(١) ؛ فكان يقول لها : يا بُنية ، أخرجيني من هذا
الماء الذي يؤذيني . فلما أنتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبتشته ، فوجدته
صحيحاً كما دُفن لم تنحسر له شعرة ، وقد اخضر جنبه كالمسلق من الماء الذي
كان يسيل عليه ، فلغته في الملاحف وأشرت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها ، وبنت
حوله مسجداً . قال : فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان
فتصبها على قبره حتى تفرغها ، فلم يزل يفعل ذلك حتى صار تراب قبره
مشكاً أذفر .

١٠

ومن حديث الخشني قال : قال لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل
وجدوا في تركته ثمانمائة بهار من ذهب وفضة . والبهار : مزود من جلد بحل^(٢) .
وقع قوم في طلحة عند علي بن أبي طالب فقال : أما والله إن قاتم فيه
إنه لكما قال الشاعر :

١٥ فتي كان يذنيه الغني من صديقه إذا ما هو أستغنى ويبعده الفقر
كان الثريا علقت في يمينه وفي خده الشعري وفي الآخر البدر

مقتل الزبير بن العوام

شريك عن الأسود بن قيس قال : حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقص
الحيل بالرمح قعصا ، فدو به علي : أبا عبد الله ، أذكر يوماً أتانا النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا أناجيك فقال : أتناجيه ! والله ليقاتنك وهو ظالم لك . قال :
٢٠ فصرف الزبير وجهه دابته وأنصرف .

(١) في بعض الأصول : « سنة » .

(٢) قال ابن منظور مادة (بهر) : البهار (بالضم) : شيء يوزن به ، وهو ثمانمائة رطل .

ثم ساق هذا الكلام . فقال : « إن ابن الصعبة ، يعني طلحة بن عبيد الله — كان

٢٥ يقال لأمه الصعبة — ترك مائة بهار ، وفي كل بهار ثلاثة قناطير ذهب وفضة . فجعله وعاء » .

قال أبو الحسن : لما أنحاز الزبير يوم الجمل مر بماء لبني تميم ، فقيل
للأحنف بن قيس : هذا الزبير قد أقبل . قال : وما أصنع به أن جمع بين
هذين الغزيين^(١) وترك الناس وأقبل — يريد بالغزيين^(١) المعسكرين — وفي مجلسه
عمرو بن جرموز المجاشعي ، فلما سمع كلامه قام من مجلسه وأنبهه حتى وجده
بوادى السباع نائماً فقتله ، وأقبل برأسه إلى علي بن أبي طالب . فقال علي : أبشر
بالنار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار .
فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول :

أتيتُ عليّاً برأس الزبير وقد كنتُ أحسبها زُفماً
فبشّر بالنار قبل العيان فبئس بشارة ذى التحفه

ومن حديث ابن أبي شيبه قال : أقبل رجلٌ بسيف الزبير إلى الحسن بن
علي ، فقال : لا حاجة لي به ، أدخله إلى أمير المؤمنين . فدخل به إلى علي ، فنأوله
إياه وقال : هذا سيف الزبير . فأخذه علي ، فنظر إليه ملياً ثم قال : رحم الله
الزبير . لطالما فرّج به السكر عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت
أمرأة الزبير^(٢) ترثيه :

عَدْر ابنُ جُرموزِ بفارسِ بهمة^(٣) يومَ الهياجِ وكانَ غيرَ مُعدِّدٍ
يا عمرو لو نَهَمْتَهُ لوجدته لا طائشاً رَعِشَ الجَنانِ ولا اليدِ
تُكَلِّمُكُ أمكُ أن قَتَلتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المِثْمَدِ

وقال جرير ينعى على ابن مجاشع قتل الزبير رضي الله تعالى عنه :

إني تُدَكِّرُنِي الزبيرَ حاميةً تَدْعُو ببطنِ الواديين^(٤) هَدِيداً^(٥)

(١) الغزي : جمع غاز . وفي بعض الأصول « الغازين » .

(٢) هي عائكة بنت زيد بن نفيل ، أخت سعيد بن زيد .

(٣) فارس بهمة : لا يثنى عن شيء . أرادته .

(٤) كذا في الأصول . والذي في الأغاني وديوان جرير ومعجم البلدان في رسم « النخلتين »

« تدعو بجمع نخلتين » . والنخلتان : عن عيين بستان ابن عامر ، لإحداها النخلة

العمالية . والذي في السكامل للمبرد : « تدعو بأعلى الأيكنتين » .

(٥) الهديل : فرخ تزعج الأعراب أنه كان في عهد نوح عليه السلام مات عطشا فلا زالت

الحمائم يتدبنته .

قالت قريش ما أذلَّ مجاشعاً جاراً وأكرمَ ذا القتيلَ قتيلاً .
لو كنتَ حرّاً يا ابنَ قَيْنِ^(١) مجاشعِ شِيعتِ ضيفك فرسخاً أو ميلاً
أفبعد قتلَك^(٢) خليلَ محمدٍ تَرجو القيون^(٣) مع الرسولِ سبيلاً^(٤)

- هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : دعاني أبي يومَ الجمل
فعمتُ عن يمينه ، فقال : إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وما أراني إلا
سأقتل مظلوما ، وإن أكبر همي ديني ، فبيع مالي ثم أقض ديني ، فإن فضل
شيء فثلثه لولدك ، وإن عجزتَ عن شيء يا بُني فاستعين مولاي . قلت : ومن
مولاك يا أبت ؟ قال : الله . قال عبدُ الله بن الزبير : فوالله ما بقيتُ بعد ذلك
في كربة من دينه أو عُسرة إلا قلت : يا مولى الزبير ، أقض عنه دينه ، فيقضيه .
قال : فقتل الزبير ونظرتُ في دينه فإذا هو ألف ومائة ألف . قال : فبيعت
١٠ ضيعةً له بالغابة^(٥) بألف ألف وستائة ألف ، ثم ناديتُ : من كان له قبل الزبير
شيء فليأتنا نقضه . فلما قضيتُ دينه أتاني إخوتي فقالوا : أقسم بيننا ميراثنا .
قلت : والله لا أقسم حتى أنادي أربع سنين بالموئس : من كان له على الزبير
شيء فليأتنا نقضه . قال : فلما مضت الأربع السنين أخذت الثلث لولدي ، ثم
١٥ قسمتُ الباقي . فصار لكل امرأة من نسائه — وكان له أربع نسوة — في ربيع
الثلثم ألف ألف ومائة ألف . فجميع ما ترك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف .
ومن حديث ابن أبي شيبَةَ قال : كان عليٌّ يُخرج مُناديه يوم الجمل يقول :
لا يسلبن قتيلاً ، ولا يُتبع مُدبر ، ولا يُجهز على جريح .

(١) في بعض الأصول « قيس » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان .
٢٠ (٢) في الكامل : « مترككم » . وفي لسان العرب مادة سبل : « مقلكم »
(٣) في بعض الأصول : « العيون » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان والكامل
ولسان العرب .
(٤) سبيلاً ، أى سبياً ووصلة .
(٥) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة . (انظر معجم
البلدان) .

قال . وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف في عنقه ، فجعل يندشره بين الصفيين ويُنَاشِدُ الناس في دِمَائِهِمْ ، إذ أتاه سَهْمٌ فقتله وهو في تلك الحال لا يدري مَنْ قَتَلَهُ .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل للأشتر ، وهو مالك بن الحارث ، وكان على اليمينة : احمل . فحمل ، فكشفت من بإزائه . وقال لهاشم بن عتبة ، أحد بني زُهرة بن كلاب ، وكان على الميسرة : احمل . فحمل ، فكشفت من بإزائه . فقال علي لأصحابه : كيف رأيتم ميسرتي وميمينتي !

ومن حديث الجمل^(١)

الخشي عن أبي حاتم السجستاني قال : أنشدني الأصمعي عن رجل شهيد الجمل يقول^(٢) :

شهدت الحروب وشيبتني فلم ترَ عيني كيوم الجمل
أضرت^(٣) على مؤمنٍ ففتنةً وأفتك منه نخرق بطل^(٤)
فلت الطعينة في بيتها وليتك عسكر لم ترَ تحل

ابن مُنيّة^(٥) وهبه لعائشة وجعل له هودجاً من حديد ، وجّهز من ماله خمسمائة فارس بأسلحتهم وأزودتهم . وكان أكثر أهل البصرة مالا . وكان علي بن

(١) في بعض الأصول : « الجبلي » . تحريف .

(٢) روى المسعودي في الكلام على يوم الجمل هذه الأبيات لامرأة من عبد القيس خرجت تطوف بين القتلى فوجدت ابنين لها قتلا ، ولداً كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة .

(٣) كذا في المروج وفي الأصول : « أثير » .

(٤) الحرق (بالكسر) : السخي والفتى الحسن الكريم الخليفة . ورواية هذا الشطر في المروج : * وأفتله لشجاع بطل *

(٥) في الأصول : « منبه » تحريف (انظر المعارف والطبرى والمشتبه) . ومنيّة ، أمه . وهي منية بنت الحارث بن جابر ، من بني مازن . وقد مر ذكره في الجزء الأول من هذه الطبعة (س ٢٩٩ - ٣٠٠) .

أبي طالب يقول: بليت بأَنْضَ^(١) الناس وأنطق الناس وأطوع الناس في الناس .
يريد بأَنْضَ^(٢) الناس : يعلى بن مُنية ، وكان أكثر الناس ناضاً^(٣) ؛ ويريد
بأنطق الناس : طلحة بن عبيد الله ؛ وأطوع الناس في الناس عائشة أم المؤمنين .
أبو بكر بن أبي شيبه عن محمد بن عبيد الله عن التميمي قال : كانت
رايةُ علي يومَ الجمل سواداً ، وراية أهل البصرة كالجل .

الأعمش عن رجل سماه قال : كنت أرى علياً يومَ الجمل يحمل فيضرب
بسيفه حتى ينثني ، ثم يرجع فيقول : لا تلوموني ولوموا هذا ، ثم يعود ويقومه .
ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبه قال : قال عبد الله بن الزبير : التقيتُ
مع الأشر يومَ الجمل ، فما ضربته ضربةً حتى ضربني خمسة أو ستة ، ثم جرّ
برجلي فألقاني في الخندق ، وقال : والله لولا قُرْبُكَ من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اجتمع فيك عضو إلى آخر .

أبو بكر بن أبي شيبه قال : أعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير ،
إذ التقى مع الأشر يومَ الجمل ، أربعة آلاف .
سعيد عن قتادة قال : قُتل يومَ الجمل مع عائشة عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة
من بني ضبة .

وقالت عائشة : ما أنكرتُ رأسَ جملي حتى فقدتُ أصواتَ بني عدى^(٤) .
وقُتل من أصحاب علي خمسائة رجل ، لم يُعرف منهم إلا علباء^(٥) بن المهيم
وهند الجملي ، قتلهما ابنُ اليثرب^(٦) ، وأنشأ يقول :

- (١) أنض ، أي أكثر الناس ناضاً . والناس من المتاع : ما تحمّل ورثاً أو عيناً . وعن
الأصمعي : اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض . وفي بعض الأصول :
« أفضى » وما أثبتنا من سائر الأصول والمعارف .
(٢) في بعض الأصول « بأفضى » انظر الحاشية السابقة .
(٣) انظر الحاشية رقم ١ .
(٤) في الطبري : « ما زال رأس جملي معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي » .
(٥) كذا في الطبري ، وكذا جاء فيما مر (ج ٣ ص ٣٤٣ من هذه الطبعة) . وفي
اللسان (مادة جمل) : « علباء » دون ذكر أبيه . والذي في الأصول هنا : « عمار
ابن الحارث » . (٦) هو عميرة بن اليثرب .

إني لِمَنْ يجهلني ابنُ اليَثْرِبِيِّ^(١) قتلْتُ عليَّ^(٢) وهنَّدَ الجَلِيَّ^(٣)
عبدُ الله بنُ عَوْنٍ عن أبي رَجَاءٍ قال : لقد رأيتُ الجَلَّ حَيْثُ نَزِدُ وهو كظَهْرِ
القَنْفِذِ مِنَ النَّبْلِ ، ورجلٌ^(٤) من بني ضَبَّةٍ آخِذٌ بِخَطَامِهِ وهو يَقولُ :
نَحْنُ بَنُو ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الجَلِّ الموتُ أَحلى عِنْدَنَا مِنَ العَسَلِ
نَفَعَى ابنُ عَفَّانٍ بِأَطْرَافِ الأَسَلِ^(٥)

غُنْدَرٌ^(٦) قال : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عن عمرو بنِ مُرَّةٍ قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ
سَلَمَةَ ، وكان مع عليٍّ بنِ أبي طالبٍ يومَ الجَلِّ ، والحارثُ بنُ سُويدٍ ، وكان مع
طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ ، وتذاكرا وقعةَ الجَلِّ ، فقال الحارثُ بنُ سُويدٍ : والله ما رأيتُ
مثلَ يومِ الجَلِّ ، لقد أشرعوا رِمَاحَهُمْ في صُدُورِنا وأشرعنا رِمَاحَنا في صُدُورِهِمْ ،
ولو شاءتِ الرِّجالُ أن تَمَسَّحِي عليَّها لَمَسَّتْ ، يَقولُ هؤلاءُ : لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ،
ويقولُ هؤلاءُ : لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، فوالله لَوَدِدْتُ أني لم أشهد ذلكَ اليومَ ،
وأني أعمى مَقْطُوعُ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ . وقال عبدُ اللهِ بنُ سَلَمَةَ : والله ما يُسرِّتُني
أني غِيبْتُ عن ذلكَ اليومِ ولا عن مَشْهَدِ شَهيدِهِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ بِحُمُرِ النِّعَمِ .
عليٌّ بنُ عاصمٍ عن حُصَيْنٍ قال : حَدَّثَنِي أَبُو جُمَيْلَةَ البَكَّاءُ قال : إني لفي
الصَّفِّ مع عليٍّ بنِ أبي طالبٍ إذ عُقِرَ بِأَمِّ المُؤْمِنِينَ جَمَلُها ، فرأيتُ مُحَمَّدَ بنَ أبي بَكْرٍ

(١) انظر اللسان والجزء الثالث من هذه الطبعة (س ٣٤٣) في صدر البيت خلاف في الرواية .
(٢) في الأصول : « عمار » . انظر الحاشية (رقم ٥ س ٣٢٦ من هذا الجزء) .
(٣) هو هند بن عمرو . وزاد الطبري على هذا الرجز بيتا وهو :
* وابنا لصوحان على دين علي *
يريد زيد بن صوحان ، وكان ثالث من قتلهم ابن اليثربي في هذا اليوم .
(٤) اسم هذا الرجل الحارث . (انظر الطبري) .
(٥) في مروج الذهب :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل عثمان ردوه بأطراف الأسل
(٦) هو محمد بن جعفر البصري ، مولى هذيل . وغندر ، كجندب وقتنغذ : سمين ناعم ، وهو لقبه . وكان أكثر من السؤال في مجلس ابن جريج ، فقال له : ما تريد يا غندر ؟ فترجمه . (انظر المعارف والطبري والقاموس وشرحه مادة غندر) .

٥

١٠

٢٨٢
٧

١٥

٢٠

٢٥

وعمار بن ياسر يشددان بين الصفيين أيهما يسبق إليها ، فقطعا عارضة الرجل
وأحتملاها في هودجها .

ومن حديث الشعبي قال : من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة ،
فكذبه ، كان على وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية .

٥ أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن
أبي المغيرة عن ابن أزي قال : أنتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهى فى
الهودج ، فقال : يا أم المؤمنين ، أنشدك بالله ، أتعلمين أنى أتيتك يوم قتل عثمان
فقلت لك : إن عثمان قد قتل فما تأمرينى [به] . فقلت لى : الزم عليا ؟ فوالله
ما غير ولا بدّل . فسكتت . ثم أعاد عليها . فسكتت . ثلاث مرات . فقال :
١٠ اعقروا الجمل ، فمقروه . فنزلت أنا وأخوها محمد بن أبي بكر فأحتملنا الهودج
حتى وضعناه بين يدي على ، فسُرّ به ، فأدخل فى منزل عبد الله بن بديل .

وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان ، وظفر على بن أبي طالب دنا من
هودج عائشة ، فكلمها بكلام . فأجابته : ملسكت فأسجع . فجهزها على
بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة — وقال بعضهم : سبعين امرأة —
حتى قدمت المدينة .

١٥ عكرمة عن ابن عباس قال : لما انقضى أمر الجمل دعا على بن أبي طالب
بأجرتين فعلاهما ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب
البهيمة ، رجا فجتتم ، وعقر فهزتم ، نزاتم شر بلاد ، أبعدها من السماء ، بها
مغيض كل ماء ، ولها شر أسماء ، هى البصرة والبصرة والمؤتسكة وتدمر ،
٢٠ أين ابن عباس ؟ قال : فدُعيت له من كل ناحية ، فأقبلت إليه ، فقال : انت
هذه المرأة ، فلترجع إلى بيتها التى أمرها الله أن تقر فيه . قال : فجتت
فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لى ، فدخلت بلا إذن ومددت يدي إلى وسادة
فى البيت فجلست عليها . فقالت : تالله يا بن عباس ما رأيت مثلك ! تدخل

بيتنا بلا إذنا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت : والله ما هو بيتك ، ولا بيتك إلا الذي أمرك الله أن تقرى فيه فلم تفعل ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجع إلى بلدك الذي خرجت منه . قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذلك عمر بن الخطاب . قلت : نعم ، وهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب . قالت : أبيت أبيت . قلت : ما كان إباؤك إلا فواق ناقة بكيفة^(١) ، ثم صرت ما تحلين ولا تمرين^(٢) ، ولا تأمرين ولا تنهين . قال : فبكت حتى علا نحيبها . ثم قالت : نعم ، أرجع ؛ فإن أبغض البلدان إلى بلد أتم فيه . قلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمًا ، وجعلنا أباك لهم صديقًا . قالت : أئمن على رسول الله يا بن عباس ؟ قلت : نعم ، نعم عليك بمن لو كان منك بمنزلته منّا لمننت به علينا . قال ابن عباس : فأتيت عليًا فأخبرته ، فقبل بين عيني ، وقال : بأبي ذريرة بعضها من بعض والله سميع عليم .

ومن حديث ابن أبي شيبه عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب : أن قاضيًا من قضاة أهل الشام أتى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت رؤيا أفظعتني . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال : فمع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر على الشمس . قال عمر بن الخطاب : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فانطلق ، فوالله لا تعمل لى عملا أبدًا . قال : فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين .

أبو بكر بن أبي شيبه قال : أقبل سليمان بن صرد^(٣) ، وكانت له صحبة مع

٢٠ (١) الفواق (بضم الفاء وفتحها) : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحلب ثم تترك سوية يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب . ويقال : ما أقام عنده إلا فواقا ، أى قدر ما بين الحلبتين . والبكيفة من النوق : التي قل لبنها .

(٢) يقال : فلان ما يمر وما يحلى ، (مضارع أمر وأحلى) أى ما يتكلم بحلو ولا مر ، ولا يفعل فعلا حلوا ولا مرا . فإن نفيته عنه أن يكون مرا مرة وحلوا أخرى ، قلت : ما يمر وما يحلو (مضارع مر وحلا) .

(٣) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة . ومات في ربيع الآخر سنة خمس وستين . (انظر تهذيب التهذيب) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى علي بن أبي طالب بعد وقعة الجمل ، فقال له :
 تنأنا^(١) وتزحزحت وتربّصت ، فكيف رأيت الله صنع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
 إن الشوط بطين^(٢) ، وقد بقي من الأمور ما تعرف به عدوك من صديقك .

وكتب علي بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس بعد الجمل ، وكان والياً

- لعثمان على أذربيجان : سلام عليك ، أما بعد . فلولا هَنَات كُنَّ منك لسكنت
 أنت المُقَدَّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلَّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن
 اتقيت الله ، وقد كان من بيعة الناس إيأى ما قد بلغك ، وقد كان طلحة
 والزبير أول من بايعني ثم نكثا بيعة من غير حدّث ولا سبب ، وأخرجنا
 أمّ المؤمنين ، فساروا إلى البصرة ، وسرت إليهم فيمن بايعني من المهاجرين
 والأنصار ، فالتقينا ، فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه ، فأبوا ، فأبلغت
 في الدعاء وأحسنيت في البقيا ، وأمرت ألا يُذف^(٣) على جريح ولا يتبع مُنهزم
 ولا يُسلب قتيل ، ومن ألقى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن . واعلم أن عمك
 ليس لك بطُعْمَة ، إنما هو أمانة في عنقك ، وهو مال من مال الله ، وأنت من
 خزّاني عليه حتى تُؤديه إلى إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

- ١٥ فلما بلغ الأشعث كتاب علي قام فقال : أيها الناس ، إن عثمان بن عفان
 ولأني أذر بيجان فهلك ، وقد بقيت في يدي ، وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له
 واجبة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان ، وهو المأمون على من غاب
 من ذلك المجلس ، ثم جلس .

قولهم في أصحاب الجمل

- ٢٠ أبو بكر بن أبي شيبة قال : سُئِلَ علي عن أصحاب الجمل : أمشركون
 هم ؟ قال : من الشرك فرّوا . قال : فمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون
 الله إلا قليلاً . قال : فما هم ! قال : إخواننا بغيوا علينا .

(١) تنأنا : قصرت وبعزت . (٢) بطين ، أي بييد .

(٣) ذف على الجريح : أجهز .

وسرّ عليّ بقتلي الجمل فقال: اللهم اغفر لنا ولهم، ومعه محمد بن أبي بكر وعمار
ابن ياسر، فقال أحدها لصاحبه: أما تسمع ما يقول! قال: اسكُت لا يزيدك.
وكيع عن مسعر عن^(١) عبد الله بن زبّاح عن عمار قال: لا تقولوا: كُفّر
أهل الشام، واسكن قُولوا: فسقوا وظلموا.

وسئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل فقال: أما والله إنا لنعلم أنها
زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعونه أم تتبعونها.
وقال عليّ بن أبي طالب يوم الجمل: إن قوماً زعموا أنّ البغي كان
منا عليهم، وزعمنا أنه منهم علينا، وإنما اقتتلنا على البغي ولم نقتتل
على التكفير.

أبو بكر بن أبي شيبة قال: أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا:
ما أحلّ لنا دماءهم وحرّم علينا أموالهم! فقال عليّ: هي الشئنة في أهل القبلة.
قالوا: ما ندرى ما هذا؟ قال: فهذه عائشة رأس القوم، أنتسأهون عليها!
قالوا: سبحان الله! أمنا. قال: فهي حرام؟ قالوا: نعم. قال: فإنه يحرم من
أبنائها ما يحرم منها.

قال: ودخلت أم أوفى العبديّة على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها: يا أمّ
المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار. قالت:
فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟
قالت: خذوا بيد عدوة الله.

وماتت عائشة في أيام معاوية، وقد قاربت السبعين وقيل لها: تدفينين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا، إني أحدثت بعده حدثاً
فادفنوني مع إخوتي بالبقيع.

(١) في بعض الأصول: «مسعدة بن عبد الله... الخ». تحريف. فوكيع يروي
عن مسعر بن حبيب فيمن يروي عنه. كما يروي مسعر بن حبيب عن عمار بن
ياسر. (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦ وج ١٢ ص ١٢٣).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا أُمِّيراء ، كأنى بك تَنبِحك
كِلَابُ الحَوَّبِ^(١) . تقائلين علياً وأنت له ظالمة . والحوب ، بضم الحاء وثقليل
الواو ، وقد زعموا أن الحَوَّبَ ماء في طريق البصرة . قال في ذلك بعضُ الشيعة :

٢٨٤
٣

إني أدينُ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ وَبِئِى الوَصَى شَمِـودِهِمِ والغُيِّبِ

وَأنا البرىءُ من الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَمِنَ التِّي نَبَّحتُ كِلَابُ الحَوَّبِ

أخبار على ومعاوية

كتب على بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله ، وكان وجهه إلى معاوية
في أخذ بيعته ، فأقام عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة ، فكتب إليه على : سلام
عليك ، فإذا أتاك كتابي هذا فأحمل معاوية على الفصل ، وخيِّره بين حرب
مُجَلِيَّة ، أو سلمٍ مُحْظِيَّة^(٢) . فإن أختار الحربَ فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب
الخانثين ، وإن أختار السلمَ فخذُ بيعته وأقبل إلى .

وكتب على إلى معاوية بعد وقعة الجمل : سلامٌ عليك . أما بعد . فإن
بيعتي بالمدينة لزمتمك وأنت بالشام ، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان
على ما بُويعوا عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإعما
الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان
ذلك لله رضا ، وإن خرج عن أمرهم خارجٌ ردَّوه إلى ماخرج عنه ؛ فإن أبى
فأتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت
مصيراً . وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كرتهم^(٣) ،
فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما ، حتى جاء الحقُ وظهر أمرُ الله وهم كارهون .

(١) هذا غير ما ذكره ياقوت في معجمه واللسان والصحاح وفيها : « الحواب » بالهمز .
وذكره البكري في معجم ما استعجم فقال : « الحواب ، بزيادة همزة بين الواو والياء .
قال ابن الأنباري : وتخفف الهمزة ، فيقال : حوب . »

(٢) كذا في كتاب صفين . والذي في بعض الأصول : « معضلة ... مجزئة » . والذي
في سائر الأصول : « محربة » . (٣) في بعض الأصول : « كردهما » .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية . وقد
أكثر في قتلة عثمان ، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما
دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى ، حملتك وإياهم على كتاب الله . وأما
تلك التي تريدناها فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولعمري لئن نظرت بعقلك دون
هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل
لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن
عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه معاوية : سلام عليك . أما بعد ، فلعمري لو بايعك الذين
ذكرت وأنت بريء من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنك
أغريت بدم عثمان وخذلت الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت
شورى بين المسلمين . وإنما كان الحجازيون هم الحكماء على الناس والحق
فيهم ، فلما فارقوه كان الحكماء على الناس أهل الشام . ولعمري ما حجتك على
أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، ولا حجتك على كحجتك على طلحة
والزبير ، [إن] كانا بايعاك فلم أباعك أنا . فأما فضلك في الإسلام وقرابتك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلست أدفعه .

فكتب إليه علي : أما بعد . فقد أتانا كتابك ، كتاب أمرى . ايس له
بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجاب ، وقاده فأتبعه . زعمت أنك
إنما أفسد عليك بيعتي خفوري^(١) عثمان . ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين
أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على ضلالة
ولا ليضربهم بالعمى . وما أمرت فلزمته خطيئة الأمر ، ولا قتلت فأخاف

(١) يقال : أخفر الذمة ، إذا لم يف بها : والخفور ، هو الإخفار نفسه من قبل الخفر ،
من غير فعل . ويقال : خفرت ذمة فلان (البناء للجهول) خفورا ، إذا لم يوف
بها ولم تتم . وفي بعض الأصول : « خفري » .

على نفسى قصاص القتلى . وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلًا من أهل^(١) الشام يُقبَل في الشورى أو تحل له الخلافة ، فإن سميت كذبتك المهاجرون والأنصار . ونحن نأتيك به من أهل^(٢) الحجاز . وأما قولك : ادفع إلى قتلة عثمان . فما أنت وذاك ؟ وهاهنا بنو عثمان ، وهم أولى بذلك منك . فإن زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منه ، فأرجع إلى البيعة التي لزمتهك وحاكم القوم إلى . وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير . فلعمري ما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة لا يتأني فيها النظر ولا يُستأنف فيها الخيار . وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقديمي في الإسلام ، فلو أستطعت دفعه لدفعته .

٢٨٥
٢

وكتب معاوية إلى علي : أما بعد . فإنك قتلت ناصرك ، واستنصرت ١٠ واترك . فأيم الله لأرؤميتك بشهاب تزكيه الريح ولا يُطفئه الماء . فإذا وقع وقب^(٣) ، وإذا مس ثقب ، فلا تحسبني كسجيم أو عبد القيس أو حلوان السكاهن . فأجابه علي : أما بعد . فوالله ما قتل ابن عمك غيرك ، وإني أرجو أن أُحرقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته . وإن السيف الذي ضربت به أهلك^(٤) لمعي دائم . والله ما استحدثت ذنبًا ، ولا استبدلت نبيًا ، وإني على ١٥ المنهاج الذي تركتموه طائعين ، وأدخلتم فيه كارهين .

وكتب معاوية إلى علي بن أبي طالب : أما بعد . فإن الله أصطفى محمداً وجعله الأمين على وحيه ، والرَّسول إلى خلقه ، وأختار له من المسلمين أعواناً أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة الثالث ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيته . عرفنا ذلك في نظرك الشرر ،

(١) في بعض الأصول : « قريش » .

(٢) وقب : دخل وتفد .

(٣) في بعض الأصول : « أباك وأهلك » .

وتنفسك الصعداء ، وإبطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير
 المبخشوش^(١) ، حتى تباع وأنت كاره . ولم تكن لأحد منهم أشدَّ حسداً منك
 لأبن عمك عمان ، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك في قرابته وصهره . فقطعت رحمة ،
 وقبّحت محاسنه ، وألبت عليه الناس ، حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وشهر
 عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهاثمة^(٢) ،
 لا تؤدّي عن نفسك في أمره بقول ولا فعل برّ . أقسم قسماً صادقاً لو قت في أمره
 مقاماً واحداً تنهين الناس عنه ما عدل بك ممن قبلنا من الناس أحد ، ولمّا ذلك
 عنك ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعمان ، فهم بطانتك وعضدك وأنصارك .
 فقد بلغني أنك تفتني من دمه ، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلتك تقتلهم به ،
 ثم نحن أسرعُ الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيّف .
 والذي نفس معاوية بيده لأطلبن قتلة عمان في الجبال والرمال والبرّ والبحر
 حتى تقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله .

فأجابه عليّ : أما بعد . فإن أخا خوّلان قدّم عليّ بكتاب منك تذكر فيه
 محمداً صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي . فالحمد لله
 الذي صدقه الوعد ، وتم له النصر ، ومكّنه في البلاد ، وأظهره على الأعدى من
 قومه ، الذين أظهروا له التّكذيب ، وناذبوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراج
 وإخراج أصحابه ، وألبوا عليه العرب ، وحزّبوا الأحزاب ، حتى جاء الحق وظهر
 أمر الله وهم كارهون . وذكرت أن الله اختار من المسلمين أعواناً أيده بهم ،
 فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم
 في الإسلام^(٣) وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده .

(١) يقال : خشت البعير فهو مخشوش ، إذا جعلت في أنفه خشاشاً ، وهو ما يدخل

في عظم أنف البعير من خشب .

(٢) الهاثمة : الصوت الشديد تفرع منه .

(٣) في بعض الأصول : « أفضلهم ابن عمك في الإسلام » .

- ولعمري إن كان مكانهما^(١) في الإسلام أعظيما ، وإن كان المصاب بهما^(٢) أجرهما
 في الإسلام شديدا ، فرحمهما الله وغفر لهما . وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثا ،
 فإن كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم ،
 وإن يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا ، لا يتعاضمه ذنب يغفره . ولعمري إنى
 لأرجو إذا الله أعطى الأسم^(٣) أن يكون سهما أهل البيت أوفر نصيب . وأيم
 ٥ الله ، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ، ولا أنصح
 لرسول الله في طاعة الله ، ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف ، من هؤلاء
 النفر من أهل بيته ، الذين قتلوا في طاعة الله : عبدة بن الحارث يوم بدر ،
 وحزرة بن عبد المطلب يوم أحد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة . وفي المهاجرين خير
 كثير ، جزاهم الله بأحسن أعمالهم . وذكرت إبطأ عن الخلفاء وحسدى إياهم
 ١٠ والبعى عليهم . فأما البغى ، فعاذ الله أن يكون . وأما الكراهة لهم ، فوالله
 ما أعتذر للناس من ذلك . وذكرت بغي على عثمان وقطعى رحمه ، فقد عمل
 عثمان بما قد علمت ، وعمل به الناس ما قد بلغك . فقد علمت أنى كنت من
 أمره في عزلة ، إلا أن تجئى ، فتجن ما شئت . وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت
 من دفعهم إليك ، فإنى نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه ، فلم يسعنى
 ١٥ دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن عتيك لنعرفتك عما قليل يطلبونك
 ولا يكلفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ، ولا بر ولا بحر . وقد كان أبوك
 أبو سفيان أتانى حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبسط يدك
 أبايعك ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر . فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافة
 ٢٠ الفرقة بين المسلمين ، أقرب عهد الناس بالكفر . فأبوك كان أعلم بحق منك ،
 وإن تعرف من حق ما كان أبوك يعرفه تصب رشدا ، وإلا فاستعين الله عليك .

(١) فى بعض الأصول : « مكانهم » .

(٢) فى بعض الأصول : « بهم » .

(٣) فى بعض الأصول : « الإسلام » .

وكتب^(١) عبد الرحمن بن الحكم إلى معاوية :

ألا أبلغ معاوية بن حرب كتاباً من أخى ثقة يَلمُوم^(٢)

فإنك والكتاب إلى عليّ كدابغة وقد حلّم الأديم^(٣)

يوم صفين

٥ أبو بكر بن أبي شيبة قال : خرج عليّ بن أبي طالب من الكوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً ، وخرج معاوية من الشام في بضع وثمانين ألفاً ، فالتقوا بصفين . وكان عسكر عليّ يُسمّى الزّحرحة ، لشدة حرّكته ، وعسكر معاوية يسمّى الخضرية ، لاسوداده بالصلاح والدروع .

أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلّها موافقة ، ولم تكن هزيمة بين الفريقين إلا على حامية ثم بكرثون . ١٠

أبو الحسن قال : كان مُنادى عليّ يخرج كل يوم وينادى : أيها الناس ، لا تُجهزُن عليّ جريح ، ولا تتبعنّ مولياً ، ولا تأسبن قتيلاً ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

١٥ أبو الحسن قال : خرج معاوية إلى عليّ يوم صفين ، ولم يُبايعه أهل الشام بالخلافة ، وإنما بايعوه على نصرته عثمان والطلب بدمه . فلما كان من أمر الحكمين ما كان ، بايعوه بالخلافة . فكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص يدعو إلى القيام معه في دم عثمان : سلام عليك . أما بعد . فإن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقّه ، واختاروه على غيره ، ونصرة طلحة والزبير ، وهما شريكك في الأمر ، ونظيرك في الإسلام .

٢٠ (١) نسب هذا الشعر في اللسان (مادة حلم) للوليد بن عقبة يحض فيه معاوية على قتال علي عليه السلام .

(٢) رواية يحجز هذا البيت في اللسان : * بأنك من أخى ثقة مليم *

(٣) حلم الأديم ، أن يقع فيه دود فينتقب . يقول : أنت تسمى في إصلاح أمر قدم فساد ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم ، فلا ينتفع به .

وَحَفَّتْ لَذَلِكَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَسْكُرُهُ مَارِضُوا ، وَلَا تَرَدَّ مَا قَبَلُوا ، وَإِنَّمَا نَزِيدُ أَنْ نَرُدَّهَا سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . وَالسَّلَامُ .

فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنْ عَمَّرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُدْخَلْ فِي الشُّورَى إِلَّا مَنْ تَعَلَّ لَهُ الْخِلَافَةُ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَوْلَى بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِنَا عَلَيْهِ . غَيْرَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ فِيهِ مَا فِيْنَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيْنَا مَا فِيهِ ، وَلَوْ لَمْ يَطْلُبْهَا وَلَزِمَ بَيْتَهُ لَطَلَبْتَهُ الْعَرَبُ وَلَوْ بَاقِصَى الْيَمِينَ . وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ كَرِهْنَا أَوْلَهُ وَكَرِهْنَا آخِرَهُ . وَأَمَّا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَلَوْ لَزِمَا بَيْوتَهُمَا لَسَكَانَ خَيْرًا لَهَا . وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَتَتْ .

وَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : أَمَا بَعْدُ . فَإِنَّمَا أَنْتَ يَهُودِيٌّ ابْنُ يَهُودِيٍّ ، إِنْ ظَفَرَ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ عَزَلْتُكَ وَاسْتَبَدَلْتُ بِكَ ، وَإِنْ ظَفَرَ أَبْغَضُ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ قَتَلْتُكَ وَنَكَلْتُ بِكَ . وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَوْتَرَ قَوْسَهُ وَرَمَى غَرَضَهُ ، فَأَكْثَرَ الْحَزْنَ وَأَخْطَأَ الْمَفْصِلَ ، فَخَذَلَهُ قَوْمُهُ ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ، ثُمَّ مَاتَ طَرِيدًا بِحَوْرَانَ (١) .

فَأَجَابَهُ قَيْسٌ : أَمَا بَعْدُ . فَأَنْتَ وَثَقِيُّ ابْنِ وَثَقِيٍّ . دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرِهًا ، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا ، لَمْ يَتَقَدَّمْ إِيمَانُكَ ، وَلَمْ يُحْذَرْ نِفَاقُكَ . وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي دَخَلْتَ فِيهِ . وَالسَّلَامُ .

وَخَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَهُ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ مَوْتَ طَالِبٌ لَا يُعْجِزُهُ هَارِبٌ ، وَلَا يَفُوتُهُ مُقِيمٌ ، أَفَدِمُوا وَلَا تَنْسَكُلُوا ، فَلَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحْيِصٌ . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، إِنْ ضَرَبَهُ سَيْفٌ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ الْفِرَاشِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا السِّيُوفَ بِوُجُوهِكُمْ ، وَالرِّمَاحَ بِصُدُورِكُمْ ، وَمَوَاعِدِي وَإِيَّاكُمْ الرَّايَةَ الْحُمْرَاءَ (٢) .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ خَطِيبًا يَخْطُبُنَا ! يَا مَسْرِينَا أَنْ

(١) حوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٢) يربد راية معاوية .

نتقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بصدورنا ، ويعدنا راية بيننا وبينها مائة ألف سيف .

قال أبو عبيدة في التاج : جمع علي بن أبي طالب رياسة بكر كلهما يوم صفين لخصين بن المذثر بن الحارث بن وعلة ، وجعل ألويتها تحت لوانه ، وكانت له راية سوداء يخفق ظلها إذا أقبل ، فلم يكن أحد في صفين غناه . فقال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها خصين تقدمًا
يُقدمها في الصف حتى يزيرها حياض المنايا تقطر السم والدمًا
جزى الله عني والجزاء بكفها ربيعة خيرًا ما أعف وأكرما^(١)

١٠ وكان من محمدان في صفين حسن . فقال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لهمدان أخلاق ودين يزينهم وبأس إذا لا قوا وحسن كلام
فلو كنت بواباً على باب جنة أقلت لهمدان أدخلوا بسلام

١٥ أبو الحسن قال : كان علي بن أبي طالب يخرج كل غداة لصفين في سرعان الخيل^(٢) فيقف بين الصفين ثم ينادي : يا معاوية ، علام يقتل الناس ؟ ابرز إلى وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب . فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرجل . فقال له معاوية : أردتها يا عمرو ، والله لا رضيتُ عنك حتى تبارز علياً . فبرز إليه متفكرًا ، فلما غشيه علي بالسيف رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له سواته ، فضرب علي وجه فرسه وأنصرف عنه . فجلس معه معاوية يوماً فنظر إليه فضحك . فقال عمرو : أضحك الله سنك ، ما الذي أضحكك ؟ قال : من حضور ذهنك يوم بارزت علياً إذ اتقيته بعورتك . أما والله

(١) رواية هذا البيت في الطبري :

جزى الله قوما صابروا في لقاتهم لدى الموت قوما ما أعف وأكرما

(٢) سرعان الخيل : أوائلها .

لقد صادفت مماناً كريماً، ولولا ذلك لخرم رَفَعَيْكَ^(١) بالرُّمَح . قال عمرو بن العاص : أما والله إنى عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحوت عيناك ، ورباً سَحْرُك^(٢) ، وبدا منك ما أكره ذِكرَه لك .

وذُكر عمرو بن العاص عند علي بن أبي طالب ، فقال فيه علي : عجباً لأبن النابغة^(٣) ! يزعم أنّى بلفقائه أَعْفِسُ وأمارِس^(٤) ، أنّى وشَرُّ القول أكذبُه ، إنه يسأل فيلحف ، ويسأل فيبخل . فإذا أحرَّ البأس ، وسحى الوطيس ، وأخذت السيف مأخذها من هام الرجال ، لم يكن له همٌ إلا نَزَعُه^(٥) ثيابه ، ويمنح الناس أسته ، أغصه^(٦) الله وترَّحه^(٧) .

مقتل عمار بن ياسر

المُتَبَي قال : لما ألتقى الناسُ بصفين نظَّر معاويةً إلى هاشم^(٨) بن عتبة الذى يقال له : المرقال ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : أَرْقَل لِيَمُونَ . وكان أعور ، والراية بيده ، وهو يقول^(٩) :

أعور يَبغى نَفْسَه محلاً قد عالجَ الحَيَاةَ حتى مَلَأَ
لا بُدُّ أن يَفْلُ أو يُفْلَا

فقال معاوية لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا المرقال ، والله اثن زحف ١٥
بالراية زحفاً إنه ليومُ أهل الشام الأطول . ولكنى أرى ابن السوداء إلى

(١) الرفع (بالتحريك ويضم) : أصل الفخذ .

(٢) السحر (بالفتح ويحرك ويضم) : الرثة . وربما : انتفخ فزعا .

(٣) فى بعض الأصول : « الباغية » تحريف .

(٤) المعافسة : المعالجة . والممارسة : المداعبة .

(٥) فى بعض الأصول : « غرفة » .

(٦) فى بعض الأصول : « غصه » . (٧) ترحه : أحزنه .

(٨) فى بعض الأصول : « هشام » وما أثبتنا من سائر الأصول والمعارف والكامل

والإصابة واللسان (مادة رقل) .

(٩) فى رواية أن هذا الشعر لعمار بن ياسر يخاطب به المرقال . (انظر الإصابة فى

ترجمة المرقال) .

جنبه ، يعنى عماراً ، وفيه مَجْمَلَةٌ في الحرب ، وأرجو أن تُقدمه إلى المهلكة .
وجعل عمار يقول : أبا عتبة ، تقدم . فيقول : يا أبا اليقظان ، أنا أعلم بالحرب
منك ، دَعَى أَرْحَفَ بِالرَّايَةِ زَحْفًا . فلما أضجره وتقدم ، أرسل معاويةُ خِيلاً
فاختطفوا عمارًا ، فكان يُسَمَّى أهلُ الشام قتلَ عمارَ فَتَبَحَّ الفُتُوحَ .

٥ أبو بكر بن أبي شيبه : عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن
أسود بن مسعود عن حَنْظَلَةَ بنِ خُوَيْلِدٍ قال : إني لجالسٌ عند معاوية إذ أتاه
رجلان يَخْتَصِمَانِ في رأسِ عَمَّارٍ ، كلُّ واحدٍ منهما يقول : أنا قتلتُهُ . فقال لهما
عبدُ الله بن عمرو بن العاص : لِيَطِيبَ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لصاحبه ، فإني سمعتُ
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول له : تقتلك الفئة الباغية .

١٠ أبو بكر بن أبي شيبه عن ابنِ عُلَيَّةَ عن ابنِ عَوْنٍ عن الحسن عن أم سلمة
قالت : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عمارًا الفئة الباغية .
أبو بكر قال : حدَّثنا عليُّ بن حَمِصٍ عن أبي مَعْشَرٍ عن محمد بنِ عَمَّارَةَ^(١) قال :
ما زال جدِّي خُزَيْمَةُ بن ثابتٍ كافيًا سلاحه يومَ صِفِّينَ حتى قُتِلَ عَمَّارٌ ، فلما قُتِلَ
سَلَّ سيفه وقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عمارًا الفئة
الباغية . فما زال يُقاتل حتى قُتِلَ .

١٥ أبو بكر عن غُنْدَرٍ عن شُعْبَةَ^(٢) عن عمرو بن مُرَّةٍ عن عبد الله بن
سَلَمَةَ قال : رأيتُ عَمَّارًا يومَ صِفِّينَ شيخًا آدم طوالًا آخذًا الحربةَ بيده ،
ويده تُرْعَدُ ، وهو يقول : والذي نفسى بيده ، لقد قاتلتُ بهذه الحربة مع
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرَّاتٍ وهذه الرابعة . والذي نفسى بيده
لو ضَرَبْنَا حتى يبلغوا بنا سَعَفَاتِ هَجْرٍ لعرفتُ أنا على حقٍ وأنهم على باطل .

(١) في الأصول : « عبادة » . وما أثبتنا من الطبرى .

(٢) في الأصول هنا : « غندر عن عمرو بن شعبة » والمعروف أن غندر يروى عن
شعبة وقد مرت روايته عنه (ص ٣٢٧) من هذه الجزء . ثم إن المراجع التي بين
أيدينا تفقد من اسمه عمرو بن شعبة .

ثم جعل يقول : صبراً عبادَ الله ، الجنةُ تحت ظلال السيوف .

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ عن وَكَيْعٍ عن سُفْيَانَ عن حَبِيبٍ عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ^(١) قال : لما كان يومَ صِفِينِ وأشدت الحربُ دعا عَمَّارٌ بِشَرْبَةِ لَبَنٍ وشَرَبَهَا وقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لي : إن آخرَ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا من الدنيا شَرْبَةُ لَبَنٍ .

أبو ذَرٍّ عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن جَدِّته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللَّيْنِ يُضْرَبُ وما يُحْتَاجُ إليه ، ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أردبتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعملُ ذاك إذا لعملٍ مُضَلُّ

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتَنَظِّفًا ، فكان يحمل اللَّبَنَةَ ويُجَافِي بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفص كفيها ونظرَ إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفصه . فنظر إليه على رضى الله عنه فأنشده :

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَا يَدَابُ فِيهَا رَاكِعًا وَسَاجِدًا
وَقَائِمًا طَوْرًا وَطَوْرًا قَاعِدًا وَمَنْ يُرَى عَنِ التُّرَابِ حَائِدًا

فسمعهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَجَمَلَ يَرْتَجِزُهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَنْ يَعْنِي . فسمعه عثمان ، فقال : يا ابنُ سُمَيَّةَ ، ما أعرفني بَمَنْ تُعَرِّضُ ، ومعهُ جريدة ، فقال : لتكفن أو لأعترضنَّ بها وجهك . فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط ، فقال : عَمَّارُ جِلْدَةٌ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني ، وأشار بيده فوضعها بين عينيه . فكفَّ الناسُ عن ذلك ، وقالوا لعَمَّارُ : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد غَضِبَ فيك ونَحَافَ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا

(١) هو سعيد بن فيروز .

قرآن . فقال : أنا أَرْضِيهِ كما غضب . فأقبل عليه فقال : يا رسول الله ، مالي ولأصحابك ؟ قال : وما لك ولهم ؟ قال : يُريدون قتلى ، يَحْمِلُونَ لِبْنَةَ وَيَحْمِلُونَ عَلَى كِبْنَتَيْنِ . فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : يَا بْنَ سُمَيْيَةَ ، لَا يَقْتُلُكَ أَصْحَابِي ، وَلَكِنْ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ . فلما قُتِلَ بِصَفِيْنٍ وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ مَعَاوِيَةَ : هُم قَتَلُوهُ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ إِلَى الْقَتْلِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا قَالَ : وَنَحْنُ قَتَلْنَا أَيْضًا حَمْزَةَ لِأَنَّا أَخْرَجْنَاهُ .

من حرب صفين

أبو الحسن قال : كانت أيامُ صِفِّينَ كُلِّهَا مُوَافِقَةً ، ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين إلا على حامية ثم يَكْرَتُونَ ^(١) .

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قَالَ : انْفَضَّتْ وَقْعَةُ صَفِّينَ عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ ، خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَعَشْرِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ . وَلَمَّا أَنْعَرَفَ النَّاسُ مِنْ صِفِّينَ قَالَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ :

سَبَّتْ الْحَرْبُ فَأَعَدَدْتُ لَهَا مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ التَّمْبِجِ ^(٢)

يَصِلُ الشَّرَّ بِشَرِّ فَإِذَا وَثَبَ الْخَيْلُ مِنَ الشَّرِّ مَعَجِجِ ^(٣)

جُرْشُعِ ^(٤) أَعْظَمَهُ جُفْرَتَهُ ^(٥) فَإِذَا أَبْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ خَرَجَ ^(٦)

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص ^(٧) :

فإن شهدتُ جُمْلُ مَقَامِي وَمَشْهَدِي بِصَفِّينَ يَوْمًا شَابَ مِنْهَا الذَّوَابُ

(١) مر هذا الخبر (ص ٣٢٧) من هذا الجزء مع خلاف قليل .

(٢) التَّبِجُ : الوَسَطُ ، وما بين السكاهل إلى الظهر .

(٣) المعجج : سرعة السر . (٤) جرشع : عظيم الصدر .

(٥) الجفرة : وسط الفرس . وفي بعض الأصول : « حفرية » .

(٦) يريد أنه إذا ركض وعرق خرج في حديثه ونشاطه وفات غيره . وفي هذا المعنى

قول سلمة بن الخرشب :

من التلقتات بجانبها إذا ما بل محزما الحيم

(٧) نسب هذا الشعر في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٨٢) لمحمد بن عمرو بن العاص .

عَشِيَّةَ جَا^(١) أَهْلُ الْعِرَاقِ كَأَنَّهُمْ سَحَابٌ خَرِيفٌ صَفَفَتَهُ الْجَنَائِبُ^(٢)
 إِذَا قَلْتُ قَدَوَلُوا سِرَاعًا بَدَتْ لَنَا^(٣) كِتَابٌ مِنْهُمْ وَارْجَعَنْتُ كِتَابٌ
 فِدَارَتْ رَحَانًا وَأَسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ سِرَاةَ النَّهَارِ مَا تَوَلَّى الْمَنَاكِبِ
 وَقَالُوا لَنَا إِنْ نَزَى أَنْ تُبَايَعُوا عَلِيًّا فُقَلْنَا بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا

وقال السيد الحميري ، وهو رأس الشيعة ، وكانت الشيعة من تعظيمها له
 تلقى له وساداً بمسجد الكوفة :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَتَفِي بِصَفِيْنَا
 فِي سَفْكَ مَا سَفَكَتَ مِنْهَا إِذَا أَحْتَضَرُوا وَأَبْرَزَ اللَّهُ لِلْقِسْطِ الْمَوَازِينَا
 تِلْكَ الدَّمَاءُ مَعَا يَا رَبِّ فِي عُنُقِي ثُمَّ أَسْقِنِي مِثْلَهَا آمِينَ آمِينَا
 ١٠ آمِينَ مِنْ مِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ فِي فِتْمَةِ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ شَارِينَا
 لَيْسُوا يُرِيدُونَ غَيْرَ اللَّهِ رَبَّهُمْ زَنَعُمُ الْمُرَادُ تَوْخَاهُ الْمُرِيدُونَ

وقال النجاشي يوم صقين ، وكتب بها إلى معاوية^(٤) :

يَأْيَهَا الْمَلِكُ^(٥) الْمُبْدَى عِدَاوَتَهُ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ أَيْ الْأَمْرِ تَأْتِمِرُ
 فَإِنْ نَفَسْتَ عَلَى الْأَقْوَامِ مَجْدَمٌ فَابْسُطْ يَدَيْكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ مُبْتَدِرٌ
 ١٥ وَأَعْلَمُ أَنَّ عَلِيَّ الْخَيْرِ مِنْ نَفَرٍ شُمَّ الْعَرَانِينَ لَا يَعْلَوْهُمْ بَشَرٌ
 زَنَعُمُ الْفَتَى أَنْتَ^(٦) إِلَّا أَنْ يَبِينَكَا كَمَا تَفَاضَلُ ضَوْهَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 وَمَا إِخْلَاكَ إِلَّا لَسْتَ مُنْتَهِيًا حَتَّى يَبَالِكَ مِنْ أَظْفَارِهِ ظُفْرٌ

(١) في شرح نهج البلاغة : « غداة غدا » مكان « عشية جا » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب ، والجنوب من الرياح حارة . وصفقت الريح السحاب ، إذا

صرمته واختلفت عليه . ورواية عجز هذا البيت في الأصل :

* سحاب ربيع رفتهه الجنائب *

وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

(٣) في شرح نهج البلاغة :

* إذا قلت يوماً قد دنوا برزت لنا *

(٤) وكان معاوية قد تهدهده . (انظر شرح نهج البلاغة) .

(٥) في شرح نهج البلاغة : « الرجل » .

(٦) في الأصول : « هو » . وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : عَلِمَ مُعَاوِيَةُ وَاللَّهِ إِنْ لَمْ يَبَايِعْهُ عَمْرُو بْنُ يَتِيمٍ لَهُ أَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ، أَتَبْعُنِي . قَالَ : لِمَاذَا ؟ لِلْآخِرَةِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا مَعَكَ آخِرَةٌ ، أَمْ لِلدُّنْيَا ؟ فَوَاللَّهِ لَا كَانَ حَتَّى أَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا . قَالَ : فَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . قَالَ : فَاصْرَفْ لِي مِصْرَ وَكُورَهَا . فَكَتَبَ لَهُ مِصْرَ وَكُورَهَا ، وَكَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : وَعَلَى عَمْرٍو السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . قَالَ عَمْرُو : وَأَكْتُبُ : إِنْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ شَرْطِهِ شَيْئًا . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى هَذَا . قَالَ عَمْرُو : حَتَّى تَكْتُبَ . قَالَ : فَكَتَبَ ، وَاللَّهِ مَا يَجِدُ بَدَأًا مِنْ كِتَابَتِهَا .

وَدَخَلَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ يَكَلِّمُ عَمْرًا فِي مِصْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : إِنَّمَا أَبَايَعُكَ بِهَا دِينِي . فَقَالَ عَتَبَةُ : أَتُتَمِنُ الرَّجُلَ بَدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ :

مُعَاوِيَةَ لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَلَمْ أَنْلُ بِه مِنْكَ دُنْيَا ، فَانظُرْ نَ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ وَمَا الدِّينُ وَالدُّنْيَا سِوَايَ وَإِنِّي لَأَخُذُ مَا تُعْطِي وَرَأْسِي مُقْتَنَعٌ فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِحُ صَفْقَةً أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

وَقَالُوا : لَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَامَ مَعَهُ فِي شَأْنِ عَلِيٍّ ، بَعْدَ أَنْ جَعَلَ لَهُ مِصْرَ طُعْمَةً ، قَالَ لَهُ : إِنْ بَارَضْتُكَ رَجُلًا لَهُ شَرَفٌ وَأَسْمٌ ، وَاللَّهِ إِنْ قَامَ مَعَكَ اسْتَهْوَيْتَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، وَهُوَ عِبَادَةُ بَنِ الصَّامِتِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَسَّعَ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا . فَحَمَدَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ عِبَادَةِ وَسَابِقَتِهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ عُثْمَانَ وَمَا نَالَ ، وَحَضَّهُ عَلَى الْقِيَامِ مَعَهُ . فَقَالَ عِبَادَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، أَتَدْرِيانِ لِمَ جَلَسْتُ بَيْنَكُمَا

- في مكانكما؟ قالوا: نعم، لفضلك وسابقتك وشرفك. قال: لا والله، ما جلستُ بينكما لذلك، وما كنتُ لأجلس بينكما في مكانكما، ولكن بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك إذ نظر إليكما تسييران، وأنتما تتحدثان، فالتفت إلينا فقال: إذا رأيتموهما اجتماعاً ففرقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً. وأنا أنها كما عن اجتماعكما. فأما ما دعوتماي إليه من القيام معكما، فإن لكما عدواً هو أغلظ أعدائكما، وأنا كامنٌ من ورائكما في ذلك العدو، إن اجتمعتم على شيء دخلتُ فيه.

أمر الحكّمين

- أبو الحسن قال: لما كان يوم الهريز^(١)، وهو أعظم يوم بصفين، زحف أهل العراق على أهل الشام فأزالوهم عن سراكزم، حتى أتوها إلى سُرّادق معاوية، فدعا بالفرس وهم بالهزيمة، ثم ألتفت إلى عمرو بن العاص، وقال له: ما عندك؟ قال: تأمر بالمصاحف فترفع في أطراف الرماح، ويقال: هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم. فلما نظر أهل العراق إلى المصاحف أرتدوا وأختلفوا، وقال بعضهم: $\frac{٢٩١}{٣}$ نحاكمهم إلى كتاب الله. وقال بعضهم: لا نحاكمهم، لأننا على يقين من أمرنا وليسنا على شك. ثم أجمع رأيهم على التحكيم. فهمّ عليّ أن يُقدم أبا الأسود التوّلي، فأبى الناس عليه. فقال له ابن عباس: أجعلني أحد الحكّمين، فوالله لأفتن لك حبلاً لا ينقطع وسطه ولا يُنشر طرفاه. فقال له عليّ: لست من كيدك ولا من كيد معاوية في شيء، لا أعطيه إلا السيف حتى يغلبه الحق. قال: وهو والله لا يُعطيك إلا السيف حتى يغلبك الباطل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تطاع اليوم وتُعصى غداً، وإنه يُطاع ولا يُعصى. فلما أنتشر عن عليّ أصحابه قال: لله بلاء ابن عباس، إنه لينظر إلى الغيب بستر رقيق. قال: ثم

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٥) من هذا الجزء.

اجتمع أصحاب البرانس^(١) ، وهم وجوه أصحاب علي ، على أن يقدموا أبا موسى الأشعري ، وكان مبرنسا ، وقالوا : لا نرضى بغيره ، فقدمه علي . وقدّم معاوية عمرو بن العاص . فقال معاوية لعمرو : إنك قد رُميت برجل طويل اللسان قصير الرأي فلا ترمه بعقلك كله فأخلى لهما مكان يجتمعان فيه ، فأمله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ، ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشبهه بها ، حتى إذا استبطن أبو موسى ٥
 باجاء عمرو ، وقال له : يا أبا موسى ، إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحققن الله بك دماءها ، فإنه يقول في نفس واحدة : (ومن أحيها فكأنما أحيى الناس جميعاً) ، فكيف ١٠
 بمن أحيى أنفوس هذا الخلق كله ! قال له : وكيف ذلك ؟ قال : تخلع أنت علي بن أبي طالب ، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان ، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة ، ولم يغمس يده فيها . قال له : ومن يكون ذلك ؟ وكان عمرو بن العاص قد فهم رأى أبي موسى في عبد الله بن عمر ، فقال له : عبد الله بن عمر . فقال : إنه لكما ذكرت ، ولكن كيف لي بالوثيقة منك ؟ ١٥
 فقال له : يا أبا موسى ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى . ثم لم يبق عمرو بن العاص عهداً ولا موقفاً ولا يميناً مؤكدة حتى حلف بها ، حتى بقي الشيخ مهوتاً ، وقال له : قد أجبت . فنودي في الناس بالأجتماع إليهما ، فاجتمعوا . فقال له عمرو : قم فاخطب الناس يا أبا موسى . فقال : قم أنت أخطبهم . فقال : سبحان الله ! أنا أتقدمك وأنت شيخ ٢٠
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا فعلتُ أبدأ ! قال : أو عسى في نفسك أمر ؟ فزاده أيماناً وتوكيداً . حتى قام الشيخ نخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد اجتمعتُ أنا وصاحبي علي أن أخلع

(١) البرانس : جمع برنس ، وهو : قلنسوة طويلة ، كان النساك يلبسونها في صدر

أنا علي بن أبي طالب ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنته ، ولم يغمس يده في دم امرئ مسلم .
 ألا وإني قد خالعتُ علي بن أبي طالب كما أختام سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من عاتقه ، وجلس ، وقال لعمر : قم . فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه خلع علي بن أبي طالب كما يخلع سيفه ، وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا ، وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة ، فأعاد علي نفسه . فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج . وقال أبو موسى لعمر : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهث أو تتركه يلهث . قال عمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا .

١٠

٢٩٢
٣

وخرج أبو موسى من فوره ذلك إلى مكة مستعيذاً بها من علي ، وحلف أن لا يكلمه أبداً . فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد وأعذر الطالب ، والحق لمن نصب له فأصابه ، وليس لمن عرض له فأخطأ . وقد كان الحكمان إذ حكما علي لم يكن له الخيار عليهما ، وقد اختاره القوم عليك ، فأكره منهم ما كرهوا منك ، وأقبل إلى الشام فإني خير لك من علي ، ولا قوة إلا بالله .

١٥

فكتب إليه أبو موسى : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإني لم يكن مني في علي إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أني أردتُ بما صنعتُ ما عند الله ، وأراد به عمرو ما عندك . وقد كان بيني وبينه شروط وشورى عن تراض ، فلما رجعتُ عمرو رجعتُ . أما قولك : إن الحكامين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما . فإنما ذلك في الشاة والبعير والدينار والدرهم . فأما أمر هذه الأمة ، فليس لأحد فيما يكره حكم ، ولن يُذهب الحق مجزئ عاجز ولا خدعة فاجر . وأما دعاؤك إياي إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرم إبراهيم .

٢٠

فبلغ علياً كتاب معاوية إلى أبي موسى الأشعري فكتب إليه : سلام عليك ، أما بعد . فإنك أمرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور ، حَقَّق بك حُسْنَ الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن ، فاستَقِلَّ اللهُ يُقَلِّك ؛ فَإِنَّ اللهُ يَغْفِرُ وَلَا يَغْفِلُ ، وَأَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ التَّوَابُونَ . وكتبه سماك بن حرب .

٥ فكتب إليه أبو موسى : سلام عليك . فإنه والله لولا أني خشيت أن يرفعك مني منع الجواب إلى أعظم مما في نفسك لم أجيبك ، لأنه ليس لي عندك عذر ينفعني ولا قوة تمنعني . وأما قولك « ولزومي بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن » فإني اعترلت^(١) أهل الشام ، وانقطعت عن أهل العراق ، وأصابت أقواماً صغروا من ذنبي ما عظمتم ، وعظموا من حقي ما صغرتهم ، إذ لم يكن لي منكم ولي ولا نصير . ١٠

وكان علي بن أبي طالب إذ وجه الحكمان قال لهما : إنما حُكِمْنَا كما بكتاب الله ، فتمخيمان ما أحيا القرآن ، وتميمتان ما أمات . فلما كاد عمرو بن العاص لأبي موسى اضطرب الناس على علي واختلفوا ، وخرجت الخوارج ، وقالوا : لا حُكْمَ إِلَّا اللهُ ، فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

١٥ لِي زَلَّةٌ إِلَيْكُمْ فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكْسِبُ بَعْدَهَا وَأَنْشِمِرُ
وَأُجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتَ الْمُنْتَشِرُ

أبو الحسن قال : لما قَدِمَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ عَلَى مَعَاوِيَةَ عَامَ الْجَمَاعَةِ ، قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : بَلِّغْنِي يَا أَبَا الْأَسْوَدِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَكَ أَحَدَ الْحَكَمِيِّينَ ، فَمَا كُنْتَ تَحْكُمُ بِهِ ؟ قَالَ : لَوْ جَعَلَنِي أَحَدَهُمَا لَجَمَعْتُ الْفُلَّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْفُلَّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ نَاشَدْتُهُمْ اللهُ : الْمُهَاجِرُونَ وَأَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ أَمْ الطَّلَقَاءُ ؟ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : اللهُ أَبُوكَ ! أَى حَكْمٍ كُنْتَ تَكُونُ لَوْ حَكَّمْتَ ! ٢٠

(١) في بعض الأصول : « أسلمت » .

احتجاج علي وأهل بيته في الحكمين

- أبو الحسن قال : لما أنقضى أمرُ الحكمين وأختلف أصحابُ عليّ قال بعض الناس : ما منع أمير المؤمنين أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلّم ، فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلم . قال : فبينما عليّ يوماً على المنبر إذ التفت إلى الحسن أبنه فقال : قم يا حسن فقل في هذين الرجلين : عبد الله بن قيس وعمر بن العاص . فقام الحسن فقال : أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنما بُعثنا ليحكما بالكتاب على الهوى ، فحكما بالهوى على الكتاب .
 ٥
 ٢٩٣
 ٤
 ومن كان هكذا لم يُسمَّ حَكَمًا ، ولكنه محكوم عليه . وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : واحدة ، أنه خالف أباه ، إذ لم يرضه لها ، ولا جعله من أهل الشورى ؛ وأخرى ، أنه لم يستأمره في نفسه ؛ وثالثة ، أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة ، فقد حكّم النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ في بني قريظة ، فحكّم بما يرضى الله به ولا شك ، ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) ، ثم جلس . فقال لعبد الله بن عباس : قم . فقال عبد الله بن عباس ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن
 ١٥
 للحق أهلاً أصابوه بالتوفيق ، فالناسُ بين راضٍ به وراغبٍ عنه ، فإنه بعث عبد الله بن قيس يهتدي إلى ضلالة ، وبعث عمرو بن العاص بضلالة إلى هدى ، فلما ألتقيارجع عبد الله بن قيس عن هداه وثبت عمرو على ضلاله . وأيم الله ، لئن كانا حكما بما سارا به ، لقد سار عبد الله وعليّ إمامه ، وسار عمرو ومعوية إمامه ، فما بعد هذا من عيب يُنتظر ؟ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : قم .
 ٢٠
 فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إن هذا الأمر كان النظر فيه

(١) يشير إلى حكم سعد في بني قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبي الفراري والنساء ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سموات) . (انظر السيرة لابن هشام) .

إلى عليّ ، والرّضا إلى غيره . فجئتم إلى عبد الله بن قيس مبرنسا فقامت : لا ترضى إلا به . وأيم الله ، ما أستفدنا به علما ، ولا أنتظرنا منه غائبا ، وما نعرفه صاحباً . وما أفسدا بما فعلا أهل العراق ، وما أصلحا أهل الشام ، ولا وضا حق عليّ ، ولا رفعا^(١) باطل معاوية ، ولا يذهب الحق رقية راق ، ولا نفضة شيطان ، ونحن اليوم على ما كننا عليه أمس .

احتجاج عليّ على أهل النهروان

قالوا : إن علماً لما اختلف عليه أهل النهروان والقرى وأصحاب البرانس ، وزلوا قرية يقال لها حروراء ، وذلك بعد وقعة الجمل ، فرجع إليهم عليّ بن أبي طالب فقال لهم : يا هؤلاء ، من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكوّاء . قال : فليبرز إليّ . فخرج إليه ابن الكوّاء ، فقال له عليّ : يا ابن الكوّاء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومقامكم بالكوفة ؟ قالت بنا عدواً لا نشك في جهاده ، فزعمت أن قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقاً ، وحكمت كافراً ، وكان مما^(٢) شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بآيتمكم ، وإن قضى عليكم بآيتموني . فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك . فقال عليّ : يا ابن الكوّاء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم . قال عليّ : أما قتالك معي عدواً لا نشك في جهاده ، فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم . وأما قتلانا وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي ؛ وأما إرسال المنافق وتحكيم الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا ، ومعاوية حكّم عمرًا ، أتيت بأبي موسى مبرنسا ، فقلت : لا ترضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم ؟ فقال : يا عليّ ، لا نعطي هذه الدنية فإنها ضلالة . وأما قولي لمعاوية : إن جرتني إليك كتاب الله تيممك ، وإن

(١) في بعض الأصول : « وضا » . (٢) في بعض الأصول : « من » .

- جَرَكَ إِلَى تَبَعْتَنِي . زَعَمْتَ أَنِّي لَمْ أُعْطِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَوْثِقَ مَا فِي يَدِكَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَخَدَّئْنِي وَيَحْكُ عَنِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ ، أَمْ أَقْرَبُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ أَمْ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّامِ ؟ قَالَ : بَلِ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّامِ أَقْرَبُ . قَالَ عَلِيٌّ : أَوْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوْثِقَ بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَنَا ؟ قَالَ : بَلِ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : أَفَرَأَيْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَقُولُ : (قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوْتَى بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَى مِمَّا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، زِدْنِي . قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أُعْظِمُ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ؟ قَالَ : ١٠ تَحْكِيمَ الْحَكَمِينَ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شَكًّا وَتَبْذِيرًا . قَالَ عَلِيٌّ : فَتَى سُمِّيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا : حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ . قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ . فَقَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : سُمِّيَ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ . قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا فُيِّرَ سَأَلُهُ كَانَ عَدْلًا . أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ السَّكَوَاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ كَافِرًا ، كَانَ بَصُرُ نَبِيِّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلِ رَضِيتُ حُكْمَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : لَا ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ . قَالَ عَلِيٌّ : وَيَلِكُ يَا ابْنَ السَّكَوَاءِ ! هَلِ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مَعَاوِيَةَ ، وَكَيْفَ أَحْكَمُهُ ٢٠ وَحُكْمَهُ عَلَى صَرَبِ عُنُقِي ؟ إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً فَخَافَا شِقَاقَ بَيْنَهُمَا ، فَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ،

وفي كتابه (فابعثوا حكاماً من أهله وحكاماً من أهلها) فجاء رجل من اليهود
أورجل من النصارى ورجل من المسلمين الذين يجوز لها أن يحكما في كتاب الله ،
فحكما . قال ابن الكوَّاء : وهذه أيضاً ، أمهلنا حتى ننظر . فانصرف عنهم
على . فقال له صعصعة بن صوحان : يا أمير المؤمنين ، أئذن لي في كلام القوم .
قال : نعم ، ما لم تبسط يداً . قال : فنأدى صعصعة ابن الكوَّاء ، فخرج إليه ،
فقال : أنشدكم بالله يا معشر الخارجين ألا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره ،
والأ تخرجوا بأرض تسموا بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية
ضلال عام قابل . فقال له ابن الكوَّاء : إن صاحبك لقينا بأمر قولك فيه
صغير ، فأمسك .

١٠ قالوا : إن علينا خرج بعد ذلك إليهم فخرج إليه ابن الكوَّاء ، فقال له
على : يا ابن الكوَّاء ، إنه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام
حدثاً أستبيناه من ذلك الذنب بعينه ، وإن توبت أن تعرف هدى ما خرجت
منه وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكوَّاء : إننا لا نُنكر أنا قد فتننا .
فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز : أدركنا والله هذه الآية (ألم . أحسب
الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يُفتنون) . وكان عبد الله من قراء
١٥ أهل حروراء ، فرجموا فصولوا خلف على الظهر ، وأنصرفوا معه إلى الكوفة ،
ثم اختلغوا بعد ذلك في رجعتهم ، ولأم بعضهم بعضاً . فقال زيد بن عبد الله
الراسبي ، وكان من أهل حروراء ، يُشككهم :

شككتكم ومن أرمى ثبيراً مكانه ولو لم تشكوا ما انثنتم عن الحرب
وتحكيمكم عمراً على غير توبة وكان لعبد الله خطباً من الخطب
فأنكصه للعقب لما خلا به فأصبح يهوى من ذرى حالي صعب

وقال الراسبي :

ألم تر أن الله أنزل حكمه وعمرو وعبد الله مختلفان

وقال مسلم بن يزيد الثقفي ، وكان من عبّاد حرّوراء :

وإن كان ما عبّناه عبّياً فحسبنا خطايا بأخذ النصح من غير ناصح
وإن كان عبّياً فأعظمن بتركنا عليّاً على أمرٍ من الحقّ واضح
ونحن أناسٌ بين بين وعلمنا سرّنا بأمرٍ عبّه غير صالح
ثم خرجوا على عليّ فقتلهم بالنهروان .

خروج عبد الله بن عباس على عليّ

قال أبو بكر بن أبي شيبه : كان عبدُ الله بن عبّاسٍ من أحبّ الناس إلى
عمر بن الخطّاب ، وكان يُقدّمه على الأكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،
ولم يستعمله قط ، فقال له يوماً : كذبتُ أستعملك ولكن أخشى أن تستحلّ
النبيّ على التأويل . فلما صار الأمرُ إلى عليّ استعمله على البصرة . فاستحلّ
النبيّ على تأويل قول الله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) ، واستحلّه من قرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبّيد قال :

مرّ ابنُ عبّاسٍ على أبي الأسود الدؤلي فقال له : لو كنت من البهائم لكنت
جملاً ، ولو كنت راعيّاً ما بلغت الرعي^(١) . فكتب أبو الأسود إلى عليّ :
أما بعد . فإن الله جعلك والياً مؤتمناً ، وراعيّاً مستولاً ، وقد بلوناك ، رحمك
الله ، فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للأمة ، توفّر لهم فيهم ، وتكفّ نفسك
عن دنياهم ، فلا تأكل أموالهم ، ولا ترثشئ بشيء في أحكامهم . وابن عمك
قد أكل ما تحت يديه من غير علمك ، فلم يستغنى كتمانك ذلك . فانظر ،
رحمك الله ، فيما هنالك ، واكتب إلى برأيك ، فما أحببت أتبعه إن
شاء الله . والسلام .

(١) وزاد الطبري على هذا : « ولا أحسنت مهنته في المعنى » .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فمثلك نصح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وفارق الجور . وقد كتبتُ لصاحبك بما كتبتَ إلىّ فيه ، ولم أعلمه بكتابتك إلىّ . فلا تدع إعلامي ما يكون يحضرك مما النظرُ فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب لله عليك . والسلام .

٥ وكتب عليّ إلى ابن عباس : أما بعد . فإنه قد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت الله ، وأخربت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين . بلغني أنك خرّبت الأرض ، وأكلت ما تحت يدك . فأرفع إلىّ حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس . والسلام .

١٠ وكتب إليه ابن عباس : أما بعد . فإن كلّ الذى بلغك باطلٌ ، وأنا لعمري تحت يدي ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تُصدّق عليّ الظنين .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمنى ما أخذت من الجزية من أين أخذته ، وما وضعت منها أين وضعته . فاتق الله فيما أنتممتك عليه وأسترعيتك إياه ، فإن المتاع بما أنت رازمه^(١) قليل ، وتبعاته وبيلة لا تبديد . والسلام .

١٥ فلما رأى أن عليّاً غير مُقلع عنه ، كتب إليه : أما بعد . فإنه بلغني تعظيمك عليّ سرزنة مال بلغك أنى رزائه^(٢) أهل هذه البلاد . وأيم الله ، لأن ألقى الله بما فى بطن هذه الأرض من عقيانها^(٣) ومخبئها ، وبما على ظهرها من طلاعها^(٤) ذهباً ، أحب إلىّ من أن ألقى الله وقد سفكت دماء هذه الأمة لأنال بذلك الملك والإمرة . أبعث إلى عمالك من أحببت فإني ظاعن . والسلام .

٢٠ فلما أراد عبدُ الله المسير من البصرة دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن

(١) رازمه ، أى جامعه .

(٢) يقال : رزأ المال رزوا ومرزئة ، إذا أصاب منه شيئاً .

(٣) العقيان (بالسكسر) : الذهب .

(٤) طلاع الشيء (ككتاب) : ملؤه .

صَعَصَعَةً لِيَنْعُوهُ . فَجَاءَ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ فَأَجَارَهُ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَزِينَ^(١) . وَكَانَ شَجَاعًا بَيْدِيًّا ، فَقَالَتْ بَنُو هَلَالٍ : لَا غَنَى بِنَا عَنِ هَوَازِنَ . فَقَالَتْ هَوَازِنُ : لَا غَنَى بِنَا عَنِ بَنِي سُلَيْمٍ . ثُمَّ أَتَتْهُمْ قَيْسٌ . فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ لَهُ حَمَلَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ فِيهَا زَعْمًا سِتَّةَ آلَافٍ أَلْفٍ ، فَجَعَلَهُ فِي الْغُرَاثِ .

قال : فُخِّدْتَنِي الْأَزْرَقُ الْيَشْكُرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَشْيَاخَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالُوا : لَمَّا وَضِعَ الْمَالُ فِي الْغُرَاثِ ثُمَّ مَضَى بِهِ ، تَبِعَتْهُ الْأَخْمَاسُ^(٢) كُلُّهَا بِالْعَاطْفِ ، عَلَى أَرْبَعِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَوَاقَفُوهُ . فَقَالَتْ لَهُمْ قَيْسٌ : وَاللَّهِ لَا تَصَلُوا إِلَيْهِ وَمَتَا عَيْنُ تَطْرَفُ . فَقَالَ ضَمْرَةُ ، وَكَانَ رَأْسَ الْأَزْدِ : وَاللَّهِ إِنْ قَيْسًا لِإِخْوَتُنَا

فِي الْإِسْلَامِ ، وَجِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَأَعْوَانُنَا عَلَى الْعَدُوِّ . إِنْ الَّذِي تَذْهَبُونَ بِهِ ١٠
لِلْمَالِ ، لَوْ رَدَّ عَلَيْكُمْ لَسَكَانَ نَصِيْبِكُمْ مِنْهُ الْأَقْلَ ، وَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ . قَالُوا : فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : انصرفوا عنهم . فقالت بكر بن وائل وعبد القيس : نِعَمَ الرَّأْيِ رَأَى ضَمْرَةَ ، وَاعْتَزَلُوهُمْ . فقالت بنو تميم : وَاللَّهِ لَا نَفَارِقُهُمْ حَتَّى نَقَاتَلَهُمْ عَلَيْهِ .

فَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَقُّ أَلَّا تَقَاتِلُوهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ ١٥
مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْكُمْ رَحِمًا . قَالُوا : وَاللَّهِ لَمْ نَقَاتَلَهُمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَعَاوِنُكُمْ^(٣) عَلَى قِتَالِهِمْ ، وَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ . فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ابْنُ الْمُجَاعَةِ^(٤) فَقَاتَلَهُمْ . فَحَمَلَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَطَعَنَهُ فِي كَتِفِهِ فَصَرَعه ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ قَتْلِ . وَحَمَلَ سَلْمَةَ بْنَ ذُوَيْبِ السَّعْدِيِّ عَلَى الضَّحَّاكِ فَصَرَعه أَيْضًا ، وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْجِرَاحُ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ . فَقَالَ الْأَخْمَاسُ^(٢) الَّذِينَ اعْتَزَلُوا : وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا . اعْتَزَلْتُمْ قِتَالَهُمْ وَتَرَكَتُمُوهُمْ يَتَشَاجِرُونَ . فَجَاءُوا حَتَّى صَرَفُوا وَجُوهَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ ، ٢٠

(١) فِي الْأَصُولِ هُنَا : « رَزِينَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » وَمَا أُثْبِتْنَا مِنَ الطَّبْرِيِّ وَمِمَّا سِيَّاقُ .

(٢) يُرِيدُ أَخْمَاسَ الْبَصْرَةِ ، وَهِيَ خَمْسَةٌ ، فَالْخَمْسُ الْأَوَّلُ الْعَالِيَةُ ، وَالْخَمْسُ الثَّانِي بَكْرِ بْنِ

وَائِلٍ ، وَالْخَمْسُ الثَّلَاثُ تَمِيمٍ ، وَالْخَمْسُ الرَّابِعُ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَالْخَمْسُ الْخَامِسُ الْأَزْدُ .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالطَّبْرِيِّ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « لَا نَعَاوِنُكُمْ » .

(٤) فِي الْأَصُولِ : « ابْنُ مَحْدَبَةَ » وَمَا أُثْبِتْنَا مِنَ الطَّبْرِيِّ .

وقالوا لبني تميم : والله إن هذا اللؤم قبيح ، لنحن أسخى أنفساً منكم حين تركنا أموالنا لبني عمكم ، وأنتم تقاتلونهم عليها ، خلوا عنهم وأرواحهم ، فإن القوم فُدحوا . فانصرفوا عنهم ، ومضى معه ناسٌ من قيس ، فيهم الضحاك بن عبد الله وعبد الله بن رزين ، حتى قدموا الحجاز ، فنزل مكة ، فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له في الطريق ويقول :

صَبَّحْتُ مِنْ كَاطِمَةِ الْقَصْرِ الْخَرِبِ مع ابن عباس بن عبد المطلب^(١)
وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

أَوِي إِلَى أَهْلِكَ يَا رَبَّابُ أَوِي فَقَدْ حَانَ لَكَ الْإِيَابُ
وجعل أيضاً يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا إِنَّ يَصْدُقُ الطَّيْرُ نَبِيَّكَ^(٢) لَمَيْسًا
فقيل له : يا أبا العباس ، أمثلك يرفث في هذا الموضع ؟ قال : إنما الرفث ما يقال عند النساء .

قال أبو محمد : فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بني كعب ، من جواريه ثلاث مولدات حجازيات ، يقال لهن : شادن ، وحوراء ، وفتون . بثلاثة آلاف دينار .

وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي السكون قال : كنت من أعوان عبد الله بالبصرة ، فلما كان من أمره ما كان أتيتُ علياً فأخبرته فقال : (وَأَنْزَلُ عَلَيْهِ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . ثم كتب معه إليه : أما بعد ، فإني كنتُ أشركتُك في أماتي ، ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثقَ عندي منك بمواساتي ومؤازرتي

(١) كاظمة : على سيف البحر من البصرة على مرحلتين . وفيها ركام كثير وماؤها شروب . ورواية البيت في السكامل :

صبحن من كاظمة الحص الحرب بمحمان عباس بن عبد المطلب
يريد : ابن عباس . وقد ساقه المبرد شاهداً على إقامة العرب المضاف إليه . مقام المضاف .

(٢) في عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣١) : « نزل » .

بأداء الأمانة ، فلما رأيت الزمان قد كَلَبَ عَلَى ابن عمك ، والعدو قد حَرَدَ ،
وأمانة الناس قد خَرَبَت ، وهذه الأمة قد فُتِنَت ، قلبت لأبن عمك ظهر الحن ،
ففارقته مع القوم المفارقين ، وخذلتَه أسوأ خِذْلَان ، وخُنْفَه مع مَنْ خان .
فلا ابن عمك آسِيتَ ، ولا الأمانة إليه أُدِيتَ ، كأنك لم تكن على بَيِّنَةٍ من
رَبِّكَ ، وإنما كِدْتَ أمة محمد عن دُنْيَاهِم ، وغَدَرْتَهُم عن فَيْتَهُم . فلما أمكنتك
الفرصة في خِيَانَةِ الأُمَّة ، أَسْرَعَتِ الغَدْرَةَ ، وعالجتِ الوَثْبَةَ ، فاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ
عليه من أموالهم ، وانقلبتَ بها إلى الحِجَاز ، كأنك إنما حُزْتَ عن أهلِكَ مِيرَانِكَ
من أبيك وأمك . سبِحان الله ! أما تُؤْمِنُ بِالْمَعَاد ، أما تُخَافُ الْحِسَاب ! أما
تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا ! وَتَشْتَرِي الْإِمَاءَ وَتَسْكُحُهُمْ بِأَمْوَالِ
الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الَّتِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَدِّ
إِلَى الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تَمْعَلَ وَأَمْكُنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَعْذُرَنِي إِلَى اللَّهِ
فِيكَ . فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهَا عِنْدِي
هَوَادَةٌ ، وَلَمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا بَعْدَ . فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعْظِمُ عَلَيَّ أَمَانَةَ
الْمَالِ الَّذِي أَصَبْتُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ . وَلِعَمْرِي إِنْ حَقَّ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ
أَكْثَرُ مِنْ الَّذِي أَخَذْتُ . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْكَ ، إِذْ تَرَى
لِنَفْسِكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ أَفْلَحَتْ إِنْ كَانَ
تَمْنِيكَ الْبَاطِلَ وَأَدْعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ يُنْجِيكَ مِنَ الْإِنْتِمِ ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْكَ . عَمَّرَكَ اللَّهُ ! إِنَّكَ لِأَنْتَ الْبَعِيدُ^(١) ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا ،
وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا ، تَشْتَرِي الْمَوْلِدَاتِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى
عَيْنِكَ ، وَتُعْطِي بَهَنَ^(٢) مَالٍ غَيْرِكَ . وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ، مَا أَحْبَبْتُ

(١) أى البعيد عن الصواب . (٢) فى بعض الأصول « بها » .

أَنَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالًا أَدَعُهُ مِيرَاثًا لِعَقْبِي . فَمَا بَالُ اغْتِبَاطِكَ بِهِ
تَأْكُلُهُ حَرَامًا ! ضَحَّ زُوَيْدًا^(١) . فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى ، وَعُرِضْتَ عَلَيْكَ
أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُبَادَى فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَمَتَّى الْمُضَيِّعُ التَّوْبَةَ ، وَالظَّالِمُ الرَّجْعَةَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَدْعُنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَهْلِهِ إِلَى
مَعَاوِيَةَ يُقَاتِلَكَ بِهِ . فَكَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ .

مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سُعْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَخْرُجُ
بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ . فَقَالَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : نَخْشَى أَنْ يُصِيبَهُ بِمَعْصُ عَدُوِّهِ ، وَلَكِنْ
تَعَالَوْا نَحْرُسْهُ . فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِنَا ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَكَتَمْنَاهُ .
فَعَزَمَ عَلَيْنَا . فَأَخْبَرَنَا . فَقَالَ : تَحْرُسُونِي مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟
قُلْنَا : مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ يُقْضَى فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُقْضَى فِي السَّمَاءِ .
التَّمِيمِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ قَالَ : لَمَّا تَوَاعَدَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَصَاحِبَاهُ بِقَتْلِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ
وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، دَخَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْمَسْجِدَ فِي بُرُوعِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ ، فَدَخَلَ
فِي الصَّلَاةِ تَطَوُّعًا ، ثُمَّ أَفْتَتَحَ فِي الْقِرَاءَةِ ، وَجَمَلَ يُكْرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَمَنْ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءً مَرْضَاةَ اللَّهِ) . فَأَقْبَلَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ مِخْفَقَةً^(٢) ،
وَهُوَ يُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ . فَمَرَّ بِابْنِ مُلْجَمٍ
وَهُوَ يَرُدُّ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّهُ يَنْسِي فِيهَا ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ
رَمَوْفٌ بِالْعِبَادِ) . ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الدَّارَ ، فَأَتْبَعَهُ فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ
قَرْنَهُ ، وَوَقَعَ السِّيفُ فِي الْجِدَارِ ، فَأَطَارَ فِدْرَةً^(٣) مِنْ آخِرِهِ ، فَأُبْتَدِرَهُ النَّاسُ فَأَخَذُوهُ ،
وَوَقَعَ السِّيفُ مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، احْذَرُوا السِّيفَ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ .
قَالَ : فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ : احْبِسُوهُ ثَلَاثًا وَأَطْعَمُوهُ وَاسْقُوهُ ، فَإِنْ أَعَشَ أَرَفِيهِ .

(١) ضح ، أمر من التضحية ، أي لا تعجل في ذبحها . ثم استهير في النهي عن العجلة في الأمر .

(٢) المخفقة (كككسة) : الدرة أو سوط من خشب .

(٣) فدرة ، بالكسر ، أي قطعة .

رَأَيْتُ ، وَإِنْ أُمْتُ فَأُقْتَلُوهُ وَلَا تَمْتَلُوا بِهِ . فَهَاتِ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ . فَأَخَذَهُ عَبْدُ اللَّهِ
ابن جهمر فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَلَمْ يَنْزِعْ ، ثُمَّ أَرَادَ قَطْعَ لِسَانِهِ فَنَزَعَ . فَقِيلَ لَهُ :
لَمْ تَنْزِعْ لِقَطْعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَفَزَعْتَ لِقَطْعِ لِسَانِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ
لَا تُعْرَبِي سَاعَةً لَا أَذْكَرُ اللَّهَ فِيهَا . ثُمَّ قَطَعُوا لِسَانَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ .

٢٩٨
٣

٥ وَتَوَجَّهَ الْخَارِجِيُّ الْآخِرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَتَوَجَّهَ الثَّالِثُ إِلَى
عَمْرٍو فَوَجَدَهُ قَدْ أَغْفَلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدَّمَ مَكَانَهُ رَجُلًا يَقَالُ
لَهُ خَارِجَةٌ ، فَضَرَبَهُ الْخَارِجِيُّ بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَظُنُّهُ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ، فَقَتَلَهُ . فَأَخَذَهُ
النَّاسُ ، فَقَالُوا : قَتَلْتَ خَارِجَةً . قَالَ : أَوْلَيْسَ عَمْرًا ؟ قَالُوا لَهُ : لَا . قَالَ : أَرَدْتُ
عَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً .

١٠ وَفِي الْحَدِيثِ : إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَشَدِّ
النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِرُ نَاقَةِ ثَمُودَ ، وَخَاضِبُ حَيْمَتِكَ بِدَمِ رَأْسِكَ .
وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةَ :

١٥ أَلَا إِنْ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَوَلَاةَ الْعَهْدِ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبَطُ سَبَطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرِّ بِلَاءِ
وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا بَرَضُومِي عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

٢٠ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : حَدَّثَنِي أَبِي الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي صَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ
مَا رَزَقَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَكَوْتُ
لَهُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ لِي : ادْعُ اللَّهَ أَنْ
يُرِيحَكَ مِنْهُمْ ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قُتِلَ فِيكُمْ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في كتفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يفتنى حتى يفتح الله له ، ما ترك إلا ثلثمائة درهم .

خلافة الحسن بن علي

ثم بُويع للحسن بن علي . وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ ، فسكتب إليه ابن عباس : إن الناس قد ولّوك أمرهم بعد علي ، فأشدد عن يمينك ، وجاهد عدوك ، واستر من الظنين ذنبه بما لا يثلم دينك ، وأستعمل أهل البيوتات تستصلح بهم عشارهم .

ثم اجتمع الحسن بن علي ومعاوية بمسكن ، من أرض السواد من ناحية الأنبار ، وأصلحا ، وسلم الحسن الأمر إلى معاوية ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، ويسمى عام الجماعة . فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ، ومات الحسن في المدينة سنة تسع وأربعين ، وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيد بن العاص ، وهو والي المدينة . وأوصى أن يُدفن مع جدّه في بيت عائشة ، ففعله مروان بن الحكم فردّوه إلى البقيع .

وقال أبو هريرة لمروان : علام تمنع أن يُدفن مع جدّه ؟ فلقد أشهد أبا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة . فقال له مروان : لقد ضيع [الله] حديث نبيّه إذ لم يرويه غيرك . قال : أما إنك إذ قلت ذلك لقد صحبتته حتى عرفت من أحبّ ومن أبغض ، ومن نفى ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه .

ولما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرّ ساجداً لله ، ثم أرسل إلى ابن عباس ، وكان معه في الشام ، فعزّاه وهو مستبشر ، وقال له : ابن كم سنة مات أبو محمد ؟ فقال له : سيّته كان يُسمع في قریش ، فالعجب من أن يجهله مثلك ! قال : بلغني

أنه ترك أطفالاً صغاراً . قال : كلُّ ما كان صغيراً يكبر ، وإنَّ طفلاً لسكره ، وإن صغيرنا لسكر . ثم قال : مالي أراك يا معاوية مُستبشراً بموت الحسن ابن علي ؟ فوالله لا ينسأ في أجلك ، ولا يسُدُّ حُفرتك ، وما أقلُّ بقاءك وبقاءنا بعده . ثم خرج ابنُ عباس ، فبعث إليه معاوية ابنة يزيد ، فقعده بين يديه فعزَّاه وأستعبر لموت الحسن ، فلما ذهب أتبعه ابنُ عباس بصره ، وقال : إذا ذهب آل حرب ذهب الحليم من الناس .

ثم اجتمع الناسُ على معاوية سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، فبايعه أهلُ الأمصار كلها ، وكتب بينه وبين الحسن كتاباً وشروطاً ، ووصله بأربعين ألفاً . وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبة أنه قال له : والله لأجيزنك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ، ولا أجيز بها أحداً بعدك ، فأمر له بأربعين ألفاً .

خلافة معاوية

هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكنيته أبو عبد الرحمن ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمانِ بقين من رجب سنة ستين ، وصلى عليه الضحَّاك بن قيس ، وهو ابنُ ثلاث وسبعين سنة ، ويقال ابنُ ثمانين سنة . كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً . صاحب شرطته يزيد بن الحارث العبسي . وعلى حرسه — وهو أول من اتخذ حرساً — رجل من الموالي يقال له المختار . وحاجبه سعد ، مولاه . وعلى القضاء أبو إدريس العنولاني . وولده عبد الرحمن وعبد الله ، من فاختة بنت قرظة^(١) . أما عبد الرحمن فمات صغيراً ، وأما عبد الله فمات كبيراً ، وكان ضعيفاً ولا عقب له من الذكور .

(١) في بعض الأصول : « قرظة » .

وكان له بنت يقال لها عاتكة ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، وفيها يقول الشاعر^(١) :
يا بيتَ عاتكة الذي أتزلُّ حذرَ العدا وبه الفؤادُ موكلٌ^(٢)
وزيد بن معاوية ، وأمه أبنه بمحدل^(٣) ، كلبية .

فضائل معاوية

ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا قرم^(٤) قريش وأبن كريمة ،
من يضحك عند الغضب ، ولا ينام إلا على الرضا ، ويتناول ما فوقه من تحته .
سئل عبد الله بن عباس عن معاوية ، فقال : سمأ بشيء أسره ، وأستظهر
عليه بشيء أعلنه ، فحاول ما أسره بما أعلنه . كان حله قاهراً لقضبه ،
وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع ، ويجمع ولا يفرق ، فأستقام له أمره ،
وجرى إلى مدته . قيل : فأخبرنا عن ابنه . قال : كان في خير سبيله ، وكان
أبوه قد أحكمه ، وأمره ونهاه ، فتعاق بذلك ، وسلك طريقاً مذلالاً له .

وقال معاوية : لم يكن في الشباب شيء إلا كان مني فيه مستمتع ، غير
أنني لم أكن صرعة ولا نسكحة^(٥) ولا سبياً .
قال الأصمعي : السب : كثير السباب .

- ١٥ (١) الشاعر هو الأحوص بن محمد الأنصاري . وهذا البيت مطلع قصيدة له مدح بها عمر
ابن عبد العزيز في عروض قصيدة أسامان ابن أبي دباكل التي يقوله فيها :
يا بيت خنساء الذي أنجب ذهب الشباب وجهه لا يذهب
انظر الأغاني (ج ١٨ ص ١٩٥) طبعة بلاق .
- ٢٠ (٢) عاتكة ، قيل عجوز كبيرة ، وقبل هي عاتكة بنت عبد الله بن معاوية . وروى
إسحاق بن عبد الملك أن الأحوص كان ليلاً وأن عاتكة التي كان يشبب بها
ليست عاتكة بنت عبد الله بن معاوية إنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين
الأشراف كني عنه بعاتكة . وأنزله : أنتجبه ، وأكون بمزل عنه . (انظر الأغاني)
- (٣) هي ميسون بنت بحدل .
- (٤) كذا في بعض الأصول . وفي عيون الأخبار (ج ١ ص ٩) : « آدم » . وانظر
الخبز (ج ١ ص ٢٩) من هذه الطبعة . والذي في سائر الأصول : « ذم » .
- ٢٥ (٥) الصرعة (كهمزة) : من يصرع الناس . وبالضم : من يصرعه الناس . والنسكحة
(كهمزة) : السكثير النكاح .

ميمون بن مهران قال : كان أول من جلس بين الخطبتين معاوية ، وأول من وضع شرف العطاء الفين معاوية .

وقال معاوية : لا زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ، إذا ملكت فأحسن .

- المثنبي عن أبيه قال : قال معاوية لهر يش : ألا أخبركم عنى وعنكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنا أطير إذا وقعتم ، وأقع إذا طرتم ، ولو وافق طيرانى طيرانكم سقطننا جميعاً .

قال معاوية : لو أن بينى وبين الناس شجرة ما انقطعت أبداً . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدتها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها .

- وقال زياد : ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية قط إلا فى أمر واحد ، طلبت رجلاً من عمالى كسر على الخراج فاجأ إليه ، فسكتت إليه : إن هذا فساد عملى وعملك . فكتب إلى : إنه لا ينبغي لنا أن نؤوس الناس سياسة واحدة ، لانيين جميعاً فيمروح الناس فى المعصية ، ولا نشمتد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ، ولسكن تكون أنت للشدة والفظاظة والغلظة ، وأكون أنا للرافة والرحمة .

أخبار معاوية

- ١٥ قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة ، فدخل دار عثمان بن عفان ، فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباه . فقال معاوية : يا بنة أختى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ، وأظهرنا لهم حيلماً تحت عصب ، وأظهروا لنا ذلاً تحت حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، ويرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا . لأن تسكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تسكونى امرأة من عرض الناس .

التحذمى قال : لما قدم معاوية المدينة قال : أيها الناس ، إن أبابكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته ولم يرددها ، وأما عثمان

فقال منها ونالت منه ، وأما أنا فمالت بي وملتُ بها ، وأنا ابنتها ، فهي أمي وأنا ابنتها ، فإن لم تجدونني خيراً كم فأنا خيرٌ لكم . ثم نزل .

قال جويرية بن أسماء . نال بُسْرُ بن أرطاة^(١) من علي بن أبي طالب عند

معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلا بُسْرُاً ضرباً حتى شجّه . فقال

معاوية : يا زيد ، عمدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضررتَه ! وأقبل

على بُسْرٍ وقال : تشتم علياً وهو جدُّه وأبوه الفاروق على رؤوس الناس ! أفكنت

تراه يصبر على شتم علي ! وكانت أم زيد أم كُثُوم بنت علي بن أبي طالب .

ولما قدم معاوية مكة ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هُند ،

فقال له : يا بني . إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ،

فأعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان ،

فقال له : يا بني . إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا ، فرقمهم سبقهم

وقصّر بنا تأخيرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيماً من أمرهم ،

فلا تخافن رأيهم ، فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغتَه لتهنّست فيه .

قال معاوية : فمجتب من اتفقاها في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

العتبي عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قدّم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن

ابن عوف على حمار ، فتلقاها معاوية في موكب نبيل ، فجاوز عمر حتى أخبر

فرجع إليه ، فلما قرُب منه نزل ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ،

أنت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال :

نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأننا في بلاد لا يمتنع فيها من

جواسيس العدو ، فلا بد لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان ، فإن أمرتني بذلك

أقت عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت . قال : لئن كان الذي قلت حقاً فإنه رأي

أريب ، ولئن كان باطلاً فإنها خدعة أديب ، ولا آمرك به ولا أنهك عنه .

(١) في الأصول : • بصر بن أرطاة • تصحيف (انظر الطبري والعارف) .

فقال عبد الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال :
لِحُسْنِ مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ جَشْمَانَاهُ مَا جَشْمَانَاهُ .

وقال معاوية لابن الكوّاء : يا ابن الكوّاء ، أنشدك الله ، ما علمك في ؟
قال : أنشدتني الله ! ما أعلمك إلا واسع الدنيا ضيق الآخرة .

- ولما مات الحسن بن علي حج معاوية ، فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليًا
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : إن ما هنا سعد بن أبي وقاص ،
ولا نراه يرضى بهذا ، فأبعث إليه وخذ رأيه . فأرسل إليه وذكر له ذلك .
فقال : إن فعلت لأخرجن من المسجد ، ثم لا أعود إليه . فأمسك معاوية عن
لعنه حتى مات سعد . فلما مات لعنه على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على
المنابر ، ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية : إنكم
تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن
أحبّه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ، فلم يلتفت إلى كلامها .

- وقال بعض العلماء لولده : يا بُني ، إن الدنيا لم تبئن شيئاً إلا هدمه الدين ،
وإن الدين لم يبئن شيئاً فهدمته الدنيا ، ألا ترى أن قوماً لعنوا عليًا ليخفصوا
منه فكانوا يأخذوا بناصيته جراً إلى السماء .

- ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على
سريره ، فقال : وسمعت له على ترابية فيه . فقال صعصعة : إني والله أترباني ، منه
خلفت ، وإليه أعود ، ومنه أبعث ، وإنك لسارج من مارج من نار .
العتبي عن أبيه ، قال : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما أعجب الأشياء ؟
قال غلبت من لا حق له ذا الحق على حقه . قال معاوية : أعجب من ذلك أن
يُعطي من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

- وقال معاوية : أعنت علي على بأربعة ، كنت أكرم سرمي وكان رجلاً
يظهره ، وكنت في أصلح جند وأطوعه وكان في أخبث جند وأغصاه ،

وتركته وأصحاب الجمل وقلت: إن ظفروا به كانوا أهون على منه، وإن ظفروا بهم أغتر بها في دينه، وكنت أحب إلى قریش منه. فيالك من جامع إلى ومفرق عنه!

العُتبي قال: أراد معاوية أن يُقدِّمُ ابنه يزيدَ على الصائفة^(١)، فسكَّره ذلك يزيدُ، فأبى معاوية إلا أن يفعل، فسكَّتب إليه يزيد يقول:

نَجِيٌّ لَا يَزَالُ يُمَدِّدُ ذَنْبًا لَتَقَطَعَ وَصَلَ حَبْلِكَ مِنْ حَبَالِي
فِيُوشِكُ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْ أَدَاتِي نَزُولِي فِي الْمَهَالِكِ وَارْتِحَالِي
وَتَجُوزُ لِلخُرُوجِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ^(٢) عَنْهُ أَحَدٌ، حَتَّى كَانَ فِيمَنْ خَرَجَ أَبُو أَيُّوبِ
الأنصاري صاحبُ النبي صلى الله عليه وسلم.

قال العُتبي: وحدثني أبو إسحاق^(٣) إبراهيم قال: أرسل معاوية إلى ابن عباس، قال: يا أبا العباس، إن أحببتَ خرجت^(٤) مع ابن أخيك فيأنس بك ويقربك وتشير عليه برأيك. ولا يدخل الناسُ بينك وبينه فيشغلوا كلَّ واحد منكما عن صاحبه. وأقلَّ من ذكر حقلك؛ فإنه إن كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حُبًّا، وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره، مع أنه صائر إليك، وكل آت قريب، ولتجدن^(٥)، إذا كان ذلك، خيرًا لكم منا.

فقال ابن عباس: والله لئن عظمت عليك النعمة في نفسك لقد عظمت عليك في يزيد. وأما ما سألتني من الكف عن ذكر حقِّي، فأبى لم أنعمد سيفي وأنا أريد أن أنتصر بلساني. ولئن صار هذا الأمرُ إلينا ثم وليكم من قومي مثلي كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلك إلا ما يُحبون.

قال: فخرج يزيد، فلما صار على الخليج^(٦) نُقل أبو أيوب الأنصاري،

(١) الصائفة: الجليش بغزو صيفا. (٢) في بعض الأصول: «يتخلف».

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خراش. وفي بعض الأصول: «أبو إبراهيم».

(٤) في بعض الأصول: «أن تخرج» مكان «خرجت».

(٥) في بعض الأصول: «ولتجدنا».

(٦) الخليج: بحر دون القسطنطينية. (انظر معجم البلدان).

فأتاه يزيدُ عائداً ، فقال : ما حاجتُك أبا أيوب ؟ فقال : أما دُنْيَاكم فلا حاجةَ لي فيها ، ولكن قدَّمنى ما استطعتَ في بلادِ العدوِّ ، فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُدفن عند سُور القسطنطينية رجلٌ صالحٌ ، أرجو أن أكون هو . فلما مات أسيرُ يزيدُ بتكفينه وسُمل على سريره ، ثم أخرج الكتائب فجعل قيصري سريراً يُحمل والناس يقتتلون . فأرسل إلى يزيد : ما هذا الذي أرى ؟ قال : صاحبُ نبيتنا وقد سألنا أن نقدِّمه ^(١) في بلادك ، ونحن مُنفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فأرسل إليه : العجبُ كل العجب . كيف يدعى ^(٢) الناسُ أباك وهو يُرسلك ، فتعمد إلى صاحب نبيك فتدفنه في بلادنا ، فإذا وليت آخر جناه إلى السكلاب ! فقال يزيد : إني والله ما أردتُ أن أودعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم ، فإنك ^(٣) كافر بالذي أكرمتُ هذا له ، لئن بلغني أنه نُفس من قبره أو مُثل به ، لا تركتُ بأرض العرب نصرانياً إلا قتلته ، ولا كنيسةً إلا هدمتها . فبعث إليه قيصر : أبوك كان أعلم بك ، فوحي المسيح لأحفظه بيدي سنة . فلقد بلغني أنه بُني على قبره قبةٌ يُسرج فيها إلى اليوم .

طلب معاوية البيعة ليزيد

١٥ أبو الحسن المدائني قال : لما مات زياد ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ، أظهر معاوية عهداً مُفتعلاً ، فقرأه على الناس ، فيه عقدُ الولاية ليزيد بعده ، وإنما أراد أن يُسهل بذلك بيعةَ يزيد . فلم يرل يروضُ الناسَ لبيعته سبع سنين ، ويُشاور ، ويُعطى الأتارب ويُداني الأبعاد ، حتى أستوثق له من أكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : ما ترى في بيعة يزيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم . وتفكر

(١) في بعض الأصول : « تدفنه » .

(٢) يقال : دهاه ، إذا نسبه إلى الدهاء . يريد أن اختيار أبيه له لم يكن عن جودة رأى ولا أرب .

(٣) في بعض الأصول : « فإني » .

قبل أن تَنَدَمَ ، فإن النَّظَرَ قبل التَّقَدَّمَ ، والتَّفَكُّرَ قبل التَّنَدَّمَ . فضحك معاوية وقال : ثعلب رَوَّاعٌ ، تعلَّمت السَّجْعَ ^(١) عند السَّكْبَرِ ، في دون ما سَجَّعت ^(٢) به على ابن أخيك ما يَكْفِيكَ . ثم التفت إلى الأحنف فقال : ما ترى في بيعة يزيد ؟ قال : نخافكم إن صدقناكم ، ونخاف الله إن كذبنا .

٥ فلما كانت سنة خمس وخمسين ^(٣) كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عليه . فوفد عليه من كل مِضْرٍ قومٌ ، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حَزْمٍ ، فخلا به معاوية وقال له : ما ترى في بيعة يزيد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحبُّ إلى رِشْدًا من نفسك سوى نَفْسِي ، وإن يزيد أصبح غنيًّا في المال ، وسيطًا في الحِساب ^(٤) ، وإن الله سائل كل راعٍ عن رعيته ، فاتق الله وانظر من تولى أمرَ أمة محمد .

١٠ فأخذ معاوية بَهْرَ ^(٥) حتى تنفس الصُّعداء ، وذلك في يوم شاتٍ ، ثم قال : يا محمد ، إنك أمرؤ ناصحٌ ، قلت برأيك ولم يكن عليك إلا ذلك . [ثم] قال معاوية : إنه لم يبق إلا أبني وأبناؤهم ، فأبني أحبُّ إلي من أبنائهم ، أخرج عني .

ثم جلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود ، فدخلوا عليه ، وقد تقدَّم إلى أصحابه أن يقولوا في يزيد ، فكان أوَّلَ من تكلم الضحاك بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لا بُدَّ للناس من والٍ بعدك ، والأنفس يُغْدِي عليها ويرُاح ، وإن الله قال : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) . ولا ندري ما يَخْتَلِفُ به العَصْران ، ويزيدُ ابن أمير المؤمنين في حُسْنِ مَعْدِنِهِ ، وقَصْدِ سِيرَتِهِ ^(٦) ، من أفضلنا حلما ،

(١) في بعض الأصول : « الشجاعة » بالشين . ولعلها : السجاعة ، بوزن كتابة ، كالحياطة والحياكة ، غير أن كتب اللغة لم تذكرها .

(٢) في بعض الأصول : « تشجعت » ،

(٣) في الروج أن ذلك كان سنة تسع وخمسين . غير أن ما في الإمامة والسياسة يفهم منه أن ذلك كان في حياة الحسن بن علي ، أي قبل سنة خمسين ، وكانت وفاة الحسن سنة ٤٩ .

(٤) أي أوسطهم نسبا وأرفقهم مجدا . (٥) البهر : الكرب والعجب .

(٦) قصد سيرته ، أي استقامتها .

وأحكنا علماً ، فوله عهدك ، وأجعله لنا علماً بمدك . وإنا قد بَلَوْنَا الجماعةَ والأئمةَ فوجدناه أحقن للدماء ، وآمن للشبل ، وخيراً في العاجلة والآجلة^(١) .

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ، إن يزيدَ أَمَلٌ تأملونه ، وأجل تأملونه^(٢) ؛ طويل الباع ، رَحْبُ الذراع ؛ إذا صرَّتم إلى عدله وسِعكم ، وإن طلبتم رِفْده أغناكم ؛ جَدَعُ قارح ، سُبُوق فسبق ، ومُوجِدٌ فمجد ، وقُورِع فقرع ، خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال : أجلس أبا أمية ، فلقد أوسعت وأحسننت .

ثم قام يزيدُ بن المقفع^(٣) فقال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن هلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبي فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : أجلس ، فإنك سيّد الخطباء .

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسرّه وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه لله رضا وهذه الأمة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

قال : ففتفرق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف .

قال : ثم بايع الناسُ ليزيد بن معاوية ، فقال رجل ، وقد دُعي إلى البيعة : اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية : تعوذ من شر نفسك ، فإنه أشد عليك ، وبايع . قال : إني أبايع وأنا كاره للبيعة . قال له معاوية : بايع أيها الرجل فإن الله يقول : (فقتسى أن تسكرهوا شيئاً ويجهل الله فيه خيراً كثيراً) .

ثم كتب إلى مروان بن الحكم ، عامله على المدينة : أن أدعُ أهل المدينة إلى

(١) في بعض الأصول : « والعاقبة » .

(٢) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته ، فقد ولي حدثاً .

(٣) في عيون الأخبار : « المقنع » .

بيعة يزيد ، فإن أهل الشام والعراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فخصبهم على
 الطاعة وحذرهم الفتنة ودعاهم إلى بيعة يزيد ، وقال : سنة أبي بكر الهادية المهدية .
 فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر : كذبت ! إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ،
 وبايع لرجل من بني عدى ، رضى دينه وأمانته ، وأختاره لأمة محمد صلى الله
 عليه وسلم . فقال مروان : أيها الناس ، إن هذا المتكلم هو الذى أنزل الله
 فيه : (والذى قال لوالديه أف لكما أتعدا نبي أن أخرج وقد خلت القرون
 من قبلي) . فقال له عبد الرحمن : يا ابن الزرقاء ، أفينا تناول القرآن ! وتكلم
 الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر وأنكروا بيعة يزيد ،
 وتفرق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك . فخرج معاوية إلى المدينة
 في ألف ، فلما قرُب منها تلقاه الناس ، فلما نظر إلى الحسين قال : مرحباً بسيد
 شباب المسلمين ، فربوا دابةً لأبي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً
 بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لأبن عمر : مرحباً بصاحب رسول
 الله وابن الفاروق . وقال لابن الزبير : مرحباً بأبن حواري رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وابن عمته ، ودعاهم بدواب فحملهم عليها . وخرج حتى أتى مكة
 فمضى حجه ، ولما أراد الشخصوس أمر بأئتماله فقدمت ، وأمر بالمنبر فقرَّب
 من الكعبة ، وأرسل إلى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير
 فاجتمعوا . وقالوا لابن الزبير : اكفنا كلامه ، فقال : على أن لا تخالفوني . قالوا :
 لك ذلك . ثم أتوا معاوية ، فرحب بهم وقال لهم : قد علمتم نظرى لكم ،
 وتعطفى عليكم ، وصلى أرحامكم ، ويزيد أخوك وابن عمكم ، وإنما أردت
 أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أتم تأمرون وتنهون . فسكتوا ، وتكلم ابن
 الزبير ، فقال : نُحْيِرُكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثَ ، أَيُّهَا أَخَذْتَ فَهِيَ لَكَ رَغْبَةٌ وَفِيهَا
 خِيَارٌ : فَإِنْ شِئْتَ فَأَصْنَعْ فَيُنَا مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبِضَهُ
 اللَّهُ وَلَمْ يَسْتَمْخَلَفْ ، فَدَعِ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَخْتَارَ النَّاسُ لَأَنْفُسِهِمْ ؛ وَإِنْ شِئْتَ

- فما صنع أبو بكر، عهد إلى رجل من قاصية قریش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلاً؛ وإن شئت فما صنع عمر، صيورها إلى ستة نفر من قریش يختارون رجلاً منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً.
- قال معاوية: هل غير هذا؟ قال: لا. ثم قال للآخرين: ما عندكم؟ قالوا:
- نحن على ما قال ابن الزبير. فقال معاوية: إني أتقدم إليكم، وقد أعذر من أنذر، إني قائل مقالة، فأقسم بالله لئن ردّ عليّ رجلٌ منكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر أمرؤ منكم إلا إلى نفسه، ولا يُبقى إلا عليها. وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما، فإن تكلم بكلمة يرّد بها عليه قوله قتلاه. وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر، وحفّ به أهل الشام، وأجتمع الناس، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا وجدنا أحاديث
- ١٠ الناس ذات عوار، قالوا: إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا نُبرم أمراً دونهم، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مُطيعين، فبايعوا وسلموا وأطاعوا. فقال أهل الشام: وما يعظم من أمر هؤلاء، أئذن لنا فنضرب أعناقهم، لا نرضى حتى يبايعوا علانية! فقال معاوية: سبحان الله! ما أمرع الناس إلى قریش بالشرّ وأحلى دماءهم عندهم! أنصتوا، فلا أسمع هذه المقالة من أحد. ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا. ثم قرّبت رواحله، فركب ومضى.
- ١٥ فقال الناس للحسين وأصحابه: قاتم: لانبايع، فلما دعيتم وأرضيتم بايعتم! قالوا لم نفعل. قالوا: بلى، قد فعلتم وبايعتم، أفلا أنكرتم! قالوا: خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم.
- ٢٠

وفاة معاوية

عن الهيثم بن عدى قال: لما حضرت معاوية الوفاة، ويزيد غائب، دعا الضمك بن قيس الفهريّ ومسلم بن عقبة المرّى، فقال: أبا معاوية يزيّد وقولا

له : انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ،
ومن قعد عنك فتماهذه . وانظر أهل العراق ، فإن سألك عزّل عامل في كل
يوم فأعزله ، فإن عزّل عامل واحد أهون من سلّ مائة ألف سيف ، ولا تدري
على من تكون الدائرة ؛ ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن
رأيت من عدوك زئب فأرمه بهم ؛ ثم اردد أهل الشام إلى بلدكم ، ولا يقيموا
في غيره فيتأذّبوا بغير أديهم . لست أخاف عليك إلا ثلاثة : الحسين بن علي ،
وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . فأما الحسين بن علي ، فأرجو أن
يسكفيك الله ، فإنه قتل^(١) أباه وخذّل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه حبّ صب^(٢) ،
وإن ظفرت به فقطعه إرباً إرباً ؛ وأما ابن عمر ، فإنه رجل قد وقده^(٣) الورع ،
نخل بينه وبين آخرته يخلّ بينك وبين دنياك . ثم أخرج إلى يزيد يريد أ
بكتاب يستقدمه ويستحثّه . فخرج مسرعاً . فتلقاه يزيد ، فأخبره بموت معاوية ،
فقال يزيد :

جاء البريدُ بقرطاسٍ يحبُّ به
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم
فمادت الأرضُ أو كادت تميد بنا
ثم أنبعثنا إلى خصوص مزيمة
فما نبأنا إذا بلفظٍ أرحلنا
أودى ابن هندو أودى الحمد يتبعه
أعزّ أبلجٍ يستسقى الغمام به
فأوجس القلبُ من قرطاسه فرعاً
قالوا الخليفةُ أمسى مُثبّتاً وجعاً
كأنّ أغبرَ من أركانها أنقلعا
نرمي العجاج بها ما نأتى سرعاً^(٤)
ما مات منهنّ بالمومة أو ظلعا
كذلك كُنّا جميعاً قاطنين مما
لوقارع الناسَ عن أحلامهم^(٥) قرعاً

- ٢٠ (١) الضمير في « قتل » و « خذّل » . يعود إلى لفظ الجلالة .
(٢) الحب : ضد الغر ، وهو الخداع . والضب : المراءوغ .
(٣) وقده الورع ، أي أسكنه وأتحنه وبلغ منه مبلغاً يمنعه من انتهاك ما لا يحل ولا
يجمل . وفي بعض الأصول : « قرقره » ، تحريف .
(٤) خصوص : جمع خصوصاء . يريد نوقاً غائرة العيون من كثرة الأسفار . والسرع
(بفتح السين ، وبكسر الفتح) : من مصادر سرع .
٢٥ (٥) كذا في بعض الأصول ، وهي أيضاً كذا في شعر الأعشى . والذي في سائر الأصول :
« أخلاقهم » .

لا يَرَقعُ الناسُ ما أوهى ولو جَهدوا أن يَرَقموه ولا يُوهوت ما رَقعاً

قال محمد بن عبد الحكم : قال الشافعي : سرق هذين البيتين من الأعشى .
ابن داب قال : لما هلك معاوية خَرَج الضحَّاكُ بن قيس الفِهْرِيُّ وعلى
عاتقه ثيابٌ حتى وقف إلى جانب المنبر ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية كان
إف^(١) العرب ومَلِكُها ، أطفأ اللهُ به الفِتنَةَ ، وأحيا به السُّنَةَ ، وهذه أكفانه
ونحن مُدرجوه فيها ومُخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حُضوره صلاةَ الظُّهرِ
فَلْيَحْضُرْهُ . وصلى عليه الضحَّاكُ بن قيس الفِهْرِيُّ .

ثم قدم يزيد من يومه ذلك ، فلم يَقْدَم أحدٌ على تَعْرِيقِهِ ، حتى دخل عليه
عبد الله بن همام^(٢) السَّالُوِيُّ فقال :

١٠ اصْبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ وأشكرُ حِبَاءَ الذي بالملكِ حَابَا كَا
لارزءُ أعظمُ في الأَقوامِ قد علموا مما رُزئتَ ولا عَقْبِي كعُقْبَا كَا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الأرضِ^(٣) كُلَّهُمْ فأنْتَ ترعاهُ اللهُ يرعا كَا
وفي مُعاويةَ الباقي لَمَّا خلفَ إذا بَقِيَتْ فلا^(٤) نَسْمَعُ بِمَنعَا كَا

فافتتح الخطباء الكلام . ثم دخل يزيد فأقام ثلاثة أيام لا يخرج للناس ،

ثم خرج وعليه أثرُ الحزن ، فصعد المنبر ، وأقبل الضحَّاكُ فجلس إلى جانب المنبر
١٥ وخاف عليه الحَصْرَ . فقال له يزيد : يا ضحَّاكُ ، أجمتَ تُعَلِّمُ بني عبد شمس
الكلام اثم قام خطيباً فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنَع ، مَنْ شاء أعطى وَمَنْ

(١) في الطبري : « محمود » . وفيه غير هذا خلاف كثير .

(٢) في الأصول هنا : « هلال » . وقد مر (ص ٨٨ من هذا الجزء و ص ٣٠٨ من
الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

(٣) فيما سبق من هذا الجزء : « أهل الدين » .

(٤) كذا في الأصول هنا وفيما مر . يريد بمعاوية الباقي ، يزيد ابنه . جعل سيرته من سيرة
أبيه ففي ولايته وحياته اتصال لولاية معاوية وحياته . وفي سائر الأصول : « نعت

ولا » . وعلى هذه الرواية . فهو يريد معاوية بن يزيد ، يقول : الملك
٢٥ فيكم وفي أعقابكم فهو في عقب معاوية بعدك . ثم دعا له بطول البقاء بقوله :
« ولا نسمع بمنعَاكا » .

شاه منوع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن معاوية بن أبي سفيان كان حبالاً من حبال الله ، مده الله ما شاء أن يمدّه ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، فسكان دون من قبله ، وخيراً ممن يأتي بعده ، ولا أزكاه وقد صار إلى ربه ، فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعذبه فبذنبه . وقد وليت بعسده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أني عن طلب ، وعلى رسلكم ، إذا كره الله شيئاً غير ، وإذا أراد شيئاً يسهره .

خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون بنت بحدل [بن أنيف بن دلجة] بن قنافة ، أحد بني حارثة بن جناب ^(١) . وكنيته أبو خالد ، وكان آدم جعداً مهضوماً أحور العين ، بوجهه آثار جدري ، حسن اللحية خفيفها ، ولي الخلافة في رجب سنة ستين ، ومات في النصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، ودُفن بحوارين ^(٢) ، خارجاً من المدينة . وكانت ولايته أربع سنين وأياماً . وكان على شرطه حميد بن حرث بن بحدل . وكتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور . وعلى القضاء أبو إدريس الخولاني . وعلى الخراج مسleme بن حديدة الأزدي .

أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان ، وأهم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وعبد الله وعمرو ، أمهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا ، وولده خالد عالماً ، لم يكن في بني أمية أزهدهم من هذا ولا أعلم من هذا .

الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرق الناس في الخلافة عائكة بنت يزيد

(١) في بعض الأصول : « خباب » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .
(٢) حوارين ، هو بضم أوله ، وبكسر ، وتخفيف الواو وكسر الراء وباء ساكنة ونون .

ابن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها خليفة ، وجدّها معاوية خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وأرباؤها^(١) : الوليد وسليمان وهشام ، خلفاء .

مقتل الحسين بن علي

- علي بن عبد العزيز قال : قرأ علي أبو عبيد القاسم^(٢) بن سلام وأنا نسمع ، فسألته : تروى عنك كما قرى عليك ؟ قال : نعم . قال أبو عبيد : لما مات معاوية بن أبي سفيان وجاءت وفاته إلى المدينة ، وعليها يومئذ الوليد بن عتبة ، فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فدعاهما إلى البيعة ليزيد ، فقالا : بالغد إن شاء الله على رؤوس الناس ، وخرجا من عنده . فدعا الحسين برواحله ، فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الأكبر ، وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العرج^(٣) حتى قدم مكة . وصرا حسين حتى أتى علي عبد الله بن مطيع وهو على بئر له ، فنزل عليه ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ، لا سقانا الله بمسك ماء طيباً ، أين تريد ؟ قال : العراق . قال : سبحان الله ! لم ؟ قال : مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صُحف . قال : لا تفعل أبا عبد الله ، فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك ، فكيف يحفظونك ، ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بمدك إلا أستحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة ، فأقام بها هو وابن الزبير . قال : فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم ، وعزل الوليد بن عتبة . فلما استوى على المنبر رَعَفَ^(٤) . فقال أعرابي : مه ! جاءنا والله بالدم ! قال : فتلقاه رجل بمامة . فقال : مه ! عم الناس والله ! ثم قام فخطب ، فناولوه عصاه

٢٠ (١) أرباؤها : أولادها ، جمع ربيب .
 (٢) في بعض الأصول : « أبو القاسم عبد الله بن سلام » . تحريف . فابن عبد العزيز يروى عن أبي عبيد .
 (٣) العرج : قرية جامعة في واد نواحي الطائف .
 (٤) رَعَفَ (كَنَصَرَ وَمَنَعَ وَكَرَّمَ وَمَمَعَ) : خَرَجَ مِنْ أَنْفِهِ الدَّمُ .

شعبتان . فقال : تشعب الناس والله ! ثم خرج إلى مكة ، فقدمها قبل [يوم] التروية^(١) بيوم ، ووفدت الناس للحسين يقولون : يا أبا عبد الله ، لو تقدمت فصليت بالناس فأنزلتهم بدارك؟ إذ جاء المؤذن فأقام الصلاة ، فتقدم عمرو بن سعيد فكبير ، فقيل للحسين : اخرج أبا عبد الله إذ أبيت أن تتقدم . فقال : الصلاة في الجماعة أفضل . قال : فصلى ، ثم خرج . فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه أن حسيناً قد خرج . فقال : اطلبوه ، أركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه . قال : فمجب الناس من قوله هذا ، فطلبوه ، فلم يدركوه . وأرسل عبد الله بن جعفر أبنه عوناً^(٢) ومحمداً ليرداً حسيناً . فأبى حسين أن يرجع . وخرج ابنا عبد الله بن جعفر معه . ورجع عمرو بن سعيد إلى المدينة ، وأرسل إلى ابن الزبير ليأتيه ، فأبى أن يأتيه . وأمتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فأرسل عمرو بن سعيد لهم جيشاً من المدينة ، وأمر عليهم عمرو بن الزبير ، أخوا عبد الله بن الزبير ، وضرب على أهل الديوان البعث إلى مكة ، وهم كارهون للخروج ، فقال : إما أن تأتوني بأدلاء^(٣) وإما أن تخرجوا . قال : فبعثهم إلى مكة ، فقاتلوا ابن الزبير ، فانهزم عمرو بن الزبير ، وأسره أخوه عبد الله ، فحبسه في السجن .

وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم ، وكان على الكوفة حين مات معاوية ، فقال : يأهل الكوفة ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بنت محمد . قال : فبلغ ذلك يزيد فقال : يأهل الشام ، أشيروا علي ، من أستمع على الكوفة ؟ فقالوا : رضى من رضى به معاوية ؟ قال : نعم . قيل له : فإن الصك بإمارة

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة . سمي به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ربهم من الماء ، أي يسقون ويستقون .

(٢) في الأصول : « عونا » . وما أثبتنا من المعارف والطبرى .

(٣) في بعض الأصول : « بدلاء » .

- عبيد الله بن زياد على العراقيين قد كتب في الديوان ، فأستعمله على الكوفة .
فقدّمها قبل أن يقدم حسين . وبايع مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من
أهل الكوفة ، وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد ، فجعلوا كلما أتوا إلى
زقاق انسلّ منهم ناس ، حتى بقي في شردمة قليلة . قال : فجعل الناس يرمونه
بالآجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هاني بن عروة المرادي ،
وكان له شرف ورأى ، فقال له هاني : إن لي من ابن زياد مكاناً ، وإني سوف
أتمارض ، فإذا جاء يعمودني فأضرب عنقه . قال : فبلغ ابن زياد أن هاني بن عروة
مرىض بقيء الدم ، وكان شرب المفرة^(١) فجعل يقيؤها ، فغساء ابن زياد يعود .
وقال هاني : إذا قلت لكم : أسقوني ، فأخرج إليه فأضرب عنقه ، يقولها لمسلم
ابن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس ، قال هاني : أسقوني ، فتمتبطوا عليه .
فقال : ويحكم ! أسقوني ولو كان فيه نفسى . قال : فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر
شيئاً . قال : وكان أشجع الناس ، ولما أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ما أراد
هاني^(٢) ، فأرسل إليه . فقال : إني شاك لا أستطيع . فقال : أنتوني به وإن
كان شاكياً . فأسرجت له دابة ، فركب ومعه عصا ، وكان أعرج ، فجعل يسير
قليلاً قليلاً ، ثم يقف ويقول : ما أذهب إلى ابن زياد ، حتى دخل على ابن
زياد . فقال له : يا هاني ، أما كانت يد زياد عندك بيضاء ؟ قال : بلى . قال :
ويدي ؟ قال : بلى . ثم قال^(٣) له هاني : قد كانت لك عندى ولأبيك ، وقد أمّنتك
في نفسى ومالى^(٤) . قال : أخرج ، فخرج . فتناول العصا من يده وضرب بها
وجهه حتى كسرهما ، ثم قدّمه فضرب عنقه . وأرسل إلى مسلم بن عقيل ،
فخرج إليهم بسيفه ، فما زال يقاتلهم حتى أئخذونوه بالجراح ، فأسروه . وأتى به
ابن زياد ، فقدمه ليضرب عنقه ، فقال له : دعني حتى أوصى ، فقال له : أوص .

(١) المفرة (بالفتح وبمركب) : طين أحمر يصبغ به .

(٢) في بعض الأصول : « ابن هاني » . تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « فقال » . (٤) في بعض الأصول : « في نفسك ومالك » .

فنظر في وجوه الناس ، فقال لعمر بن سعد^(١) : ما أرى قرشيًّا هنا غيرك ، فاذن مني حتى أكلَّك . فدنا منه ، فقال له : هل لك أن تكون سيِّد قريش ما كانت قريش ؟ إنَّ حُسَيْنًا وَمَنْ مَعَهُ ، وهم تَسْمَعُونَ إنسانا ما بين رجل وأمرأة ، في الطريق ، فاردُّهم واكتب لهم ما أصابني ، ثم ضُرب عنقه . فقال عمر^(٢) لأبن زياد : أتدرى ما قال لي ؟ قال : اكتب على ابن عمك . قال : هو أعظم من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : قال لي : إنَّ حُسَيْنًا أَقْبَلَ ، وهم تَسْمَعُونَ إنسانا ما بين رجل وأمرأة ، فاردُّهم واكتب إليه بما أصابني . فقال له ابن زياد : أما والله إذ دَلَّت عليه لا يُقاتله أحدٌ غيرك . قال : فبعث معه جيشًا ، وقد جاء حُسَيْنًا الخبيرُ وهم بشراف^(٣) ، فهم بأن يرجع ومعه خمسةٌ من بني عَقِيل ، فقالوا : تَرَجِعَ وقد قُتِلَ أخونا وقد جاءك من السُّكَّتَب ما نَشُقُّ به ! فقال الحسينُ لِبعض أصحابه : والله ما لي على هؤلاء من صَبْر . قال : فلقية الجيشُ على خيولهم وقد نزلوا بَكْرِ بلاء . فقال حسين : أي أرض هذه ؟ قالوا : كَرْبُ بلاء ، قال : أرض كَرْبٍ وبلاء . وأحاطت بهم الخيول . فقال الحسين لعمر بن سعد^(٤) : يا عمر^(٥) ، اختر مني إحدى ثلاث خِصَال : إما أن تتركني أرجع كما جئتُ ، وإما أن تُسَيِّرني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، وإما أن تُسَيِّرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يُسيره إلى يزيد . فقال له شِمْر بن ذِي الْجَوْشَن : أمكنك الله من عدوك قدسيره ! إلا أن ينزل في حُكْمِكَ . فأرسل إليه بذلك . فقال الحسين : أنا أنزل على حُكْمِ ابْنِ سَمْرُجَانَةَ ! والله لا أفعل ذلك أبدا . قال : وأبطأ عمر^(٦) عن قتاله . فأرسل ابنُ زياد إلى شِمْر بن ذِي الْجَوْشَن ، وقال له : إن تقدم عمر^(٧) وقاتل ، وإلا فاتركه وكن مكانه . قال : وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً

(١) في الأصول « عمرو بن سعيد » . وما أثبتنا من الطبري والمعارف .

(٢) في الأصول : « عمرو » . انظر الحاشية السابقة .

(٣) شراف (بفتح أوله وتخفيف ثانيه) : ماء بنجد . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في الأصول : « عمرو بن سعيد » . (انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة) .

(٥) في الأصول : « عمرو » ، تحريف .

من أهل الكوفة ، فقالوا : يعرض عليكم ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً ! فتصهروا مع الحسين ، فقاتلوا . ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن علي ، وكان من أجل الناس ، فقال : لأفتن هذا الفتى . فقال له رجل : ويحك ! ما تصنع به ؟ دعه . فأبى وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله ، فلما أصابته الضربة ، قال : يا عمّاه ، قال : ليبيك • صوتاً قلّ ناصره ، وكثروا تره . وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ، ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ، ثم أقتلوا .

علي بن عبد العزيز قال : حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسن ^(١) قال : لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل بي ما ترون من الأمر ، وإن الدنيا قد تغيرت وتفكرت ، وأدير معروفها واشمعلت ^(٢) ، فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء الأخنس ^(٣) ، عيش كالمرعى الوبيل . الأترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يُنهي عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا ذلاً وندماً .

١٥ قُتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين بالطرف من شاطئ الفرات ، بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليالٍ من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقُتل وهو ابن ست وخمسين سنة ، وهو صابغ بالسواد ، قُتل سنان بن أبي أنس ^(٤) ، وأجهز عليه خولة ^(٥) بن يزيد الأصمحي ، من حمير . وحز رأسه وأتى به عميد الله وهو يقول :

٢٠ (١) في الأصول : « محمد بن الحسين » . تحريف . فالذي يروي عنه الزبير بن بكار

هو ابن الحسن . انظر تهذيب التهذيب والفهرست .

(٢) اشمعلت : تفرقت . وفي بعض الأصول : « واشمأزت »

(٣) الخنس في الإنسان : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . ويريد

بالإناء الأخنس : الفصير . أو الذي قد تأخرت جوانبه فهو أقل سعة من غيره

وصبايته دون الصبايات قلة . وفي رواية : « الإناء وخسيس عيش » .

٢٥ (٤) كذا في الأصول والمعارف . والذي في الطبري : « سنان بن أنس »

(٥) في الطبري : « خولي » .

أَوْقِرِ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبِي
خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ أُمَّا وَأَبَا

فقال له عبيد الله بن زياد : إذا كان خير الناس أُمَّا وأبَا وخير عباد الله ، فلم
قتلته ؟ قَدَمُوهُ فَأَضْرَبُوا عُنُقَهُ ، فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ .

٥ رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْغَازِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ قَالَ : بَنِي لِعَنْدِ يَزِيدَ
ابن معاوية إذا أقبل زحر بن قيس الجعفي حتى وقف بين يدي يزيد ، فقال :
ما وراك يا زحر ؟ فقال : أبشرك يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، قدِمَ علينا
الحُسَيْنُ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِّينَ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَهَرَزْنَا
إِلَيْهِمْ وَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ أَوْ الْقِتَالِ ، فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ ،
فَعَدُونَا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَحْطَنَّا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَخَذَتِ السِّيُوفُ
١٠ مَأْخِذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجَالِ ، فَجَعَلُوا يَلُودُونَ مَنَا بِالْأَكَامِ وَالْحُفْرِ ، كَمَا يَلُودُ الْحَمَامُ
مِنَ الصَّقْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَحْرُ جَزُورٍ أَوْ قَوْمٍ قَائِمٍ ^(٢) حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ ، فَهَاتَيْكَ
أَجْسَامَهُمْ مُجْزَرَةً ^(١) ، وَهَامَهُمْ مُرْمَلَةً ^(٣) ، وَخَدُودَهُمْ مُعْفَرَةً ، تَهْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، وَتَسْفِي
عَلَيْهِمُ الرِّيحُ بِقَاعٍ سَبَّسَبٍ ، زُورَهُمُ الْعِقْبَانُ وَالرَّخْمُ . قَالَ : فَدَمَعَتْ عَيْنَا يَزِيدَ ،
١٥ وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ مِنْ طَاعَتِكُمْ بَدُونَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ سُمَيَّةَ !
أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَاحِبَهُ لَتَرَكْتُهُ ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَفَّرَ لَهُ .

عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَثْمَانَ الْخُرَاعِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
خَرَجَ الْحُسَيْنُ إِلَى السَّكُوفَةِ سَاخِطًا لَوْلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ وَالِيهِ بِالْعِرَاقِ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ حُسَيْنًا سَارَ إِلَى السَّكُوفَةِ ، وَقَدْ

٢٠ (١) كَذَا فِي الطَّبْرِيِّ . وَقَوْمٌ ، مِنْ مَصَادِرِ قَامَ . يُقَالُ : قَامَ قَوْمًا وَقَوْمَةً وَقِيَامًا وَقَامَةً ،

إِذَا اتَّعَبَ . أَيْ الزَّمَنَ الَّذِي يَكُونُ لِنَحْرِ الْجَزُورِ أَوْ لِنَهْوِضِ النَّاهِضِ . يَصِفُهُ
بِالْقَصْرِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « نَوْمٌ نَائِمٌ » . تَحْرِيفٌ .

(٢) مُجْزَرَةٌ ، أَيْ مَقْطَعَةٌ ، وَالتَّضْعِيفُ لِلْمِبالِغَةِ .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَمِزْمَلَةٌ ، لِأَنَّ اسْمَ مَفْعُولٍ مِنْ رَمَلَ (المُضْعَفُ) الرَّجُلُ الطَّلَامُ ،

٢٥ إِذَا جَعَلَ فِيهِ الرَّمْلَ . يُرِيدُ أَنَّ الرَّمْلَ قَدْ مَلَأَ فَتَحَاتِ الرَّأْسِ وَمَنَافِذُهُ وَمَدَاخِلُهُ .
وَإِنَّمَا اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَرْمَلَ السَّهْمَ ، إِذَا تَلَطَّخَ بِالدَّمِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « مِزْمَلَةٌ »
بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ

أبتلى به زمانك بين الأزمان ، وبلدك بين البلدان ، وأبتليت به من بين العمال ،
وعنده تعتق أو تعود عبدا . فقتله عبيدُ الله وبعث برأسه ونقله ^(١) إلى يزيد . فلما
وُضع الرأسُ بين يديه تمثّل بقول حُصَيْن بن الحُجَام المرِّي ^(٢) :

نُفلقَ هَامَا من رجالِ أَعزَّةٍ علينا وهم كانوا أَعقَّ وأظَلَمَا

- فقال له علي بن الحسين ، وكان في السَّبِي : كتابُ الله أولى بك من الشعر ،
يقول الله : (ما أصاب من مُصيبةٍ في الأرض ولا في أنفُسكم إلا في كتابٍ من
قَبْلِ أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والله لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور) . فغضب يزيدُ وجعل يعبثُ بلِحيته ،
ثم قال : غيرُ هذا من كتابِ الله أولى بك وبأبيك ، قال الله : (وما أصابكم من
مُصيبةٍ فيما كَسَبتْ أيديكم وَيَعْفُو عن كثير) . ما ترون يا أهل الشام في هؤلاء ؟
فقال له رجل منهم : لا تتخذ من كَلْبٍ سَوَاءً جَرُوا . قال النعمان بن بشير الأنصاري :
انظر ما كان يصنعه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم لورآمٍ في هذه الحالة
فأصنعه بهم . قال : صدقت ، خلّوا عنهم واضربوا عليهم القِباب . وأمال
عليهم المطبخ وكسام وأخرج إليهم جوائزَ كثيرة . وقال : لو كان بين ابن
سرجانة وبينهم نَسَبٌ ما قتلهم . ثم رَدَّهم إلى المدينة .

١٥

الرياشي قال : أخبرني محمد بن أبي رجاء قال : أخبرني أبو معشر عن يزيد
ابن زياد عن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال : أتى بنا يزيدُ بن
معاوية بعد ما قتل الحسين ، ونحن اثنا عشر غلاما ، وكان أكبرنا يومئذ علي ^{٣٠٩}
ابن الحسين ، فأدخِلنا عليه ، وكان كل واحد منا مغلولةً يده إلى عنقه ، فقال
لنا : أحرزت أنفسكم عبيدُ أهل العراق ! وما علمتُ بخروج أبي عبد الله ولا بقتله .
أبو الحسن المدائني عن إسحاق بن إسماعيل بن ^(٣) سفيان عن أبي موسى عن

٢٠

(١) النقل (محرّكة) : متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصنوع .

(٢) في الأصول : « الجاحم المزني » . وما أبتقنا من الطبرى والحماصة والاشقاق .

(٣) في بعض الأصول : « عن » وهو تحريف . وهو إسحاق بن إسماعيل الطلقاءي

يروى عن سفيان بن عيينة . (انظر التهذيب ج ١ ص ٢٢٦) .

العَسن البصرى ، قال : قُتِلَ مع الحسين ستة عشرَ من أهل بيته . والله ما كان على الأرض يومئذ أهلُ بيت يُشبهون بهم . وحمل أهلُ الشامِ بناتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم سباياً على أحقاب الإبل . فلما أُدخِلن على يزيد ، قالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ، أبناتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا ! قال : بل حرائر كرام ، ادخلى على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت . قالت فاطمة : فدخلتُ إليهن فما وجدت فيهن سفياتية إلا مُلتدمة^(١) تبكي . وقالت بنت عقيل بن أبى طالب ترى الحسين ومن أُصيب معه :

عَيْتِي أَبِى بَعْبْرَةَ وَعَوِيلِ واندبى إن نذبت آل الرسول
سُمَّةٌ كُلُّهُم لَصَلْبِ عَلِيٍّ قد أُصِيبُوا وَحَمْسَةَ لِعَقِيلِ

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندى النبي صلى الله عليه وسلم ومعى^(٢) الحسين ، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته فبكى ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكى ، فتركته . فقال له جبريل : أتحميه يا محمد؟ قال : نعم . قال : أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أرى بك من تربة الأرض التى يُقتل بها . فبسط جفاحه ، فأراه منها . فبكى النبي صلى الله عليه وسلم .

محمد بن خالد قال : قال إبراهيم النخعي : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لأستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن لهيعة عن أبى الأسود^(٣) قال : لقيت رأسَ الجالوت^(٤) ، فقال . إن بينى وبين داود سبعين أباً ، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي ، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أبٌ واحد قتلتم أبنه .

٢٠ (١) التدمت المرأة : ضربت صدرها فى النياحة . وفى بعض الأصول : « متلدمة » .
(٢) فى بعض الأصول : « ومعى » .
(٣) لعله محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٤) .
(٤) الجالوت : الجالية من اليهود ، أى الذين جلاوا عن أوطانهم بيت المقدس ، ورأس الجالوت : رئيسهم . وكان من ولد داوود عليه السلام . (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٤ - ٣٥) .

ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : أنتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب ، فما تطيبت به امرأة إلا برصت .

جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ، ولم يُبايع قط صغير إلا هم .

٥ على بن عبد العزيز عن الزبير عن مُصعب بن عبد الله قال : حجج الحسين خمسة وعشرين حجةً مُلبياً ماشياً .

وقيل لعلي بن الحسين : ما كان أقل ولد أبيك ! قال : العجب كيف وُلدت له ؟ كان يُصلى في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء .

يحيى بن إسماعيل عن ^(١) الشعبي أن سالماً قال : قيل [لأبي : عبد الله] بن

عمر : إن الحسين توجه إلى العراق ، فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة ، وكان غائباً عند خروجه ، فقال أين تريد ؟ فقال : أريد العراق ، وأخرج إليه كتب القوم ، ثم قال : هذه بيعتهم وكتبهم . فناشده الله أن يرجع ، فأبى . فقال : أحدثك بحديث ما حدثت به أحداً قبلك : إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يُخبره بين الدنيا والآخرة ، فاختر الآخرة ، وإنكم بضعه منه ، فوالله لا يليها أحدٌ من أهل بيته أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خيرٌ لكم ، فأرجع ، فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلقى أبوك منهم . فأبى فأعتقه ، وقال : استودعتك الله من قتيل .

وقال الفرزدق : خرجت أريد مكة ، فإذا بقباب مضروبة وفساطيط ،

فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : للحسين ، فعدلتُ إليه فسلمت عليه ، فقال : من

٣١٠
٧ أين أقبلت ؟ قلت : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلت : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من السماء .

(١) رواية هذا السند في الأصول : « يحيى بن إسماعيل عن سالم أن الشعبي « صوابه ما أمثنتنا . إذ يحيى بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي تلميذ للشعبي . (انظر التهذيب ١١ : ١٨٩) .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عمر ، وكان من خيار الناس وفقهائهم . وكان أبوه يلام في حبه . ومات في المدينة سنة ستة ومائة . (انظر المعارف) .

تسمية من قتل مع الحسين بن علي

رضى الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم

قال أبو عبيد : حدثنا حججاج عن أبي معشر قال : قتل الحسين بن علي ،
وقتل معه عثمان بن علي ، وأبو بكر بن علي ، وجعفر بن علي ، والعباس بن
علي^(١) ، وكانت أمهم أم البنين بنت حرام السكلابية ، وإبراهيم بن علي ، لأم ولد
له ، وعبد الله بن حسن ، وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب ، وعون ومحمد ابنا
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وثلاثة من بني هاشم . جميعهم سبعة عشر
رجلا . وأسرا ثنا عشر غلاما من بني هاشم ، فيهم : محمد بن الحسين ، وعلي
ابن الحسين ، وفاطمة بنت الحسين . فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلبهم
الله ملكهم . ١٠

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحججاج بن يوسف : جفني دماء أهل
هذا البيت ، فاني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين .

حديث الزهري في قتل الحسين

رضى الله عنه

حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال : حدثنا محمد بن موسى الحرشي
قال : حدثنا حماد بن عيسى الجهني عن عمر بن قيس ، قال : سمعت ابن شهاب
الزهري يحدث [عن] سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم . قال حماد بن عيسى : وحدثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يبلغ^(٢)
المؤمن من جُجر مرتين . ٢٠

(١) في بعض الأصول : « وعلى والعباس » مكان والعباس بن « تحريف .

(٢) في بعض الأصول : « لا يلبس » .

- وقالاً^(١) : قال الزهري : خرجت مع قتيبة أريد المصيصة^(٢) ، فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإذا هو قاعد في إيوان له ، وإذا سماطان من الناس على باب الإيوان ، فإذا أراد حاجة قالها للذي يليه ، حتى تبلغ المسألة باب الإيوان ، ولا يمشی أحدٌ بين السماطين . قال الزهري : فجعنا فقمنا على باب الإيوان ، فقال عبد الملك للذي عن يمينه : هل بلغكم أي شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن علي ؟ قال : فسأل كل واحد منهما صاحبه ، حتى بلغت المسألة الباب ، فلم يرد أحدٌ فيها شيئاً . قال الزهري : فقلت : عندي في هذا علم . قال : فرجعت المسألة رجلاً عن رجل حتى أتته إلى عبد الملك . قال : فدعيت ، فمشيت بين السماطين ، فلما انتهيت إلى عبد الملك سئمت عليه . فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا محمد بن مسلم بن عبید الله بن شهاب الزهري . قال : فمررتي بالنسب^(٣) ، وكان عبد الملك طلبةً للحديث ، [فمررتي] . فقال : ما أصبح بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب ؟ — وفي رواية علي بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد الله عن أبي معشر عن محمد بن عبد الله^(٤) ابن سعيد بن العاص عن الزهري ، أنه قال : الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين ابن علي — قال الزهري : نعم ، حدثني فلان — ولم يسمه لنا — أنه لم يرفع تلك الليلة ، التي صبيحتها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب^(٥) ، حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط^(٦) . قال عبد الملك : صدقت ، حدثني الذي حدثك ، وإني وإياك في هذا الحديث لغريبان . ثم قال لي : ما جاء بك ؟ قلت : [جئت] مرابطاً . قال : الزم الباب ، فأقمت عنده ، فأعطاني مالاً كثيراً .

- ٢٠ (١) أي عمر بن قيس وبشر بن عقيل .
 (٢) المصيصة (بالفتح وتشديد الصاد الأولى ، وقيل بتخفيفها ، والأصح الأول) : مدينة على شاطئ جيبان من ثغور الشام . (انظر معجم البلدان) .
 (٣) يريد سند ما يروى . (٤) في بعض الأصول : « محمد بن عبد الملك ... الخ » .
 (٥) في بعض الأصول : « علي بن أبي طالب والحسين بن علي » مكان « الحسين بن علي بن أبي طالب » .
 (٦) دم عبيط : طرى .

قال : فاستأذنته في الخروج إلى المدينة ، فأذن لي ومعى غلام لي ، ومعى مال كثير في عيبة ، ففقدت العيبة ، فاتهمت الغلام ، فوعدته وتواعدته ، فلم يُقر لي بشيء . قال : فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرفقي على وجهه ، وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتله ، فمات تحتي ، وسقط في يدي . وقدمت المدينة فسألت سميد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، فكلهم قال : لا نعلم لك توبة . فبلغ ذلك علي بن الحسين ، فقال : علي به . فأتيته فقصصت عليه القصة . فقال : إن لذنبك توبة ، صم شهرين متتابعين وأعتق رقبة مؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، ففعلت . ثم خرجت أريد عبد الملك ، وقد بلغه أني أتلفت المال ، فأقت ببابه أياماً لا يؤذن لي بالدخول ، فجلست إلى معلم لولده ، وقد حدق ابن عبد الملك عنده ، وهو يعلم ما يتكلم به بين يدي أمير المؤمنين إذا دخل عليه ، فقلت لمؤدبه : ما^(١) تأمل من أمير المؤمنين أن يصلك به فلك عندي ، ذلك علي أن تكلم الصبي إذا دخل علي أمير المؤمنين ، فإذا قال^(٢) له : سل حاجتك ، يقول له : حاجتي أن ترضى عن الزهري . ففعل ، فصحك عبد الملك وقال : أين هو ؟ قال : بالباب . فأذن لي ، فدخلت ، حتى إذا صرت بين يديه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثنني سميد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبلغ المؤمن من جحر صراطين .

وقعة الحرة

أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد ، فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فأرهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته . فلما كانت سنة ثلاث وستين ، قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملاً عليها ليزيد بن معاوية ، وأوفد على يزيد وفدًا من رجال المدينة ،

(١) في بعض الأصول : « كم » .

(٢) في بعض الأصول : « فقال » . مكان قوله « فإذا قال » .

ففيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف [درهم] ، وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف ، سوى كسوتهم ومُحلاتهم^(١) . فلما قدم عبد الله بن حنظلة المدينة ، أتاه الناس ، فقالوا : ما وراءك؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدتُهم . قالوا : فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطاك . قال : قد فعل ، وما قبلتُ ذلك منه إلا أن أتقوى به عليه — أي على قتال يزيد — وخصَّ الناس على يزيد فأجابوه . فسكتب عثمان بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف . فسكتب إليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال . وإني قد لبستكم فأخلفتكم ، ورفعتكم على رأيي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على بطني ، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أول بها عددكم ، وأتركم بها أحاديث ، تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حمى القوم ، فقدمت الأنصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم ، وقدمت قريش عبد الله بن مطيع ، ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، ومروان بن الحكم ، وكلَّ من كان بها من بني أمية . وكان عبد الله بن عباس بالطائف ، فسأل عنهم ، فقيل له : أستمعوا عبد الله بن مطيع على قريش ، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار . فقال : أميران اهلك القوم . ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقبة فصرَّبت له خارجاً عن قصره ، وقطع^(٢) البعوث على أهل الشام ، فلم تمض ثلاثة حتى توافت الحشود . فقدم عليهم مسلم بن عقبة المرسي ، فتوجه إليهم . وقد عمد أهل المدينة فأخرجوا إلى كل ماء لهم بينهم وبين الشام ، فصبوا فيه زقاً من قطران وغوروه ، فأرسل الله عليهم المطر ، فلم يستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة .

(١) الحلان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة .

(٢) قطع ، أي فرض .

قال أبو اليقظان وغيره : إن يزيد بن معاوية وتي مسلم بن عقبة ، وهو قد
 أشتكى ، فقال له : إن حدث بك حدث فأستعمل حُصين بن نمير . فخرج
 حتى قدم المدينة ، فخرج إليه أهلها في عدة وهيئة وجموع كثيرة لم يرَ مثلها .
 فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فأمر مسلم بن عقبة بسريره فوضع
 بين الصَّمين وهو عليه مريض ، وأمر مُناديا ينادى : قَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ أَوْ دَعُوهُ .
 فجدَّ الناس في القتال ، فَسَمِعُوا التَّكْبِيرَ من خلفهم في جوف المدينة ، فإذا
 [هم] قد أَقْحَمَ عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجُدُر ، فَأَنْهَزَمَ الناس .
 وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيهِ يَغُطُّ نومًا ، فلما فَتَحَ عَيْنِيهِ فرأى
 ما صنعوا أمرًا كبيرَ بنيهِ ، فتقدَّم حتى قُتِلَ ، فلم يزل يقدِّم واحدًا واحدًا حتى
 أتى على آخرهم ، ثم كسر غمده سيفه ، وقاتل حتى قُتِلَ . ودخل مسلم بن
 عقبة المدينة ، وتغلب على أهلها ، ثم دعاهم إلى البيعة على أنهم خَوَلُ يزيد
 ابن معاوية يحكم في دماهم وأموالهم وأهليهم ، فبايعوا ، حتى أتى بعبد الله
 ابن زَمعة ، فقال له : على أنك خَوَلُ لأمير المؤمنين يحكم في مالك ودمك
 وأهلك . قال : لن أبايع على أني بزعم أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي وأهلي .
 فقال مسلم بن عقبة : أضربوا عنقه ، فوثب مروان بن الحكم فضمه إليه ،
 وقال : نُبَايَعُكَ على ما أحببت . فقال^(١) : لا والله لا أقبلها إياه أبدًا ، إن تنحَّ
 وإلا فافتلواهما جميعًا . فتركه مروان وضرب عنقه . وهرب عبد الله بن مطيع حتى
 لحق بمكة ، فكان بها حتى قُتِلَ مع عبد الله بن الزبير في أيام عبيد الملك بن
 مروان ، وجعل يُقاتل أهل الشام وهو يقول :

أنا الذي فررتُ يوم الحَرَّةِ والشيوخُ لا يفرُّ إلا مرَّةً
 فاليومَ أجزى كَرَّةً بفرِّهِ لا بأس بالكُرَّةِ بعد الفرِّهِ
 أبو عَقِيلِ الدُّورِقِ^(٢) قال : سمعتُ أبا نَضْرَةَ يحدثُ ، قال : دخل أبو سعيد

(١) فقال ، أي مسلم .

(٢) في الأصول : « الزرق » . والتصويب من الطبرى .

الخُدْرِيَّ يَوْمَ الْحَرَّةِ فِي غَارٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَفِي عُنُقِ
أَبِي سَعِيدِ السَّيْفِ ، فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدِ السَّيْفِ وَقَالَ : بُؤْ بَأْتَمِي وَإِنَّمَا فَتَكُونُ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَقَالَ : أَبُو سَعِيدِ الخُدْرِيَّ أَنْتِ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : فَاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

٥ وَأَمْرُ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ بِقَتْلِ مَعْقِلِ بْنِ سِيَمَانَ الْأَشْجَعِيِّ ، صَبْرًا ، وَمُحَمَّدِ بْنِ
أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ [الْعَدَوِيِّ] ^(١) ، صَبْرًا . وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ قَتْلِ يَوْمِ الْحَرَّةِ مِنْ
قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ ثَلَاثًا مِائَةً رَجُلًا وَسِتَّةَ رِجَالٍ . وَمِنَ الْمَوَالِي وَغَيْرِهِمْ أَضْعَافٌ هَذُلًا .
وَبَعَثَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بَرَاءَ بْنَ مَرْثَدَةَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى يَزِيدَ ، فَلَمَّا أَتَيْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ
يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِيِّ يَوْمَ أَحَدَ :

١٠ ^(٢) لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا وَقَالُوا لِيَزِيدَ : لَا فَشَلْ
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْتَدَدْتَ عَنِ
الْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : بَلَى ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا سَاكِنَتُكَ أَرْضًا
أَبَدًا ، وَخَرَجَ عَنْهُ .

١٥ وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْحَرَّةِ تَوَجَّهَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى
مَكَّةَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ثَقِيلٌ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْأَبْوَاءِ ^(٣) حَضَرَهُ أَجَلُهُ ، فَدَعَا حُصَيْنَ
ابْنَ نُمَيْرٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَلَا أَدْرِي أَوَدِّمُكَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ أَمْ
أَوَدِّمُكَ فَأَضْرِبُ عَنْقَكَ ؟ قَالَ : أَصْلِحْكَ اللَّهُ ، أَنَا سَهْمُكَ فَارِمِي حَيْثُ شِئْتِ .
قَالَ : إِنَّكَ أَعْرَابِيٌّ جَلْفٌ جَافٍ ، وَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ يُمْكِنْهُمْ أَحَدًا قَطًّا
مِنْ أُذُنِهِ إِلَّا غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ ، فَسِرْ بِهَذَا الْجَيْشِ ، فَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَيَاكَ أَنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُذَيْفَةَ صَبْرًا وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ صَبْرًا » تَحْرِيفٌ .
(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِابْنِ الزُّبَيْرِيِّ . وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ فِي يَوْمِ أَحَدَ . (انظُرِ السِّيْرَةَ
لِابْنِ هِشَامٍ ج ٣ ص ١٤٤) طَبْعَةُ الْحَلَبِيِّ . وَثَانِي الْبَيْتَيْنِ فِيمَا يَظْهَرُ لِيَزِيدَ .
(٣) الْأَبْوَاءُ : مِنْ أَعْمَالِ الْفَرَعِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَلْحَفَةِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ
مِيْلًا . وَقَبْلُ : الْأَبْوَاءُ جَبَلٌ عَلَى يَمِينِ آرَةَ وَعَيْنِ الطَّرِيقِ لِلْمَصْعَدِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ .

تَمَكَّنَهُمْ مِنْ أَدْنِكَ ، لَا يَكُنْ إِلَّا عَلَى الْوَقَافِ ، ثُمَّ الثَّقَافِ (١) ، ثُمَّ الْأَنْصَرَفِ .
 وَمَاتَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ . وَمَضَى حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِجَدِّهِ ذَلِكَ . فَلَمْ
 يَزَلْ مُحَاصِرًا لِأَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَذَلِكَ خَمْسُونَ يَوْمًا .
 وَنَصَبَ الْمَجَانِيقُ عَلَى السَّكْبَةِ وَحَرَّقَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِحَمْسِ خَلُونَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَفِيهَا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بِحُورَيْنِ .

٣١٣
٢

٥

وفاة يزيد بن معاوية

مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بِحُورَيْنِ مِنْ بِلَادِ حَمَّصِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ مَعَاوِيَةُ
 ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَأُمُّ يَزِيدَ مَيْسُونُ بِنْتُ
 بَحْدَلِ السَّكَّابِيِّ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَلايَتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ
 وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَتْنِينَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا .

١٠

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وَأَسْتُخْلَفَ مَعَاوِيَةَ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ،
 وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ بَعْدَ أَبِيهِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يَزَلْ مَرِيضًا
 طَوَّلَ وَلايَتَهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ : لَوْ عَهَدْتَ إِلَى رَجُلٍ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَأَسْتُخْلَفْتَ خَلِيفَةً ؟ قَالَ : لَمْ أَنْتَفِعْ بِهَا حَتَّى ، فَلَا أَقْلِدُهَا مَيْقًا ،
 لَا يَذْهَبُ بَنُو أُمِّيَّةَ بِمَحَلَّاتِهَا وَتَجَرَّعَ مَرَارَتِهَا ، وَلَسْكَنَ إِذَا مِتَ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ
 الْوَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى يَخْتَارَ النَّاسُ لِأَنْفُسِهِمْ .
 فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بِدِمَشْقَ ،
 حَيْثُ (٢) قَامَتِ دَوْلَةُ بَنِي مَرْوَانَ .

١٥

(١) الوقاف : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة . والثقف : الجلال .
 (٢) في بعض الأصول : « حتى » .

٢٠

فتنة ابن الزبير

- قال علي بن عبد العزيز: حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر، قال: لما مات مسلم بن عقبة سار حُصين بن نمير حتى أتى مكة، وابن الزبير بها، فدعاهم إلى الطاعة، فلم يجيبوه، فقاتلهم وقاتله ابن الزبير، فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من إخوته، ومُصعب بن عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن مخرمة. وكان حُصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقعان^(١)، فلم يكن أحدٌ يقدر أن يطوف بالبيت. فأُسند ابن الزبير ألواحًا من ساجٍ على البيت، وألقى عليها الفرش والقطنان^(٢)، فكان إذا وقع عليها الحجرُ نبا عن البيت. فكانوا يطوفون تحت الألواح، فإذا سمعوا صوتَ الحجر حين يقع على الفرش والقطنان كبروا، وكان ابن الزبير قد ضرب فُسطاطًا في ناحية، فسكها جرح ١٠ رجل من أصحابه أدخله ذلك الفُسطاط، فجاء رجلٌ من أهل الشام بنار في طرف سنانه، فأشعلها في الفُسطاط، وكان يوما شديد الحر، فتمزق الفُسطاط، فوقعت النار على الكعبة، فأحترق الخشب والسقف، وأنصدع الرُّكن، واحترقت الأستار وتساطت إلى الأرض. قال: ثم اقتتلوا مع أهل الشام أيامًا بعد حريق الكعبة.
- ١٥ قال أبو عبيد: أحترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة أربع وستين، فجلس أهل مكة في جانب الحجر^(٣) ومعهم ابن الزبير، وأهل الشام يرمونهم بالتبيل والحجارة، فوقعت نبلٌ بين يدي ابن الزبير، فقال: في هذه خبر. فأخذها فوجد فيها مكتوبا: مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة خلت من ربيع الأول. فلما قرأ ذلك قال: يا أهل الشام، يا أعداء

٢٠ (١) أبو قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقها وقعيقعان من غربها.

(٢) القطنان: جمع قطيفة، وهي دثار نخل.

(٣) الحجر (هنا): حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم

الله ، ومُحرَّقِي بيت الله ، علامَ تَقَاتلون وقد مات طاغيتُكم !

فقال حُصَيْن بن نُمَيْر : موعِدُكَ البطحاء ^(١) الليلةَ أبا بكر . فلما كان الليلُ خَرَج ابنُ الزُّبَيْر بأصحابه ، وخرَج حُصَيْن بأصحابه إلى البطحاء . ثم ترك كُلَّ واحد منهما أصحابه وأنفردا فنزلا . فقال حُصَيْن : يا أبا بكر ، أنا سيِّد أهل الشام لا أدافع ، وأرى أهلَ الحِجَاز قد رَضُوا بك ، فتعالَ أبايعُكَ الساعةَ ويهدر كلُّ شيء أصبناه يومَ الحَرَّة ، وتَخْرُج معي إلى الشام ، فإني لا أحب أن يكونَ المُلْك بالحِجَاز . فقال : لا والله لا أفعل ولا آمنُ من أخافَ الناسَ وأحرقَ بيتَ الله وأتَهك حُرْمته . قال : بل ^(٢) فأفعل على أن لا يَحْتَلِف عليك أثنان . فإني ابنُ الزبير . فقال له حُصَيْن : لعنك الله ولعنَ من زعم أنك سيِّد ! والله لا تفلح أبدا ! اركبوا يا أهل الشام . فركبوا وأنصرفوا .

٣١٤
٢

١٠

أبو عُبَيْد عن الحِجَاج عن أبي مَعْشَر قال : حَدَّثنا بعضُ المَشِيخَةِ الذين حَضَرُوا قِتالَ ابنِ الزبير ، قال : غلبَ حُصَيْن بن نُمَيْر على مَكَّة كُلِّها إلا الحِجْر . قال : فوالله إني لجالس عنده ، ومعه نفر من القُرَشِيِّين : عبيدُ الله بن مُطِيع والختار بن أبي عُبَيْد ، والمِسْور بن مَحْرَمَة ، والمُنذر بن الزُّبَيْر : إذ هَبَّت رُويحَة ، فقال المختار : والله إني لأرى في هذه الرُّويحَة النَّصر ، فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مَكَّة ، وقتلَ المختارُ رجلاً ، وقتلَ ابنُ مطيعَ رجلاً ، ثم جاءنا على إثر ذلك موتُ يزيدَ بعد حَرِيقِ الكعبَةِ بإحدى عشرة ليلة ، وأنصرف حُصَيْن بن نُمَيْر وأصحابُه إلى الشام ، فوجدوا معاويةَ بن يزيدَ قد مات ولم يَسْتَخْلَف ، وقال : لا أتحمَّلها حيًّا وميتًا .

١٥

فلما مات معاويةُ بن يزيدَ بايعَ أهلُ الشامَ كُلُّهم ابنَ الزبيرَ إلا أهلَ الأزدِ ^(٣) ، وبايعَ أهلُ مصرَ أيضًا ابنَ الزبير . واستخلفَ ابنُ الزبير الضحَّاكَ بنَ قيسَ

٢٠

(١) البطحاء : كل موضع متسع ، ومنه بطحاء مكة . (٢) في بعض الأصول : « بلى » . (٣) الأزدن : كورة واسعة ، وكانت أحد أجناد الشام ، منها الفور وطبرية وصور

وعكا وما بين ذلك . انظر معجم البلدان .

- الفهري على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بني أمية وناسٌ من أشرف أهل الشام ووجوههم ، منهم رَوْحُ بن زِنْبَاع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إنَّ المُلْك كان فينا أهلَ الشام ، فانتقلَ عَنَّا إلى الحِجَاز ، لا نرضى بذلك ، هل لِسِمْ أَنْ تَأْخُذُوا رِجَالًا مِنَّا فَيَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟ فقال^(١) : أَسْتَخِيرُوا اللَّهَ . قال : فرأى القومُ أَنَّهُ غَلامٌ حَدَثَ السن ، نَجَرَ جِوَا مِنْ عِنْدِهِ ، وقالوا : هَذَا حَدَثٌ . فَأَتَوْا عَمْرَو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حدثًا . فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حدثًا حريصًا على هذا الأمر . فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حدث . فَأَتَوْا مِروَانَ بْنَ الحِمْيَرِ ، فإذا عنده مصباح ، وإذا هم يسمعون صوته بالقُرْآن ، فأستأذِنوا ودخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ، ارفع رأسك لهذا الأمر . فقال : استخيروا الله وأسألوا أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له رَوْحُ ابن زِنْبَاع : إنَّ مَعِيَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْ جُدَامٍ ، فَأَنَا أَمْرُهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا فِي المَسْجِدِ غَدًا ، وَمَنْ أَنْتَ أَبْنُكَ عَبْدُ العَزِيزِ أَنْ يَخْطُبَ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ تَنَادَوْا مِنْ جَانِبِ المَسْجِدِ : صَدَقْتَ صَدَقْتَ ، فَيُظَنُّ النَّاسُ أَنَّ أَمْرَهُمْ وَاحِدٌ . فلما أَجْتَمَعَ النَّاسُ قَامَ عَبْدُ العَزِيزِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَحَدٌ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ مِروَانَ كَبِيرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ شَابَتْ ذِرَاعَاهُ مِنَ السِّكِّيرِ . فقال الجذاميون : صَدَقْتَ صَدَقْتَ . فقال خالدُ بن يزيد : أَمْرٌ دُبَّرَ لِمِليل . فبأيعوا مِروَانَ بْنَ الحِمْيَرِ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ بَمَرْجِ رَاهِطٍ مَا سِيَأْتِي ذِكْرُهُ بَعْدَ هَذَا فِي دَوْلَةِ بَنِي مِروَانَ .

٢٠ دولة بني مروان ووقعة مرج راهط

أبو الحسن قال : لما مات معاوية بن يزيد أختلف الناس بالشام ، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصاري ، وكان على خمس ،

(١) أي رَوْحُ بن زِنْبَاع .

فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحارث السكلابي، وهو بقنسرين^(١)،
 فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سرّاً، ولم يُظهر ذلك لمن بها من بني أمية
 وكتب. وبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل السكّلي، وهو بفلسطين، فقال
 لروح بن زنباع: إنني أرى أمراء الأجناد يُبايعون لابن الزبير، وأبناء قيس
 بالأردن كثير، وهم قومي، فأنا خارج إليها وأقم أنت بفلسطين، فإن جُلّ أهلها
 قومك من نخم وجذام، فإن خالفك أحدٌ فقاتله بهم. فأقام روح بفلسطين،
 وخرج حسان إلى الأردن. فقام نازل^(٢) بن قيس الجذامي، فدعا إلى ابن الزبير،
 وأخرج روح بن زنباع من فلسطين، ولحق بحسان بالأردن. فقال حسان:
 يا أهل الأردن، قد علمتم أن ابن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة
 لجماعة المسلمين، فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه. فقالوا: اختر لنا من
 شئت من بني حرب وجئنا هذين الرجلين الغلامين: عبد الله وخالدًا، ابني
 يزيد بن معاوية، فإننا نسكره أن يدعو الناس إلى شيخ، ونحن ندعو إلى صبي.
 وكان هوى حسان في خالد بن يزيد، وكان ابن أخته. فلما رموه بهذا الكلام
 أمسك، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يُعظم فيه بني أمية وبلاءهم عنده،
 ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة، وقال لرسوله: اقرأ الكتاب على
 الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس. فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس
 فصاروا فرقتين، فصارت اليمانية مع بني أمية، والقيسية زبيرية، ثم اجتلدوا^(٣)
 بالنعال ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف، حتى حجز بينهم خالد بن يزيد،
 ودخل الضحاك دار الإمارة، فلم يخرج ثلاثة أيام. وقدم عبیدُ الله بن زياد،
 فكان مع بني أمية بدمشق. فخرج الضحاك بن قيس إلى المرح - مرج

(١) قنسرين: كورة بالشام منها حلب. وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة
 من جهة حمص. وما زالت عامرة إلى سنة ٣٥١ أو سنة ٣٥٥ عندما خربها
 الروم وأحرقوا مساجدها فلم تعمر بعد ذلك. (انظر معجم البلدان).

(٢) في بعض الأصول: «نائل». وما أثبتنا من سائر الأصول والطبى والمشتبه.

(٣) اجتلدوا بالنعال، أى تضاربوا بها.

- راهط — فمسكر فيه ، وأرسل إلى أمراء الأجناد فأثوّه ، إلا ما كان من كلب .
ودعا مروان إلى نفسه ، فبايعته بنو أمية وكتب وغسان والسكاسك وطبي ، فمسكر
في خمسة آلاف . وأقبل عبّاد بن يزيد من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم
من بني كلب ، فلقق بمروان . وغلب يزيد بن أبي أنيس على دمشق ، فأخرج
منها عامل الضحاك . وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء
الأجناد ، فقدم عليه زفر بن الحارث من قنسرين ، وأمه النعمان بن بشير
بشراحبيل بن ذى الكلاع في أهل حمص ، فتوافقوا عند الضحاك بمرج راهط ،
فكان الضحاك في ستين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رجالة ، وأكثر
أصحاب الضحاك رُكبان . فاقتتلوا بالمرج ، عشرين يوماً ، وصبر الفريقان . وكان على
ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي^(١) ، وعلى ميسرته بكر بن أبي بشير
الهلالى . فقال عُبيد الله بن زياد لمروان : إنك على حق وابن الزبير ومن دعا إليه هلى
الباطل ، وهم أكثر منّا عدداً وعدداً ، ومع الضحاك فرسان قيس ، وأعلم أنك لا تنال
منهم ما تريد إلا بمكيدة ، وإنما الحرب خدعة ، فأدعهم إلى الموقعة ، فإذا أمنوا
وكفوا عن القتال ، فكرك عليهم . فأرسل مروان الشفراء^(٢) إلى الضحاك يدعوه
إلى الموقعة ووضع الحرب حتى ينظر . فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن
القتال ، وهم يطعمون أن يبايع مروان لابن الزبير ، وقد أعدم مروان أصحابه ، فلم يشعر
الضحاك وأصحابه إلا والخييل قد شدت عليهم ، ففرع الناس إلى راياتهم من غير
أستعداد وقد غشيتهم الخييل ، فنادى الناس : أبا أنيس ، أعجز بعد كئس —
وكنية الضحاك : أبو أنيس — فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم ، فترجل مروان ،
وقال : قبح الله من وآلام اليوم ظهره حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين .
فقتل الضحاك بن قيس ، وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون ، فنظر رجل من بني

(١) في بعض الأصول : « زياد بن الضحاك العقيلي » وما أثبتنا من سائر الأصول
والطبرى .

(٢) في بعض الأصول : « بشرا » . وفي بعض آخر : « بشيرا » . تحريف .

عُقيل إلى ما تَلَقَى قَيْسٌ عِنْدَ رَايَاتِهَا مِنَ الْقَتْلِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعْنِهَا مِنْ رَايَاتِ !
 وَاعْتَرَضَهَا بِسَيْفِهِ ، فَجَعَلَ يَقَطَعُهَا ، فَإِذَا سَقَطَتِ الرَّايَةُ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا . ثُمَّ انْهَزَمَ
 النَّاسُ ، فَنَادَى مُنَادِي مَرْوَانَ : لَا تَتَّبِعُوا مِنْ وَلَاكُمْ الْيَوْمَ ظَهْرَهُ . فَرَزَعُوا أَنْ
 رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ لَمْ يَضْحَكُوا بَعْدَ يَوْمِ الْمَرْجِ حَتَّى مَاتُوا جَزَعًا عَلَى مَنْ أُصِيبَ مِنْ
 فُرْسَانَ قَيْسٍ يَوْمَئِذٍ . فَقُتِلَ مِنْ قَيْسٍ يَوْمَئِذٍ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ شَرَفَ الْعِطَاءِ ثَمَانُونَ
 رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمِ سِتِّمَانَةٌ ، وَقُتِلَ لِمَرْوَانَ ابْنُ يُقَالَ لَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(١) . وَشَهِدَ
 مَعَ الضَّحَّاكِ يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ . فَلَمَّا انْهَزَمَ
 النَّاسُ ، قَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أُرْتَدِفْ خَلْفِي ، فَارْتَدِفْ ، فَارَادَ عَمْرُو بْنُ
 سَعِيدٍ أَنْ يَقْتُلَهُ . فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أَلَا تَسْكُفُ يَا لَطِيمَ الشَّيْطَانِ^(٢) !
 وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقَدْ قُتِلَ ابْنَاهُ يَوْمَ الْمَرْجِ :

أَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعةُ رَاهِطٍ بِمَرْوَانَ صَدْعًا بَيْنَنَا مُتَفَانِيًا^(٣)
 فَلَمْ يُرَ مِنِّي زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا
 أَيْدَهُ يَوْمَ وَاحِدٍ إِنْ أَسَانُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَانِيَا
 أَنْتَرَكْتُ كَلْبًا لَمْ تَنْلِكْهَا رِمَاحُنَا وَتَذَهَبُ قَتْلِي رَاهِطٍ وَهِيَ مَا هِيََا
 وَقَدْ تَنْبَتَ الْخَضْرَاءُ فِي دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا
 فَلَا صُلْحَ حَتَّى نَدْعَسَ الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَتَثَارُ مِنْ أَبْنَاءِ كَلْبٍ نَسَانِيَا^(٤)

فَلَمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ وَأَنْهَزَمَ النَّاسُ ، نَادَى مَرْوَانَ أَنْ لَا يُقْبِعَ أَحَدٌ . ثُمَّ
 أَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقٍ فَدَخَلَهَا وَنَزَلَ دَارَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ دَارَ الْإِمَارَةِ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ
 بَيْعَةُ الْأَجْنَادِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّا لَنَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ إِلَّا خَالِدَ بْنَ يَزِيدٍ ، فَتَرَوُجُ أُمَّهُ ،

(١) انظر الطبري ، ففي مقتل عبد العزيز بن مروان في هذه الوقعة خلاف . ثم فيه
 أن مروان أمر أهل الشام بمسد بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما
 وليي عهده .

(٢) يقال لمن به لقوة أو شر إذا سب : يا لطيمن الشيطان . (انظر ما يعول عليه) .

(٣) في بعض الأصول : « لمروان ... متبايناً » وما أثبتنا من سائر الأصول

والأغاني (ج ١٧ ص ١١٢ طبعة بلاق) . (٤) الدعس : الطعن .

فإنك تكسره بذلك ، وأمه أبنه [أبي] ^(١) هاشم بن عتبة بن ربيعة . فتزوجها مروان ، فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد : أعزني سلاحاً إن كان عندك ، فأعاره سلاحاً ، وخرج إلى مصر ، فقاتل أهلها وسبى بها ناساً كثيراً ، فأفتدوا منه . ثم قدم الشام ، فقال له خالد بن يزيد : ردّ علىّ سلاحي . فأبى عليه . فألح عليه خالد . فقال له مروان ، وكان فحاشاً : يا بن رطبة الاست ^(٢) . قال : فدخل إلى أمه فبكي عندها وشكوا إليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له : لا عليك ، فإنه لا يعود إليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها ، فأمرت جوارها فطرحن عليه الوسائد ^(٣) ، ثم غطته حتى قتله ، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن : يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين ! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده ، فقال لفاخته ^(٤) أم خالد : والله لولا أن يقول الناس إنني قتلتُ بأبي امرأةً لقتلتُكِ بأمر المؤمنين .

وولد مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام ، ثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان . وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيباني . وكتبه ١٥ مخرجون بن منصور الرّومي . وحاجبه أبو سهل الأسود ، مولاة .

ولاية عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى : أبا الوليد .

(١) التكلة من الطبري .

(٢) ذكر الطبري شيئاً غير هذا فقال : « فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفيين فقال : إنه والله ما هلت لأحق ، فقال : يا بن رطبة الاست ، يقصده ليقطعه من أعين أهل الشام » . ثم ذكر باقي القصة متفقاً مع الأصول .

(٣) في بعض الأصول . « الشواذك » .

(٤) كذا فيما مر من هذا الجزء والطبري . وفي الأصول هنا : « عاتكة أم خالد » .

ويقال له : أبو الأملأك ؛ وذلك أنه ولي الخلافة أربع من ولده : الوليد وسليمان
 ويزيد وهشام . وكان تدمي لثمه فيقع عليها الذباب ، فكان يُلقب : أبا الذباب .
 أمه عائشة بنت [معاوية بن] ^(١) المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول ابن ^(٢)
 قيس الرقيات :

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نساءها ^(٣)
 لم تلتفت للداتها ومشت على غلوائها
 ولدت أغرّ مباركاً كالشمس ونط سمانها

وَبُوعِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدَمَشَقٍ لثَلَاثَ لُحُونٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ،
 وَمَاتَ بِدَمَشَقٍ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ
 سَنَةً ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَوُلِدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ
 وَعَشْرِينَ ، وَيُقَالُ سَنَةَ سِتِّ وَعَشْرِينَ . وَيُقَالُ وُلِدَ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ . وَكَانَ عَلَى
 شَرْطَنَةِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ السَّكْسَكِيِّ ، ثُمَّ أَبُو نَائِلِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ عُبَيْدَةَ النَّسَائِيِّ ، ثُمَّ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْحَكَمِيِّ . وَعَلَى حَرَسِهِ الرَّيَّانُ . وَكَاتَبَهُ عَلَى الْخِرَاجِ وَالْجُنْدِ سَرَجُونُ
 ابْنُ مَنْصُورِ الرُّومِيِّ . وَكَاتَبَهُ عَلَى الرِّسَالِ أَبُو زُرْعَةَ ، مَوْلَاهُ . وَعَلَى الْخَاتَمِ قَبِيصَةُ
 ابْنُ ذُؤَيْبٍ . وَعَلَى بَيْتِ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَانِ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ . وَحَاجِبُهُ أَبُو يَوْسُفَ ،
 مَوْلَاهُ . وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَصَلَّى
 عَلَيْهِ الْوَلِيدُ ابْنُهُ ^(٤) . وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ، مِنْذُ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ
 أَشْهُرٍ ، وَدُفِنَ خَارِجَ بَابِ الْمَدِينَةِ . وَفِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَوَّلَتْ الدَّوَابُّ إِلَى
 الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الرُّومِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ ، حَوَّلَهَا عَنِ الرُّومِيَّةِ سَلِيمَانُ بْنُ سَعْدٍ ^(٥) ، مَوْلَى
 خُسَيْنٍ ^(٦) . وَحَوَّلَهَا عَنِ الْفَارْسِيَّةِ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَوْلَى عُتْبَةَ ، أَمْرَأَةً مِنْ

(١) التكملة من الطبرى . (٢) في الأصول : « أبو » . تحريف .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .

(٤) تقدم خبر موت عبد الملك قبل ذلك بأسطر .

(٥) فى بعض الأصول : « سعيد » وما أتبعنا من سائر الأصول والفهرست لابن النديم .

(٦) فى بعض الأصول : « حسين » تصحيف .

بني مرة . ويقال : حُوت في زمن الوليد .

ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية فرَض للموالى خمسة عشر ، فبلغهم عبدُ الملك عشرين ، ثم بلغهم سليمانُ خمسة وعشرين ، ثم قام هشامُ فأنتم للأبناء منهم ثلاثين .

٥ وكتب عبدُ الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان يبيعه لما قُتل ابنُ الزبير ، وكان كتابه إليه يقول : لعبد الملك بن مروان ، من عبد الله بن عمر : سلامٌ عليك ، فإنني أقررتُ لك بالسَّمع والطاعة على سُنَّةِ الله وسُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم . وبيعةُ نافع مولاى على مثل ما بايعتُك عليه .

وكتب محمد بن الحنفية يبيعه لما قُتل ابنُ الزبير ، وكان في كتابه : إني اعتزلتُ الأمة عند اختلافها ، فعمدتُ في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأحرزَ ديني وأمنع دمي ، وتركتُ الناسَ (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، فَرِيضَتُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) . وقد رأيتُ الناسَ قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصابة من أمتنا لا نفارق الجماعة ، وقد بعثتُ إليك مقراً رسولاً لياخذ لنا منك ميثاقاً ، ونحن أحقُّ بذلك منك . فإن أبيتَ فأرضُ الله واسعة ، والعاقة الممتقين .

١٥

فكتب إليه عبدُ الملك : قد بلغني كتابك بما سألتَه من الميثاق لك وللعصابة التي معك . فلك عهدُ الله وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ، ولا أحد من أصحابك ما وفوا ببيعتهم ، فإن أحببتَ المقام بالحجاز فأقم ، فلن ندع صلتك وبرك ، وإن أحببتَ المقام عندنا فاشخص إلينا ، فلن ندع مواساتك . ولعمري لئن ألبأتُك إلى الذهاب في الأرض خائفاً قد ظلمناك ، وقطعنا رحمتك . فاخرج إلى الحجاج فبايع . فإنك أنت الحمود عندنا ديناً ورأياً ، وخيرٌ من ابن الزبير وأرضى وأتقى .

٢٠

وكتب إلى الحجاج بن يوسف : لا تعرِض ل محمد ولا لأحد من أصحابه ،

وكان في كتابه : جئني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحرب^(١) ،
وإني رأيتُ بني حَرْبٍ سُلِّبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي . فلم يتعرض
الحجاج لأحد من الطالبيين في أيامه .

أبو الحسن المدائني قال : كان يقال : معاوية أحلم ، وعبدُ الملكُ أحزم .
وخطب الناسَ عبدُ الملكُ فقال : أيها الناس ، ما أنا بالخليفة المستضعف
— يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة المُدَاهِن — يريد معاوية بن أبي سفيان
— ولا بالخليفة المَأْفُون — يريد يزيد بن معاوية — فمن قال برأسه كذا قلنا
بسيمنا كذا ، ثم نزل .

وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ، إن الله حدَّ حُدُوداً وفَرَضَ
فُرُوضاً ، فما زِلْتُمْ تَزْدَادُونَ فِي الذَّنْبِ وَتَزْدَادُ فِي الْعُقُوبَةِ ، حتى اجتمعنا نحن
وأنتم عند السيف .

أبو الحسن المدائني قال : قَدِمَ عمرُ بنُ عليّ بن أبي طالب على عبد الملك ،
فسأله أن يُصَيِّرَ إليه صدقةَ عليّ . فقال عبدُ الملكُ متمثلاً بأبيات ابن
أبي الحقيق^(٢) :

إني إذا مالت دواعي الهوى وأنصتَ السامعُ للقائل
وأعتلج الناسُ بآرائهم نقضى بحكمِ عادلٍ فاصل^(٣)
لا تجعل الباطلَ حقاً ولا ترضى بدون الحقِّ للباطل

لا ، لعمرى ، لا تُخرجها من ولد الحسين إليك . وأمر له بصلته . [ورجع .
وقال عبد الملك بن مروان لأبي أيمن بن خريم : إن أباك وعمك كانت لهما صحبة
نخذ هذا المال فقاتل ابن الزبير . فأبى فشتمه عبد الملك] . نخرج وهو يقول :

(١) الحرب (بالتحريك) : الغضب .
(٢) في الأصول : « ابن الحقيق » تحريف . وهو الربيع بن أبي الحقيق من بني قريظة .
(انظر الأغاني في ج ٢١ ص ٩١ — ٩٣) . طبعة أوربية .
(٣) اعتلجوا : التعموا صراعا وقتالا .

فلستُ بقاتلٍ رجلاً يُصَلِّيَ على سلطانٍ آخرٍ من قُرَيْشٍ
له سلطانُهُ وعلىَّ إثمِي معاذَ الله من سَفَهٍ وطَيْشٍ
وقال أَيْمَنُ بنُ خُرَيْمٍ أيضاً :

إِنَّ لِلْفِتْنَةِ هَيْطًا بَيْنَنَا فَرُودًا لِمَيْلٍ مِنْهَا يَعْتَدِلُ^(١)
فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَاتَهَزْ وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَاعْتَزَلْ
إِنَّمَا يُوقِدُهَا فُرْسَانُنَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَمَهَا تَشْتَعَلْ

وقال زُفَرُ بنُ الحَارِثِ لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذي نصرك على
كُره من المؤمنين ، فقال أبو زُعَيْرَةَ : ما كره ذلك إلا كافر . فقال زُفَرُ : كذبت ،
قال الله لنبيه : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين
لسكارهون) .

١٠

وبعث عبد الملك بن مروان إلى المدينة حُبَيْشَ بنَ دُجْجَةَ القَيْسِيَّ في سبعة
آلاف . فدخل المدينة وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا
بجُبَيْرِ ولحم فأكل ، ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر ، ثم دعا جَابِرَ بنَ عبد الله
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تُبَايِعُ عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين
بِعَهْدِ الله عَلَيْكَ وَمِيثَاقِهِ ، وَأَعْظَمُ مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي الْوَفَاءِ ، فَإِنْ
خُنْتَنَا فَهَرَّاقَ اللهُ دَمَكَ عَلَى ضَلَالَةٍ . قال : أنت أطوق لذلك مني ، ولسكن أبايعه
على ما بايعتُ عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية^(١) ، على السمع
والطاعة .

١٥

ثم خرج ابنُ دُجْجَةَ من يومه ذلك إلى الرِّبْدَةِ ، وقدم على أثره من الشام

٢٠

(١) هبط : ضجيج وشر وجلبة .
(٢) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء . ومنهم
من خففها ومنهم من شددتها) : قرية متوسطة سميت بيئر هناك عند مسجد الشجرة
التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها . وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها
وبين المدينة تسع مراحل . (انظر معجم البلدان) .

رجالان، مع كل واحد منهما جيش، ثم اجتمعوا جميعاً في الرّبذة^(١)، وذلك في رمضان سنة خمس وستين. وأميرهم ابن دُجّة.

وكتب ابنُ الزبير إلى العباس بن سهل الساعديّ بالمدينة أن يسير إلى حُبَيْش بن دُجّة. فسار حتى آقِيه بالرّبذة. وبعث الخارثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو عامل ابن الزبير على البصرة — مدداً إلى العباس بن سهل^(٢)، حُنَيْفَ بن السَّجَف في تسعمائة من أهل البصرة. فساروا حتى انتهوا إلى الرّبذة. فبات أهلُ البصرة وأهلُ المدينة يقرءون القرآن ويصلّون. وبات أهل الشام في المعازف والختور، فلما أصبحوا غدوا على القتال، فقتل حُبَيْش بن دُجّة ومن معه. فتمحصن منهم خمسمائة رجل من أهل الشام على عمود الرّبذة، وهو الجبل الذي عليها، وفيهم يوسف أبو الحجاج، فأحاط بهم عباس بن سهل، فطلبوا الأمان، فقال: أنزلوا على حُكْمِي، فنزلوا على حكمه، فضرب أعناقهم أجمعين. ثم رجع عباس بن سهل إلى المدينة، وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملاً على البصرة، فاستضعفه القوم، فبعث أخاه مُصعب بن الزبير، فقدم عليهم، فقال: يا أهل البصرة، بلغني أنه لا يُقدّم عليكم أمير إلا لَقَبْتُموه، إني ألقب لكم نفسي: أنا القصاب.

خبر المختار بن أبي عبيد

ثم أرسل عبد الله بن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة أميراً على الكوفة، ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد. وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد إلى الكوفة. فبلغ المختار إقبال عبيد الله بن زياد، فوجه إليهم إبراهيم بن الأشتر

(١) الرّبذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. (انظر معجم البلدان).

(٢) في بعض الأصول: «العباس بن سهل بن حنيف بن السجف» محريف. والتصويب من الطبري. وفي بعض الأصول: «مدوا إلى العباس بن سهل، وهو حنيف بن السجف في تسعمائة من أهل البصرة».

في جيش ، فالتقوا بالجازر^(١) ، وقتل عبيد الله بن زياد وحُصين بن نمير وذا الكلاع وعامة من كان معهم . وبعث برؤسهم إلى عبد الله بن الزبير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجويرية المجرمي قال : كنتُ فيمن سار إلى أهل الشام يوم الجازر مع إبراهيم بن الأستر فلقيناهم بالزَّاب ، فهبَّت الرياحُ لنا عليهم ، فأدبروا ، فقتلناهم عَشِيتنا وليمتنا حتى أصبحوا . فقال إبراهيم : إني قتلت البارحة رجلاً فوجدتُ عليه ريح طيب ، فالتَمَسوه ، فما أراه إلا ابنَ سرجانة . فانطلقنا فإذا هو والله مَعكوس في بطن الوادي .

ولما التقى عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأستر بالزَّاب ، قال : مَنْ هذا الذي يُقاتلني ؟ قيل له : إبراهيم بن الأستر . قال : لقد تركته أمس صبيحاً يلعب بالحمام .

قال : ولما قُتل ابن زياد بعث الختارُ رأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمتُ به عليه انتصافَ النهار وهو يتغذى ، قال : فلما رآه قال : سبحان الله ! ما اغتر بالدنيا إلا مَنْ ليس لله في عنقه نعمة ! لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد وهو يتغذى . وقال يزيد بن مفرغ^(٢) :

ابن الذي عاش ختاراً بدمته ومات عبداً قتيلُ الله بالزَّاب

ثم إن الختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة فدفعته كتابي إلى ابن الزبير فأت المهدي — يعني محمد بن الحنفية — فاقرا عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إني أحبك وأحب أهل بيتك . قال : فأتاه ، فقال له ذلك . فقال : كذبت وكذب أبو إسحاق ، وكيف

(١) الجازر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « يزيد بن معن » وما أثبتنا من سائر الأصول والأغاني . (ج ١٧ ص ٦٨) طبعة بلاقي .

يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ أَهْلَ بَيْتِي وَهُوَ يُجْلِسُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ^(١) عَلَيَّ وَسَائِدَهُ وَقَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ !
 فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولُهُ وَأَخْبَرَهُ . قَالَ الْمُخْتَارُ لِأُمِّي عَمْرُو ^(٢) صَاحِبِ حَرَسِهِ : اسْتَأْجِرْ
 لِي نَوَاحٍ يَبْكِينَ الْحُسَيْنَ عَلَيَّ بَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَفَعَلَ . فَلَمَّا بَكَينَ ، قَالَ عُمَرُ
 لِابْنِهِ حَفْصُ : يَا بَنِي ، أَنْتَ الْأَمِيرُ ، فَقُلْ لَهُ : مَا بَالُ النَّوَاحِ يَبْكِينَ الْحُسَيْنَ عَلَيَّ
 يَا بَنِي ؟ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : إِنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يُبْكِيَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : أَصَاحِبُكَ اللَّهُ ،
 أَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ دَعَا أَبَا عَمْرُو صَاحِبَ حَرَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ
 إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَأَتْنِي بِرَأْسِهِ . فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ إِلَيَّ أَبَاحْفَاصٍ . فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ
 مُلْتَمِحٌ بِمَلْحَمَةٍ ، فَجَلَّهَ بِالسَّيْفِ ، فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ . ثُمَّ قَالَ : انْتَوْنِي
 يَا بَنِي عَمْرُو ^(٣) . فَلَمَّا حَضَرَهُ قَالَ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَ : أَتُحِبُّ
 أَنْ نُلَحِقَكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

ثُمَّ إِذَا الْمُخْتَارُ لَمَّا قَتَلَ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ جَعَلَ يَتَّبِعُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ
 عَلِيٍّ وَمَنْ خَذَلَهُ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَمَرَ الْحُسَيْنِيَّةَ ، وَهِيَ الشَّيْعَةُ ، أَنْ يَطُوفُوا فِي
 أَرْقَةَ الْمَدِينَةَ بِاللَّيْلِ وَيَقُولُوا : يَا نَارَاتِ الْحُسَيْنِ ! فَلَمَّا أَفْنَاهُمْ وَدَانَتْ لَهُ الْعِرَاقُ ، وَلَمْ
 يَكُنْ صَادِقَ النَّيَّةِ وَلَا صَحِيحَ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَأْصِلَ النَّاسَ ، فَلَمَّا أَدْرَكَ
 بُعَيْتَهُ أَظْهَرَ قُبُوحَ نَيْتِهِ لِلنَّاسِ ، فَادَّعَى أَنْ جَبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَيَأْتِيهِ بِالْوَحْيِ مِنْ
 اللَّهِ . وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ : بَلِّغْنِي أَنَّكُمْ تُسَكِّدُونَنِي وَتَسَكِّدُونَ رُسُلِي ،
 وَقَدْ كَذَبْتَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِي ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ . فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ
 عَنْهُ كَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ . وَبَرَزَ إِلَيْهِ
 الْمُخْتَارُ ، فَأَسْلَمَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، وَوُجَّهَ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَقَتَلَهُ مُصْعَبُ
 وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ .

(١) في بعض الأصول : « عمرو بن سعيد » انظر الحاشية . (رقم ١ ص ٣٧٩ .
 من هذا الجزء .

(٢) في المعارف : « أبو عمرة مولى نجيلة » .

(٣) هو حفص بن عمر بن سعد . والذي في الأصول : « ابن مرجان » . تحريف :

(انظر المعارف) .

أبو بكر بن أبي شيبه قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار ليزعم أنه يوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

و قتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف . ثم حج سنة إحدى وسبعين ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جئتك بوجوه أهل العراق ، ولم أدع لهم [بها] نظيراً ، فأعطهم من المال . قال : ٥
جئتني بعبيد أهل العراق لأعطيتهم من مال الله ، وددت أن لي بكل عشرة منهم رجلاً من أهل الشام صرّف الديفار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق ، وقد حرمهم عبد الله بن الزبير ما عنده ، فسدت قلوبهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خرج إلى مصعب فقتله (١) .

١٠ على بن عبد العزيز عن حجاج (٢) عن أبي معشر قال : لما بعث مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه ، قال : ما من شيء حدّثني به كعب الأحمار إلا قد رأيتُه ، غير هذا ، فإنه قال لي : يقتلك شاب من ثقيف ، فأراني قد قتلته .

وقال محمد بن سيرين ، لما بلغه هذا الحديث : لم يعلم ابن الزبير أن أبا محمد قد خبي له .

١٥

ولما قتل مصعب المختار بن أبي عبيد ودانت له العراق كلها : الكوفة والبصرة ، قال فيه عبيد الله بن قيس الرقيبات :

كيف نومي على الفراش ولما تشمّ الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء (٣)

٢٠ (١) انظر (ج ٢ ص ٩٨) من هذه الطبعة ، فبين الخبر هنا وهناك بعض خلاف .
(٢) لعله حجاج بن المنهال . انظر معجم الأدباء (ج ٥ ص ٢٤٧ طبعة مرجليوث والطبري .

(٣) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهو الخلل ، والعقيلة : الكريمة المخدرة .
وخدام هاهنا في نية عن خدامها . وعدى « تبدي » بعن لأن فيه معنى تكشف .
انظر لسان العرب مادة خدم .

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلت عن وجهه الظلما
وتزوج مصعب — لما ملك العراق — عائشة بنت طلحة وسكينة بنت
الحسين ، ولم يكن لها نظير في زمانهما . وقتل مصعب امرأة المختار ، وهي ابنة
الثعمان بن بشير الأنصاري ، فقال فيها عمر بن أبي ربيعة للمخزومي :

إن من أعظم المصائب عندي قتل حوراء غادة عيطبول^(١)
قتلت باطلاً على غير ذنب إن لله ذرها من قتييل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذبول

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل
العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيئاً أبغضوا ابن الزبير ، وكانوا
عبد الملك بن مروان ، فخرج يريد مصعب بن الزبير ، فلما أخذ في جهازه
وأراد الخروج ، أقبلت عاتكة بنت يزيد بن معاوية في جواربها ، وقد تزينت
بالحلى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قعدت في ظلال ملسكك ووجهت إليه
كلباً من كلابك لكفأك أمره . فقال : هيهات ! أما سمعت قول الأول :
قوم إذا ما غزوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار
فلما أبى عليها وعزم ، بكت وبكى معها جواربها . فقال عبد الملك : قاتل
الله ابن أبي جمعة^(٢) كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه حصان عليها نظم دُرّ يزينا
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكي مما دهاها قطينها^(١)

(١) العيطبول ، كيزبون : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .
(٢) كذا في بعض الأصول . وابن أبي جمعة ، هو كثير عزة . وفي بعض آخر : « ابن
أبي ربيعة » . وقد جاء البيهقي في الأملالي (ج ١ ص ١٣ طبعة دار الكتب المصرية)
منسوباً أيضاً لكثير . والذي في سائر الأصول : « ابن أبي ربيعة » .
(٣) القطين : الإماء والحشم الأحرار والحشم المماليك والخدم والأتباع وأهل الدار ،
لواحد والجمع .

- ثم خرج يُريد مصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق
عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فقبل له : ما تصنع ، أتريد العراق وتدع
دمشق ؟ أهل الشام أشد عليك من أهل العراق ؟ فرجع مكانه ، فحاصر أهل
دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل
عاملا . ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه
عبد الملك : أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا
حرساً أيضاً . فقال عبد الملك : أخرج لحرسك أيضاً أرزاقهم . فلما كان يوم
من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار أن أتتني أبا أمية حتى
أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية ، لا تذهب إليه فإنني أتخوف
عليك منه . فقال : أبو الذباب ! والله لو كنت نائماً ما أيقظني . قالت : والله
ما آمنه عليك ، وإني لأجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم
سيفه فشقها . فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين
لا يُقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك ،
فقالوا : يا أبا أمية ، إن رابك ريب فأسمعنا صوتك . قال : فدخل ، فجعلوا
يصيحون : أبا أمية ! أسمعنا صوتك ، وكان معه غلام أسحم شجاع ، فقال له :
اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس . فقال له عبد الملك : أمكراً عند
الموت أبا أمية ! خذوه ، فأخذوه . فقال له عبد الملك : إني أقسمت إن أمكنتني
منك يد أن أجعل في عنقك جامعة ، وهذه جامعة^(١) من فضة أريد أن أبر بها
قسمى . قال : فطرح في رقبتك الجامعة ، ثم طرحه^(٢) إلى الأرض بيده . فأنكسرت
ثنيته ، فجعل عبد الملك ينظر إليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين ،
عظم أنكسر . قال : وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ، لصلاة
الظهر ، فقال لعبد العزيز بن مروان : اتقله حتى أرجع إليك من الصلاة . فلما

(١) الجامعة : الغل .

(٢) في بعض الأصول : « نثره » .

أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو : نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلني من بينهم ، فجاه عبد الملك فرآه جالسا ، فقال : مالك لم تقتله ! لعنك الله ولعن أمًا ولدتك . ثم قال : قدّموه إليّ ، فأخذ الحربة بيده ، فقال [عمرو] : فعلتها يا ابن الزرقاء ! فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبتغي ويصلح لي ملكي لفديتكم بدم الناظر^(١) . ولكن قلما اجتمع فحلان في ذؤود^(٢) إلا عدا أحدهما على الآخر ، ثم رفع إليه الحربة فقتله . وقعد عبد الملك يُرعد ، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل إلى قبيلة بن ذؤيب الخزاعي ، فدخل عليه ، فقال : كيف رأيتك في عمرو بن سعيد الأشدق ؟ قال : وأبصر قبيلة رجل عمرو تحت السرير ، فقال : أضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيرا ، أما علمت إنك لموفق . قال قبيلة : اطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها . ففعل ، وأفترق الناس ، وهرب يحيى بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة ، فكان معه^(٣) .

وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يستشيريه ويصدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر ، فقال له : ما ترى ما كان من فعلي بعمرو ابن سعيد ؟ قال : أمرت قد فات دركه . قال : لتقولن . قال : حرم لو قتلته وحييت أنت . قال : أولست بحمي ؟ قال : هيهات ! ليس بحمي من أوقف نفسه موقفا لا يؤثق منه بعهد ولا عقد . قال : كلام لو تقدّم سماعه فملي لأمسكت .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن عبد الملك بن مروان قتل لطم الشيطان ، كذلك نوّلي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون .

(١) الناظر : العين .

(٢) الذود : معتلف النابة .

(٣) ساق المسعودي خبر مقتل عمرو بن سعيد ، وهو يختلف عنه هنا كثيرا . (انظر

مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ — ١١٨ طبعة البهية) .

مقتل مصعب بن الزبير

فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان أراد الخروج إلى مصعب بن الزبير ، فجعل يستنفر أهل الشام فيبيطون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف : سَأَطْنِي عَلَيْهِمْ ، فوالله لا أخرجهم معك . قال له : قد سَلَطْتُكَ عَلَيْهِمْ . فسكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج إلا أحرق عليه داره . فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا ، وسار عبد الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة ، فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كتباً إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نفسه ويجعل لهم الأموال ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك ، على أن يتخذوا مصعباً إذا التقوا . فقال إبراهيم بن الأشتر لمصعب : إن عبد الملك قد كتب إلى هذا الكتاب ، وقد كتب إلى أصحابي بمثل ذلك ، فادعهم الساعة فاضرب أعناقهم . قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم . قال : فأخري . قال : ما هي ؟ قال : أحسنهم حتى يستبين لك ذلك . قال : ما كنت لأفعل . قال : فعليك السلام ، والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبداً . وقد كان قال له : دَعْنِي أَدْعُو أَهْلَ الْكُوفَةِ بِمَا شَرَطَهُ اللَّهُ . فقال : لا والله ، قتلهم أمس وأستنصر بهم اليوم^(١) ! قال : فما هو إلا أن التقوا فحوتوا وجوههم وصاروا إلى عبد الملك . وبقي مصعب في شِرْدَمَةَ قَلِيلَةً . فجاءه عبید الله بن زياد بن ظبيان ، وكان مع مصعب^(٢) ، فقال : أين الناس أيها الأمير؟ فقال : قد غدرتم بأهل العراق ! فرفع عبید الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب

٢٠ (١) يشير إلى حروبه مع المختار بالكوفة سنة سبع وستين وتبع مصعب الشيعة

بالقتل بالكوفة . (انظر صروج الذهب ج ٢ ص ١١٤)

(٢) كان لعبيد الله زياد بن ظبيان أخ اسمه النابى بن زياد قتله مصعب . وكان النابى من

سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل . ولهذا تحيز ما كان في عسكر مصعب بن ربيعة

وأضاف عبید الله بن زياد بن ظبيان راياتهم إلى عسكر عبد الملك . (انظر صروج

الذهب والطبرى) .

فضربه بالسيف على البيضة ، فنسب السيف في البيضة ، فجاى غلام لعبيد الله [ابن زياد بن ظبيان] فضرب مصعبا بالسيف فقتله (١) . ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا (٢) وليس علينا قتلهم بمحرّم

قال : فلما نظر عبد الملك إلى رأس مصعب خرا ساجدا . فقال عبيد الله [بن زياد] بن ظبيان ، وكان من فتاك العرب : ما ندمت على شيء قط ندمى على عبد الملك بن مروان إذ أتيت به رأس مصعب فخر ساجدا أن لا أكون ضربت عنقه ، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد . وقال في ذلك عبيد الله [ابن زياد] بن ظبيان :

١٠ هممت ولم أفعل وكذت وليتني فعلت فأدمنت البكا لأقاربه

فأوردتها في النار بكر بن وائل وألحقت من قد خرا شكرا بصاحبه

الرياشي عن الأصمعي قال : لما أتى عبد الملك برأس مصعب بن الزبير

نظر إليه مليا ، ثم قال : متى تلد قریش مثلك ! وقال : هذا سيد شباب قریش .

وقيل لعبد الملك : أكان مصعب يشرب الطلاء (٣) ؟ فقال : لو علم مصعب

١٥ أن الماء يفسد مروته ما شربه :

ولما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك يهنئونه ، ودخل معهم

شاعر فأنشده :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

٢٠ فأمر له بعشرة آلاف درهم .

(١) انظر المروج والطبري والأغانى (ج ١٧ ص ١٦٢ — ١٦٤) فقد سبق فيها

مقتل مصعب بروايات أخرى .

(٢) في مروج الذهب :

* نعاطى الملوك الحق ما قسطوا لنا *

(٣) الطلاء (ككساء) : الحمر .

وقالوا : كان مُصعبُ أجلَّ الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس . وكان تحته عَميلتا قُرَيْش : عائشة بنت طلحة ، وسُكَيْنَةُ بنت الحسين .

ولما قُتِل مُصعبُ خرجت سُكَيْنَةُ بنت الحسين تُريد المدينة ، فأطاف بها أهلُ العراق ، وقالوا : أحسنَ اللهُ صحابَتَكَ يا بِنَةَ رسولِ اللهِ . فقالت : لا جزاكم اللهُ عَنى خيرا ، ولا أخلفَ عليكم بخيرٍ من أهلِ بلد ، قتلتُم أبي وجَدِي وعمِّي وزَوْجِي ، أَيتممتوني صغيرةً وأرملتتموني كبيرةً .

ولما بلغَ عبدَ اللهِ بنَ الزبير قتلَ مُصعبِ صَعِدَ المنبرُ فجلسَ عليه ، ثم سَكَت ، فجعلَ لونهُ يَحْمَرُ مرةً وَيَصْفَرُ مرةً ، فقالَ رجلٌ من قُرَيْشٍ لرجلٍ إلى جنبِهِ : ماله لا يَتَكَلَّمُ ! فواللهُ إنه لَلْخَطِيبُ اللَّيْب . فقالَ له الرجلُ : لعله يريدُ أن يَذْكَرَ مَمْتَل سَيِّدَ العربِ فيشْتَدَّ ذلكَ عليه ، وغيرَ معلوم . ثم تَكَلَّمَ فقالَ : الحمدُ لله الذي له الحَلْقُ والأمرُ ، والدنيا والآخرةُ ، يُؤْتِي المَلِكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ المَلِكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . أما بعد . فإنه لم يَعْزِزْ مَنْ كانَ الباطلَ معه ، ولو كانَ معه الأنامُ طُرًّا ، ولم يَذِلِّ مَنْ كانَ الحقُّ معه ، ولو كانَ فردًا . ألا وإنَّ خَيْرًا منَ العراقِ أَنانا فأحزنا وأفرحنا ، فأما الذي أحزنا فإنَّ لفرقِ الحَمِيمِ لوعةً يَجِدُها حَمِيمُهُ ، ثم يَرْعُو ذُوو الألبابِ إلى الصبرِ وكريمِ الأجرِ ؛ وأما الذي أفرحنا ، فإنَّ قَتْلَ مُصعبِ له شَهادَةٌ ولنا ذَخِيرَةٌ . أسلمه الطَّعَامُ ، الصَّلْمُ^(١) الأَذانُ ، أهلُ العراقِ ، وباعوه بأقلِّ من الثمنِ الذي كانوا يأخذونَ منه ، فإنَّ يُقْتَلُ فقد قُتِلَ أخوه وأبوه وابنُ عمِّه ، وكانوا الخِيَارَ الصالحينَ . أما واللهُ لا نَمُوتُ حَتْفَ^(٢) [أُنوفنا]^(٣) كما يموتُ بنو مروان ، ولكنَّ قَعَصًا^(٤) بالرماحِ وموتًا تحتَ ظلالِ

(١) الصلم : جمع أصلم ، وهو المقطوع الأذن والأنف من أصله . وفي بعض الإصول :
« الصم » .

(٢) في بعض الأصول : « جيفة » . وفي بعضها « خيفة » .

(٣) يقال : مات فلان حتف أنفه ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأنفه فات .

(٤) القعص : الموت الوحى . ومات قعصا : أصابته ضربة أو رمية فات مكانه .

السيوف ، فإن تقبل الدنيا على لم آخذها مأخذ الأشر البطر ، وإن تدبر عتي لم أربك عاها بكاء الحرف^(١) الزائل العقل .

ولما توطن لابن الزبير أمره وملاك الحرمين والعراقين أظهر بعض بني هاشم الطمن عليه ، وذلك بعد موت الحسن والحسين ، فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته ، فأبوا عليه ، فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر ، وأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فعوتب على ذلك ، فقال : والله ما يمنعني أني لا أذكره علانية من ذكره سرا وأصلي عليه ، ولكن رأيت هذا الحى من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرا بت أعناقهم^(٢) ، وأبغض الأشياء إلى ما يسرهم . ثم قال : لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار . فأبوا عليه ، فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم^(٣) . فقال في ذلك كثير عزوة ، وكان ابن الزبير يدعى العائد ، لأنه عاذ بالبيت :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيت أنك عائدٌ بل العائدُ المظلوم في سجن عارم
سَمِيَّ النبي المصطفى وأبنُ عمه وفككك أغلال وقاضى مغارم
وكان أيضاً يدعى المجل ، لإحلاله القتال في الحرم . وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في رملة بنت الزبير :

ألا من لقلبٍ معننى غزلٌ بذكر المحلة أخت المجل
ثم إن المختار بن أبي عبيد وجه رجلا يثق بهم من الشيعة ، يكمنون النهار ويسرون الليل ، حتى كسروا سجن عارم وأمتخرجوا منه بني هاشم ، ثم ساروا بهم إلى ما منهم .

وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين ، فقال : أيها الناس ،

(١) كذا في الأغاني : والذي في الأصول : « الحزن » . والذي في الطبرى :

« الحرق » . (٢) في بعض الأصول : « قلوبهم » .

(٣) سجن عارم ، بالكوفة .

إن فيكم رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتى بزواج المتعة . وعبد الله بن عباس في المسجد ، فقام وقال لعكرمة : أقم وجهي نحوه يا عكرمة ، ثم قال هذا البيت^(١) :

- ٥ إن يأخذ الله من عيني نورها في فؤادي وعقلي^(٢) منها نور
وأما قولك يا بن الزبير إني قاتلت أم المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ،
وبنا سُميت أم المؤمنين ، فكُنَّا لها خيرَ بنين ، فتجاوزَ الله عنها . وقاتلت أنت
وأبوك علياً ؛ فإن كان علي مؤمناً ، فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً ،
فقد بُؤتتم بسُخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة ، فإني سمعتُ علي بن
١٠ أبي طالب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيتُ بها ،
ثم سمعته ينهى عنها ، وأول حِجْر سَطَعَ في المتعة حِجْر آل الزبير^(٣) .

مقتل عبد الله بن الزبير

- أبو عبيد^(٤) عن حجاج عن أبي معشر قال : لما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان بعد قتل مُصعب بن الزبير ودخل الكوفة ، قال له الحجاج : إني رأيتُ
١٥ في المنام كأني أسلخُ ابنَ الزبير من رأسه إلى قدميه . فقال له عبدُ الملك : أنت له ، فاخرج إليه . فخرج إليه الحجاج في ألف وخمسمائة ، حتى نزل الطائف .
وجعل عبدُ الملك يُرسل إليه الجيوش رَسَلاً بعد رَسَل^(٥) ، حتى توافى إليه الناسُ
قدرَ ما يظن أنه يقوى على قتال ابنِ الزبير ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة
اثنَتين وسبعين . فسار الحجاجُ من الطائف حتى نزل مِثْنَى ، فحجَّ بالناس ،

٢٠ (١) البيت لحسان بن ثابت . (انظر الأملالي ج ٣ ص ١٥) .

(٢) في الأغاني : « وقلبي » .

(٣) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٤) من هذا الجزء .

(٤) في بعض الأصول : « أبو عبيدة » .

(٥) الرسل (بالتحريك) : القطيع من كل شيء .

وابن الزبير محصور ، ثم نصب الحجاجُ المجانيق على أبي قُبَيْس وعلى قُبَيْقَان^(١) ونواحي مكة كُلِّهَا ، يرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها ابن الزبير ، جمع ابن الزبير مَنْ كان معه من القرشيين فقال : ماترون ؟ فقال رجلٌ من بني مخزوم من آل بني ربيعة : والله لقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلاً ، ولئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، وإنما هي إحدى خصلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ، وإما أن تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير : لقد كنتُ عاهدتُ الله أن لا يبايعني أحدٌ فأقبله بيعته إلا ابن صفوان . فقال ابن صفوان : أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك ، وإنما لتأخذني الحفيظة أن أسلمك في مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب إلى عبد الملك بن مروان . فقال له : كيف أكتب : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان ؟ فوالله لا يقبل هذا أبداً ، أم أكتب : لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب إليّ من ذلك . فقال عروة بن الزبير ، وهو جالس معه على السرير : يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة . قال : من هو ؟ قال : حسن بن عليّ ، خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير ، وقال : يا عروة ، قلبى إذا مثل قلبك ! والله لو قبلتُ ما تقولون ما عشتُ إلا قليلاً ، وقد أخذتُ الدَّيْثِيَّةَ ، وإن ضربة بسيف في عزٍّ خيرٌ من لُطْمَةٍ في ذُلٍّ . فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه ، وهى أم هاشم بنت منصور بن زياد الفزارية ، فقال لها : أصنعي لنا طعاماً ، فصنعت له كبداً وسناماً . فأخذ منه لُقْمَةً فلا كها ثم لَفَظَهَا ، ثم قال : أسقوني لبناً . فأتى بلبن فشرب منه . ثم قال : هيئوا لي غسلاً ، فأغسل ثم تحنَّط وتطَيَّب ، ثم نام نومة ، وخرج ودخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، وهى عمياء ، وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أماء ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٣٩٢) من هذا الجزء .

ما ترين ، قد خذني الناس وخذلني أهل بيتي ؟ فقالت : لا يلبس بك صبيان
 بنى أمية ، عس كريماً وموت كريماً . فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه
 نفر يسير ، فجعل يُقاتلهم ويهزمهم وهو يقول : ويله ! يا له فتحا لو كان له
 رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيحتهم . وجعل ينظر إلى أبواب
 المسجد والناس يهجمون عليه فيقول : من هؤلاء ؟ فيقال له أهل مصر . قال :
 قتلة عثمان ! فحمل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خلبوب ،
 فقال لأهل الشام : أما تستطيعون إذا ولي^(١) ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟
 قالوا : ويمكنك أنت أن تأخذه بيدك ؟ قال نعم . قالوا : فأنك . فأقبل وهو
 يريد أن يحتضنه ، وابن الزبير يرتجز ويقول :

١٠ * لو كان قرني واحداً كفيته *

فصر به ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب : حس . قال ابن الزبير :
 اصبر خلبوب . قال : وجاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فأصاب قفاه فسقط .
 فأقتحم أهل الشام عليه . فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكي وتقول : وأمير
 المؤمنين ! خز وأرأسه وذهبوا به إلى الحجاج . وقتل معه عبد الله بن صفوان ،
 وعمارة بن حزم ، وعبد الله بن مطيع .

١٥ قال أبو معشر : وبعث الحجاج برءوسهم إلى المدينة . فنصبوها للناس ،
 فجعلوا يُقرَّبون رأس ابن صفوان إلى ابن الزبير ، كأنه يساره ، ويلعبون بذلك .
 ثم بعث برءوسهم إلى عبد الملك بن مروان . فخرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت
 له : أتأذن لي أن أدفنه فقد قضيت أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها :
 ما ظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير ؟ قالت : حسبيبه الله^(٢) . فلما منعها أن تدفنه
 قالت : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج من ثقيف
 رجلان : الكذاب والمبير ، فأما الكذاب فالمختار ، وأما المبير فانت . فقال
 الحجاج : اللهم مبير لا كذاب .

(١) ولي : أدبر . في بعض الأصول : « ولاكم » . (٢) أي انتقم الله منه .

ومن غير رواية أبي عبيد قال : لما نصب الحجاج المَجَانِيقَ لقتال عبد الله بن الزبير أظلمتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ، ففزع الناسُ وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاجُ فقال : أيها الناس ، لا يهولتكم هذا ، فإنني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصحرتُ^(١) لوربي ، فلوركبنا عظيمًا لحال بيننا وبينه .
ولسكنها جبال تهامة لم تزل الصواعقُ تنزل بها . ثم أمر بكرسي فطرح له ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين . فكان أهل الشام إذا رموا الكعبة يرتجزون ويقولون هذا :

خَطَّارَةٌ مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُزَيِّدِ يُرْمَى بِهَا عُوَاذُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ^(٢)

ويقولون أيضا : دَرَى عُقَاب^(٣) ، بلبن وأشخاب . فلما رأى ذلك ابن الزبير خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حيناً . فناداه الحجاجُ : ويحك يا ابن ذات النطاقين ! أقبل الأمان وادخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت - رحمك الله - ما يقول القومُ وما يدعونني إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتهم لعنهم الله ! فما أجهلهم وأعجب منهم إذ يُعيرُوكَ بذات النطاقين ! ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرٍ عندهم . قال : وما ذاك يا أماء ؟ قالت : خرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره مع أبي بكر ، فهيات لها سُفْرَةٌ ، فطلبها شيئاً يرتبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعتُ من منزري لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أما إن لك به نِطَاقَيْنِ فِي الْجَنَّةِ . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيرا ، فما تأمريني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريماً ، ولا تتبّع فاسقاً لثيماً ، وأن يكون آخرُ نهارك أكرم من أوله . فقبّل رأسها وودّعها ، وضمتها إلى نفسها . ثم خرج من عندها ،

(١) أصحرت : برز .

(٢) الخطارة الناقة تحظر بذنها في السير نشاطاً . والفنيق : الفحل المسكر من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم .

(٣) عقاب : اسم ناقة . وأشخاب : جمع شخب ، وهو ما امتد من اللبن . وهذا من أمثال الخنثين . (انظر مجمع الأمثال)

فَصَعَدَ الْمَنبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ تَغَشَّاهُ كَمِ
سَحَابِهِ ، وَأَحْدَقَ بِكُمْ رَبَّابُهُ ^(١) ، وَأَجْتَمَعَ بَعْدَ تَفَرُّقٍ ، وَأُرْجِحَنَّ بَعْدَ تَمَشُّقٍ ^(٢) ،
وَرَجَسَ ^(٣) نَحْوَكُمْ رَعْدُهُ ، وَهُوَ مُفْرَغٌ عَلَيْكُمْ وَدَقُّهُ ^(٤) ، وَقَادَ إِلَيْكُمْ الْبَلَايَا تَتَّبِعُهَا
الْمُنْيَا ، فَاجْعَلُوا السُّيُوفَ لَهَا غُرَضًا ، وَأَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ . وَتَمَثَّلَ بِأَبْيَاتٍ ، ثُمَّ
أَفْتَحَمَ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ جَدَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ لَهَا عَلَى سَاقٍ

ثُمَّ جَعَلَ يُقَاتِلُ وَحْدَهُ وَلَا يَهْدِيهِ شَيْءٌ ، كَمَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَّقَهُمْ وَزَادَهُمْ ،
حَتَّى أَتَى الْجِرَاحَاتِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّهْوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحِجَّاجُ ، فَدَعَا بِالنَّطْعِ ،
فَخَزَّ رَأْسَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي دَاخِلِ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ — لَا رَحِمَ اللَّهُ الْحِجَّاجَ — ثُمَّ بَعَثَ
بِرَأْسِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ ظَفِرَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ فَاسْتَأْذَنَ
عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ لِيَعِزِّيَهَا ، فَأَذْنَتْ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا حِجَّاجُ ، قَتَلْتَ
عَبْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، إِنِّي قَاتِلُ الْمَلْحِدِينَ . قَالَتْ : بَلِ ^(٥) أَنْتَ قَاتِلُ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحَّدِينَ . قَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ مَا صَنَعْتُ بِابْنِكَ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ
أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدْتَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، وَلَا ضَيْرَانَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ ،
فَقَدْ أَهْدَى رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغْيِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .

هشامُ بنُ عُروَةَ عن أبيه قال : كان عُثْمَانُ أَسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى
الدارِ يَوْمَ الدَّارِ ، فَبِذَلِكَ أَدْعَى ابْنَ الزُّبَيْرِ الْخِلَافَةَ .

محمد بن سعيد قال : لما نَصَبَ الْحِجَّاجُ رَايَةَ الْأَمَانِ وَتَصَرَّمَ النَّاسُ عَنْ ابْنِ
الزُّبَيْرِ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ : قَدْ أَقْلَمْتُكَ بِيَعْتِي وَجَعَلْتُكَ فِي سَعَةِ ، فَخُذْ
لِنَفْسِكَ أَمَانًا . فَقَالَ : مَهْ ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَيْتُكَ إِيَّاهَا حَتَّى رَأَيْتُكَ أَهْلًا لَهَا ، وَمَا رَأَيْتُ
أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَلَا تَضْرِبْ هَذِهِ الصَّلْعَةَ فَيَتَّيَنُ بَنِي أُمِيَّةَ أَبَدًا ، وَأَشَارَ إِلَى

(١) الرباب (كسواء) : السحاب الأبيض .

(٢) أى اجتمع وثقل بعد تفرق .

(٣) رجس : رعد شديد .

(٤) الودق : المطر .

(٥) فى بعض الأصول : « بلى » .

رأسه . قال : تحدث سليمان بن عبد الملك حديثه ، فقال : إني كنت لأراه
 أعرج جباناً . فلما كانت الليلة التي قُتل في صباحها ابن الزبير ، أقبل عبد الله
 ابن صفوان ، وقد دنا أهل الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو
 نائم . فقال : أوليلة نوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فأقام ، ثم استأذن . فقالت :
 هو نائم ، فانصرف . ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج إليه ،
 فقال : والله ما نمت منذ عقلت الصلاة نومي هذه الليلة وليلة الجمل ، ثم دعا
 بالسواك ، فأستاك متمكناً ، ثم توضأ متمكناً ، ولبس ثيابه ، ثم قال : أنظرنى حتى
 أودع أم عبد الله ، فلم يبق شيء ، وكان يكره أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ
 الأمان ، فدخل عليها وقد كُفَّ بصرها ، فسلم ، فقالت : من هذا ؟ فقال :
 عبد الله ، فسَمَّته ، ثم قالت : يا بني ، مُت كريماً . فقال لها : إن هذا قد أَمَنني
 — يعني الحجاج — قالت : يا بني ، لا ترض الدنيا ، فإن الموت لا بُد منه .
 قال : إني أخاف أن يُمثَّل بي . قالت : إن الكَبْش إذا ذُبِح لم يأمن السِّلخ .
 قال : فخرج ، فقاتل قتالاً شديداً . فجعل يَهْزِمهم ، ثم رجع ويقول : ياله
 فتحاً لو كان له^(١) رجال ! أو كان المصعب أخى حياً ! فلما حَضرت الصلاة صَلَّى
 صلاته ، ثم قال : أين باب أهل مصر ؟ حَنَقاً لعثمان^(٢) . فقاتل حتى قتل ، وقُتل
 معه عبد الله بن صفوان . وأتى برأسه الحجاج وهو فاتح عَيْنيه وفاه ، فقال : هذا
 رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير إليه المقتول ، فلذلك فتح عَيْنيه وفاه .
 هشام بن عروة عن أبيه : إن عبد الله بن الزبير كان أول مولود وُلد
 في الإسلام ، فلما وُلد كَبَّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، ولما قُتل كَبَّر الحجاج
 ابن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر : ما هذا ؟ قالوا : كَبَّر أهل الشام
 لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كَبَّروا لمولده خير من الذين كَبَّروا لقتله .
 أيوب عن أبي قلابة : شهدت ابنة أبي بكر غَسَّلت أبنها ابن الزبير بعد

(١) في بعض الأصول : « لك » .

(٢) يسأل عن مكان أهل مصر من الصفوف لينال منهم ، فأراً بعثمان .

شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذُهب برأسه ، وكفنته وصأت عليه .

هشام بن عروة قال : قال عبد الله بن عباس للجائر به ^(١) : جَنَّبَنِي خَشْبَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فلم يشعر ليلته حتى عثر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خَشْبَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فوقف ودعاه ، وقال : لئن عَلِمْتُكَ رجلاً لظالمًا وقفتَ عليهما في صَلَاتِكَ . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفته إلا صَوَّامًا قَوَّامًا ، ولكنني ما زلتُ أخاف عليه . منذ رأيتُه [أن] تُعجبه بَعْلَاتُ معاوية الشَّهْبِ . قال : وكان معاوية قد حجَّ فدخل المدينة وخلفه خمسَ عشرةَ بغلةً شهباء عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجوارى عليهن الجَلَالِيْبُ والمُعَصِفَاتُ ، ففُتِنَ الناسُ .

أولاد عبد الملك بن مروان

الوليد ، وسليمان ، من العَبَسِيَّةِ ^(٢) ، ويزيد ، وهشام ، وأبو بكر ، ومسلمة ، وسعيد الخير ، وعبد الله ، وعنبرة ، والحجاج ، والمُنذر ، ومروان الأكبر ، ومروان الأصغر — ولم يُعقب مروان الأكبر — ومحمد ^(٣) ، ومعاوية ، دَرَجٌ ^(٤) .

وفاة عبد الملك بن مروان

توفى عبد الملك بن مروان بدمشق للنَّصَفِ من شوال سنة ست وثمانين ،

- (١) في بعض الأصول : « للجائرة » .
- (٢) هي ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس بن بغيض . وقد ذكر ابن جرير الطبري مع الوليد وسليمان من ولادة هذه مروان الأكبر وعائشة (انظر الطبري) .
- (٣) في بعض الأصول : « يزيد » . تحريف .
- (٤) يقال . درج القوم ، إذا انقرضوا . وفلان : لم يخاف نسلاً . والذي في بعض الأصول : « وداود » . والذي في سائر الأصول : « وداود ولم يعقب داود » . والتصويب من الطبري . وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف وابن جرير في الطبري : أولاد عبد الملك . ولم يذكر من بينهم داود ، كما ذكر ابن قتيبة قبيصة بدلا من معاوية . وذكر له بنتين هما عائشة وفاطمة وزاد الطبري عليهما أم كانوا . فارجع إليهما .

وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك في المدينة في دار مروان سنة ثلاث وعشرين ، وكتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان عامله على المدينة ، أن يدعو الناس إلى البيعة لأبنيه الوليد وسليمان . فبايع الناس ، غير سعيد بن المسيَّب ، فإنه أبى وقال : لا أبايع وعبدُ الملك حتى . فضربه هشام ضرباً مبرِّحاً ، وألبسه المسوح^(١) ، وأرسله إلى ثقيفة بالمدينة يقتلونه عندها ويصلبونه ، فلما أتوا به إلى الموضع ردَّوه . فقال سعيد : لو علمت أنهم لا يصلبوني ما لبست لهم الثَّبان^(٢) . وبلغ عبدُ الملك خبره فقال : قَبَّحَ اللهُ هشاماً ، مثل سعيد بن المسيَّب يُضرب بالسياط ! إنما كان ينبغي له أن يدعوَه إلى البيعة فإن أبى يَضْرِبُ عنقه .

وقال للوليد : إذا أنا متُ فضعني في قبري ولا تعصر عليَّ عَيْنيك عَصْر الأمة ، ولكن شَمِّر ، وأنتزِر ، والبس للناس جِلْد النمر ، فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا .

ولاية الوليد بن عبد الملك

ثم بُويِع للوليد بن عبد الملك في النِّصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جزء^(٣) بن الحارث بن [زُهَيْر بن]^(٤) جَدِيمة^(٥)

(١) المسوح : جمع مسح (بالسكسر) وهو كساء من شعر .

(٢) كذا في بعض الأصول وحلية الأولياء . والثبان (كرمان) : سراويل صغير يستر العورة المغلظة . والذي في سائر الأصول : « الثياب » . والعبارة في حلية الأولياء : « لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا الثبان » . وقد ذكر الحافظ القصة برواية أخرى فقال : قال رجاء حدثني الأيليون الذين كانوا في العرط بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس الثبان طائفاً ، فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك . فلبس ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجزة أهل أبله ، لولا أني ظننت أنه القتل ما لبسته . (انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢) .

(٣) في الأصول : « حربي » . وما أثبتنا من الطبرى .

(٤) التكملة من الطبرى .

(٥) في الأصول : « خزبة » وما أثبتنا من الطبرى . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٢٠)

من هذا الجزء ففيها نسب ولادة كاملاً .

العَبْسِي . وكان على شُرطته كَعْب بن حَمَاد ، ثم عَزَلَه وولَّى أبا نائل بن رِيَّاح ابن عَبدَة العَسَّانِي .

ومات الوليد يوم السبت في النِّصْف من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ، وهو ابن أربع وأربعين . وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور .

ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزيز، ومحمد، وعَنْبَسَة ، ولم يُعَقِّبُوا — وأمه أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان — والعباس ، وبه كان يُكْنَى ، ويقال : إنه كان أكبرهم ، وعمر^(١) ، وبشر، ورُوح ، وتَمَام ، ومُبَشَّر ، وحَزَم^(٢) ، وخالِد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ، وأبو عُبيدة ، ومَسْرُور ، [ومَنصُور] ، ومَرْوان^(٣) ، وصَدَقَة ، لأمهات أولاد .
وأم أبي عُبيدة فزارية . وكان أبو عُبيدة ضعيفاً . وولى الخلافة من ولد الوليد إبراهيم ، شهرين ثم خلع . وولى يزيد السكامل شهراً ثم مات . وكان تمام ضعيفاً ، هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرامٌ في أرومتهم نالوا المسكَّامَ طُرّاً غيرَ تَمَامٍ
ومَسْرُور بن الوليد ، كان ناسكاً ، وكانت عنده بنتُ الحجاج . وكان بشر^{١٥}
من فتيانهم ، ورُوح من غلمانهم ، والعباس من فرسانهم ؛ وفيه يقول
الفرزدق :

إنَّ أبا الحارث العَبَّاس نائله مثلُ السَّمَكِ الذي لا يُخْلِيفُ المَطَرَا
وكانت تحتَه بنتُ قَطْرِي بن الفجاءة ، سبأها وتزوجها . وله منها : المؤمِّل
والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسعون ولداً ، ستون منهم كانوا يركبون

(١) في بعض الأصول : « عمرو » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كذا في الأصول . وقد ذكر الطبرى أولاد الوليد متفقاً مع الأصول إلا في حزم هذا فذكر مكانه عبد الرحمن .

(٣) في بعض الأصول : « محمد » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

معه إذا ركب . وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومن رآه يحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

وبنو الوليد من الوليد بمنزل كالبدر حَفَّ بواضحات الأنجم
وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان .
وحدث الهيثم بن عدى عن ابن عيَّاش^(١) قال : لما أراد الوليد أن يبايع
لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشنع عليه ، فقيل للوليد :
لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعله كان يسكت ، فتشهد عليه بذلك .
فدعا الأقبيل القيني^(٢) ، فقال له : أرتجز بذلك وهو يسمع . فدعا سليمان فسايره ،
والأقبيل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إنَّ وليَّ العهد لابن أمه ثم ابنه وليَّ عهد عمه
قد رضى الناسُ به فسمه فهو يضمُّ الملك في مضمه
يا ليتها قد خرجت من فمه

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا ابن الخبيثة ، من رضى بهذا !

أخبار الوليد

أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسنَّ ولد عبد الملك وكان يُحبه ،
فتراخى في تأديبه لشدة حبه إياه ، فكان لحنًا .

وقال عبد الملك : أضرتنا في الوليد حُبنا له . فلم يُوجَّهه إلى البادية . وقال
الوليد يوماً وعنده عمر بن عبد العزيز : يا غلام ، ادع لى صالح . فقال الغلام :

(١) كذا في بعض الأصول : والمعروف أن الهيثم يروى عن ابن عيَّاش والذي في سائر
الأصول : «عدى عن سليمان عن ابن عيَّاش» . ويظهر ان عبارة «عن سليمان»
قفرت إلى هذا المكان مما قبلها أو بعدها .
(٢) كذا في بعض الأصول ولسان العرب (ج ١٦ ص ١٤٦) . والذي في سائر
الأصول : «العتي» .

يا صالحا . فقال له الوليد : أنقص الفا . فقال عمر بن العزيز : وأنت يا أمير المؤمنين فزِدْ ألفاً .

وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى المجذومين حتى أغنهم عن سُؤال الناس ، وأعطى كلَّ مُقعَّد خادماً ، وكلَّ ضريح قائداً . وكان يمرُّ بالبقال^(١) فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فإنك تريح .

ومرَّ الوليدُ بمعلم كتَّاب فوجد عنده صبيّة ، فقال : ما تصنع هذه عندك ؟ فقال : أعلمها الكتابة والقرآن . قال : فاجعل الذي يُعلمها أصغرَ منها سنّاً .

وشكَّار رجلٌ من بني مخزوم ديناً لزمه ، فقال : نقضيه عنك إن كنتَ لذلك مُستحقاً . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مُستحقاً في منزلتي وقرباتي ؟ قال : قرأتَ القرآن ؟ قال : لا . قال : أذن مني ، فدنا منه ، فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده ، ثم قرعه به قرعة ، وقال لرجل من جلسائه : ضمَّ إليك هذا العليج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام إليه آخر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أقضِ ديني ، فقال له : أنتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . فامستقرأه عشراً من الأنفال وعشراً من براءة ، فقرأ . فقال : نعم ، نقضى دينك وأنت أهلٌ لذلك .

وركب الوليدُ بعيراً وحادٍ يحدو بين يديه ، والوليد يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا ويحك تعلم الذي علَّاكا
خليفة الله الذي أمتطَّاكا لم يُحبَّ بكرٌ مثل ما حباكا

٢٠ ولاية سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني : ثم بُويع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق^(٢) ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ،

٣٢٩
٧

(١) في المقاموس (مادة بقل) « والبقال لبيع الأطعمة ، عامية ، والصحيح البدال . »

(٢) دابق (بكسر الباء ، وقد روى بفتحها ، وآخره قاف) : قرية قرب حلب ، بينها

وبين حلب أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك . (انظر معجم البلدان) .

وهو ابن ثلاث وأربعين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً . وولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بني حُدَيْلَةَ^(١) . ومات بدابق من أرض قنسرين ، وكان سليمان فصيحاً جميلاً وسيماً ، نشأ بالبادية عند أخواله بني عَدَس . وكانت ولايته يُمنماً وبركة ، أفتتحها بخير وختمها بخير . فأما افتتاحه فيها بخير ، فرد المظالم ، وأخرج المسجونين ، وبغزاة مسلة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . وأما ختمها بخير ، فاستخلافه عمر بن عبد العزيز . ولبس يوماً وأعتمَّ بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازية ، فقال لها : كيف ترين الهيئة ؟ فقالت : أنت أجملُ العرب ، لولا ! قال : على ذلك لتقولين . قالت :

أنت^(٢) نِعْمَ للمتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
أنت خلو من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فاني

قال : فتنقص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى توفي رحمه الله .

وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك ، فذكر ولدُ عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولدُ سليمان : إن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر ، فما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي .

محمد بن سليمان قال : فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعلهُ عمر بن عبد العزيز في طول عمره : أعتق سبعين ألفاً ما بين مملوك ومملوكة وبتَّهم^(٣) ، أي كساهم . والبتُّ^(٤) : الكسوة .

(١) في الأصول : « جديلة » . والتصويب من معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٢٢٧) .

(٢) الشعر لموسى شهوات . (انظر الأغاني : ج ٩ ص ٩٩ طبعة بلاق) والشعر والشعراء . (ص ٣٠٧) .

(٣) في اللسان (مادة بت) : « وفي حديث علي عليه السلام : إن طائفة جاءت إليه فقال لقبير : بتهم . أي أعطهم البتوت » .

(٤) « البت » : ضرب من الطيالة يسمى الساج مربع غليظ أخضر . وفي بعض الأصول : « وبتهم ... والبت » . تحريف .

ولد سليمان

أيوب ، وأمه أم أيان بنت الحكم بن العاص ، وهو أكبر ولد سليمان
ووليّ عهده ، مات في حياة سليمان ، وله يقول جرير :

إن الإمام الذي تُرجى فواضله بعد الإمام وليّ العهد أيوبُ

وعبد الواحد ، وعبد العزيز ، أمهما أمّ عامر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد^(١) .
وفي عبد الواحد يقول القطامي :

أهل المدينة لا يَحزُنُكَ حالهم إذا تخطَّأ عبدَ الواحد الأجلُ

قد يدرك المتأنيّ بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّللُ

ولما مات أيوب ، وليّ عهد سليمان بن عبد الملك قال [ابن] عبد الأعلى

١٠ يرثيه ، وكان من خواصه :

ولقد أقولُ لذي الشَّماتة إذ رأى جَزَعِي وَمَنْ يَذُقُ الحِوَاثَ يَجْزَعُ

أُبَشِّرُ فَقَدِ قَرَعَ الحِوَاثَ مَرَوْتِي وَأَفْرَحُ بِمَرَوْتِكَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّعْ

إِنْ عِشْتَ تُفْجَعُ بِالْأَحْبَةِ كَالَهُمْ أَوْ يُفْجَعُوا بِكَ إِنْ بِهِمْ لَمْ تُفْجَعْ

أيوبُ مَنْ يَشْمَتُ بِمَوْتِكَ لَمْ يُطَقْ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَهَلْ مِنْ مَدْفَعِ

١٥ أخبار سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني قال : لما بلغ فتية بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك

عزله عن خراسان وأستعمل يزيد بن المهلب ، كتب إليه ثلاث صحف ، وقال

لِلرَّسُولِ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ ، فَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى يَزِيدَ فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ ، فَإِنْ شَتَمَنِي

فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ . فَلَمَّا سَارَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ دَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، وَفِيهِ : يَا أَمِيرَ

٢٠ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِنْ بِلَاتِي فِي طَاعَةِ أَمِيرِكَ وَأَخِيكَ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَدَفَعَ كِتَابَهُ

إِلَى يَزِيدَ . فَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ الْكِتَابَ الثَّانِي ، وَفِيهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ

(١) في بعض الأصول : « عبد الأسد » مكان « أسيد » .

تأمن ابن دحمة^(١) على أسرارك وأبوه لم يأمنه على أمهات أولاده ؟ فلما قرأ الكتاب شتمه وناوله ليزيد . فأعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك . سلامٌ على من اتبع الهدى . أما بعد . فوالله لأوثقن له آخية^(٢) لا ينزعها المهر الأرن^(٣) . فلما قرأها قال سليمان : عجّلنا على قتيبة ، يا غلام ، جدّد له عهداً على خراسان .

٣٣٠
٢

٥

ودخل يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج أستقر في قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فصّعه من النار حيث شئت . قال : فأمر به إلى الحبس ، فسكان فيه طول ولايته .

قال محمد بن يزيد الأنصاري : فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، بعثني . فأخرجت من السجن من حبس سليمان ، ما خلا يزيد بن أبي مسلم فقد ردّ . فلما مات عمر بن عبد العزيز وآلاه يزيد بن عبد الملك إفريقية ، وأنا فيها ، فأخذت فأثني بي إليه في شهر رمضان عند الليل ، فقال : محمد بن يزيد ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذي مكّنتني منك بلا عهد ولا عقد ، فطالما سألت الله أن يُمكنني منك . قلت : وأنا والله طالما أسستعت بالله منك . قال : فوالله ما أعاذك الله مني ، ولو أن ملك الموت سابقني إليك لسبقته . قال : فأقيمت صلاة المغرب ، فصلى ركعة ، فثارت عليه الجند فقتلوه ، وقالوا لي : خذ^(٤) أي طريق شئت .

١٠

١٥

وأراد سليمان بن عبد الملك أن يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه

(١) هي دحمة بنت جديع ، أم يزيد بن المهلب . وفي بعض الأصول : «رحمة» تحريف . (انظر القاموس مادة دحم) .

(٢) الآخية : عود يعرض في حائط ويدفن طرفاه فيه بصير وسطه كأمروة تشد إليه الدابة . وقيل هو أن يدفن طرفاً قطعة من الحبل في الأرض وفيه عصابة أو حبير يظهر منه مثل عمروة تشد إليه الدابة . والذي في الأصول : «آخية» سوايه ما أثبتنا .

(٣) الأرن (كقرح) : النسيط . وفي بعض الأصول : «الأدن مؤاخاة» .

(٤) في بعض الأصول : «خذ إلى الطريق أي طريق شئت» .

٢٠

٢٥

تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار ،
وأشترى جارية^(١) بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت أن أضرب
على يد هذا السفیه ، ولسكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة :
يزيد ومروان !

- ٥ وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى إليه : أغرم ديتك
خمسين مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمها
مائة مرة . فغفلها عنه يزيد بن المهلب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه
المهلب أيام بشر بن مروان ، وذلك أن بشراً هم^(٢) بالمهلب ، فكتب إليه
موسى يُخذره ، فتمارض المهلب ولم يأت به حين أرسل إليه .
- ١٠ وكان خالد بن عبد الله القسري والياً على المدينة للوليد ، ثم أقره سليمان ،
وكان قاضي مكة طلحة بن هرم ، فاختمهم إليه رجل من بني شيبه ، الذين
إلهم مفتاح الكعبة ، يقال له الأعجم ، مع ابن أخ له في أرض لها ، ففضى للشيخ
على ابن أخيه ، وكان متصلاً بخالد بن عبد الله ، فأقبل إلى خالد فأخبره ، فخال
خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتاباً إلى سليمان
يشكو له خالداً ، ووجه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان إلى
١٥ خالد : لا سبيل لك على الأعجم ولا ولده . فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على
خالد وقال : لا سبيل لك علينا ، هذا كتاب أمير المؤمنين . فأمر به خالد فضرب
مائة سوط قبل أن يُقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب إلى سليمان ،
وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقطع يد خالد . فكلّمه يزيد
٢٠ ابن المهلب ، وقال : إن كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تقطع يده ،
وإن كان ضربه قبل ذلك فعمّوا أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان
إلى داود بن طلحة بن هرم : إن كان ضرب الشيخ بعد ما قرأ الكتاب الذي

(١) هي جارية . (انظر الطبري) .

(٢) في بعض الأصول : « اهتم » .

أرسلته فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابي فاضربه بمائة سوط . فأخذ داودُ بن طلحة ، لما قرأ الكتاب ، خالداً فاضربه بمائة سوط . فجزع خالد من الضرب ، فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم إليك يديك يا ابن النصرانية . فقال : إيهنا الفرزدق ، وضم يديه ^(١) . وقال الفرزدق :

اعمرى لقد صببت على متن خالد شأيب لم يضبب من صبب القطر
فلولا يزيدُ بن المهلب حلقت بكفك فتخاء الجناح إلى الوكر
فردت أم خالد ^(٢) عليه تقول :

اعمرى لقد باع الفرزدق عرضه بخسف وصلّى وجهه حامى الجر
فكيف يساوى خالداً أو يشينه خميص من التقوى بطين من الحر
وقال الفرزدق أيضاً في خالد القسرى :

سلوا خالداً ، لا قدس الله خالداً متى ملسكت قسراً قريشاً تدينها ؟
أقبل رسول الله أو بعد عهده فتلك قريش قد أغت سمينها
رجونا هداة ، لا هدى الله قلبه وما أمه بالأم يهدى جنينها
فلم يزل خالد محبوباً بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه المفضل ^(٣) بن المهلب .

١٥ فقال سليمان : لاطت بك الرحم أبا عثمان ، إن خالداً جرّ عني غيظاً . قال :
يا أمير المؤمنين ، هبني ما كان من ذنبيه . قال : قد فعات ، ولا بد أن يمشى
إلى الشام راجلاً . فمشى خالد إلى الشام راجلاً . وقال الفرزدق يمدح سليمان
ابن عبد الملك :

سليمان غيبت الموحلين ومن به عن البأس المسكين حلت سلاسله
وما قام من بعد النبي محمد وعثمان فوق الأرض راع يماثله
جعلت مكان الجور في الأرض مثله من العدل إذ صارت إليك محامله

(١) في بعض الأصول : « وضمت يدي » .

(٢) في بعض الأصول : « أم الضحاك » .

(٣) كذا في بعض الأصول والطبري . والذي في سائر الأصول : « الفضل بن المهلب » .

وقد علموا أن لن يميل بك الهوى وما قلت من شيء فإنك فاعله
 زياد عن مالك : إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمر بن عبد العزيز :
 كذبت ! قال : والله ما كذبت منذ شدت على إزارى ، وإن فى غير هذا
 المجلس أسعة ، وقام مُغضباً ، فتجهز يريد مصر . فأرسل إليه سليمان ، فدخل
 عليه ، فقال له : يا بن عمى ، إن المعاتبة تشق على ، ولكن والله ما أحمى أمر^٥
 قط من دينى ودنياى إلا كنت أول من أذكره لك .

وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حيوة : قال لى سليمان : إلى من ترى أن أعهد ؟ فقلت : إلى
 عمر بن عبد العزيز . قال : كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابنى عاتكة ، من
 كان منهما حياً ؟ قلت : تجعل الأمر بعده ليزيد . قال : صدقت . قال :^{١٠}
 فسكتب عهداً لعمر ثم ليزيد بعده .
 ولما ثقل سليمان قال : أنتونى بقمى بنى أنظر إليها . أتى بها ، فشرها
 فراها قصاراً ، فقال :

إن بنى صببته صغاراً أفلح من كان له كبار

فقال له عمر : (أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى) .^{١٥}

وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك أن نصرانيا أتاه وهو يدايق بزنبيل
 مملوء بيضاً وآخر مملوء تيناً . قال : قشروا ، فقشروا . فجعل يأكل بيضة وتينة ،
 حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقضعة مملوءة مخاً بسكر ، فأكله . فأنجم
 فمريض فمات .

ولما حجَّ سليمانُ تَأَذَى بِحَجْرٍ مَكَّةَ ، فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيت^{٢٠}
 الطائف . فأتاها ، فلما كان بسحق^(١) لقيمه ابنُ أبي الزهير ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) كذا فى الأصول . ولم نعتز على مكان بهذا الاسم فى المعاجم التى بين أيدينا .

اجعل بعض منزلك على . قال : كل منزلي ، فرمى بنفسه على الرمل . فقيل له : يساق إليك الوطاء ؟ فقال : الرمل أحب إلي ، وأعجبه برده ، فالزق بالرمل بطنه . قال : فأنتي إليه بخمس رمانات فأكلها ، ثم قال : أعندكم غير هذه ؟ فجعلوا يأتونه بخمس بعد خمس ، حتى أكل سبعين رمانة . ثم أتوه بجدي وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزيب من زيب الطائف ، ففثر بين يديه ، فأكل عامته ، ونعس . فلما أتته ، أتوه بالغداء ، فأكل كما أكل الناس . فأقام يومه ، ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضربنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : أتبعني إلى مكة ، فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيتك ؟ فقال : أقول ماذا : أعطني ثمن قرأى الذي قرأتك !

٣٣٢
٢

- ١٠ العُتبي عن أبيه عن الشَّردل وكيل [آل] (١) عمرو بن العاص قال : لما قدِم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب أبنة بستاناً لعمر . قال : فجال في البستان ساعة ثم قال : ناهيك بما لكم هذا ما لا أتم أني صدره على غضن وقال : ويلاك يا شمر دل ! ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : بلى ، والله عندى جدى كانت تغدو عليه بقرّة وتروح أخرى . قال : عجّل به ، ويحك ! فأنته به كأنه عسكة (٢) ثمن ، فأكله ، وما دعا عمر ولا أبنة ، حتى إذا بقي الفخذ ، قال : هلم أبا حفص . قال : أنا صائم ، فأنتي عليه . ثم قال : ويلاك يا شمر دل ! ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : بلى والله ، دجاجتان هنديةتان كأنهما رألا النعام (٣) ، فأنته بهما ، فكان يأخذ رجل الدجاجة فيلقى عظامها نقيّة ، حتى أتى عليهما . ثم رفع رأسه فقال : ويلاك يا شمر دل ! ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : بلى ، عندى حريرة (٤) كأنها قرأضة ذهب . قال : عجّل بها ، ويلاك !

١٥

٢٠

(١) التكملة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٢٧) .

(٢) العسّة : وعاء السمن ، وهي أصغر من القرية .

(٣) رألا النعام : ولده .

(٤) الحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم .

فَأَتَيْتُهُ بَعْسٌ ^(١) يَغِيبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَجَعَلَ يَتَلَقَّمُهَا ^(٢) بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ . فَلَمَّا فَرَغَ تَجَشَّأَ فَكَأَنَّمَا صَاحَ فِي جُوبٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، أُرْغَتَ مِنْ غَدَائِي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ قَدْرًا . قَالَ : اتَّقِي بِهَا قَدْرًا قَدْرًا . قَالَ : فَأَكْتُرُ مَا أَكُلُ مِنْ كُلِّ قَدْرٍ ثَلَاثَ لُقْمٍ ، وَأَقِلُّ مَا أَكُلُ لُقْمَةً . ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوَضَعَتِ الْخِوَانَاتُ ، وَقَعَدَ يَا أَكْلُ ^(٣) ، فَمَا أَكْرَتُ شَيْئًا مِنْ أَكْلِهِ .

خلافة عمر بن عبد العزيز

المُدائِنِيُّ قَالَ : هُوَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ . وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمِ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ . وَوَلَّى الْخِلَافَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ خَلَوْنٍ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ . وَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَسْتُ بَقِيْنَ ١٠ مِنْ رَجَبٍ بَدِيْرٍ سَمْعَانَ ^(٤) مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ ^(٥) سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

عَلَى بْنُ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ الْأَرْبَعِينَ . وَمَاتَ لَهَا . وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ يَزِيدُ بْنُ بَشِيرِ السَّكِنَانِيِّ . وَعَلَى حَرَسَهُ عَمْرُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ؛ وَيُقَالُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْهَلَالِيُّ . وَكَانَ كَاتِبَهُ عَلَى الرِّسَائِلِ ١٥ ابْنُ أَبِي رُقَيْبَةَ ، وَكَاتِبَهُ أَيْضًا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ . وَعَلَى خَاتَمَ الْخِلَافَةِ نَعِيمُ ابْنُ أَبِي سَلَامَةَ . وَعَلَى الْخِرَاجِ وَالْجُنْدِ صَالِحُ بْنُ أَبِي جُبَيْرٍ . وَعَلَى إِذْنِهِ أَبُو عُمَيْدَةَ الْأَسْوَدُ ، مَوْلَاهُ .

(١) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : وَتَلَقَّمُ الشَّيْءَ : أَكَلَهُ بِسُرْعَةٍ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : ٢٠ « يَلْقَمُهَا » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَأَذِنَ لِلنَّاسِ » مَكَانَ « يَا أَكْلُ » .

(٤) دِيرِ سَمْعَانَ (بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا) : بِنَوَاحِي دِمَشْقَ فِي مَوْضِعٍ تَرَاهُ وَبَسَاتِينِ

مَحْدِقَةٍ . وَعِنْدَهُ قُصُورٌ وَدُورٌ . وَعِنْدَهُ قَبْرُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « جَمَسَ » . وَجَمَسَ بَيْنَ حَلَبِ دِمَشْقَ . ٢٥

يعقوب بن داود الثقفى عن أشياخ من ثقيف قال : قرى عهدُ عمر بالخلافة ،
وعمر في ناحية ، فقام رجلٌ من ثقيف يقال له : سالم ، من أحوال عمر ، فأخذ
بضبعيه ^(١) فأقامه . فقال عمر : أما والله ما الله أردت بهذا ، وإن تُصيب بها
متى دنيا .

٥ أبو بشر الخراسانى قال : خطب عمرُ بن عبد العزيز الناس حين استُخلف
فقال : أيها الناس ، والله ما سألتُ الله هذا الأمرَ قطُّ في سرٍّ ولا علانية ، فن
كان كارهاً لشيء مما وليته فالآن . فقال سعيدُ بن عبد الملك : ذلك أسرعُ فيما
تكره ، أتريد أن نحتلف ويضرب بعضنا بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله !
وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ ولم يقولوا هذا ويقوله عمر !

أخبار عمر بن عبد العزيز

١٠ بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويبيكى ، فنسمع نحيبه
بالبكاء وهو يقول : أبعَدَ الثلاثة الذين وارىتهم ^(٢) بيدي : عبد الملك والوليد
وسليمان !

١٥ وقدم رجلٌ من خراسان على عمر بن العزيز حين استُخلف ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، إني رأيتُ في منامى فأثاب يقول : إذا ولي الأشجج من بنى أمية يملأ الأرضَ
عدلاً كما ملئت جوراً . فولى الوليدُ ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : ليس بأشجج ،
ثم ولى سليمان ، فسألتُ عنه فقيل : ليس بأشجج . ووليتَ أنت ، فكنت الأشجج .
فقال عمر : تقرأ كتابَ الله ؟ قال : نعم . قال : فبالذى أنعم به عليك ، أحقُّ
ما أخبرتنى ؟ قال : نعم . فأمره أن يُقيم في دار الضيافة . فكثرت نحواً من شهرين ،
ثم أرسل إليهِ عمر ، فقال : هل تدري لم احتبسناك ؟ قال : لا . قال : أرسلتُ
٢٠ إلى بلدك لنسأل عنك ، فإذا ثناء صديقتك وعدوك عليك سواء ، فأصرف راشداً .

(١) الضبع : العضد كلها ، أو وسطها .

(٢) في بعض الأصول : « بوأتهم » .

وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجْرى على نفسه من النية درهما . وكان عمرُ بن الخطاب يُجْرى على نفسه من ذلك درهمين في كلِّ يوم . فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذتَ ما كان يأخذ عمرُ بن الخطاب ؟ فقال : إنَّ عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يُغنييني .

- ولما ولي عمرُ بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أَعْدِنِي ^(١) على هذا ، وأشار إلى رجل . قال : فيم ؟ قال : أخذ مالي وضرب ظهري . فدعا به عمر ، فقال : ما يقول هذا ؟ قال صادق ، إنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك ، وطاعتكم فريضة . قال : كذبت ، لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله ، وأمر بالأرض فرُدَّتْ إلى صاحبها .

- ١٠ عبدُ الله بن المبارك عن رجل أخبره ، قال : كنتُ مع خالد بن يزيد بن معاوية في صحن بيت المقدس ، فلقينا عمرُ بن عبد العزيز ولا أعرفه ، فأخذ بيد خالد ، وقال : يا خالد ، أعلينا عين ؟ قلتُ : عليكما من الله عينٌ بصيرة وأذنٌ سمعية . قال : فأستلَّ يده من يد خالد وأرعد . ودَمَعَت عيناها ومَضَى . فقلت لخالد : مَنْ هذا ؟ قال : هذا عمرُ بن عبد العزيز ، إنَّ عاش فيؤشك أن يكون إماماً عدلاً .

١٥ وقال رياح بن عبيدة : اشتريتُ لعمر قبل الخلافة مُطْرَفًا ^(٢) بخمسمائة ، فاستخسفته وقال : لقد اشتريته خَسَنًا جدا ، واشتريتُ له بعد الخلافة كِسَاءً بثمانية دراهم ، فاستلانه وقال : لقد اشتريته لَيْثًا جدا .

- وَدَخَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى عَمْرِ وَعَلِيهِ رِبْطَةٌ ^(٣) مِنْ رِيَابِ مِصْرَ ، فَقَالَ : بَكِمُ أَخَذْتَ هَذِهِ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ قَالَ : بِكَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَلَوْ نَقَصْتَ مِنْ ثَمْنِهَا

(١) أعداه عليه : نصره وأعانه وقواه .

(٢) المطرف (كسكرم بصيغة اسم المفعول) : رداء من خز صرّيع ذو أعلام .

(٣) الربطة : كل ملاءة غير ذات لفتين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسلمة : إن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجِدَّة ، وأفضل العفو ما كان بعد القُدرة ، وأفضل اللَّين^(١) ما كان بعد الولاية . وكان امرءٌ غلامٌ يقال له دِرْهمٌ يحتطب له ، فقال له يوماً : ما يقول الناس يا دِرْهم ؟ قال : وما يقولون ؟ الناسُ كلهم بخير وأنا وأنت بشرٌ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إني عهدتُك قبل الخلافة عَطِراً لِبَاساً ، فاره المرَّكب ، طَيِّب الطعام ، فلما وليت رجوتُ أن أستريح وأتخلص ، فزاد عملي شِدَّةً وصِرْتُ أنت في بلاء . قال : فأنت حُرٌّ ، فاذهب عني ، ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه نَجرجاً .

ميمون بن مهران قال : كنتُ عند عمر فكثُر بكأوه ومسألته ربه الموت ، فقلت : لِمَ تسأل الموت ! وقد صنَع الله على يدك خيراً كثيراً ، أخيا بك سُنفا وأمات بك يدعا . قال : أفلا أكون مثل القَبد الصالح حين أقرَّ الله عيِّمه وجمَع له أمره ، قال : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز قال : إن فدك^(٢) كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألها فاطمة رسول الله . فقال لها : مالك أن تسأليني ولا لي أن أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان فكانوا يضعونها المواضع التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولي معاوية فأقطعها مروان ، وهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز ، فقسمناها بيننا أثلاثاً أنا والوليد وسليمان . فلما ولي الوليد سألتُه نصيبه فوهبه لي ، وما كان لي مالٌ أحبَّ إليَّ منها ، وأنا أشهدكم أني قد رددتها إلي ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في بعض الأصول : « اليد » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢١٦) من هذا الجزء .

وقال عمر : الأمور ثلاثة ، أمر استبان رُشدُهُ فَأَتْبَعَهُ ، وأمر استبان ضُرُّهُ فَأُجْتَنِبَهُ ، وأمر أشكل أمرُهُ عليك فَرُدَّهُ إلى الله .

وكتب عمر إلى بعض عمَّاله : الموالى ثلاثة : مولى رَحِمٍ ، ومولى عَتَاقَةٍ ، ومولى عَقْدٍ ، مولى الرَّحْمِ يَرِثُ وَيُورِثُ ، ومولى العَتَاقَةِ يُورِثُ وَلَا يَرِثُ ، ومولى العَقْدِ لَا يَرِثُ وَلَا يُورِثُ ، وميراثه لعَصْبَتِهِ .

وكتب عمر إلى عمَّاله : مَرُؤًا مَن كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَضَعُوا الْعِمَامَ ، وَيَلْبَسُوا الْأَكْسِيَةَ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَتَرَكُوا أَحَدًا مِنَ الْكُفَّارِ يَسْتَعْتَمِدُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وكتب عمر بن العزيز إلى عدي بن أرطاة عامله على العراق : إذا أمكنتك القُدْرَةُ عَلَى الْخَلْقِ فَادْكُرْ قُدْرَةَ الْخَالِقِ الْقَادِرِ عَلَيْكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِمَّا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عمَّاله : مَرُؤًا مَن كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَحْرَارِهِمْ وَلَا مَمَالِكِهِمْ ، صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى ، إِلَّا أَخْرَجَ عَنْهُ صَدَقَةَ فِطْرِ رَمَضَانَ : مُدَّيْنِ مِنْ قَحْحٍ ، أَوْ صَاعًا^(١) مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ قِيَمَةَ ذَلِكَ نِصْفَ دَرَاهِمٍ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعَطَاءِ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَعْطِيَاتِهِمْ ، عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالَتِهِمْ^(٢) .

وَأَسْتَعْمَلُوا عَلَى ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ يَقْبِضَانِ مَا اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُقْتَسِمَانِهِ فِي مَسَاكِينِ^(٣) أَهْلِ الْحَاضِرَةِ . وَلَا يُقْتَسَمُ عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر : إِنْ رَجُلًا شَتَمَكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : لَوْ قَتَلْتَهُ لَأَقْدَمْتُكَ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِشْتَمِ أَحَدٍ إِلَّا رَجُلٌ شَتَمَ نَبِيًّا .

وكتب رجل من عمَّال عمر إلى عمر : إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الصاع : أربعة أمداد ، ويقدر بالسكيل المصري بقدرين وثلاث .

(٢) في بعض الأصول « عيالاتهم » . (٣) في بعض الأصول « مسكنة » .

فطفت على الماء ، فما ترى فيها ؟ فكتب إليه : لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليها بيّنة وإلا خَلَّ سبيلها .

وكان عمرُ بن العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة في المظالم فيُرَادّه فيها . فكتب إليه : إنه يُخيل لي أني لو كتبتُ لك أن تُعطيَ رجلاً شاةً لكتبتُ إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبتُ بأحدهما لكتبتُ : ضائفة أم معز ؟ فإذا كتبتُ إليك فننذ ولا ترَدَّ عليّ . والسلام .

وخطب عمرُ فقال : أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، وأتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها . إن الحسنات يُذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عز وجل : (والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوبَ إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

وقال عمرُ لبني مروان : أدوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تُلجِثوني إلى ما أكره فأُحِلِّمكم على ما تكرهون . فلم يُجبه أحد منهم . فقال : أجيبيوني . فقال رجل منهم : والله لا تُخرج من أموالنا التي صارت إلينا من آباءنا ، فننقِرَ أبناءنا ونكفِّرَ آباءنا ، حتى تُزايِلَ رؤوسنا [أجسادنا] . فقال عمر : أما والله لولا أن استمعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحقَّ له لأضرعتُ خُدودكم عاجلاً ، ولكنني أخاف الفتنَةَ ، ولئن أبقاني الله لأردن إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله . وكان عمر إذا نظر إلى بعض بني أمية ، قال : إني أرى رقاباً سترَدَّ إلى أربابها .

ولما مات عمر بن عبد العزيز قعد مسلمة على قبره ، فقال : أما والله ما أمِنْتُ الرِّقَ حَتَّى (١) رأيتُ هذا القبر .

العتبي قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دَفَن سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَبِعَهُ الْأُمَوِيُّونَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا إِلَى مَنْزِلِهِ ، قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : الْأُمَوِيُّونَ بِالْبَابِ . قَالَ وَمَا يَرِيدُونَ ؟ قَالَ : مَا عَوَّدْتَهُمْ الْخُلَفَاءُ قَبْلَكَ . قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً : ائْذَنْ لِي فِي إِبْلَاغِهِمْ عَنْكَ . قَالَ : وَمَا تُبْلِغُهُمْ ؟ قَالَ : أَقُولُ : أَبِي يُقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَيَقُولُ لَكُمْ : (إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

زِيَادٌ عَنْ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ، مَالِكٌ لَا تُنْفِذِ الْأُمُورَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي لَوْ أَنَّ الْقُدُورَ غَلَّتْ بِي وَبَكَ فِي الْحَقِّ . قَالَ لَهُ عُمَرُ : لَا تَعْجَلْ يَا بَنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ ذَمَّ الْخُرَّ فِي الْقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ وَحَرَّمَهَا فِي الثَّلَاثَةِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَحْمِلَ الْحَقَّ عَلَى النَّاسِ جَمَلَةً فَيُدْفَعُونَهُ جُمْلَةً ، وَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ فَتْنَةً .

وَمَا نَزَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَوْتُ قَالَ لَهُ عُمَرُ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا بَنِي ؟ قَالَ : أَجِدُنِي فِي الْمَوْتِ ، فَأَحْتَسِبُنِي ، فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي . فَقَالَ : يَا بَنِي ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ ، ثُمَّ مَاتَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهِ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا بَنِي ، فَلَقَدْ كُنْتُ سَارًّا مَوْلُودًا ، وَبَارًّا نَاشِئًا ، وَمَا أَحَبُّ أَنْي دَعْوَتِكَ فَأَجِبْتَنِي ، فَرَحِمَ اللَّهُ كُلَّ عَبْدٍ ، مِنْ خُرِّ أَوْ عَبْدٍ ، ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى ، دَعَاكَ بِرَحْمَةٍ - فَكَانَ النَّاسُ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَدْخُلُوا فِي دَعْوَةِ عُمَرَ - ثُمَّ انْصَرَفَ . فَدَخَلَ النَّاسُ يُعَزُّونَهُ ، فَقَالَ : إِنْ الَّذِي نَزَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ أَمْرًا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا وَقَعَ لَمْ نَنْسِكِرْهُ .

وَتُوفِّيَتْ أُخْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهَا دَنَا إِلَيْهِ رَجُلٌ فَعَزَّاهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ آخَرَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَمْسَكُوا وَمَشَوْا مَعَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ الْبَابَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ لَا يُعَزُّونَ فِي الْمَرَاةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمًَّا .

وفاة عمر بن عبد العزيز

مرض عمر بن عبد العزيز بأرض حِمْص ، ومات بدير سِمْعان^(١) ، فبصرى
الناس أن يزيد بن عبد الملك ستمه ، دس إلى خادم كان يخدمه ، فوضع السم
على ظفر إبهامه ، فلما أستسقى عمر تمس إبهامه في الماء ثم سقاه ، فمرض
مرضه الذى مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه
فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنّا خيراً ، فلقد عطفت علينا قلوباً كانت
عنّا نافرة : وجعلت لنا في الصالحين ذكراً .

زيد بن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في
المرضة التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن
هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم
إلى أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم إن شاء الله . فقال عمر :
أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبالفقر^(٢) تخوفنى يا مسلمة ، أما ما ذكرت
أنى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة ، فإنى لم أمنعهم حقاً هو لهم
ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك
من أهل بيتى ، فإن وصيتى بهم إلى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتى الله فجعل الله له من أمره
يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفجر ، فلا يكون عمر أول
من أغناه على ارتكابه ، ادعوا إلى بنى . فدعواهم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ،
فجعل يصعد بعمره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : بنفسى
فتية تركتهم ولا مال لهم . يا بنى ، إنى قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرون
على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله ، يا بنى : مثلت

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٣١ من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : « أبالله » .

رأى بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم . قال : فما احتاج أحدٌ من أولاد عمر ولا أفتقر .

واشترى عمرُ بن عبد العزيز من صاحب دَيْرِ سَمْعَانَ ^(١) موضع قبره بأربعمائة

درهما . ومرض تسعة أيام . ومات رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وصلى عليه يزيدُ بن عبد الملك .

وقال جريرُ بن الخطفي يرثي عمرَ بن عبد العزيز :

يَنْمَى الثَّمَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَأَعْتَمَرَ

حَمَلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَأَصْطَبَتْ لَهُ وَسِرَّتْ فِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ يَا عَمْرَا

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ ^(٢)

وأشدُّ أبو عبيد الأعرابي ^(٣) في عُمرَ بن عبد العزيز :

مُقَابِلَ ^(٤) الْأَعْرَاقِ فِي الطَّيِّبِ الطَّابِ ^(٥)

بين أبي العاص وآل الخطَّاب

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب ، كما يقال : ذم وذام ^(٦) .

١٥ (١) انظر الحاشية (رقم ٢ من ٤٣١) من هذا الجزء .

(٢) في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد : الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة لنجوم الليل والقمر الآن عظم الرزء قد سلها ضوءها . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدهر ، فكأنه أخبر بأن الشمس تبكيه ما طالعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل ياكين الشمس على هذا الموقف ، فبكتهم ، أي علقتم في البقاء . (انظر أمالي المرتضى ص ٢٩) .

(٣) في الأصول : « الأعرابي » . تحريف . وقد مر هذا البيت (ج ٣ ص ٤٥١) . من هذه الطبعة منسوبا لأعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز .

(٤) مقابل الأعراق ، أي شريف من قبل أبيه وأمه فهو ابن عبد العزيز بن مروان

٢٥ بن الحكم بن أبي العاص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

(٥) في اللسان مادة طيب : « في الطاب الطاب » .

(٦) الذم والذام : العيب . وفي بعض الأصول : « ذم وذم » بالذال المهملة .

خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك . وأمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية ، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . ومات ببلاد البلقاء^(١) يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن أربع و ثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين وشهراً . وفيه يقول جرير :

مُرِبْتَ سِرْبًا لِمُلْكٍ غَيْرِ مُعْتَصَبٍ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِنْ الْمُلْكُ مُؤْتَسَبٌ^(٢)

وكان على شرطته كعب بن مالك العبسي . وعلى الحرس غيلان أبو سعيد ، مولاة . وعلى خاتم الخلافة مطر ، مولاة ، وكان فاسقاً . وعلى الخاتم الصغير بكير أبو الحجاج . وعلى الرسائل والجند والحراج صالح بن جبير الهمداني ، ثم عزله وأستعمل أسامة بن زيد ، مولى كلب . وعلى الخزائن وبُيوت الأموال هشام ابن مصاد . وحاجبه خالد ، مولاة .

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذات ، وهو صاحب حباة وسلامة . وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب .

أسماء ولد يزيد

الوليد ويحيى وعبد الله والغمر^(٣) وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ، ولا عقب له ، والعوام ، ولا عقب له .

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن عمر كان مغروراً ، غرتموه أتم وأصحابكم ، وقد رأيت كُتُبكم إليه في انكسار

٣٠ (١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق : بين الشام ووادي القرى . (انظر معجم البلدان) .

(٢) المؤتسب : المخلوط غير الصريح في نسبه . يقول : إن ملكك خالص لك عن أبائك لا شوبه شائبة اعتداء واغتصاب .

(٣) في بعض الأصول هنا : « والفهر » .

الخراج والضريبة . فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهدته وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجذبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام .

أبو الحسن المدائني قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك ، وجه الجيوش إلى

يزيد بن المهلب ، فعقد مساهمة بن عبد الملك على الجيش ، وللعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق [قوم] إرجاف^(١) ،

وقد خرجنا إليهم محار بين والأحداث تحدث ، فلو عهدت إلى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . قال : غداً إن شاء الله . وبلغ مساهمة الخبر ، فأتاه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أولاد عبد الملك أحب إليك أم أولاد الوليد ؟ قال : ولد

عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : بل أخي ، إذا لم

يكن^(٢) ولدي ، أحق بها من ابن أخي . قال : يا أمير المؤمنين ، فإن أبنك لم يبلغ ، فبايع هشام بن عبد الملك ولايتك الوليد من بعده . قال : غداً إن شاء الله . فلما

كان من الغد بايع هشام ولأبنة الوليد من بعده ، والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم [يزيد] على

أستخلاف هشام ، فكان إذا نظر إلى أبنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

قال : ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبد الملك العراق لأخيه

مسلمة بن عبد الملك . فبعث هلال بن أحوز المازني إلى قنديل^(٣) في طلب آل المهلب ، فالتقوا ، فقتل المفضل بن المهلب ، وانهمزم الناس ، وقتل هلال بن

أحوز خمسة من ولد المهلب ، ولم يفتش^(٤) النساء ولم يعرض لهن ، وبعث العيال

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٢) في بعض الأصول : « إذ كان » مكان « إذا لم يكن » .

(٣) قنديل : مدينة بالسند ، وهي قسبة لولاية يقال لها الندهة كانت فيها وقعة لهلال

بن أحوز الشاري على آل المهلب . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في بعض الأصول : « ولم يفتش على النساء » .

والأشري إلى يزيد بن عبد الملك .

قال : حدثني جابر بن مسلم قال : لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة^(١) ،

الذي يقال له كثير عزة ، فقال :

حليم إذا ما نال عاقب مجللاً أشد عقاب أو عفا لم يترب
فعموا أمير المؤمنين وحسبة فما تكتسب من صالح لك يكتب
أسماوا فإن تغفر فإنك قادر وأعظم حلم حسبة حلم مغضب
نفتهم قريش عن أباطح مكة وذو يمن بالمشرفي المشطاب

فقال يزيد : لاطت بك الرحم ، لا سبيل إلى ذلك ، من كان له قبل

آل المهلب دم فليقم . فدفعهم إليهم حتى قتل نحو ثمانين .

قال : وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً يتنقصه ، فكتب إليه : إن

مثلي ومثلك كما قال الأول :

تمت رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذي ينبغي رداى ويرتجى به قبل موتى أن يكون هو الردى^(٢)

فكتب إليه هشام : إن مثلي ومثلك كما قال الأول :

ومن لم يغض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولا يبقى^(٣) له الدهر صاحب

فكتب إليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا

عذك ، مع حفظ وصية أئبتنا عبد الملك ، وما حصّ عليه من صلاح ذات البين .

وإني لأعلم أنك كما قال معن بن أوس :

(١) في بعض الأصول : « حماد » . تحريف .

(٢) ساق القالي في كتابه الأمالي (ج ٣ ص ٢١٨) هذين البيتين مع خلاف في رواية هذا البيت وهو كما في الأمالي :

فما عيش من يرجو رداى بضائرى وما عيش من يرجو رداى بمخلد
وزاد عليهما ثالثاً وهو :

فقل للذى ينبغي خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قد
(٣) في الأمالي : « ولا يسلم » .

أَعْمُرْكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ^(١) عَلَى أَيَّمَا تَعَدُّو الْمَنِيَّةَ أَوْلَى
 وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرَبِّبْنِي قَدِيمًا لَدُو صَفْحَ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلٍ^(٢)
 سَتَقَطَّعَ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينِكَ فَانظُرْ أَيَّ كَفِّ تَبَدَّلَ
 إِذَا سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتَ^(٣) إِلَى غَدٍ لِيَعْقُبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلٍ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفِ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
 وَيَرْكَبُ حُدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْحَلٍ
 وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتَ حَبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنِ دَارِ الْقَلْبِ مُتَحَوِّلٍ

فلما جاءه الكتابُ رَحَلَ هِشَامُ إِلَيْهِ : فلم يزل في جواره إلى أن مات
 يزيد ، وهو معه في عسكره مخافة أهل البغي .

١٠ محمد بن الغازي^(٤) قال : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
 الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كَلِيفًا بِحَبَابَةٍ كَلِيفًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا
 تُوْفِيَتْ أُكْبَّ عَلَيْهَا يَتَشَمَّمُهَا أَيَّامًا حَتَّى أَنْتَفَتْ ، فَأَخَذَ فِي جِهَازِهَا وَخَرَجَ بَيْنَ
 يَدَيْ نَعَشِهَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْقَبْرَ نَزَلَ فِيهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهَا لَصِقَ بِهِ^(٥)
 مَسَلْمَةُ أَخُوهُ يُعْرَبِيهِ وَيُؤَسِّيهِ^(٦) . وَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ أَبِي جُمُعَةَ ! كَأَنَّهُ كَانَ يَرَى
 مَا نَحْنُ فِيهِ حَيْثُ يَقُولُ :

١٥ فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الْهَوَى فَبِالْيَأْسِ تَسَلُّو^(٧) عَنكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
 وَكَلَّ خَلِيلٌ زَارَنِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ : هَذَا مَيِّتَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

(١) في بعض الأصول : « لأوجد » . وفي بعض آخر : « لأوجد » . والتصويب من

سائر الأصول وشعر معن طبع ليبرز والأمالى .

٢٠ (٢) كذا في بعض الأصول وشعر معن والأمالى والذي في سائر الأصول : « قديمًا » ولا صلح على ذلك بجميل .

(٣) في الأصول : « رجعت » . وما أثبتنا من شعر معن والأمالى .

(٤) في بعض الأصول : « محمد بن الغازي » تحريف .

(٥) في بعض الأصول : « إليه » .

(٦) في بعض الأصول : « ويؤسيه » .

(٧) في بعض الأصول : « أسلو » .

قال : وطعن^(١) في جَنَازَتِهَا ، فدَفَنَاهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا .

خِلاَفَةُ^(٢) هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

ثم بُويعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ — يُسَكِنِي أَبُو الْوَلِيدِ . وَأُمُّهُ أُمُّ هِشَامِ
بِنْتُ [هِشَامِ بْنِ] إِسْمَاعِيلِ بْنِ هِشَامِ الْخَزَوِيِّ — يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِحَسِّسِ لِيَالِي بَقِيَّةٍ مِنْ
شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ . وَمَاتَ بِالرُّصَافَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثِ خَلَوْنٍ مِنْ رَبِيعِ
الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابنُ ثَلَاثِ وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَصَلَّى عَلَيْهِ
الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ . وَكَانَتْ خِلاَفَتُهُ عَشْرِينَ سَنَةً .

أَسْمَاءُ وَلَدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

مَعَاوِيَةُ وَخَلْفٌ وَمَسْلَمَةُ وَمُحَمَّدٌ وَسُلَيْمَانٌ وَسَعِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَيَزِيدٌ — وَهُوَ
الأبُوكَم — وَمَرْوَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَيَحْيَى^(٣) وَمُنْذِرَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدَ وَقُرَيْشَ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ^(٤) .

وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ كَعْبُ بْنُ عَامِرِ الْعَبْسِيُّ . وَعَلَى الرِّسَالِ سَالِمٌ ، مَوْلَاهُ .
وَعَلَى خَاتَمِ الْخِلاَفَةِ الرَّبِيعُ ، مَوْلَى لَبْنِي الْحُرَيْشِ ، وَهُوَ الرَّبِيعُ بْنُ سَابُورٍ . وَعَلَى
الْخَاتَمِ الصَّغِيرِ أَبُو الزُّبَيْرِ ، مَوْلَاهُ . وَعَلَى دِيْوَانِ الْخِرَاجِ وَالْجُنْدِ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ^(٥) ،
ثم عَزَلَهُ وَوَلَّى الْحَمَّاحَ وَعَلَى إِذْنِهِ غَالِبُ بْنُ مَسْعُودٍ ، مَوْلَاهُ .

أَخْبَارُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ

(١) طعن (بالبناء لهجول) : أى أصابه الطاعون . (٢) فى بعض الأصول : «ولاية» .

(٣) فى بعض الأصول : «ومحمد» . وما أثبتنا من سائر الأصول وجهرة أنساب العرب .

(٤) ذكر ابن حزم أولاد هشام ستة عشر كما فى الأصول . غير أنه ذكر عثمان

وعبد الله مكان إبراهيم ومنذر . وذكرهم اليعقوبى فى تاريخه عشرة فلم يذكر يحيى

وعثمان وخلقا والوليد وعبيد الله وعبد الملك . ووافق فى ذلك ابن قتيبة فى المعارف

فذكر أنهم عشرة واجتزأ بذكر بعضهم .

(٥) فى بعض الأصول : «أسامة بن يزيد» .

عائشة بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقّت رأسه فقطعتّه عشرين قطعة . فعَمّه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيّب ، فقصّها عليه . فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشةُ أم هشام حَمَقَاء ، فطلقها عبدُ الملك الحَمَقَاء ، وولدت هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك أ كمل من هشام .

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بعد أن سَخَطَ على خالد بن عبد الله القسريّ وسلطَ عليه يوسف بن عمر عامله على العراق ، فلما دخلتُ عليه أستدنانى حتى كنتُ أقربَ الناس إليه ، فتنفّس الصعداء ، ثم قال : يا خالد ، رُبَّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى إلى حديثك منك . فعلمتُ أنه يريد خالد بن عبد الله القسريّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تُعيده ؟ قال : ١٠ هيات ، إن خالداً أدلّ فأمل ، وأوجف فأعجف^(١) ، ولم يدع لمراجع^(٢) مرّجعا ، على أنه ماسألتى حاجة قط . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلو أدنيتّه فتنفّضت^(٣) عليه ؟ قال : هيات ! وأنشد :

إذا أنصرفتُ نفسي عن الشيء لم تسكن

١٥ عليه^(٤) بوجه آخر الدهر نُقيبُ لـ

قال أضيغ بن الفرج : لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام ، خرج حاجباً فحمل ثياب طهره^(٥) على ستانة جمل . ودخل المدينة ، فقال لرجل : انظر من في المسجد . فقال : رجل طويل أدلم^(٦) . قال : هذا سالم بن عبد الله ، أدعه . فأتاه ، فقال : أجب أمير المؤمنين وإن شئت أرسل

٢٠ (١) الإيجاف : سرعة السير . والإعجاف : الإهزال . وفي بعض الأصول : « وأرجف » مكان « وأوجف » . تحريف .

(٢) في بعض الأصول : « المرجع » . (٣) في بعض الأصول : « قد آذيته فلو تنفّضت » .

(٤) في بعض الأصول : « تسكن إليه » . وما أتبقنا من سائر الأصول وشعر معن .

(٥) في بعض الأصول : « ظهره » .

٢٥ (٦) كذا في بعض الأصول . والأدلم : الأدم والشديد السواد . والذي في سائر الأصول :

« آدم آدم » .

فَتَوَتَّى بَنِيَابِكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَيَّتُ اللهُ زَائِرًا فِي رِدَاءِ وَقَيْصٍ وَلَا أُدْخِلُ
بِهِمَا عَلَى هِشَامٍ ! فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ . ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ فَفَضَى
حَجَّهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْوَجَعِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . وَمَاتَ سَالِمٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ هِشَامٌ ، وَقَالَ : مَا أَذْرَى بِأَيِّ الْأَمْرِينَ
أَنَا أَمْرٌ : بِحِجَّتِي أَمْ بِصَلَاتِي عَلَى سَالِمٍ .

٣٣٩
٢

قَالَ : وَوَقَفَ هِشَامٌ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْ حَائِطٍ فِيهِ زَيْتُونَ لَهُ ، فَسَمِعَ نَفْضَ
الزَيْتُونَ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ : أَنْطَلِقْ إِلَيْهِمْ فَقُلْ لَهُمْ : التَّقَطُّوهُ وَلَا تَنْفُضُوهُ ، فَتَفْقَهُوا
عُيُونَهُ ، وَتَكْسِرُوا عُصُونَهُ .

وَخَرَجَ هِشَامٌ هَارِبًا مِنَ الطَّاعُونَ ، فَانْتَهَى إِلَى دَيْرٍ فِيهِ رَاهِبٌ ، فَادْخَلَهُ
الرَّاهِبُ بُسْتَانَهُ ، فَجَعَلَ يَنْتَقِي لَهُ أَطْيَابَ الْفَاكِهَةِ وَالْبَالِغِ مِنْهَا . فَقَالَ هِشَامٌ :
يَا رَاهِبُ ، هَبْنِي بِسْتَانِكَ هَذَا . فَلَمْ يُجِبْهُ . فَقَالَ : مَالِكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ :
وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَاتُوا غَيْرَكَ . قَالَ : وَمَنْ ؟ قَالَ : لَعَلَّكَ أَنْ تَشْبِعَ . فَالْتَفَتَ
هِشَامٌ إِلَى الْأَبْرَشِ فَقَالَ : أَسْمَعُ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ الْأَبْرَشُ : بَلَى وَاللَّهِ ، مَا ^(١) لَقِيكَ
حَرْثٌ غَيْرَهُ .

١٠

الْعُتْبِيُّ قَالَ : إِنِّي لِقَاعِدٍ عِنْدَ قَاضِي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذْ أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ
ابْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِجَةَ وَصَاحِبَ حَرَسِ هِشَامِ حَتَّى قَعَدَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ الْحَرَسِيُّ ^(٢) :
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَرَّانِي ^(٣) فِي خُصُومَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ الْقَاضِي : شَاهِدِيكَ
عَلَى الْجَرَايَةِ ^(٤) . فَقَالَ : أَتُرَانِي قُلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ يَقُلْ ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
إِلَّا هَذِهِ السُّتَارَةُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَثْبُتُ الْحَقُّ لَكَ وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا بَيِّنَةٌ .
قَالَ : فَقَامَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى قَعَقَعَتِ الْأَبْوَابُ وَخَرَجَ الْحَرَسِيُّ ، فَقَالَ : هَذَا أَمِيرُ

١٥

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « إِنْ » .

(٢) الْحَرَسِيُّ : وَاحِدُ حَرَسِ السُّلْطَانِ .

(٣) يُقَالُ : جَرَى (بِالتَّضْعِيفِ) وَأَجْرَى ، إِذَا أَرْسَلَ وَكَيْلًا . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ :
« جَرَّانِي » بِالْهَمْزِ . تَصْحِيفٌ .

(٤) الْجَرَايَةُ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ) : الْوَكَالَةُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْجَرَاةُ » .

٢٥

المؤمنين . قال : فقام القاضى ، فأشار إليه فقعد ، وبسط له مُصلى فقعد عليه هو وإبراهيم ، وكُنَّا حيث نَسْمع بعضَ كلامهما ويخفى علينا البعضُ . قال : فتكلما وأحضرت البيّنة ، فقضى القاضى على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق ، فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هَممتُ أن أضربَكَ ضربةً يَنْتثر منها الحُكْمُ عن عَظْمِكَ . قال : أما والله لئن فعلتَ لتفعلنّه بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق . قال له : استرّها علىّ يا إبراهيم . قلت : لا ستر الله علىّ ذنبى^(١) إذا يومَ القيامة . قال : إني مُعطيكَ عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسترتها عليه طولَ حياته ثمنًا لما أخذتُ منه وأذعتها عنه بعد موته تزيينًا له .

وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملاً ١٠
لأبيه على حمص ، وكان يُرعى بالنساء والشراب ، فقدم حمص^(٢) لهشام ، فلقبه أبو جعد الطائي^(٣) فى طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس ، فإنى لا أعلم بمكان مثلها ، على أن تُبلِّغَ هذا الكتابَ أميرَ المؤمنين ، ليس فيه حاجةٌ بمسألة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتابَ . فلما قدم على هشام سألته : ما قصة هذه الفرس ؟ فأخبره . فقال : هاتِ الكتابَ ، فإذا فيه :

أَبْلِغِ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَمَدَدْنَا بِأَمِيرٍ لَيْسَ عَيْنِنَا
طَوْرًا يُخَالِفُ عَمْرًا فِي حَلِيلَتِهِ وَعِنْدَ سَاحَتِهِ يُسْقَى الطَّلَا^(٤) دِينًا
فلما قرأ الكتابَ بعث إلى سعيد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة وقال : يا بن الخبيثة ، تزنى وأنت ابنُ أمير المؤمنين ! ويلك ! أعجزت أن تفجّر فُجور قريش ؟ أو تدرى ما فُجور قريش لا أم لك ؟ قتل هذا ، وأخذ مال هذا ، ٢٠
والله لا تلى لى عملاً حتى تموت . قال قال : فما ولى له عملاً حتى مات .

(١) فى بعض الأصول : « دبنى » . (٢) فى بعض الأصول : « خصى » .

(٣) فى بعض الأصول : « أبو الجعد الطائي » .

(٤) الطلاء (ككساء ، وقصر للشعر) : الخمر .

- أحمد بن عبيد قال: أخبرني هشام الكلبي عن أبي محمد بن سفيان القرشي^(١) عن أبيه قال: كنتُ عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز، وكان شهابُ السكتاب إذا قدم الوفدُ حضروا لأستماع بلاغة خطبائهم، فحضرتُ كلامهم، حتى قام محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي^(٢)، وكان أعظمُ القوم قدراً وأكبرهم سناً، فقال: أصلى الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت، وأكثرت وأطنبت، والله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى خطيبهم فضلك، وإن أذنت في القول قلت؟ قال: قل وأوجز. قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينتك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي حوائج، أفأذكرها؟ قال: هاتها. قال: كبر سني، ونال الدهر متى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، ويُنفي فقري، فقل. قال: وما الذي ينفي فقرك، ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: فأطرق هشام طويلاً ثم قال: يا بن أبي الجهم، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت، ثم قال له: هيه. قال: ما هيه؟ أما والله إن الأمر لواحد^(٣)، ولكن الله آترك بمجلسك، فإن تُعطينا فحقنا أدبت، وإن تمنعنا فندسأل الله الذي بيده ما حوت. يا أمير المؤمنين، إن الله جعل العطاء محبة، والمنع مَبْغضة. والله لأن أحبَّك أحبُّ إلي من أن أبغضك. قال: فألف دينار لِمَاذَا؟ قال: أقضى بها ديناً قدحان قضاؤه، وقد عتاني حملُه، وأضرَّ بي أهله. قال: فلا بأس، نفوس كربة، ونؤدِّي أمانة. وألف دينار لِمَاذَا؟ قال: أزوج بها من بلغ من ولدي. قال: نعم المسلكُ سلكك، أغضضت بصراً، وأعفتت ذكراً، وأمَّرت^(٤) نسلاً. وألف دينار لِمَاذَا؟ قال: اشتري بها أرضاً

(١) لعله زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. (انظر الطبري).

(٢) ليس هو محمد بن أبي الجهم الذي مر ذكره في هذا الجزء. فقد توفي هذا الأخير سنة ٦٣ أي قبل موت هشام بسنوات عدة.

(٣) في بعض الأصول: «لو إلى أحد».

(٤) كذا في بعض الأصول وصحح الأعمش (ج ١ ص ٢٦٤) والأمامي (ج ١ ص

١٤٧). وأمَّرت: أ كثر. والذي في سائر الأصول: «رفعت».

- يعيش بها ولدى ! وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون دُخْرًا لمن بعدى ^(١) .
 قال : فإننا قد أسرنا لك بما سألت . قال : فالحمودُ الله على ذلك ، وخرج .
 فأتبعه هشام بصره ، وقال : إذا كان القرشى فليكن مثل هذا ، ما رأيتُ
 رجلا أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه . ثم قال : أما والله إننا لنعرف الحقَّ
 إذا نزل ، ونسكركه الإسرافَ والبخلَ ؛ وما نُعطى تَبْدِيرًا ، ولا نمنع تَقْتِيرًا ؛
 وما نحن إلا خُرَّانُ الله في بلاده ، وأمناؤه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا
 منع أبقينا ؛ ولو كان كلُّ قائلٍ يصدُق ، وكل سائلٍ يستحقُّ ؛ ما جهَّنا قائلًا ،
 ولا ردَّدنا سائلًا . ونسأل الذى بيده ما استَحْفَظْنَا أن يُجْرِيه على أيدينا . فإنه
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يشاء ويَقْدِرُ ، إنه بعباده خبيرٌ بصير . فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
 لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال : إنه مُبْتَدَى وليس
 المُبْتَدَى كالمُتَقَدَّى ^(٢) .

- وذكروا أن العباس بن ^(٣) الوليد وجماعة من بني مروان اجتمعوا عند هشام ،
 فذكروا الوليد بن ^(٤) يزيد وعابوه وذمَّوه ، وكان هشامُ يُبغضه ^(٥) ، ودخل الوليدُ ،
 فقال له العباس : يا وليد ، كيف حُبِّكَ للرومِيَّاتِ ، فإن أباك كان مشغوفًا بهن ؟
 قال : كيف لا يكون وهُنَّ يلدنُ مثلك ؟ قال : ألا تسكت يا ابن البظراء ؟
 قال : حسبك أيها المُفتخر علينا بِحِجَّتَانِ أمه .

وقال له هشام : ما شرابك يا وليد ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام
 فخرج . فقال هشام : هذا الذى زعمتموه أحق !

وقرَّب الوليدُ بن يزيد فرسه فجمع جراميزه ^(٦) ووثب على سَرَجِه ، ثم التفت

- ٢٠ (١) في بعض الأصول : « بقى » .
 (٢) في بعض الأصول : « إنه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى » .
 (٣) في بعض الأصول : « عباس والوليد » . تحريف .
 (٤) في بعض الأصول : « أموراً من يزيد » مكان « الوليد بن يزيد » .
 (٥) في بعض الأصول : « يتفضه » .
 ٢٥ (٦) جراميز الرجل : جسده وأعضاؤه . ويقال : جمع جراميزه ، إذا نقبض ليثب .

إلى ولد هشام ، وقال له : هل يقدر أبوك أن يصنع مثل هذا ؟ قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا . فقال الناس : لم يُنصفه في الجواب .

العُتبي عن أبيه ، قال : سمعت معاوية بن عمرو^(١) بن عُتبة يحدث ، قال :

إني لقاعد بباب هشام بن عبد الملك ، وكان الناس يتقربون إليه بعيب الوليد

ابن يزيد ، قال : فسمعت قوماً يعيبونه ، فقلت : دعونا من عيب من يلزمنا

مدحُه ، ووَضِعْ مَنْ يَجِبُ عَلَيْنَا رَفْعُه . وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون

بباب هشام ، فنقلوا إليه كلامي وكلام القوم ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى راح

إلى مولى للوليد ، قد ألتحف على ألف دينار ، فقال لي : يقول لك مولاي :

أنفق هذه في يومك ، وغداً أمامك . قال : فمُلِمت رُعباً من هشام وخشيت

سطوته ، ورماه الله بالعلقة فدفقناه لثمانية عشر يوماً بعد ذلك اليوم . فلما قام

الوليدُ بعده دخلت عليه ، فقال لي : يا بن عُتبة ، أتراني ناسياً قعودك بباب

الأحول يَهْدِمُنِي وتَبْنِي ، ويَضَعُنِي وترَفَعُنِي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ،

شاركت قومك في الإحسان^(٢) ، وتفردت دونهم بإحسانك إليّ ، فلست

أحمد لك نفسى في أجتهد ، ولا أعذرُها في تقصير ، وتشهد بذلك السننُ الجائزين

بنا ، ويصدق قولهم الفِعَالُ مَنَا^(٣) . قال : كذلك أنتم لنا آل أبي سُفْيَان ، وقد

أقطعُك ما لي بالبَيْثِيَّةِ^(٤) وما أعلم لقرشي مثله .

وقال عبد الله بن عبد الحكم^(٥) فقيه مصر : سمعتُ الأشياخ يقولون : سنة

خمس وعشرين ومائة أُدبِل من الشرف وذَهبت المُرُوءة ، وذلك عند موت

هشام بن عبد الملك .

(١) كذا في بعض الأصول والطبرى . والذي في سائر الأصول « معاوية بن عمر » .

(٢) في بعض الأصول : « في إحسانك إليهم » مكان « في الإحسان » .

(٣) في بعض الأصول : « في الفعّال منا » .

(٤) البَيْثِيَّة (بالتحريك وكسر النون وياء مشددة) : اسم ناحية من نواحي دمشق .

(٥) كذا في بعض الأصول والديباج المذهب . والذي في سائر الأصول . « عبد الله

ابن الحكم » .

قال أبو الحسن المدائني: مات هشامُ بن عبد الملك بالذُّبْحَة يوم الأربعاء ،
بالرُّصافة في ربيع الآخر لستِ خَلَوْنَ منه ، سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلى
عليه مسامة بن هشام أو بعضُ ولده ، واشترى له كفن من الشوق .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

- ٥ بُويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء ثلاثِ خَلَوْنَ من ربيع
الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وأمه أمُّ الحجاج بنت محمد بن يوسف ، أخي
الحجاج بن يوسف . وقُتِل بالبَحْرَاء^(١) ، من تدمر على ثلاثة أميال ، يوم الخميس
لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة سنة ستٍ وعشرين ومائة ، وهو ابنُ خمس
وثلاثين ، أو ستٍ وثلاثين .
- ١٠ قال حاتمُ بن مُسلم : ابنُ خمس وأربعين وأشهر . وكانت ولايته سنة
وشهرين وأثنين وعشرين يوماً . فأولُ شيءٍ نَظَرَ فيه الوليدُ أن كَتَبَ إلى
العَبَّاس بن الوليد بن عبد الملك أن يَأْتِيَ الرُّصافة يُحْضِي ما فيها من أموال
هشام وولده ، ويأخذُ عماله وحشمه ، إلا مسامة بن هشام ، فإنه كَتَبَ إليه أن
لا يَعرُض له ولا يدخل منزله . وكان مسامة كثيراً ما يكلم أباه في الرفق بالوليد .
- ١٥ ففعل العَبَّاس ما أمره به . وكَتَبَ الوليدُ بن يزيد إلى يوسف بن عمر ، فقدم عليه
من العراق ، فدفع إليه خالد بن عبد الله القسري ومحمدا وإبراهيم ، ابني هشام بن
إسماعيل المخزومي ، وأمره بقتلهم . فحدث أبو بشر بن الدرري قال : رأيتهم قدم
٢٣ يوسف بن عمر الحيرة ، وخالد في عباءة في شِقِّ مَحْمِلٍ ، فعدَّبهم حتى قتلهم .
ثم عَكف الوليدُ على البَطَّالة وحُبِّ القِيان والمَلَاهِي والشراب ومُعاشقة
النساء ، فتمسَّق^(٢) سَعْدِي^(٣) بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فتزوجها !
ثم تَعَشَّق^(٢) أختها سلمى ، فطلق أختها سعدى وتزوج سلمى ، فرجعت
(١) في بعض الأصول : « الهجاء » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى ومجم البلدان .
(٢) في بعض الأصول : « فتعاشق » .
(٣) في الأغاني (ج ١٧ ص ٩٩) طبعة بلاق : « سعدة » .

سُعدى إلى المدينة فتزوجت بِشُر بن الوليد بن عبد الملك . ثم ندم الوليدُ على فراقها وكلف بِحُبِّها ، فدخل عليه أشعبُ المُضحك ، فقال له الوليد : هل لك على أن تبليغ سُعدى عنى رسالةً ولك عشرون ألفَ درهمٍ ؟ قال : هاتِها ، فدفعها إليه . فقَبَضها وقال : ما رسالتُك ؟ قال : إذا قدمت المدينة فأستأذنُ عليها ، وقل لها : يقول لك الوليد :

أُسعدى ما إليك^(١) لِناسِيلٍ ولا^(٢) حتى القيامة من تلاقى

بلى ، ولعلَّ دهرًا أن يُؤاتى بموتٍ من حليلك أو فراق^(٣)

فأتاها أشعبُ فأستأذن عليها ، وكان نساء المدينة لا يَحْتَجِبْنَ عنه ، فقالت له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدتى ، أرسلنى إليك الوليدُ برسالة . قالت : هاتِها . فأنشدها البيتين . فقالت لجواريتها : خُذنى هذا الخبيث . وقالت : ما جرأتُك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها بعشرين ألفًا معجلةً مقبوضة . قالت : والله لأجلدَنَّك أو لتبليغنه كما أبلغتني عنه . قال : فاجعلى لى جُمعلا . قالت : بساطى هذا . قال : فقومى عنه . فقامت عنه ، وطوى البساط وضَّه ، ثم قال : هاتى رسالتك . فقالت له : قل له :

أَتبكي على سُعدى^(٤) وأنت ترَكْتها فقد ذهبت سُعدى^(٥) ، فما أنت صانعٌ ؟

فلما بلغه الرسالة كَظَم الغيظَ على أشعب ، وقال : أختر إحدى ثلاث خِصال : ولا بدُّ لك من إحداها : إما أن أقتلك ، وإما أن أطرحك للسباع فتأكلُك ، وإما أن أقيمك من هذا القصر ؟ فقال أشعبُ : يا سيدى ، ما كنت لتعدِّب عينينَ نظرنا إلى سُعدى . فضحك وخرَّ سبيله ، وأقامت عنده سلمى حتى قُتل عنها . وهو القائل فى سلمى :

شاع شعري فى سلمى وظهرُ ورواه كلُّ بدوٍ وحضرُ

(١) فى الأغاني : « أسعدة هل » مكان « أسعدى ما » .

(٢) فى الأغاني : « وهل » . (٣) فى الأغاني : « طلاق » .

(٤) فى الأغاني : « البنى » . وصدر البيت لقيس بن ذريح فى لبناء . وعجزه « وكنت

كأت حنفة وهو طائع » . (انظر الأغاني خ ٨ ص ١٣٢ طبعة بلاق) .

وتَهَادَتْهُ الْعَوَانِي بَيْنَهَا وَتَغَنَّيْنَ بِهِ حَتَّى أَنْتَشِرَ
 لَوْ رَأَيْنَا مِنْ سُلَيْمَى أَثْرًا لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ لِلْأُتْرِ
 وَأَتَّخَذْنَاهَا إِمَامًا مُرْتَضَى وَلَسَكَاتٍ حَجَّجْنَا وَالْمُعْتَمِرَ
 إِنَّمَا بَدَتْ سَعِيدٍ قَرًّا هَلْ حَرَجْنَا إِنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرِ

وفيهما يقول قبل تزوجه لها :

حَدَّثُوا أَنَّ سُلَيْمَى خَرَجَتْ يَوْمَ الْمُصَلَّى
 فَإِذَا طَيْرٌ مَلِيحٌ فَوْقَ غُصْنٍ يَتَفَلَّى
 قَلْتُ: يَا طَيْرُ أَذْنُ مَنْ فِدَانَا نِمَ تَدَلَّى
 قَلْتُ هَلْ تَعْرِفُ سَلَمَى قَالَ لَا نِمَ تَوَلَّى
 فَذَكَرَ فِي الْقَلْبِ كَلِمًا^(١) بَاطِنًا نِمَ تَخَلَّى^(٢)

وقال في سلمى قبل تزوجه لها :

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنِي بِسَلَمَى^(٣) أَلَيْسَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
 وَيَأْتِي بِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا فَيُؤْتِظُنِي وَقَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ
 وَيُرْسَلُ دِيمَةٌ مِنْ بَعْدِ هَذَا فَتَفْسِلُنَا وَلَيْسَ بِنَا عَنَاءُ

وقال فيها بعد تزوجه لها :

أَنَا فِي يُمْنِي بِدَيْهَا وَهِيَ فِي يُسْرَى بِدَيْهَ
 إِنَّ هَذَا لَقَضَاءُ غَيْرُ عَدْلٍ يَا أُخِيهَ
 لَيْتَ مَنْ لَامَ مُحِبًّا فِي الْهَوَى لَاقَى مِنْهَ
 فَأَسْتَرَّاحَ النَّاسُ مِنْهُ مِيتَةً غَيْرَ سَوِيهَ

٣٠ قال : ولهج الوليدُ بالنساء والشراب والصَّيد ، فأرسل إلى المدينة فحملوا له المغنَّين ، فلما قرَّبوا منه أمر أن يدخلوا العسكر ليلا ، وكره أن يراهم الناس ،

(١) نكأ ، بالهمز وسهل للشعر . وفي بعض الأصول : « فتظامي القلب كلا » .

(٢) في الأغاني : « تعلى » .

(٣) في بعض الأصول : « لعل الله أن يأتي بسلمى » .

فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة^(١) ، فإنه دخل نهارا ، فأمر الوليدُ بحبسِه ، فلم يزل محبوباً حتى شرب الوليدُ يوماً فطرب ، فكأه معبد ، فأمر الوليدُ بإخراجه ، ودعاه فغناه فقال :

أنت ابنُ مُسَلِّطِحِ البِيضِ ولم تَطْرُقْ عليكِ الحِجِّيَّ والوَجَّ^(٢)
فرضى عنه ، وكان سعيدُ الأحوصُ ومَعْبِدُ جين قدما على الوليد نزلا
في الطريق على غدير وجارية تُسْتَقِي ، فزانت فأنكسرت الحجره فجلست تغنى :
يا بيتَ عائِكةِ الذي أتعزل حَذَرَ العِدا وبه الفؤادُ موَكَّلُ^(٣)

فقال لها : يا جارية ، لمن أنت ؟ فقالت : كنت لآل الوليد [بن عُقبه]
بالمدينة فاشتراني مولاي ، وهو من بني عامر بن صعصعة ، أحد بني الواحيد من
بني كلاب ، وعنده بنتُ عمِّ له فوهبني لها ، فأمرتني أن أستقي لها . فقالا لها :
فلمن الشعرُ ؟ قالت : سمعتُ بالمدينة أن الشعرَ للأحوص ، والغناء لمعبد . فقال
معبد للأحوص : قُل شيئا أغنني عليه . فقال :

إن زَيْنَ الغديرِ مَنْ كَسَرَ الجُرَّ وَغَنَى غِنَاءَ فَعَلٍ مُجِيدِ
قلتُ : مَنْ أنتِ يا مَلِيحَةَ ؟ قالت : كنتُ فيما مَضَى لآلِ الوليدِ
ثم قد صرْتُ بعدَ عِزِّ قَرِيشٍ في بني عامرٍ لآلِ الواحيدِ
وغيثاني لمعبيدٍ ونشيدِي لفتى الناسِ الأحوصِ الصَّنيدِ
فتضاجكتُ ثم قلتُ أنا الأحوصِ والشيخُ معبِدُ فأعيدِي
فأعادتُ وأحسنتُ ثم وآتَ تنهادِي فقلتُ أمَّ سَعِيدِ

(١) في بعض الأصول : « محمد بن أبي عائشة » . وما أتبعنا من سائر الأصول والأغاني .
(٢) الاستلطاح : الطول والعرض . والحجى : الأرزقة . والوج : معاطف الوادي . والبيت
لطريح بن إسماعيل الثقفي من قضيدة له في مدح الوليد بن يزيد . (انظر الأغاني ج ٤
س ٨ طبعة بلاق) . وقد نسبة ابن منظور في اللسان (مادة سلط) لابن قيس
الرقيات . وزواية اللسان « تعطف » مكان « تطرق » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٣ من هذا الجزء .

يَقْصُرُ الْمَالَ عَنْ شِرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتَ فِي ذِمَّةِ الْإِمَامِ الْوَلِيدِ^(١)
وَأُمُّ سَعِيدٍ كَانَتْ لِلْأَحْوَصِ بِالْمَدِينَةِ . فَغَتَّى مَعْبِدَ عَلَى الشَّعْرِ . فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَاهُ ، فَأَشْتَرَاهَا الْوَلِيدُ .

- قال أبو الحسن : وقال ابنُ أبي الزناد : إني كنتُ عند هشامٍ وعنده
الزُّهري ، فذُكر الوليد ، فتمنَّقصاه وعباه عيباً شديداً ، ولم أعرض لشيء مما
كانا فيه ، فأستأذن فأذن له ، فدخَلَ وأنا أعرفُ الغضبَ في وجهه ، فجلس
قليلاً ثم قام . فلما مات هشام : كتبَ بي فصُلمت إليه فرحَّبَ بي ، وقال : كيف
حالك يا ابنَ ذكوان ؟ وألطفَ المسألة . ثم قال : أتذكر هشاماً الأحول ، وعنده
الفاسقُ الزُّهريُّ وهما يعيباني ؟ فقلت : أذكر ذلك ولم أعرض لشيء مما كانا
فيه . قال : صدقتَ ، أرايتَ الغلامَ الذي كان على رأسِ هشامٍ قائماً ؟ قلتُ :
نعم . قال : فإنه نَمَّ إليَّ بما قالاه . وإيم الله لو بقي الفاسقُ الزُّهريُّ لقتلته . قلتُ :
قد عرفتُ الغضبَ في وجهك حين دخلتَ . قال : يا ابنَ ذكوان ، ذهب
الأحولُ . قلتُ : يطيلُ اللهُ عُمرَكَ ، ويُمتنعُ الأمةُ ببقائك . ودعا بالعشاء فتعشينا ،
وجاءت المغربُ فصلينا ، وتحدَّثنا حتى حانت العشاءُ الآخرةُ فصلينا وجلس . فقال :
أسبغني ، فجاؤا بإبناءٍ مُعطَى ، وحجى بثلاثِ جوار ، فصُغِفِن يدي وبينه حتى شرب ،
وذهبن^(٢) ، فتحدَّثنا ، وأسبغني ، فصنعوا مثلَ ذلك . فما زال كذلك يستسقي
ويتحدَّث ويصنعون مثلَ ذلك حتى طلعَ الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعينَ قدحاً .
على بن عيماش قال : إني عند الوليد بن يزيد في خلافته إذ أتى
بُشراة^(٣) من الكوفة ، فوالله ما سأله عن نفسه ولا عن مسيره^(٤) حتى قال له :

(١) في الأغاني « أنت في ذمة الإمام يزيد » . وقد ساق أبو الفرج هذا الخبر مع خلاف

فيه وذكُر يزيد بن عبد الملك مكان الوليد .

(٢) في بعض الأصول : « ودهش » . وفي بعض آخر : « وذهب » .

(٣) وكان من الحجان الندماء ، من أصحاب والية بن الحباب ومطيع بن زياد وحامد بن عمرو .

وفي بعض الأصول بابن شراة » . (انظر الأغاني والأمالى) .

(٤) في بعض الأصول : « سفره » .

يا شراعة، إني والله ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال . والله لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حاراً ، قال : إنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوه . قال : دهقانها^(١) الخبير ، وأقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم . قال : فأخبرني عن الشراب ؟ قال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول في المساء ؟ قال : لا بد لي منه ، والحمار شريك في . قال : ما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلا أستحييت من أمي لطول ما أرضعتني به . قال : ما تقول في السويق ؟ قال : شراب الحزين والمستعجل والمرىض . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : سريع الملء^(٢) ، سريع الأنفشاش . قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال : تلهوا^(٣) به عن الشراب . قال : ما تقول في الحجر ؟ قال : أوه^(٤) ! تلك صديقة رُوحى . قال : وأنت والله صديق رُوحى . قال : فأنى الجالس أحب ؟ قال : ما شرب الكأس قط على وجه أحسن من السماء^(٥) .

٣٤٤
٢

١٠

قال أبو الحسن : كان أبو كامل مضحكا غزلاً مغممياً ، فغنى الوليد يوماً فطرب ، فأعطاه قلنسوة برودا^(٦) كانت عليه ، فكان أبو كامل لا يلبسها إلا في عيد ، ويقول : كسانها أمير المؤمنين ، فأنا أحزونها ، وقد أمرت أهلي إذا ميتاً أن توضع في أكفاني . وله يقول الوليد :

١٥

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أبا كاملٍ أتى إذا ما غاب كالهابل^(٧)
وزادني شوقاً إلى قرْبه ما قد مضى من دهرنا الحائل^(٨)

(١) الدهقان (بالكسر والضم) : القوي على التصرف مع حدة .

(٢) في بعض الأصول : « الامتلاء » .

(٣) في أكثر الأصول : « حاموا » . (٤) في بعض الأصول : « أواه » تحريف .

(٥) ساق أبو الفرج هذا الخبر في كتاب الأغاني (ج ٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طبعة بلاق) مع خلاف كثير .

(٦) أي ليس فيها زئبر .

(٧) في الأغاني : « كالهامل » .

(٨) رواية الأغاني :

٢٠

٢٥

قد زادني شوقاً إلى قرْبه مع ما بدا من رأيه الفاضل

إني إذا عاطيته مُزَّة^(١) ظلت بيوم الفرح الجاذل
قال: وجلس الوليد يوماً وجارية تُغنيه، فأنشدها الوليد:

* قينة في يمينها إبريق *

قالت الجارية المغنية: لو أتممت الشعر غنيتُ به. قال: لست أروية، وكتب

إلى حماد الرواية فحُمل إليه: فلما دخل عليه قال له الوليد:

* قينة في يمينها إبريق *

فأنشد حماد الرواية^(٢):

ثم نادى ألا اصبحوني فقامت قينة في يمينها إبريق
فَدَمَّتْهُ^(٣) على عُقار كعَيْنِ الدِّيكِ صَنِي سُلَافِهِ الرَّاووق

١٠ مُزَّةٌ قَبْلَ مَزَجِهَا فَإِذَا مَا مَزَجَتْ لَدَّ طَعْمُهَا مَن يذوق
وكتب الوليدُ إلى المدينة، فحُمل إليه أشعب، فألبسه سراويل جلد قِرْد
له ذنب، وقال له: ارقص وغنِّ صوتاً يُعجبني، فإن فعلت أعطيتك ألف درهم.
فرقص وغنَّى، فأعجبه، فأعطاه ألف درهم. وأنشد الوليدُ هذا الصوت:

عللاني وأشقياني من شرابِ أصفهاني

١٥ من شرابِ الشَّيخِ كِسْرَى أو شرابِ الهُرْمُزَانِ^(٤)

إنَّ بالكأسِ لِمِسْكَاً أو بكَفَى من سَقَانِي

إنما الكأسُ ربيعٌ يُتَعاطَى بالبَنَانِ

(١) في بعض الأصول « مرة »

(٢) في بعض الأصول: « فأنشدت الوليد: قينة في يمينها إبريق. فاستنشد حمادا، الرواية

٢٠ فقال: « والشعر لعدى بن زيد. ورواية الشطر الأول من البيت الأولى في الأغاني

(ج ٦ ص ١٢٣ طبعة بلاق)

* ثم نأروا إلى الصبوح فقامت *

وفي (ج ٦ ص ١٦٨) وشعرهاء النصرانية:

* ودعوا إلى الصبوح يوماً فجاءت *

٢٥ (٣) قدمته (بالفاء): وضعت في فم القدماء. والقدماء (ككتاب): ما يوضع في فم

الإبريق كالمصفاة. والذي في الأصول والأغاني: « قدمته » (بالقاف).

(٤) في الأغاني (ج ٩ ص ١٣٠) طبعة دار الكتب: « والقروان » والشعر لعمرو

ابن سعيد بن زيد.

وقال أيضاً:

وصَفْرَاءُ فِي السَّكَّاسِ كَالزُّعْفَرَانِ سَبَّأَهَا الدَّهَّاقِينَ^(١) مِنْ عَسَقْلَانِ
لَهَا حَبَبٌ كَمَا^(٢) صَفَّقَتْ تَرَاهَا كَلْعَمَةً بَرَقَ يَمَانِي

وقال أيضاً:

لَيْتَ حَظِّي الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ مَعْمَاشٍ لِي وَزَادِ
قَهْوَةٌ أَبْذُلُ فِيهَا طَارِفِي بَعْدَ^(٣) تِلَادِي
فِيظَلُ^(٤) الْقَلْبُ مِنْهَا هَائِمًا فِي كُلِّ وَادِي
إِنَّ فِي ذَاكَ فَلَاحِي وَصَلَاحِي وَرَشَادِي

وقال:

أَمْدَحُ السَّكَّاسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَأَهْجُ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ
إِنَّمَا السَّكَّاسُ رِبِيعٌ بَاكِرٌ فَإِذَا مَا لَمْ نَذُقْهَا لَمْ نَعِشْ^(٥)
وَبَلِغَ الْوَلِيدَ أَنَّ النَّاسَ يَعْيبُونَهُ وَيَتَّقَصُونَهُ بِالشَّرَابِ وَطَلَبِ اللَّذَاتِ ،

١٠

٣٤٥
٢

فقال في ذلك:

وَأَقْدَقُضِيْتُ ، وَلَمْ يُجَلِّلْ لِعَتِي^(٦) شَيْبٌ ، عَلَى رَغْمِ الْعِدَا لِدَاتِي
مِنْ كَاعِبَاتِ كَالدُّمَى وَمَنَاصِفِ وَمَرَآكِبِ اللَّصِيدِ وَالنَّشَوَاتِ
فِي فِتْيَةٍ تَأْتِي الْمَوَانَ^(٧) وَجُوهَهُمْ شُمَّمٌ الْأَنْوَفِ جَحَاجِحِ مَادَاتِ

١٥

(١) في الأغاني (ج ١ ص ١٥٧ طبعة دار الكتب المصرية): «التجبي» .
(٢) كذا في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٨٦) . وفي بعض الأصول: «فارة ربح» .
والذي في سائر الأصول: «قادر مريح» .
(٣) في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٤ طبعة بلاق): «ثم» .
(٤) في بعض الأصول: «فيزال» .
(٥) الشعر لنابعة بنى شيبان كافي الأغاني (ج ٦ ص ١٥١ طبعة بلاق) . ورواية مجز
هذا البيت فيه:

* فإذا ما غاب عنا لم نعش *

(٦) في الأغاني (ج ٧ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية): «وإن يجلل لبي» .
(٧) في بعض الأصول: «الشموس» .

٢٥

إِنْ يُطَلَّبُوا بِقِرَاتِهِمْ يُعْطَوْنَ بِهَا^(١) أَوْ يُطَلَّبُوا لَا يُدْرِكُوا بِقِرَاتٍ
 وَقَالَ معاوية بن عمرو بن عتبة^(٢) للوليد بن يزيد حين تغيَّر له الناسُ وطعنوا
 عليه : يا أمير المؤمنين ، إنه يُنطقني الأَنْسُ^(٣) بك ، وتُسكِّتني^(٤) الهيبَةُ لك ،
 وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مُشفقاً ؟ قال : كلُّ
 مَقْبُولٍ منك ، والله فينا علمٌ غيبٌ نحن صائرون إليه . فقتل بعد ذلك بأيام .
 وقال الوليد إذا كثر الناسُ القولُ فيه :

خُذُوا مُلْكَكُمْ لَا تَبْتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيَّتُ عِقَالًا^(٥)
 دَعُوا لِي سُلَيْمِي مَعَ طِلَاءٍ وَقَيْنِيَةِ وَكَأْسٍ^(٦) ، أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا
 أَبَالُمُكْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُدَ فِيكُمْ أَلَا رَبُّ مُلْكٍ قَدْ أُزِيلَ فَرَالَا
 أَلَا رَبُّ دَارٍ قَدْ تَحَمَّلَ أَهْلَهَا فَأُصْحَتُ قَفَارًا وَالْقِفَارُ^(٧) حِلَالَا

قال إسحاق بن محمد الأزرق : دخلتُ على منصور بن جُهور السكَّلي^(٨) بعد
 قتل الوليد بن يزيد ، وعنده جاريتان من جوارى الوليد ، فقال لي : أسمع من
 هاتين الجاريتين ما يقولان . قالتا : قد حدَّثناك . قال : بل حدِّثنا كما حدَّثتني .
 قالت إحداهما : كنَّا أعزَّ جواريه عنده ، فنسكح هذه وجاء المؤذنون يؤذنون
 بالصلاة ، فأخرجها وهي سَكْرَى جُنْبَةٍ مَتَلِّمَةٌ فصلت بالناس .

(١) في بعض الأصول : « بنوهم يعطونها » .

(٢) فيما مر (ج ١ ص ١٢) من هذه الطبعة : « عمرو بن عتبة » وانظر الحاشية

(رقم ٨) في الموضوع المتقدم .

(٣) كذا في بعض الأصول : وفيما مر من الجزء الأول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٩٢) .

والذي في سائر الأصول : « الأمن » .

(٤) في بعض الأصول : « وتسقني إليك » مكان « وتسكيتني » .

(٥) في بعض الأصول « قبلا » .

(٦) في الأغاني (ج ٨ ص ٧٩ طبعة دار الكتب) : « والطلاء وقينة * وكأسا »

(٧) في أكثر الأصول : « والديار خللالا » .

(٨) في بعض الأصول : « منصور بن جهور الأزدي » . وما أثبتنا من سائر الأصول

والطبري وابن عساكر (ج ٤٣ ص ٤١٩) . وكان خرج مع يزيد بن الوليد ،

وولاه يزيد العرافين وجمع له المصريين : الكوفة والبصرة . وكان ممن سمي

في قتل الوليد بن يزيد .

مقتل الوليد بن يزيد

إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني عبدُ الله بن واقد الجرمي ، وكان شهيداً قتل الوليد ، قال : لما أجمعوا على قتله ، قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأتى أخاه العباس ليلا فشاوره في قتل الوليد ، فنهاه عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق في أربعين رجلا ، فكسروا باب المقصورة ، ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحمل يزيد الأموال على العجل إلى باب المضار ، وعقد لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ونادى مُناديه : من أنتدب إلى الوليد فله ألفان ، فأنتدب معه ألفارجل ، وضم مع عبد العزيز بن الحجاج يعقوب بن عبد الرحمن ، ومنصور بن جمهور^(٢) . وبلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذلك ، فتوجه من البلقاء إلى حمص ، وكتب إلى العباس بن الوليد أن يأتيه في جند من أهل حمص ، وهو منها قريب ، وخرج الوليد حتى انتهى إلى قصر في بَرية ورمل من تدمر على أميال ، وصبغت الخيل الوليد بالبخراء^(١) . وقدم العباس بن الوليد بغير خيل ، فحبسه عبد العزيز ابن الحجاج خلفه ، ونادى مُنادى عبد العزيز : من أتى العباس بن الوليد فهو آمن ، وهو بيننا وبينكم . وظن الناس أن العباس مع عبد العزيز ، فتفرقوا عن الوليد ، وهجم عليه الناس . فكان أول من هجم عليه السري بن زياد بن أبي كبشة السكسكي ، وعبد السلام اللخمي ، فأهوى إليه السري بالسيف ، وضربه عبد السلام على قرنه فقتل .

قال إسماعيل : وحدثني عبدُ الله بن واقد قال : حدثني يزيد بن أبي فرّوة مولى بني أمية ، قال : لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد ، قال لي : انصبه للناس ، قلت : لا أفعل ، إنما ينصب رأس الخارج . فحلف ليُنصب ولا ينصبه

(١) في بعض الأصول : « الصحراء » . . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٥٢ من هذا الجزء) .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٦٠) من هذا الجزء .

غيرى . فوُضِعَ على رُمحٍ ونُصِبَ على دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ . ثم قال : أذهب
فطُفَّ به في مدينة دمشق .

خليفة بن خياط قال : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا
بالوليد أخذ المصحف وقال : أقتل كما قُتِلَ ابن عمي عثمان .

- ٥ أبو الحسن المدائني قال : كان الوليدُ صاحبَ لهُو وصَيِّدِ وشرابٍ ولذاتٍ .
فلما ولى الأمرَ جعل يكره المواضع التي يراه الناسُ فيها ، فلم يدخل مدينةً
من مدائن الشام حتى قُتِلَ ، ولم يزل يتنقل ويتصيّد حتى ثَقُلَ على الناس وعلى
جُنْدِهِ . وأشدتد على بني هشام ^(١) وأضرَّ بهم ، وضرب سليمان بن هشام مائة سوطاً ،
وحلق رأسه ولحيته ، وغرَّبه إلى عُمان ، فلم يزل محبوساً حتى قُتِلَ الوليد . وحبس
يزيد بن هشام ، وهو الأقم ، وزمَّاه بنو هشام ^(١) وبنو الوليد . وكان أشدَّهم قولاً
فيه يزيد بن الوليد ، وكان الناسُ إلى قوله أميل ، لأنه كان يُظهر النُّسك . ولما
دفع الوليدُ خالد بن عبد الله القسريّ إلى يوسف بن عمر فقتله ، غَضِبَتْ له
البياتية كُلُّها وغيرُهم ، فاتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأرادوه على البيعة
وخلَعُ الوليد ، فأمتنع عليهم وخاف أن لا تُبايعه الناس ، ثم لم يزل الناسُ به
حتى بايعوه سرّاً .

١٥

ولما قُتِلَ الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : أيها الناس ، إني والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ،
ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطراء نَفْسِي ، وتزكية عَمَلِي ، وإني لأظلم لنفسي
إن لم يَرَحْمَنِي ربي ، ولا كُنْتَنِي خرجتُ غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتاب الله
وسنة نبيّه ، حين دَرَسْتُ معالم الهدى ، وطَفَيْتُ نور التقوى ، وظهر الجبار
العنيد ، المُسْتَحِلَّ للحُرْمَةِ ، والرَّأكِبَ للبدعة ، والمُغَيِّرَ للسنة ، فلما رأيتُ ذلك
أشفقتُ أن غَشِيَتْكُمْ ظلمة لا تُقْلَعُ عنكم ، على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من

٢٠

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثيرا من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه من أجا به
منكم ، فاستخرت الله في أمري ، وسألته أن لا يبكأني إلى نفسي ، ودعوت
إلى ذلك من أجا بن من أهلي وأهل ولايتي ، وهو ابن عمي في نسبي ، وكفني
في حسي ، فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولاية من الله وعونا^(١) ، بلا
حوول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته ، وولايته وعونه^(٢) . أيها الناس :
إن لكم عليّ إن وليت أموركم أن لا أضع لينة على لينة ، ولا حجرا على حجر ،
ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد ، حتى أسد ثغره ، وأقسم بين أهله ما يقوون به ،
فإن فضل رددته إلى أهل البلد الذي يليه ، ومن هو أحوج إليه ، حتى تستقيم
العيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ، ولا أجمركم في بعوثكم^(٣) فتفتنوا
ويفتن أهاليكم ، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن
ملت فلا بيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحدا هو أقوى عليها مني فأردتم بيعته فأنا
أول من بايع ودخل في طاعته ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وقال خلف بن خليفة في قتل الوليد بن يزيد : لقتل^(٤) خالد بن عبد الله :

لقد سكتت كلب وأسياف^(٥) مذحج صدق كان يرقو^(٦) ليله غير راقد
تركننا^(٧) أمير المؤمنين بخالد^(٨) مكيبا على خيشومه غير ساجد
فإن تقطعوا منا مناط فلادة قطعنا بها منكم مناط قلاند
وإن تشغلوه عن أذان^(٩) فأننا شغلنا الوليد عن غناء الولاند

(١) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .

(٢) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزته » .

(٣) جمر الجيش : حبسه في أرض العدو ولم يقله . وفي بعض الأصول : « ولا أحد
يعوزكم » .

(٤) في بعض الأصول . « يقول في قتل » مكان « لقتل » .

(٥) في الطبري (ج ٦ ص ٥٦٣) طبعة الاستقامة : « وإسباق » .

(٦) زقا الصدي : صاح .

(٧) في بعض الأصول : « تركن » . (٨) في بعض الأصول : « جليلة » .

(٩) كذا في بعض الأصول . والذي في سائر الأصول والطبري : « وإن تشغلونا عن ندانا » .

ولاية يزيد الناقص

ثم بُويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين ومائة. وأمه أبنة يزيد بن كسرى^(١)، سبأها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف، فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك، فأخذها فولدت له يزيد الناقص، ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك.

قال عبد العزيز: بُويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة، ومات ولم يبلغ الأربعين، وعلى شرطته بكير بن الشماخ اللخمي^(٢). وكاتب الرسائل ابن سليمان ابن سعد^(٣). وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو، من أهل اليمن. وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد السكبي، ويقال قطن، مولاه.

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد بالجزيرة، وبلغه عنه تلكا في بيعته: أما بعد. فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فأعتمد على أيهما شئت، والسلام. ثم قطع إليه البعوث^(٤)، وأمرهم بالعطاء. فلم ينقص عطاؤهم حتى مات يزيد.

ولما بلغ مروان أن يزيد قطع البعوث إليه كتب ببيعته، وبعث وفدًا

(١) الذي في الطبري أن اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزيد بن شهر يار بن كسرى. والذي في مروج الذهب أن أمه سارية بنت فيروز.

(٢) في بعض الأصول: « بكير بن عثمان الحسبي ».

(٣) هو ثابت بن سليمان بن سعد الحشبي، كما في الطبري. وفي بعض الأصول: « ابن أبي سليمان ».

(٤) البعوث: جمع بعث (بالفتح وبمحرک): الجيش؛ ويقال: قطع بعثًا، إذا أفرد قوما ببعثهم في الغزو ويعينهم من غيرهم.

عليهم سليمان بن علانة العقيلي^(١). فخرج، فلما قطعوا الأفرات لقيهم يزيد بموت يزيد، فانصرفوا إلى مروان بن محمد، والله أعلم.

ولاية إبراهيم بن الوليد المخلموع

العلاء بن يزيد بن سنان قال: حدثني أبي قال: حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأناه قطن، فقال: أنا رسول من وراء بابك، يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد. فعضب وضرب بيده على جبهته وقال: أنا أولى إبراهيم! ثم قال لي: يا أبا العلاء، إلى من ترى أن أعهد؟ قلت: أمر نهيتمك عن الدخول في أوله، فلا أشير عليك بالدخول في آخره. قال: فأصابته إغماءة حتى ظننت أنه قد مات، ففعل ذلك غير مرة، ثم خرجت من عنده. ١٠

فقد قطن وأفتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد، ودعا ناساً فأشهدهم عليه. قال: والله ما عهد إليه يزيد شيئاً ولا إلى أحد من الناس^(٢). وقال يزيد في مرضه: لو كان سعيد بن عبد الملك قريباً مني لرأيت فيه رأيي.

١٥ وفي رواية أبي الحسن المدائني، قال: لما مرض يزيد قيل له: لو بايعت لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده؟ فقال له قيس بن هاني العبسي: أتق الله يا أمير المؤمنين، وانظر لنفسك، وأرض الله في عباده، فأجعل ولي عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك. فقال يزيد: لا يسألني الله عن ذلك، ولو كان سعيد بن عبد الملك مني قريباً لرأيت فيه رأيي.

٢٠ وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان. فألحت القدرية عليه

(١) الذي في الطبري: «محمد بن عبد الله بن علانة العقيلي».

(٢) في بعض الأصول: «فقد قطن فافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناساً فأشهدهم عليه، فقال: إني والله ما عهد لي إبراهيم ولا إلى أحد من الناس».

وقالوا : لا يحل لك إهمالُ أمر الأمة ، فبايع لأخيك إبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده . فلم يزالوا به حتى بايع لإبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده .

ومات يزيدُ عشرَ بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة . وكانت ولايته خمسة أشهر وأثنى عشر يوماً^(١) .

فلما قدم مروان نبش يزيدَ من قبره وصلبه . وكان يُقرأ^(٢) في السكتب : يا مُبْدِرَ الكُنُوزِ ، يا سَجَادَ الأَسْحَارِ ، كانت ولايتك لهم رحمة ، وعليهم حُجَّة . نبشوك فصلبوك .

وبويع إبراهيم بن الوليد ، وأمه بَرْبَرِيَّة ، فلم يتم له الأمر ، وكان يدخل عليه قومٌ فيسلمون بالخلافة ، وقوم يسلمون بالإمرة ، وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بإمرة ، وجماعة تُبايع ، وجماعة يَأْبُونَ أن يبايعوا . فسكت أربعة أشهر ، حتى قدم مروانُ بن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، وولى الأمر بنفسه .

وفي رواية خليفة بن خياط قال : لما أتى مروانُ بن محمد وفاة يزيدَ بن الوليد دعا قيساً وربيعة ، ففرض لستة وعشرين ألفاً من قيس ، وسبعة آلاف من ربيعة ، وأعطاهم أعطياتهم ، وولى على قيس إسحاق بن مسلم العُقَيْلي ، وعلى ربيعة المساور بن عُقبة ، ثم خرج يريد الشام ، وأستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد بن مروان ، فتلقاه وجوه قيس^(٣) : الوثيق بن الهذيل بن زُفَر ، ويزيد بن عمر^(٤) بن هُبيرة الفزاري ، وأبو الوَرْد بن الهذيل بن زفر ، وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهاللي ، في خمسة آلاف من قيس . فساروا معه حتى قدم حلب ، وبها بشر ومسرور ، ابنا الوليد بن عبد الملك ، أرسلهما إبراهيم بن

(١) تقدم هذا الخبر (ص ٤٦٤) من هذا الجزء :

(٢) في البيان (ج ٢ ص ٧٠) : « وكانوا يقرءون في السكتب » .

(٣) في بعض الأصول : « قريش » .

(٤) في بعض الأصول : « عمرو » . والتصويب من سائر الأصول والطبرى .

الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد ، فالتقوا ، فانهزم بشرّ ومسرور من ابن محمد من غير قتال ، فأخذها مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حِصص ، فدعاهم للمسير معه والبيعة لولي العهد . الحكم وعثمان ، ابني الوليد بن يزيد ، وهما محبوسان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فبايعوه ، وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد . وبلغ عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو مُعسكر في ناحية عين^(١) الجَرّ ، فأقبل إلى دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية وتهبأ للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يُريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما في السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر ، والحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وهما الحَمَلان^(٢) ، وأتاهم رسول إبراهيم ، فتوجه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليُخرج عياله ، فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه ، فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية^(٣) ، وكان محبوساً مع يوسف بن عمر وأصحابه ، فأخرجوه ووضعوه على المنبر في قيوده ، ورأس عبد العزيز بين يديه ، وحلوا قيوده . فخطبهم وبايع مروان وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجثّة عبد العزيز فصُلبت على باب الجابية منكوساً ، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد . واستأمن أبو محمد لأهل دمشق ، فأتمهم مروان ورضى عنهم . وبلغ إبراهيم فخرج هارباً حتى أتى

(١) عين الجرّ : موضع معروف بالبقيع بين بعلبك ودمشق . وفي بعض الأصول وابن عساكر (ج ٤١ ص ١٨٣) تيمور : « في ناحية أخرى » . وفي سائرها : « الرى » تحريف . والعبارة كما في ابن عساكر : « حتى أتى عسكر سليمان بن هشام ابن عبد الملك بالعذراء (قرية بغوطة دمشق) فانهزم سليمان بن هشام بعد قتال شديد . وبلغ عسكر العزيز ... في ناحية أخرى » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كذا في بعض الأصول وابن عساكر . والذي في سائر الأصول : « غلامان » .

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص ٤٤٩) من هذا الجزء .

مروان فبايعه وخلع نفسه ، فقبيل منه وأمنه ، فسار إبراهيمُ فنزل الرقة على شاطئ الفرات ، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه ، فأمنه ، فأتاه فبايعه . وأستقامت لمروان بن محمد . وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد الخلويع أشهراً . قال أبو الحسن : شهرين ونصفاً .

ولاية مروان بن محمد بن مروان

ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . أمه بنت إبراهيم بن الأشتر . قال بعضهم : بل كانت أمه لخباز لمصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر . واسم الخباز رزبا ، وقال بعضهم : كان رزبا عبداً لمسلم بن عمرو^(٥) الباهلي . وقال أبو العباس الهلالي^(١) حين دخل على أبي العباس السفاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول صلى الله عليه وسلم وإن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزمَ بنى مروان وأنجدهم وأبلغهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مُدبر عنهم .

ودُفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس ، وهي :

ألا فتيان من مضر فيحتموا أسارى في الحديد مكبتينا
أنذهب عامرٌ بدمي ومُلْكِي^(٢) فلا غمًا أصبت ولا سميننا
فإن أهلك أنا وولى عهدي فروان أمير المؤمنيننا
فأرثت لاعدمتك حرب قيس فتخرج منهم الداء الدفيننا
الآن من مبلغ مروان عني وعمى الغم طال بذا حنيننا
بأنى قد ظلمت وطال حبسنا لدى البخراء^(٣) في لحف مهيننا

٢٠ (١) في بعض الأصول « مسلم بن عمر الباهلي » .
(٢) في الطبري (٣ : ٥١) : « عبد الله بن عباس المتوفى » .
(٢) في الطبري (٢ : ١٨٩١) ؛ « أذهب كليهم بدمي ومالي » .
(٣) في بعض الأصول : « الخضراء » .

وَقَتْلُ مَرْوَانَ بُوصَيْرٍ^(١) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ .

الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن المغيرة عن أبيه ، وأبو اليقظان قالوا :
وُلِدَ مَرْوَانُ بِالْحِزْبَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَقُتِلَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ يُقَالُ لَهَا
بُوصَيْرٌ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِحَسِّسِ بْنِ مَرْوَانَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَتْ لِوَالِدَتِهِ خَمْسَ سَنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَأُمُّ مَرْوَانَ أُمَّةٌ لِمُصْعَبِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ . وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِينَ سَنَةً .

ولد مروان

عبدُ الملك ، ومحمد ، وعبد العزيز ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأبان ، ويزيد ،
ومحمد الأصغر ، وأبو عثمان . ١٠

وكاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، مولى بني عامر بن لؤي ، وكان معلماً .
وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن عُلَّانَةَ ، وعلى شُرطته الكوثر بن عتبة
وأبو الأسود الغنوي . وكان للحرس نوب ، في كل ثلاثة أيام نوبة ، يلي ذلك
صاحبُ التَّوْبَةِ . وعلى حِجَابَتِهِ صَقْلًا وَمَقْلَاصَ . وعلى الخاتم الصغير عبد الأعلى
ابن ميمون بن مهران ، وعلى ديوان الجند عمران بن صالح ، مولى بني هذيل . ١٥

مقتل مروان بن محمد بن مروان

قالوا : والتقى مروان وعامر بن إسماعيل بُوصَيْرٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَقَاتَلُوهُم
لَيْلًا ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ ، ابْنَا مَرْوَانَ ، وَأَقْفَانَ نَاحِيَةَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ،
فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ أَهْلُ خُرَاسَانَ فَأَزَلُّوا عَنْ مَرَاكِبِهِمْ ، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى

(١) أبو صير (بكسر الصاد وواو ساكنة وراء) : اسم لأربع قرى بمصر : بوصير
(قوريدس) من كورة الأشمونين ، وبوصير (الصدر) ، بليدة في كورة الجيزة ،
وبوصير (دخدنو) من كورة الفيوم ، وبوصير (بنا) ، من كورة السنودية . والأولى
هي التي قتل بها مروان . (انظر معجم البلدان) . ٢٠

رَدُّوهم إلى عَسْكَرهم ورجعوا إلى موقفهم . ثم إن أهل الشام بدَّوهم فحملوا على أهل خراسان ، فكشفوا كشفًا قبيحًا ، ثم رجعوا إلى أمَّاكنهم ، وقد مضى عبیدُ الله وعبدُ الله ، فلم يروا أحدا من أصحابهم ، فمضوا على وجوههم وذلك في السَّحَر . وُقُتل مروان وأُنهزم الناسُ ، وأخذوا عسکر مروان وما كان فيه ، وأصبحوا فاتبعوا الغلَّ وتفرَّق الناس ، فجعلوا يقتلون من قَدروا عليه ، ورجع أهلُ خراسان عنهم . فلما كان الغدُ لحق الناسُ بعبد الله وعبید الله ابني مروان وجعلوا يأتونهما مُتقطعين العشرة والعشرين وأكثر وأقلَّ ، فيقولان ^(١) : كيف أمير المؤمنين ؟ فيقول بعضهم : تركناه يُقاتلهم ، ويقول بعضهم : انحاز وثاب إليه قومٌ ، ولا ينعونه ، حتى أتوا الحرونَ ، فقال : كنت معه أنا ومولَى له فصرع فجررتُ رجله ، فقال : أوجعتني . فقاتلت أنا ومولاه عنه ^(٢) ، وعلموا أنه مروان ، فألحوا عليه ، فتركته ولحقتُ بكم . فسكى عبدُ الله . فقال له أخوه عبیدُ الله : يا أُمَّ الناس ! فررتَ عنه وتبسكى عليه ! ومضوا . فقال بعضهم : كانوا أربعة آلاف ، وقال بعضهم ؟ كانوا ألفين . فأتوا بلادَ النوبة ، فأجرى عليهم ملكُ النوبة ما يُصلحهم ، ومعهم أمُّ خالد بنت يزيد وأمُّ الحكم بنت عبید الله — صبيَّة جاء بها رجلٌ من عسکر مروان حين أنهزموا فدفعها إلى أبيها — ثم أجمع ابنا مروان على أن يأتيا اليمن وقالا : نأتيا قبل أن يأتيا للسوِّدة ^(٣) ، فنتحصن ^(٤) في حصونها ونَدعو الناس . فقال لهم صاحبُ النوبة : لا تفعلوا ، إنكم في بلاد السودان وهم في عدد كثير ، ولا آمن عليكم ، فأقيموا ، فأبوا . قال : فاكتبوا إلى كتّابا ، فكتبوا له : إنا قدِمنا بلادك فأحسنتَ مَثوانا وأشرتَ علينا أن لا نخرج من بلادك فأبدينا وخرَجنا من عندك وافرَّين راضيين شاكرين لك بطيبِ أنفسنا . وخرجوا ، فأخذوا في بلاد العدو . فكانوا ربما عَرَضوا لهم

(١) في بعض الأصول : « ويقولون » .

(٢) في بعض الأصوات : « عليه » . (٣) في بعض الأصول : « السودان » .

(٤) في بعض الأصول : « فلنتحصن » .

ولا يأخذون منهم إلا السلاح ، وأكثر [من] ذلك لا يعرضون له ^(١) . حتى أتوا بعض بلادهم ، فتلقاهم عظيمهم فأحتبسهم ، فطلبوا الماء ، فمنعهم ولم يُقاتلهم ولم يُخاتمهم وعطشهم ، ركان يبيعهم القربة بخمسين درهما ، حتى أخذ منهم مالا عظيما . ثم خرجوا فصاروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقتين ، فسلك عبد الله أحدهما في طائفة ، وسلك عبيد الله الآخر في ^(٢) طائفة أخرى ، وظنوا أن للجبل غايةً يقطعونها ثم يجتمعون ^(٣) عند آخرها ، فلم يلتقوا . وعرض قوم من العدو لعبيد الله وأصحابه فقاتلهم ، فقتل عبيد الله ، وأخذت أم الحكم بنته ، وهي صبية ، وقتل رجل من أصحابه ، وكفوا عن الباقيين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش ، فجعلوا يتسكبون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الأيام ، فتَمْضى طائفة وتقيم الأخرى ^(٤) ، حتى بلغ العطش منهم ، فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون أكراسها فيشربونه ، حتى وصلوا إلى البحر بحيال المنذب ^(٥) ، ووافاهم عبد الله وعليه مقرمة ^(٦) قد جاء بها . فكانوا جميعاً خمسين أو أربعين رجلا ، فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون ، وعقمان ، مولى بنى هاشم ^(٧) ، فعبر التجار السفن ، فعبروا بهم إلى المنذب ^(٨) ، فأقاموا بها شهراً فلم تحملهم ، فخرجوا إلى مكة . وقال بعضهم : أعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وجياب ^(٩) الأكرياء ، حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشى . فمروا بقوم ، فرقوا لهم فملوهم . وفارق الحجاج عبد الله بجدة . ثم حجوا وخرجوا من مكة إلى تبالة ^(١٠) . وكان على عبد الله فص أحمر كان قد غيبه حين عبر إلى المنذب ،

(١) في أكثر الأصول : « لهم » . (٢) في بعض الأصول : « مع » .

(٣) في بعض الأصول : « يجتمعون بهم » .

(٤) في بعض الأصول : « طائفة » . (٥) في بعض الأصول : « بحيال علاقة المنذب » .

(٦) المقرمة : ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ سترا .

(٧) في بعض الأصول : « مولى بنى سلم » .

(٨) في أكثر الأصول : « فعبروا إليهم البحر في السفن فمشوا إلى المنذب » .

(٩) في بعض الأصول : « وثياب » .

(١٠) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا .

فلما أُمنِ أَسْتخرجه ، وكانت قيمته ألف دينار ، وكان يقول وهو يمشى : ليت به دابة حتى صار في مقرمة^(١) تكون عليه بالنهار ويلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبد الله ، قاتلوا فكان أشد الناس ، ومشوا فكان أقوام ، وجاعوا فكان أصبرهم ، وجعروا فكان أحسنهم عرياً . وبعث ، وهو بالمنذب ، إلى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيد الله ففدأها وردّها إليه ، فكانت معه . ثم أخذ عبد^(٢) الله فقدم به على المهدي ، فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم ، فكلمت العباس بن يعقوب ، كاتب عيسى بن علي ، وأعطته أولواً ليكلّم فيه عيسى : فكلمه وأعلمه بما أعطته ، فلم يُكلّم فيه عيسى بن علي المهدي ، وأراد المهدي أن يقتله^(٣) ، فقال له عيسى : إن له في أعناقنا بيعة ، وقد أعطى كاتبى قيمة ثلاثين ألف درهم ، فحبسه المهدي^(٤) .

وكان عبد الله بن مروان تزوج أم يزيد بنت يزيد بن محمد بن مروان ، وكانت في الحبس ، فلما أخرجهم العباس خرجت إلى مكة ، فأقامت بها ، وقدم عبد الله بن مروان سرّاً فتزوجها .

وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب ، فقال لي يوماً : أين عزبت عنا حلومنا في نساننا ! ألا زوجناهم من أكفأهن من قریش فكفينا مؤتمن اليوم .

وقال : بعض آل مروان ، ما كان شيء أنفع لنا في هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذي يساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يُخرجه الصبي والخادم فيبيعه ، وكنا لا نستطيع أن نظهر الجوهر الثمين الذي له قيمة كثيرة .

(١) في بعض الأصول . « في مرقعة » . وانظر الحاشية (رقم ٦ ص ٤٧١) .

(٢) في بعض الأصول : « عبيد الله » تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « أن يخليه » .

(٤) ذكر ابن عساكر هذه القصة منسوبة إلى عبيد الله ثم قال : وقد قيل إن الذي حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه وعبيد الله قتلته النوبة ، وذكر أيضاً أن الذي كلف فيه المهدي لإسماعيل بن علي ، إذ قال للمهدي حين أراد قتله : « في عنقك له بيعة . قال : فإذا ترى ؟ قال : تنزله في دار من دورنا وتجرى عليه ما تجرى على مثله . قال : ففعل ذلك به . فوالله ما أدري أمات في حبسه أم أطلقه المهدي » .

وقال مصعب بن الربيع الخثعمي كاتب مروان بن محمد : لما أُنهزم مروانُ وظَهَرَ عبدُ الله بن عليّ على أهل الشام طلبتُ الإذنَ ، فأناعنده يوماً جالس وهو متسكى^(١) ، إذ ذكر مروانُ وانهزماه ، فقال : شهدتَ القتالَ ؟ قلت : نعم ، أصلح اللهُ الأميرَ ، وقال لي مروانُ : أحزُرُ^(٢) القومَ ، فقلت : إنما أنا صاحبُ قلمٍ ولستُ بصاحبِ حربٍ ، فأخذَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ثم نظرَ فقال لي : هم اثنا عشرَ ألفَ رجلٍ .

وقال مصعب : قيل لمروان : قد أنتهب بيت المال الصغير . فأصرفَ يريد بيتَ المالِ . فقيل له : قد أنتهب بيتَ المالِ الأكبر^(٣) ، اتهبه أهلُ الشامِ .

وقال أبو الجارود السلمي : حدثني رجلٌ من أهل خراسان قال : لقينا مروانَ على الزاب ، فحمل علينا أهلُ الشامِ كأنهم جبالُ حديدٍ ، فجعثونا على الرُّكَبِ وأشرعنا الرماحَ ، فزالوا عنَّا كأنهم سحابةٌ ، ومَدَحَنَا اللهُ أكتافهم ، وانقطعَ الجسرُ مما يليهم حينَ عبروا ، فبقى عليه رجلٌ من أهل الشامِ ، فخرج إليه رجلٌ منَّا ، فقتله الشاميُّ . ثم خرج إليه آخرَ فقتله ، حتى والى بين ثلاثة . فقال رجلٌ منَّا : اطلبوا إلى سميناً قاطعاً وترساً صلباً ، فأعطيناه ، ومشي إليه فضربه الشاميُّ ، فأتقاه بالترسِ ، وضربَ رجله فقطعها وقتله ورجع ، فحملناه وكبرنا ، فإذا هو عبيد الله السكابيُّ .

سمَرَ المنصورُ ذاتَ ليلةٍ فدَكَرَ خلفاءَ بني أمية وسيرهم . وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، وكانت همتهم مع^(٤) عِظَمِ شأنِ الملكِ وجماله قدره ، قصدَ الشهواتِ وإيثارَ اللذاتِ والدخولَ في معاصي الله

(١) في بعض الأصول مكان قوله « وقال مصعب » إلى قوله « وهو متسكى » : « وقال عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب : كنت عند عبد الله بن علي ، وقد طلبت الأمن فأمنني . فإني يوماً جالس عنده وهو متسكى » وقد روى ابن عساکر القصة لمصعب (ج ٤١ ص ٤٣٥ — ٥٣٦) متفقاً مع أكثر الأصول .

(٢) الحزُر : التقدير ، والفعل من باب نصر وضرِب .

(٣) في بعض الأصول : « الأعظم » .

(٤) في بعض الأصول : « مهمهم من » .

- ومساخطه ، جهلاً بأستدراج الله وأمثا لمكره ، فسلبهم الله العزَّ ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن عليّ : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن مروان لما دخل الثوبية هارباً فيمن تبعه ، سأله ملكُ الثوبية عنهم ، فأخبر ، فركب إلى عبد الله ، فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعوه من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك ؟
- فأمر المنصورُ بإحضاره وسأله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمنا أرض الثوبية وقد خبّر الملكُ بأمرنا ، فدخل عليّ رجلٌ ألقى الأنف طوالَ حسنُ الوجه ، فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب . فقلت : ما يمنعك أن تقعد علي ثيابنا ؟ قال : لأني ملكٌ وبحقّ عليّ الملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله .
- ثم قال : لأى شيء تشربون الخمر وهي محرّمة عليكم ؟ قلتُ : اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا وأتباعنا لأن الملك قد زال عنا^(١) . قال : فلم تطؤون الزروع بدوابكم والفسادُ محرّم عليكم في كتابكم ؟ قلتُ : يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا مجاهلهم .
- قال : فلم تلبسوا الديباج والخير وتستمعون الذهب والفضة ، وذلك محرّم عليكم ؟ قلتُ : ذهب الملكُ عنا وقلّ أنصارنا ، فانتصرنا بقومٍ من العجم دخلوا في ديننا ، فلمسوا ذلك على السكره منّا . قال : فأطرق مليّاً وجعل يقلب يده وينسكت الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وقومٌ دخلوا في ديننا وزال الملكُ عنا ! يردده مراراً . ثم قال : ليس ذلك كذلك ، بل أتم قومٌ قد استحلّتم ما حرّم الله ، ورَكِبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملككم ، فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذلّ بذنوبكم ، والله فيكم نعمة لم^(٢) تبلغ غايتها ، وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام ، فتزوّدوا ما أحتجتم وأزّتحلوا عن بلدى .

(١) العبارة في ابن عساكر (ج ٢٥ ص ٤٤٦) : « فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم

دخلوا في ملكنا من غير رأينا » .

(٢) في بعض الأصول : « لن » .

أخبار الدولة العباسية

الهيثم بن عدى قال : حدثني ابن عيَّاش^(١) قال : حدثني بكبير أبو هاشم ، مولى مسleme^(٢) قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سرّ ودعوة باطنية منذ قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ولم يزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك .

وقيل لبعض بني أمية : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : اختلفنا فيما بيننا ، واجتمع المختلفين علينا .

الهيثم بن عدى قال : حدثني غير واحد من أدركت من المشايخ أن علي ابن أبي طالب أصر الأمر إلى الحسن ، فأصاره الحسن إلى معاوية ، وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن علي صار أمر الشيعة إلى محمد بن الحنفية — وقال بعضهم : إلى علي بن الحسين — ثم إلى محمد بن علي ، ثم إلى جعفر بن محمد . والذي عليه الأكثر أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . فلم يزل قائماً بأمر الشيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويؤدّون إليه الخراج ، حتى استخلف سليمان بن عبد الملك ، فاتاه وانداً ومعه عدة من الشيعة ، فلما كلمه سليمان ، قال : ما كلمت قط قرشياً يشبه هذا ، وما نظن الذي كنّا نحدث عنه إلا حقاً ، فأجازه ، وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين ، فلما كان ببلاد لحم وجذام ضربوا له أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم ، فسكّما مرّ بقوم قالوا : هل لكم في الشراب ؟ قال : جزيتم خيراً ، ثم بأخرين ، فعرضوا عليه ، فقال : هاتوا ، فلما

٣٥٢
٢

١٠

١٥

(١) في بعض الأصول : « عباس » . تحريف . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ طبعة أوربة) .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٦٩) وياقوت في معجم البلدان (ج ٤ ص ٩٦٩) والسمعاني في كتابه الأنساب في رسم (الهرمز فرهي) بكيرا هذا ، ولم يصر واحد منهم إلى أنه ، مولى لسلمة .

٢٠

- شَرِبَ واستقرَّ بجوفه ، قال لأصحابه : إني مَيِّتٌ فانظُرُوا مِن القوم ؟ فنظروا فإذا هم قد قَوَّضُوا أبنيتهم وذَهَبُوا . فقال : ميلوا بي إلى ابن عمي ، وما أحسبني أدركه . فأسرعوا [السير] حتى أتوا الحُمَيْمَةَ ^(١) من أرض الشَّرَاة ، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يا ابن عمي ، إني مَيِّتٌ ، وقد صرتُ إليك وأنت صاحبُ هذا الأمر ، وولدك القائم ^(٢) به ، ثم أخوه من بعده ، والله لِيُتِمَّنَ اللهُ هذا الأمرَ حتى تَخْرُجَ الراياتُ السود من قَعْرِ خُرَّاسان ، ثم لِيَغْلِبَنَّ [علي] ما بين خَضْرَموت وأقصى إفريقية ، وما بين الهند ^(٣) وأقصى فَرَغانة ^(٤) . فعليك بهؤلاء الشيعة واستتوص بهم خيراً ، فهم دعائِكُ وأنصارُك . ولتكن دعوتُك خُرَّاسان ولا تَعُدَّها ، لا سيما مرَّو ؛ وأستبطن هذا الحيَّ من البين ، فإنَّ كلَّ مُلْكٍ لا يقوم به فصيره إلى أنتقاض ، وانظُرْ هذا الحيَّ من ربيعة فألحقهم بهم ، فإنهم معهم في كل أمر ؛ وانظُرْ هذا الحيَّ من قيس وتميم فأقصهم ، إلا من عصم الله منهم ، وذلك قليل ؛ ثم مرَّهم أن يرجعوا فليجعلوا اثني عشرَ نقيباً ، وبعدهم سبعين نقيباً ، فإن الله لم يُصلح أمرَ بني إسرائيل إلا بهم ، وقد فعل ذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم . فإذا مضت سنة الحِمَارِ فوجَّه رُسُلُك في خُرَّاسان ، منهم من يُقتل ومنهم من ينجو ، حتى يُظهر الله دعوتَك . قال محمد بن علي : يا أباهاشم ، وما سنة الحِمَارِ ؟ قال : إنه لم تمض مائة سنة من نبوة قط إلا أنتقمض أمرُها ، لقول الله عز وجل : « أو كالتذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها . قال أني يُحْيِي هذه الله بعد موتها . فأمانه الله مائة عام ثم بعثه » إلى قوله : « وانظُرْ إلى حِمَارِكِ ولنَجْعَلَ آيةً للنَّاسِ » . واعلم أنَّ صاحب هذا الأمر من ولدك عبدُ الله بن

٢٠ (١) الحُمَيْمَةُ : (بلفظ التصغير) : بلد من أرض الشَّرَاة من أعمال عمان في أطراف الشام ، كان منزل بني العباس . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : « الحُمَيْمَةُ »
 (٢) يريد ولديه أبا العباس عبد الله ثم أخاه أبا جعفر عبد الله . وسيأتي ذكرهما قريباً .
 (٣) في بعض الأصول : « غانة » .
 (٤) فرغانة (بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون) : مدينة وكورة واسعة مما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . (انظر معجم البلدان) .

الهارثية ، ثم عبد الله أخوه . ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله ، فولد له من الهارثية ولدان سُمي كل واحد منهما عبد الله ، وكفى الأ كبر أبا العباس ، والأصغر أبا جعفر ، فوليا جميعاً الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالأمر بعده ، فاختلفت الشيعة إليه ^(١) . فلما ولد أبو العباس أخرجهم في خرقه ، وقال لهم : هذا صاحبكم ، فعملوا يلحسون أطرافه ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فأخبروه أنهم حبسوا بخراسان في السجن ، وكان يخدمهم فيه غلام من السرايين ^(٢) مارأوا قط مثل عقله وظرفه ومحبته في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : أبو مسلم . قال : أحر أم عبد ؟ قال : أما عيسى ^(٣) فيزعم أنه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حر . قال : فاشتروه وأعتقوه وأجعلوه بينكم إذ رضيتموه . وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف كانت معهم .

فما انقضت المائة السنة بعث محمد بن علي رُسُلَه إلى خراسان فغرسوا بها عرساً ، وأبو مسلم المُقدم عليهم ، وثارت الفتنه في خراسان بين المضربة واليمانية ، فتمكّن أبو مسلم وفرّق رُسُلَه في كور خراسان يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان لهشام بن عبد الملك ، فكان يكتب لهشام بخبرهم ، وتمضى كتبه إلى ابن هبيرة صاحب العراق ليُنْفِذها إلى أمير المؤمنين ، فكان يَحْبِسها ولا يُنْفِذها لثلاثي يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان في ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام كتب كتاباً وأمضاه إلى هشام على غير طريق ابن هبيرة ، وفي جوف الكتاب هذه الأبيات مُدرّجة ^(٤) ، يقول فيها :

(١) يريد شيعة بني العباس . وفي بعض الأصول : « الشيعة إليهم » .

(٢) السراج : بائع السروج وصانها .

(٣) لعله عيسى بن معقل العجلي . (انظر الطبري ٢ : ١٨٢٦) .

(٤) يقال : أدرج الكتاب في الكتاب ، إذا أدخله أو جعله في درجه ، أي في طيه .

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرِ
فِيَّ النَّارِ بِالْعُودِينَ تَذَكَّرِي^(٣)
فِيئَمْ لَمْ تُطْفِئْهَا تَجَنُّ حَرْبًا
فَقُلْتُ مِنَ التَّمَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي
فَإِنْ كَانُوا أَحْيَيْهِمْ نِيَامًا^(٤)
فَفِرِّي^(٥) عَنْ رِحَالِكِ. ثُمَّ قَوْلِي
عَلَى الْإِسْلَامِ وَالقَرَبِ السَّلَامِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ: أَنْ أَحْسَمَ ذَلِكَ التَّوَلُّولُ^(٦) الَّذِي نَجِمَ عِنْدَكُمْ. قَالَ نَصْرٌ:
وَكَيفَ لَنَا بِحَسَمِهِ^(٧)! وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يُخَاطَبُ الْمُضْرِيَّةَ وَالْبَيْهَانِيَّةَ، وَيُحَذِّرُهُمْ
هَذَا الْعَدُوَّ الدَّاخِلَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

أَبْلَغَ رِبِيعَةَ فِي مَرِّهِ وَإِخْوَتَهُمْ
وَلَيْدِنُصَبُوا الْحَرْبَ إِنْ الْقَوْمَ قَدَنْصَبُوا
مَا بِالْأَكْمِ تَلْقَحُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ
وَتَتْرَكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَمَكُمْ
فَلْيَمِغْضِبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ الْعُضْبُ
حَرْبًا يُحْرِقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطْبُ
كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَابِ عَنِ فِعْلِكُمْ غَيْبٌ^(٨)
مِمَّا تَأَشَّبُ^(٩) لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ٦ ص ١٢ طبعه بلاق): « وَأَحْرَبَانِ ». وَفِي ابْنِ عَسَاكِرِ

(ج ٤١ ص ١٩١): « خَلِيقُ أَنْ ». ١٥

(٢) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٢: ١٩٧٣) بَعْضَ أَيْبَاتِ ابْنِ سَيَّارٍ هُنَا وَذَكَرَ أَنَّهُ
أَرْسَلَهَا إِلَى مِرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ يَعْلَمُهُ بِحَالِ أَبِي مُسْلِمٍ. كَمَا ذَكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي كِتَابِهِ
الْأَغَانِي (ج ٦ ص ١٢٨) وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهَا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ بَرِيدٍ.

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « تَذَكَّرِي ». وَفِي ابْنِ عَسَاكِرِ: « بِالزَّنْدِينَ تَوْرِي »

(٤) فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ (ج ٢ ص ٢٠٢):

* فَإِنْ يَكُ قَوْمَنَا أَحْيَوْا نِيَامًا *

وَفِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ لِأَبِي حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيِّ (ص ٣٥٦ طبعه أوربة):

* فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا وَثَوُوا نِيَامًا *

(٥) كَذَا فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ: وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « تَصْرِي ». وَالْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ
سَائِرِ الْأَصُولِ. ٢٥

(٦) التَّوَلُّولُ: بِرِثْ صَعِيرٍ صَلْبٍ مُسْتَدِيرٍ عَلَى صُورِ شَيْءٍ.

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « وَكَيفَ أَنَا وَحَسَمِهِ ».

(٨) كَذَا فِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ (ص ٣٦٠). وَالذِّي فِي الْأَصُولِ: « رَأَيْكُمْ عَزَبَ ».

(٩) تَأَشَّبَ الْقَوْمُ: اخْتَلَطُوا.

قَدَمًا يَدِينُونَ دِينًا مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنِ الرَّسُولِ وَلَمْ تَنْزِلْ بِهِ الْكِتَابُ
فَمَنْ يَكُنْ سَائِلًا عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ

ومات محمد بن علي في أيام الوليد بن يزيد ، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن
محمد ، فقام بأمر الشيعة . وقدم عليهم أبا مسلم السمرج وسليمان بن كثير ،
وقال لأبي مسلم : إن أستطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فأفعل ، ومن
شككت في أمره فاقتله . فلما استغلى أمر أبي مسلم بخراسان وأجابته الكور
كلها ، كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد بخبر أبي مسلم وكثرة من تبعه ،
وأنه قد خاف أن يستولى على خراسان وأن يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس . فأتى الكتاب مروان ، وقد أتاه رسول لأبي مسلم
بجواب إبراهيم إلى أبي مسلم^(١) . فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك
ابن مروان ، وهو عامله على دمشق : أن اكتب إلى عاملك باللقاء ليسير إلى
الجمعة^(٢) فيأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ثم يبعث به إليك ، ثم وجهه إلى
خمل إلى مروان ، وتبعه من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى ، فأدخل
على مروان ، فأمر به إلى الحبس .

قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة^(٣) ، قال : كنت آتية في السجن ومعه فيه
سعید بن عبد الملك ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فوالله إني ذات ليلة
في سقيفة السجن بين النائم واليقظان ، إذ بمولى لمزوان قد أستمح الباب ومعه

(١) العبارة في الطبري : « وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم كان قد عاد من
عند إبراهيم ومعه كتاب أبي مسلم إلى إبراهيم جواب كتابه يلعب فيه أبا مسلم ويسبه
حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمان إذ أمكنه ، ويأمره أن لا يدع بخراسان
عربياً الا قتله » .

(٢) في الأصول : « الحسينية » . تحريف وقد تقدم التعريف بالجمعة (ص ٤٧٦) من
هذا الجزء .

(٣) لعله أبو عبيدة الأسود ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على إذنه . وقد مر

عشرون رجلاً من موالى مروان الأعاجم، ومعهم صاحب السجن، فأصبحنا وسعيداً وعبداً لله وإبراهيم قد ماتوا .

قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة قال : حدثني وصيفُ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في الحبس : إنه غمَّ^(١) عبد الله مولاة بمرقة^(٢) ، وإبراهيم بن محمد بجراب نورة^(٣) ، وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن ، فلقية بعضُ حرس مروان في ظلمة الليل ، فوطئته الخيلُ وهم لا يعرفون من هو ، فمات .

ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها ، فأرسل إلى نصر بن سيار ، فهرب هو وولده وكتبه داود حتى انتهوا إلى الرى ، فمات نصر بن سيار بساوه^(٤) ، وتفرق أصحابه ، ولحق داود بالسكوفة وولده جميعاً . وأستعمل أبو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند وأحوارها ، ثم أخرج الرايات السود ، وقطع البعوث ، وجَهز الخيل والرجال عليهم خطبةُ بن شبيب ، وعامر بن إسماعيل ، ومحرز بن إبراهيم في عِدَّة من القواد ، فلَقُوا من بطوس^(٥) ، فانهزموا ، ومن مات في الزحام أكثرُ ممن قُتل ، فبلغ القتلى بضعة عشر ألفاً . ثم مضى قحطبة إلى العراق ، فبدأ بجرجان ، وعليها نبأته بن حنظلة السكلاي . وكان قحطبة يقول لأصحابه : والله ليقتلن عامر بن ضبارة وينهزم ابن هبيرة ، وليكني أخافُ أن أموتَ قبل أن أبلغ نأري ، وأخاف أن أكون الذي يفرق في الفرات ، فإن الإمام محمد بن علي قال لي ذلك .

قال الهيثم : فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نبأته^(٦) ، ودخل جرجان فأتتهما ،

- (١) غمَّ : أقم فيه ومنغريه القمامة . (٢) المرققة (كسكنسة) : الخدعة .
 (٣) النورة (بالضم) : الهناء .
 (٤) كذا في المعارف (٢٠٩) طبعة أوربية والطبرى (٣ : ٢) . وساوه (بالهاء الساكنة) مدينة بين الرى وهذان . والذي في الأصول : « بقسطاط » تحريف .
 (٥) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ : (انظر معجم البلدان) .
 (٦) الذي في الطبرى (٢ : ٢٠٠٥) أن نبأته وابنه حبة بن نبأته ذبحا .

وقسّم ما أصاب بين أصحابه ، ثم سار إلى عامر بن ضبارة بأصبهان ، فلقبه ، فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، ولحق فاهم بأبن هبيرة . وقال قحطبة لما قُتل ابن ضبارة : ما شئ رأيت ولا عدو قتلته إلا وقد حدّثني به الإمام صلوات الله عليه ، إلا أنه حدّثني أني لا أعبّر القرأت .

وسار قحطبة حتى نزل بحلوان^(١) ، ووجه أبا عون في نحو من ثلاثين ألفاً إلى مروان بن محمد ، فأخذ على شهرزور^(٢) حتى أتى الزاب^(٣) ، وذلك برأى أبي مسلم .

فحدّث أبو عون عبد الملك بن يزيد قال قال لي أبو هاشم بكبير بن ماهان : أنت والله الذي تسير إلى مروان ، ولتبعن إليه غلاماً من مذحج يقال له عامر فليقتلنه فأضيت والله عامر بن إسماعيل على مقدّمتي ، فلقى مروان فقتله .

ثم سار قحطبة من حلوان إلى ابن هبيرة بالعراق ، فالتقوا بالقرأت فأقتلوا حتى أختلط الظلام ، وقتل قحطبة في المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم : غرق في القرأت .

ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط ، وأصبح المسوودة وقد فقدوا أميرهم ، فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هبيرة قال : هذا والله الإديار ، وإلا فتي رأيتم ميّتاً هزم حياً ! وأقام ابن هبيرة بواسط ، وغلبت المسوودة على العراق ، وبايعوا لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين

(١) حلوان : عدة مواضع ، والمراد بها هنا حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . (انظر معجم البلدان) .

(٢) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان . (انظر معجم البلدان) .

(٣) الزاب : عدة أنهر بفارس سميت يزاب بن توكان أحد ملوكها ، وهي : الزاب الأعلى بين الموصل وإربل ، وأما الزاب الأسفل فخرجه من جبال السلق ثم يمر إلى ما بين دقوقا وإربل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض في دجلة . وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد . وبين بغداد وواسط زابان آخران . (انظر معجم البلدان) .

وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبد الله^(١) بن علي لقتال مروان وأهل الشام ، وقدمه على أنى عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام أبو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزّاب ، وأمضى عبد الله بن علي أبا عون في طلبه ، وأقام على دمشق ومدائن الشام يأخذ بيعتها لأبي العباس .

وكان أبو سلمة الخلال ، واسمه حفص بن سليمان ، يدعى وزير آل محمد ، وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا سلمة الخلال وأتهمه بحبّ بنى فاطمة ، وأنه كان يحطّب في حياهم . وقتل^(٢) أبو جعفر أبا مسلم ، وكان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم : لا تكلموا الناس إلا رمزا ، ولا تلحظوهم إلا شزرا ، لتمتلي صدورهم من هيبتمكم .

١٠ مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك

كتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك : إن خالد بن عبد الله أودع زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام إلى زيد ، فقدم عليه ، فسأله عن ذلك ، فأنكر ، فأستحلفه ، فخلف له ، فخلى سبيله ، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الأيام ، فقال له هشام : بلغني أنك تحدّثت نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . قال : أما قولك إني أحدثت نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة ، أخرج الله من صلبه القرادة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال زيد^(٣) : ما أحب أحد الحياة إلا ذل .

(١) في بعض الأصول : « عبيد الله » تحريف .

(٢) كان ذلك بعد موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر .

(٣) في بعض الأصول : « هشام » .

قال له الحاجب : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وخرج زيد حتى قدم الكوفة ، فقال :

شَرَّده الخوفُ وأزرى به كذاك من يكره حرَّ الجِلادِ
مُحتفئِ الرِّجلين يشكو الوجى تنكبه أطرافُ مرِّو حِدادِ^(١)
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رِقاب العبادِ

ثم خرج بخراسان ، فوجه يوسف بن عمر إليه الخيل ، وخرج في إثرها حتى لقيه^(٢) ، فقاتله ، فرمى زيد في آخر النهار بنشابة في نحره فمات ، فدفعه أصحابه في حماة كانت قريبة منهم . وتتبع [يوسف] أصحاب زيد ، فانهزم من انهزم ، وقُتل من قُتل . ثم أتى يوسف فقبيل له : إن زيدا دفن في حماة . فاستخرجه وبعث برأسه إلى هشام ، ثم صلبه في سوق الكناسة^(٣) . فقال في ذلك أعورُ كلب^(٤) ، وكان مع يوسف في جيش أهل الشام :

نصبنا لكم زيدا على جذع نخلة وما كان مهدي^(٥) على الجذع يُنصبُ
الشيباني قال : لما نزل عبدالله^(٦) بن علي نهر أبي فطرس^(٧) ، حضر الناس بأبيه للإذن ، وحضر أثنان وثمانون رجلا من بني أمية ، فخرج الآذن ، فقال : يا أهل خراسان ، قوموا . فقاموا سمامطين في مجلسه ، ثم أذن لبني أمية ، فأخذت سيوفهم ودخلوا عليه . قال أبو محمد العبدي الشاعر : وخرج الحاجب فأدخلني ،

(١) المرو حجارة بيض رقاق . والرواية في البيان (ج ١ ص ١٩٦) : « منخرق الحفين ... تنكبه » .

(٢) في بعض الأصول : « في إثرها حتى التقوا » .

(٣) الكناسة (بالضم) : محله بالكوفة . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في الأغاني (ج ١٥ ص ١٢٠) طبعة بلاق والسكامل (ص ٧١٠) طبعة أوربة : « الأعور الكلي » .

(٥) في بعض الأصول : « هذا » . وفي السكامل : « ولم تر مهديا على الجذع يصب » .

(٦) ساق ابن قتيبة حديث مقتل بني أمية وشعر العبدي ، إلا أنه ذكر مكان عبد الله ابن علي عم أبي العباس أخاه أبا جعفر . وقد تقدم قبل أن الذي توجه لقتال أهل الشام هو عبد الله بن علي هذا :

(٧) أبو فطرس : نهر قرب الرملة بأرض فلسطين . (انظر معجم البلدان) .

فسلمت عليه ، فردّ على السلام ، ثم قال أنشدني قولك :

* وَقَفَ الْمُتَيَّمُ فِي رُسُومِ دِيَارِ *

فأنشدته حتى اتهمت إلى قولي :

أما الدعاءُ إلى الجنانِ فهاشمٌ وبنو أمية من دُعاة النارِ
 مَن كان يَفْخَرُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا فَلَهَا يَتَمُّ الْمَجْدَ غَيْرَ فَخَارِ
 والغَمْرُ بنُ يزيدِ بنِ عبدِ الملكِ جالسٌ معه على المُصَلَّى ، وبنو أمية على الكراسي ،
 فألقى إلى صُرةِ حريرِ خضراءٍ فيها خمسمائة دينار ، فقال : لك عندنا عشرة آلاف
 درهمٍ وجاريةٌ وبردونٌ وغلَامٌ وتختٌ ثياب . قال : فوقى والله بذلك كُله . ثم
 أنشأ^(١) عبدُ الله بنُ عليٍّ يقول :

حَسِبْتُ أُمِيَةَ أَنْ سَيَرْضَى هَاشِمٌ عَنْهَا وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
 كَلًّا وَرَبًّا مُحَمَّدٍ وَإِلَهَهُ حَتَّى تُبَاحَ سَهْوُهَا وَحُزُونُهَا^(٢)
 ثم أخذ قلنسوته من رأسه فضرب بها الأرض ، فأقبل أولئك الجند على

بني أمية فخبطوهم بالسيف والعمد . وقال السكبي الذي كان بينهم ، وكان
 من أتباعهم : أيها الأمير ، إني والله ما أنا منهم . فقال عبدُ الله بنُ عليٍّ :

وَمُدْخِلِ رَأْسَهُ لَمْ يَدْعُهُ^(٣) أَحَدٌ بَيْنَ الْقَرَيْبِينَ^(٤) حَتَّى لَزَّهُ الْقَرْنُ^(٥)
 ١٥ اضربوا عنقه ، ثم أقبل على الغمْر فقال : ما أحسبُ لك في الحياة بعد
 هؤلاء خيرا . فقال : أجل . قال : يا غلام ، أضرب عنقه . فأقيم من المُصَلَّى فضرب
 عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم ، ودعا بالطعام فجعل يأكل وأنين بعضهم
 تحت البساط .

٢٠ (١) في بعض الأصول: «أنشد». والشعر لسديف، كاسياني (ص ٤٨٧) من هذا الجزء.

(٢) في الأصول: «حتى يفادوا زيدها وحسينها». وما أثبتنا من عيون الأخبار
 (ج ١ ص ٢٠٨)

(٣) في عيون الأخبار: «لم يدنه».

(٤) كذا في عيون الأخبار. والذي في الأصول: «بين الفريقين».

٢٥ (٥) القرن: الحبل يقرب به البعيران. ويقال للبعيران إذا قرنا في قرن واحد: قد لزا.

وفي رواية أخرى قال : لما قدم الغمّر بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس
السفّاح في ثمانين رجلا من بني أمية ، فوُضعت لهم السكراسى ووُضعت لهم
نمارق وأجلسوا عليها ، وأجاس الغمّر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيعته فدخلوا ،
ودخل فيهم سُديف بن ميمون ، وكان متوشّحاً سيفاً متنكباً قوساً ، وكان طويلاً
آدم ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيزعم الضلال بما حَبِطت أعمالهم
أن غير آل محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالخلافة ، فلم ويم ؟ أيها الناس ، ألكم
الفضل بالصّحابة دون ذوى القرابة ، الشُّركاء في النسب ، الأكفاء في الحسب ،
الخاصّة في الحياة ، الوفاة^(١) عند الوفاة ، مع ضربهم على الأمر جاهلكم^(٢) ،
وإطعامهم في اللأواء^(٣) جائعكم ؛ فكم قصم الله بهم من جبّار باغ ، وفاسق ظالم .
لم يُسمع بمثل العباس ، لم تخضع له الأمة بواجب حق [الحرمة] ، أبو رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجِلدة ما بين عينيّه ، أمينُه ليلة العقبة^(٤) ، ورسولُه
إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين^(٥) ، لا يردّ له رأياً ، ولا يُخالف له قسماً . إنكم
والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم ، تيمى مرة
وعدوى مرة^(٦) ، وكنتم بين ظهري قوم قد آتروا العاجل على الآجل ، والغاني
على الباقي ، وجعلوا الصدقات في الشهوات ، والقيء في اللذات ، والمغانم في المحارم ،
إذا ذُكروا بالله لم يذكروا ، وإذا قدّموا بالحق أدبروا ، فذلك كان زمانهم ،
وبذلك كان يعمل سلطانهم^(٧) .

(١) في بعض الأصول : « الولاة » . (٢) في بعض الأصول : « الدين » .

(٣) في بعض الأصول : « الأولى » .

(٤) يشير إلى حضور العباس — وهو على دين قومه — أمر ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة مبايعة الأنصار له في العقبة ليتوثق له .

(٥) يشير إلى ثبات العباس فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين حين انهزم المسلمون أول الموقعة ، وكان آخذاً بلجام بقلته .

(٦) تيمى : نسبة لثيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، قوم أبي بكر . وعدوى : نسبة إلى بني عدى بن كعب بن لؤى ، قوم عمر بن الخطاب .

(٧) في الأصول : « شيطانهم » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشرح نهج البلاغة لابن

أبي الحديد (ج ٢ ص ٢١٥) فقد أورد خطبة لأبي مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفّاح تتفق وهذه الخطبة في أكثر فقرها .

فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبيل ، فلما جلسوا قام شبيل
فاستأذن في الإنشاد ، فأذن له فأنشد^(١) :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالبهاليلِ من بني العباسِ
طلبوا وترَ هاشمٍ فلقوها^(٢) بعد ميل من الزمان وباسِ
لا تُقبلن عبدَ شمسٍ عثاراً اقطعوا كلَّ نخلة^(٣) وغراسِ
ولقد غاظني وغازي سواني قرُّهم من منابر^(٤) وكراسِ
واذ كروا مضرع الحسين وزيداً^(٥) وقتيلاً بجانب المهراسِ^(٦)
وقتيلاً بجوف حران أضحى تحجُّل الطيرُ حوله في السكتاسِ^(٧)
نعم شبيل المهراس مولاك شبيل^(٨) لو نجا من حياثل الإفلاسِ

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد ، فدخلوا ودخل الشيعة . فلما جاسوا قام
سديف بن ميمون ، فأنشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس مُستعدِّين يُوجعون المطايا
عنوة أيها الخليفة لا عن طاعة بل تخوفوا المشرقيا
لا يعرفنك ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوع داء دوتيا
فضع السيف وأرفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أموتيا
ثم قام خلف بن خليفة الأقطع فأنشد :

(١) الذي في الأغاني ومعجم البلدان (في رسم مهراس) وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٢)

والكامل (ص ٧١٣ طبعة أوربة) أن هذا الشعر لسديف .

(٢) في الكامل للمبرد (ص ٧١٣ طبعة أوربة) : « فشقوها » .

(٣) في الكامل والأغاني (ج ٤ ص ٩٣ طبعة بلاق) : « رفلة » ، والرفلة: النخلة الطويلة .

(٤) كذا في الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٧) . والذي في الكامل

والأغاني : « غارق » .

(٥) وفي رواية : « وزيد » .

(٦) المهراس : ماء يجبل أحد ، وعنده دفن حمزة رضي الله عنه .

(٧) رواية المراحم التي ذكرت أن الشعر لسديف : « نعم كلب المهراس مولاك لولا » .

(٨) في الكامل : « ناويا بين غربة وتناسي » وفي الأغاني : « رهن قبر في غربة

وتناسي » .

إن تجاوز فقد قدرت عليهم أو تعاقب فلم تعاقب برتيا
 أو تعاتبهم على رقة الدبر . من فقد كان دينهم سامريا
 فالتفت أبو العباس إلى العمير ، فقال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : والله
 إن هذا لشاعر ، ولقد قال شاعرنا ما هو أشعر^(١) من هذا . قال : وما قال ؟
 فأنشده :

شمس العداوة حتى يُستقَادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا^(٢)
 فشرق وجهُ أبي العباس بالدم وقال : كذبت يابن اللخناء ، إني لا أرى
 الخيلاء في رأسك بعد ، ثم قاموا . وأمرهم فدفعوا إلى الشيعة ، فاقْتَسَمُوهم
 فضربوا أعناقهم ، ثم جَرُّوا بأرجلهم حتى ألقوهم في الصحراء بالأنبار ، وعليهم
 سراويلات الوشي ، فوقف عليهم سُديف مع الشيعة وقال :

طَمِعَتُ أُمِيَةَ أَنْ سِيرَضِي هَاشِمٌ عنها وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
 كَلَّا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِلْمِهِ حَتَّى يُبَادَ^(٣) كَفُورُهَا وَخَوْنُهَا

وكان أشدَّ الناس على بني أمية عبدُ الله بن علي ، وأحَنُّهم عليهم سليمان بن
 علي . وهو الذي كان يسميه أبو مسلم كنف الأمان ، وكان يُجِيرُ كلَّ من استجار
 به ، وكتب إلى أبي العباس : يا أمير المؤمنين ، إنَّا لم نُحَارِبْ بني أمية على
 أَرْحَامِهِمْ وَإِنَّمَا حَارَبْنَاهم على عُقُوبَتِهِمْ ، وقد دافقت إلى منهم دافَّة^(٤) لم يشهروا
 سلاحاً ، ولم يُكْتَبَرُوا جَمْعاً ، فأحب أن تكتب لهم منشورَ أمان . فكتب لهم
 منشورَ أمان وأنفذه إليهم . فمات سليمان بن علي وعنده بضعٌ وثمانون حُرْمَةً
 لبني أمية .

(١) في بعض الأصول : « أقعد » . ١٥

(٢) البيت للأخطل من قصيدة له مطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزججتهم نوى في صرفها غير

(انظر ديوان الأخطل ص ١٠٤)

(٣) في بعض الأصول : « بييد » .

(٤) الدافعة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد . ٢٥

^(١) خلفاء بني أمية بالأندلس

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

أول خلفاء الأندلس من بني أمية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ولى الملك يوم الجمعة عاشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة . وتوفى في عشرة من جمادى الأولى سنة ٥٠ أثنيتين وسبعين ومائة . فكان ملكة اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . وكان يقال له صقر قريش ، وذلك أن أبا جعفر المنصور قال لأصحابه : أخبروني عن صقر قريش . من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين الذي راض الملك ، وسكن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد الأعداء . قال : ما صنعتم شيئاً . قالوا : فمعاوية . قال : ولا هذا . قالوا : فمعاوية بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فصّر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته . إن معاوية نهض بمركب سحله عليه عمر وعثمان وذلاله صعبه ، وعبد الملك ببيعته تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين بطلب عشيرته ^(٢) ، واجتماع شيعته ، ١٥ وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لقزمه .

وقالوا : لما توطد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الأبيات وأخرجها إلى وزرائه ، فاستغربت من قوله إذ صدقها فعله ، وهي :

ماحق ^(٣) من قام ذا أمتعاضٍ بمنتضى الشفرتين نصلاً

٣٥٨
٢

(١) في بعض الأصول المخطوطة قبل هذا : « آخر السفر الرابع من الأصل والحمد لله

أولاً وآخراً . بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » .

(٢) في بعض الأصول : « غيره » .

(٣) في البيان المغرب (ج ٢ ص ٦١) : « بيان » .

فَبَزَّ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا^(١) وَمِنْهُرًا لِلخِطَابِ فَضْلًا
 فَجَازَ^(٢) قَفْرًا وَشَقَّ بَحْرًا مُسَامِيًا لُجَّةً وَمَحَلًّا^(٣)
 وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أَوْدَى وَمَصَّرَ الْمَصْرَ حِينَ أُجِّلَى^(٤)
 نَمَّ دَعَا أَهْلَهُ جَمِيعًا حَيْثُ أَنْتَاوَا^(٥) أَنْ هَلُمَّ أَهْلًا
 فِجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ شَرِيدَ سَيْفٍ أُبَيْدَ^(٦) قَتْلًا
 غَلَّ أَمْنًا وَنَالَ شَيْعًا وَحَازَ مَالًا وَضَمَّ شَمْلًا^(٧)
 أَلَمْ يَكُنْ حَقًّا ذَا عَلَى ذَا أَوْجَبَ مِنْ مُنْعَمٍ وَمَوْلى

وكتب أمية بن يزيد عنه كتابا إلى بعض عماله يستقصره فيما فرط فيه من عمله ، فأكثر وأطال الكتاب ، فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه ، وكتب : أما بعد ، فإن يكن التقصير منك مقدما . فحري أن يكون الاكتفاء عنك مؤخرا^(٨) ، وقد علمت بما تقدمت ، فأعتمد على أيهما أحببت .

وكان نار عليه نائر^(٩) بغربي بلدة^(٩) ، فغزاه فظفر به وأسره ، فبينما هو منصرف وقد حمل النائر على بغل مكبولا ، نظر إليه عبد الرحمن بن معاوية وتحتته فرس له ، ففنع رأسه بالقناة^(١٠) ، وقال : يا بغل ، ماذا تحمل من الشقاق والنفاق ؟ قال النائر : يا فرس ، ماذا تحمل من القفو والرحمة ؟ فقال له عبد الرحمن : والله لا تدوق موتا على يدي أبدا .

- (١) في الأصول : « وساد علما » . وما أثبتنا من البيان المغرب
 (٢) في البيان المغرب : « نجاب » . (٣) في الأصول : « بجلا » . وما أثبتنا من البيان .
 (٤) في البيان : « أخلى » .
 (٥) في الأصول : « تتأوى » . وما أثبتنا من البيان .
 (٦) في بعض الأصول : « أباد » . وما أثبتنا من سائر الأصول
 (٧) كذا في بعض الأصول : والبيان . والذي في سائر الأصول : « ونال أهلا » .
 (٨) في أكثر الأصول : « فان يكن التقصير لك مقدما بدا الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا » .
 (٩) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية . وفي بعض الأصول : « بغزو ولده » .
 (١٠) أى غشاه بها .

هشام بن عبد الرحمن

ثم ولى هشامُ بن عبد الرحمن لسبع خَلاوة من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ومات في صَفَر سنة ثمانين ومائة . فكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر . ومات وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . وهو أحسنُ الناس وجهاً ، وأشرفهم نفساً ، الكاملُ المروءة ، الحاكمُ بالسكتاب والسنة ، الذى أخذ الزكاة على جِلِّها ، ووضعها فى حَمَمها ، لم يُعرف منه هَفْوَةٌ فى حدائمه ، ولا زَلَّةٌ فى أيام صباه . وراه يوماً أبوه وهو مُقبلٌ مُمتلئٌ شَبَاباً فأعجبه ، فقال : يا ليت نساء بنى هاشم أبصرنه حتى يَعُدن فوارك^(١) . وكان هشامٌ يصرُّ الشرر بالأموال فى ليالى المطر والظلمة ، ويبيعت بها إلى المساجد . فيعطى مَنْ وُجد فيها . يريد بذلك عمارة المساجد ، وأوصى رجلٌ فى زمن هشام بمال فى فلك سَبَّيَّة^(٢) من أرض العدو ، فطلبت فلم تُوجد ؛ احتراساً منه للثغر^(٣) وأستنقاذاً لأهل السبي .

الحكم بن هشام

ثم ولى الخلافة الحكمُ بن هشام فى صَفَر سنة ثمانين ومائة ، وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً^(٤) . ومات يوم الخميس لثلاث يقين من ذى الحِجَّة سنة ست ومائتين^(٥) ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة^(٦) . وكانت فيه بطالة ، إلا أنه كان شجاعَ النفس ، باسطَ الكفِّ ، عظيمَ العقو ، متخيراً لأهل عمله

(١) فوارك : جمع فارك ، وهى المرأة تبغض زوجها .

(٢) فى بعض الأصول : « بنته » .

(٣) فى بعض الأصول : « بئفوه » وفى بعض آخر : « لثغره » .

(٤) كذا فى بعض الأصول والبيان المغرب لابن عذارى (ص ٧٠) . والذى فى سائر الأصول : « سبعا وعشرين سنة » .

(٥) كذا فى بعض الأصول والبيان . والذى فى سائر الأصول : سنة تسعين ومائتين « تحريف » .

(٦) كذا فى بعض الأصول . وهى تنفق وما ذكره ابن عذارى فى البيان ، إذا مولد الحكم

كان سنة ١٥٤ .

ولاحكام رعيتته أروع من يقدر عليهم وأفضلهم ، فيسلطهم^(١) على نفسه فضلاً
 عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاضٍ قد كفاه أمور رعيتته بفضلِه وعدله وورعه
 وزُهدِه ، فرض مرضاً شديداً ، واغتم له الحُكْمُ غمّاً شديداً . فذَكَرَ يزيدُ فتاه أنه
 أرق ليلة وبعده عنه نومُه وجعل يتأمل على فراشه ، فقالت : أصلح الله الأمير ، إني
 أراك مُتملماً وقد زال النومُ عنك فلم أدر ما عرض لك ؟ قال : ويحك إني سمعتُ
 نائحة هذه الليلة وقاضينا مريضاً ، فما أراه إلا قد قضى نحبه ، وأين لنا بمثله ؟
 ومن يقوم للرعية مقامه ؟ ثم إن القاضي مات ، وأستقضى الحُكْمُ بعده سعيدَ
 ابن بشير . فسكان أقصد الناس إلى حق ، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ،
 وأنفذهم لحُكْمِ . رفع إليه رجلٌ من أهل كورة جَيَّان أن عاملاً للحُكْمِ أعتصبه
 جاريةً وعمل في تضييرها إلى الحُكْمِ ، فوعدت من قلبه كلَّ موقع ، وأن الرجل
 أثبت أمره عند القاضي ، وأتاه ببينة [وشهود] يشهدون على معرفة ما تظلم منه
 وعلى عين الجارية ومعرفةهم بها . وأوجبت البينة أن تحضر الجارية ، واستأذن
 القاضي على الحُكْمِ ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال : إنه لا يتم عدلٌ في العامة
 دون إفاضته في الخاصة ، وحسكى له أمر الجارية وخيره في إبرازها إليه ،
 أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك إلى خير من ذلك ؟ تبتاع الجارية
 من صاحبها بأنفس ثمن^(٢) وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : إن الشهود قد شخصوا من
 كورة جَيَّان يطلبون الحق في مظانته ، فلما صاروا ببابك تصرفهم دون إنفاد
 الحق لأهله ، ولعل قائلاً أن يقول : باع ما^(٣) يملك ببيع مُقتسر على أمره^(٤) .
 فلما رأى عزمه أمر بإخراج الجارية من قصره ، وشهد الشهود على عينها ،
 وقضى بها لصاحبها .

٣٥٩
٢

١٠

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول : « فيسلطهم » .

(٢) كذا في بعض الأصول والذي في سائر الأصول : « بعين ثمنها » .

(٣) في بعض الأصول : « حق لا » .

(٤) في بعض الأصول : « على نفسه » .

وكان سعيد بن بشير القاضي إذا خرج إلى المسجد ، أو جلس في مجلس الحكم ، جلس في رداء معصفر وشعر مفرق إلى شحمة أذنيه ، فإذا طلب ما عنده وجد أوزع الناس وأفضلهم .

- وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بيباب قصره على جانب النهر ، عليها عشرة عرفاء ، تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح ، فإذا بلغه عن تائر في طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره ، فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : أن جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلبس بالصولجان في الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فأشار إليه أن يخرج من تحت يده إلى جابر بن لبيد ، ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين ، فلما رأى ذلك عدوه سقط في أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لديهم ، فولوا مدبرين .

وقال الحكم يوم الهيحاء بعد وقعة الربض :

- رأبتُ صُدوعَ الأرضِ بالسيفِ راقعاً وقدما رأبتُ الشعبُ مذ كنتُ يافعاً
فسائلُ تُغورى هَلْ بها اليومِ نُفرةٌ أبادرُها مُستنصى^(١) السيفِ دارعاً
وشافِهٍ على أفضِ القِضاءِ جماجماً كأخافُ شريانَ الهبيدِ^(٢) . لو أمعا ١٥
[تنبئكُ أني لم أكن عن قراعهم بوان وأنى كنتُ بالسيفِ قارعاً]
ولما تساقينا سِجالِ حروبنا سقيتهمُ سماً من الموتِ ناقعاً
وهل زدتُ أن وفيتهمُ صاعَ قرصهم فوافوا منايا قُدرتُ ومصارعا
قال عثمان بن المثنى المؤدب : قدم علينا عباس بن ناصح^(٣) من الجزيرة أيام
الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فأستشدنى شعرَ الحكم ، فأنشدته ، فلما
أتميتُ إلى قوله :

(١) في الأصول : « من منصى » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ج ٢ من ٧٣)

(٢) كذا في البيان . وشریان الهبيد ، أى شجر الحنظل . والذى في الأصول : « كأجفان شريان الجبير » .

(٣) في الأصول : « عباس بن قاصح » . والتصويب من النفع والبغية .

* وهل زدت أن وفيتهم صاع قرصهم *

قال: لوجوئي الحكم في حكومة لأهل الربض^(١) لقام بعذره هذا البيت .

عبد الرحمن بن الحكم

نم ولي بعده عبد الرحمن بن الحكم ، أندى الناس كفاً ، وأكرمهم
عظفاً ، وأوسعهم فضلاً ، في ذى الحجة سنة ست مائتين ، فلك إحدى وثلاثين
سنة وخمسة أشهر . ومات ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة
ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن أئنتين وستين سنة ، وكتب إليه بعض عماله
يسأله عملاً رفيعاً لم يكن من شاكلته ، فوقع في أسفل كتابه : من لم يصب وجهه
مطلبه ، كان الحرمان أولى به .

محمد بن عبد الرحمن

نم ولي الملك محمد بن عبد الرحمن ، يوم الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر
سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، فلك أربعاً وثلاثين سنة ، وتوفي يوم الجمعة مستهل
ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وهو ابن سبع وستين سنة . وكتب
عبد الرحمن بن الشعر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن في حياة أبيه عبد الرحمن ،
وكان يتجنب الوقوف ببابه مخافة نصر الفتي ، فلما مات نصره كتب ابن الشعر
هذه الأبيات إلى محمد يقول فيها :

لئن غاب وجهي عنك إن مودتي لشاهدة في كل يوم تسلم
وما عاقني إلا عدو مسلط يُدِّك ويُقصي من يشاء ويرغم
ولم يستطل إلا بكم وبعزكم ولا ينبغي أن يُمنح العز مجرم
فكنتموه فاستطال عليكم وكادت بنا نيرانه تقصرم

(١) في بعض الأصول : « لوجوئي الحكم المحصورة في أهل الربض » .

- كذلك كَلَبَ السَّوَاءَ ابْنَ إِشِيْعِ أَنْبَرِي (١)
فَجَمَعَ إِخْوَانًا لُصُوصًا أَرَادَلَا
رَأَى بِأَمِينِ اللَّهِ سَقَمًا فَفَرَّهُ (٢)
فَنَحَمَدُ رَبًّا مَرَّنا بِهِ لَاحِ
أَرَادَ يَكِيدُ اللَّهُ نَصْرًا فَكَادَهُ
بِكِي السُّكْفَرِ وَالشَّيْطَانِ نَصْرًا فَأَعْوَلَا
وَكَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ جَبَايَةٌ
فَهَلْ حَانَطُ الْإِسْلَامِ يَوْمًا يَسُوْمُهُمْ (٣)
وَيُنْهَبِنَا أَمْوَالَهُمْ وَهُوَ فَاعِلٌ
أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمِعُوا قَوْلَ نَاصِحٍ
مُحَمَّدٌ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ
وَكَوْنُوا لَهُ مِثْلَ الْبَنِينَ يَكُنْ لَكُمْ
فَيَابِنَ أَمِينِ اللَّهِ لَا زَلَّ سَالِمًا
أَأَسْتَ الْمُرْجِيَّ مِنْ أُمِّيَّةٍ وَالَّذِي
وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْخَيْرِ رَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
وَحَدَّثَ بَقِيَّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ قَالَ : مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ أَكْمَلَ عَقْلًا ،
وَلَا أَبْلَغَ لَفْظًا ، مِنَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فِي مَجْلَسِ خِلَافَتِهِ فَأَفْتَتَحَ
السَّكْرَةَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ذَكَرَ
الْخُلَفَاءَ خَلِيفَةَ خَلِيفَةً ، فَحَسْبِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحِلْيَتِهِ وَنَعْتِهِ وَوَصْفِهِ ، وَذَكَرَ
- (١) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « النَّارِ » . وَفِي سَائِرِهَا : « أَنْدَرِي » . وَظَاهَرُ أَنَّهَا مَحْرُوفَةٌ عَمَّا أَتَيْنَا .
(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « وَأَشْبَعُهُ » .
(٣) مُسْتَشْلِيًا : غَاضِبًا . وَيَتْرَمَرُ ، يَتَحَرَّكُ .
(٤) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « بَعْدَهُ » . تَحْرِيْفٌ .
(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « يَسُوؤُهُمْ » .
(٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « جَدُّ » : تَحْرِيْفٌ .
(٧) الرَّحْمَ (بِالضَّمِّ) : الرِّقَّةُ وَالتَّعْطُفُ .

مآثره ومناقبه ، بأفصح لسان ، وأبين بيان ، حتى انتهى إلى نفسه فسكت .
 وخرج الأمير محمد يوماً متنزهاً إلى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز ،
 فكان بها صدرَ نهاره على لذته ، فلما أمسى وأختلط الظلامُ رجع مُنصرفاً إلى
 القصر وبه أختلاط ، فأخبرني من سمعه وهاشم يقول له : يا سيدي ، يا ابن الخلائف ،
 ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا ؟ قال : لولا الموت . قال له : يا ابن اللخناء ،
 كُنت في كلامك ، وهل ملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا بالموت ، ولولا
 الموت ما ملكناه أبداً .

وكان الأمير محمد غزاه لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو
 الستة أشهر أو أكثر ، يحرق وينسف ، وله في العدو وقيمة ^(١) وادى سليط ،
 وهي من أمهات الوقائع ، لم يُعرف مثلها في الأندلس قبلها ، وفيها يقول عباس بن
 فرناس ^(٢) ، وشعره يكفيننا من صفتها :

وَمُخْتَلِفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلِفِ الزَّخْفِ لَهْؤُمِ الْفَلَائِلِ عَابِلِ الْقُنَابِلِ مُلْتَفِ ^(٣)
 إِذَا أَوْمَضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلَتَهَا بُرُوقاً تَرَاوَى فِي الْجَهَامِ وَتَسْتَخْفِي
 كَأَنَّ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي سَمِيلَانِهِ قَرَاقِيرِ ^(٤) يَمِّ قَدَعَجَزَنْ عَنِ الْقَدْفِ
 وَإِنْ طَحَنْتَ أَرْكَانَهُ كَانَ قُطْبُهَا حِجْيَى مَلِكٍ نَجْدٍ شِمَالُهُ عَفٌّ
 سَمِيٌّ خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ إِذَا وُصِفَ الْأَمْلَاقُ جَلَّ عَنِ الْوُصْفِ
 فَمَنْ أَجَلُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غُدُودٌ ^(٥) وَقَدْ نَقَضَ الْإِصْبَاحَ عَقْدَ عُرَى السَّجْفِ
 بَكِيَّ جِبَلًا وَادِي سَلِيطٍ فَأَعْوَلَا عَلَى النَّفْرِ الْعُبْدَانَ وَالْعُصْبَةَ الْغُلْفِ ^(٦)

(١) في بعض الأصول : « وقمة » . (٢) في بعض الأصول : « عباس بن فرناس » .
 (٣) يقال : لهمه (كسمعه) : ابتلعه بجرة ، فهو لهم (ككتف و صرد) ولهوم
 (كصبور) وملهم (ككبر) . بصف سرعة قطع الجيش للفلا . والقنابل : جماعات الخيل ؛
 الواحدة قنبلة .

(٤) كذا في بعض الأصول . والقراقير : السفن ؛ الواحدة قرقور (كمصفور) .
 والدى في سائر الأصول : « فراقد » .

(٥) في بعض الأصول : « غزوة » (٦) في بعض الأصول : « حل » .
 (٧) الغلف : جمع أغلف ، وهي الذي لا يعى .

دعاهم صريحُ الحين^(١) فأجتمعوا له
 كما أجمع الجعلان للبعر في قف^(٢)
 فما كان إلا أن رماهم ببعضها
 فولوا على أعقاب مهزومة^(٣) كشف^(٤)
 كأن مساعير الموالى عليهم
 شواهين جادت للفرانيق بالنسف^(٥)
 بنفسى تنانير الوعى حين صفت
 إلى الجبل المشحون صفاً على صف
 يقول ابن بليوس لموسى وقد وني^(٦)
 أرى الموت فداى وتحتى ومن خلنى
 قتلناهم ألفاً وألفاً ومثلها
 وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف
 سوى من طواه النهر في مستلجه^(٧)
 فأغرق فيه أو تداأ من جرف^(٧)

المنذر بن محمد

ثم ولى المنذر بن محمد ، يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث
 وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت في غزاة له على بيشتر^(٨) ، ثلاث عشرة
 بقية من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين ، وهو ابن ست وأربعين سنة .
 وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم عنيمة . ولما ولى الملك بعث إليه أهل
 طليطلة بحبايتهم كاملة فردّها عليهم ، وقال : أستعينوا بها في حربكم فأنا سائر
 إليكم إن شاء الله . ثم غزا إلى المارق المرتد عمر بن حفصون^(٩) وهو بحصن ، قاسرة^(١٠)

- ١٥ (١) في بعض الأصول : « العير » .
 (٢) الجعلان : جعل جمع (كصرد) دويبة . والقف ما ارتفع من الأرض ، وقد يكون فيه
 رياض : وقبعان .
 (٣) في بعض الأصول : « مهزولة » . (٤) الكشف : المنهزمون في الحرب .
 (٥) الشواهين : من سباع الطير ؛ الواحد شاهين ، ليس بعربي محض . والفرانيق :
 جمع غرنوق ، وهو طير أبيض من طير الماء . وفي بعض الأصول : بالسيف .
 ٢٠ مكان : . « بالنسف » .
 (٦) في بعض الأصول : « ولى » .
 (٧) تداأ : تدرج . والذى في بعض الأصول « أو ترد من الجرف » .
 (٨) بيشتر (بالضم) ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء والراء) : حصن متفرد بالامتناع
 من أعمال ربة بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . (انظر معجم البلدان) .
 ٢٥ (٩) في بعض الأصول : « عمرو بن حفصون » وما أثبتنا من سائر الأصول والبيان المغرب .
 (١٠) انظر البيان المغرب (ج ٢ ص ١٩٤) .

فأحرق به وبخيله ورجله ، فلم يجد الفاسق مَنفذاً ولا مُتنفِّساً ، فأعمل الحيلة ولاذ^(١) بالمكر والخديعة ، وأظهر الإنابة والإجابة ، وأن يكون من مُستوطنى قرطبة بأهله وولده ، وسأل إلحاق أولاده في الموالي . فأجابه الأمير إلى كل ما سأل ، وكتب لهم الأمانات ، وقُطعت لأولاده الثياب ، وخُرزت لهم الخفاف ، ثم سأل مائة بغل يحمل عليها ماله ومتاعه إلى قرطبة ، فأمر الأميرُ بها . وطلبت البغال ومضت إلى بُدَشْتَر^(٢) ، وعليها عشرة من العُرفاء ، والنحل العسكرُ عن الحصن بعض الانحلال ، وعكف^(٣) القاضي وجماعة من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوا . فلما رأى الفاسقُ الفرصة أتهزها فتمسق^(٤) ليلًا وخرج ، فلقى العُرفاء بالبغال فقتلهم ، وأخذ البغال وعاد إلى سيرته الأولى . فمعد المنذر على نفسه عقداً أن لا أعطاء صلحاً ولا عهداً إلا أن يلقى بيده وينزل على عهده وحُكمه ، ثم غزاه الغزاة التي توفى فيها ، فأمر بالبيضان والسكنى عليه ، وأن يُردَّ سوق قرطبة إليه ، فعاجله أجله عن ذلك .

عبد الله بن محمد

ثم تولى عبد الله بن محمد ، التقي النقي ، العابد الزاهد ، التالي لكتاب الله ، والقائم بحدود الله ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط^(٥) وخرج إلى الجامع ، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر ، حتى أتاه أجله ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء لليلة بقيت من صفر سنة ثلاثمائة . وكانت له غزوات ، منها غزاة بلي^(٦) التي أنست كل غزاة تقدمتها . وذلك أن المرتد ابن خفصون ألّب عليه كور الأندلس حتى لم يبق منها إلا قرطبة وحدها ، ثم أقبل في ثلاثين ألفاً من أهل الكور فنزل حصن بلي ، وخرج إليه الأمير عبد الله بن محمد

(١) في بعض الأصول : « وغاس » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٩٦) من هذا الجزء .

(٣) في بعض الأصول : « وقفل » . (٤) في بعض الأصول : « ففتق » .

(٥) في دائرة المعارف الإسلامية (١ : ٨٧٨) : « الساباط : طريق مسقوف بناه

الأمير الأموي عبد الله » .

(٦) بلي (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء) : ناحية بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه ،
 فبرز إليه الفاسق ، وقد كَرَّدس كراديسه في سَفْح الجبل ، وناهضه الأمير عبد الله
 بمجهور عسكره ، فلم يكن له فيهم إلا صدمة صادقة ، أزالهم بها عن معسكرهم ،
 فلم يقدرُوا أن يتراجعوا إليه . ونظر الفاسقُ إلى مُعسكر عبد الله الأمير ، فإذا
 بِمَدَدٍ مُقبل مثل الليل ، في أنحدار السيل ، لا ينقطع ، فَجَبُنَتْ نفسه ، وعطف إلى
 الحصن يُظهر إخراج مَنْ بقي فيه ، فثَلَم ثلثة وخَرَج منها في خمسة معه ، وقد طار
 بهم جناحُ الفرار . فلما انتهى ذلك إلى أهل عسكره وَلَوْا مُدبرين ، لا يُلوي
 أحدٌ على أحد ، فعملت الرماحُ في أكتافهم ، والسيوفُ في طُلأ أعناقهم ، حتى
 أفنؤهم أو كادوا . وكان منهم جماعةٌ قد أفترقوا في عسكر الأمير عبد الله ، فقاعد
 الأميرُ في المظلة ، وأمر بالتقاطهم ، وأن لا يَمُرَّ أحدٌ على أحد منهم إلا قتل . فقتل
 منهم ألف رجل صبراً بين يدي الأمير .

عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين

ثم ولي الملكَ القمرُ الأزهر ، الأسدُ الغضنفر ، الميمونُ النقيبة ، الحمودُ
 الصَّريبة ، سيدُ الخلفاء ، وأنجبُ النجباء ، عبدُ الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ،
 صبيحةً هلال ربيع الأول سنة ثلثمائة ، نقلت فيه :
 ١٥

بدا الهلالُ جديداً والمَلِكُ غَضُّ جديداً

يا نعمة الله زيدي ما كان فيه مزيد^(١)

وهي عدة أبيات . فتولى الملكُ ، والأرضُ حَجْرَةٌ تحتم ، ونارٌ تَضْطرم ، وشِفاق
 ونِفاق ، فأخذ نيرانها ، وسَكَنَ زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً سميها
 عبدُ الرحمن بن معاوية ، رحمه الله . وقد قلتُ وقيل في غزواته كُلِّها أشعار ، قد
 ٢٠ جالت في الأمصار ، وشُرِّدَتْ في البلدان ، حتى أتهمت وأنجذت وأعرقَت ،
 ولولا أن الناسُ مُسكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذِكْرها أو ذِكر بعضها .

(١) في البيان المغرب لابن عذارى (ج ٢ ص ١٦٢) : * فما عليك مزيد * .

ولسكننا سنذكر ما سبق إلينا من مناقبه التي لم يتقدمه إليها مُتقدِّم ، ولا أُخْت لها ولا نظير . فمن ذلك أول غزاة غزأها ، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المبتلون^(١) ، أفتتح بها سبعين حصنًا ، كل حصن منها قد نكثت^(٢) عنه الطوائف ، وأعياء على الخلائف . وفيها أقول :

٥	قد أوصحَّ اللهُ للإسلام منهاجا	والناسُ قد دَخَلوا في الدِّين أفواجا
	وقد تَزَيَّنت الدنيا لساكنها	كأنما أُنبتت وَشِيًّا ودِيباجا
	يا بن الخلائف إن المزن لو علمت	نَدَاكَ ما كان منها الماء ثَجَّاجا
	والحربُ لو علمت بأَسَا تَصُول به	ما هَيَّجَت من حُمِيَّكَ الذي اهْتَاجا ^(٣)
	مات النفاقُ وأعطى الكفرُ ذِمَّتَه	وذات الخيلِ إجماعًا وإسراجا
١٠	وأصبح النصرُ معقودًا بألوية	تَطْوِي المراحلَ تَهْجِيرًا وإدلاجا
	أدخلت في قُبَّة الإسلام مارقةً	أخرجتهم من ديار الشُّرك إخراجا ^(٤)
	بجحفل تَشْرِقُ الأرضُ الفضا به	كالبحرِ يَقْذِفُ بالأموج أمواجا
	[يقوده البدرُ يسرى في كواكبه	عَرَمَما كسواد اللَّيْلِ رَجراجا]
	تَرُوق فيه برُوق الموت لامة	وتَسْمعون به للرَّعد أهزاجا
١٥	غادرت في عَقَوَتِي ^(٥) جِيانَ مَلحمة	أبكيَتَ منها بأرض الشُّرك أعلاجا
	في نِصفِ شهرٍ تَرَكْتَ الأرضَ ساكنة	مِن بَعْدِما كان فيها الجُوزُ ^(٦) فدماجا
	وُجِدَت في الخبرِ المائورُ مُنصَلِّقا	مِن الخلائفِ خَرَّاجا وولاجا
	تَمَلابكُ الأرضِ عُدلًا مثل ماملت	جُورًا وتُوضِحُ للمَعروفِ مِناهاجا
	يا بَدَرَ ظالمِها يا شَمْسَ صُبحِها	يا لَيْثَ حَومِها إن هاشجَهاجا
٢٠	إن الخِلافةَ إن ترَضَى ولا رَضِيت	حتى عَقَدتَ لها في رأسِكَ التَّاجا

(١) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٧) . والذي في سائر الأصول :

« المبتلون » . (٢) في بعض الأصول : « نكبت » .

(٣) الجيا : شدة الغضب . وفي بعض الأصول . « جبال الدين أهياجا » .

(٤) المارقة : الخوارج . وفي بعض الأصول : « مارقة أخرجتها » .

(٥) العقوة : ما حول الدار والحلة . وجيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس

تنصل بكورة البيرة . (انظر معجم البلدان) (٦) في بعض الأصول : « الطير » .

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام . وله غزاة مارشن^(١) ، التي كانت أخت بدر وحنين ، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمها في مغازيه^(٢) كلهما من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وأوقعناها في أسفل كتابنا لتكون جامعة لمغازي أمير المؤمنين ، وجعلتها رجزاً خلفه الرجز وسهولة حفظه وروايته . ومن مناقبه : أن الملك لم تزل تبني على أقدارها ، ويقضى عليها بآثارها ، وأنه بنى في المدة القليلة ما لم تبين الخلفاء في المدة الطويلة . نعم ، لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية إلا وله فيها أثر محدث ، إما تزيد أو تجديد . ومن مناقبه : أنه أول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بني أمية بالأندلس . ومن مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير ، ما أعجز فيه من بعده ، وفات فيه من قبله ، الجود الذي لم يعرف لأحد من أجداد الجاهلية والإسلام إلا له . وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه :

يا بن الخلائف والعلا للمعتلي والجود يُعرف فضله للمفضل
نوّهت بالخلفاء بل أختلتهم حتى كأن نبيلهم لم ينبل
أذكرت بل أنسيت ما ذكر الألي من فعلهم فكأنه لم يفعل
وأنت آخرهم وشأوك فانت للآخرين ومدرك للأول
الآن سميت الخلافة بأسمها كالبدر يُقرن بالسماك الأعزل
تأبى فعالك أن تُقرّ لآخر منهم وجودك أن يكون لأول

٢٠ وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه ، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة ، وهي :

(١) مارشن : من أعمال جيان (انظر البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٦) . وفي بعض

الأصول : « مارس » .

(٢) في بعض الأصول : « ضمنها مغازيه » .

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَحْوِهِ أَفْطَارُ وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
 وَمَنْ عَنَتَ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ فَمَا لَهُ نِدٌّ وَلَا شَبِيهَةٌ
 سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ قَدِيرٍ وَعَالِمِ مَخْلُوقِهِ بِصِيرٍ
 وَأَوَّلٍ لَيْسَ لَهُ أِبْتِدَاءُ وَآخِرٍ لَيْسَ لَهُ أَنْتَهَاءُ
 أَوْسَعْنَا إِحْسَانَهُ وَفَضْلَهُ وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِثْلَهُ
 وَجَلَّ أَنْ تُدْرِكَهُ الْعُيُونُ أَوْ يَحْوِيَاهُ الْوَهْمُ وَالظَّنُونُ
 لَكِنَّهُ يُدْرِكُ بِالْقَرَبِ وَالْعَقْلُ وَالْأَبْنِيَّةُ الصَّحِيحَةُ
 وَهَذِهِ مِنْ أَثْبَتِ الْمَعَارِفِ فِي الْأَوْجِهَةِ الْغَامِضَةِ اللَّطَائِفِ
 مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ أَثْبَتُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِيَانِ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَانِهِ حَمْدًا جَزِيلًا وَعَلَى آيَاتِهِ
 وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّمَجِيدِ وَبَعْدَ شُكْرِ الْمُبْدِئِ لِلْمُعِيدِ
 أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ وَمَنْ تَحَلَّى بِالنَّدَى وَالْبَاسِ
 وَمَنْ أَبَادَ الْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ وَشَرَّدَ الْفِقْهَةَ وَالشَّقَاقَا
 وَنَحْنُ فِي حَنَادِسِ كَاللَّيْلِ وَفِتْنَةٍ مِثْلِ غُثَاءِ (١) السَّيْلِ
 حَتَّى تَوَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ذَاكَ الْأَغْرَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ
 مُؤَيَّدٌ حَكَمَ فِي عُدَاتِهِ سَيْفًا يَسِيلُ الْمَوْتَ مِنْ ظُبَاتِهِ
 وَصَبَّحَ الْمَلِكُ مَعَ الْهَلَالِ فَأَصْبَحَا نَدِينِ (٢) فِي الْجَمَالِ
 وَأَحْتَمَلَ التَّقْوَى عَلَى جَبِينِهِ وَالدِّينَ وَالدُّنْيَا عَلَى يَمِينِهِ
 قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الْبِلَادُ وَأَنْقَطَعَ التَّشْفِيبُ وَالْفَسَادُ
 هَذَا عَلَى حِينِ طَفَى النِّفَاقُ وَأَسْتَفْجَلُ النُّكَاثِ (٣) وَالْمُرَاقُ
 وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سُكَّانِهَا وَأَذْكَتِ الْحَرْبُ لُظَى نِيرَانِهَا

٥

١٠
٣٦٤
٢

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول: « زهاء » .
 (٢) في أكثر الأصول: « بدرين » .
 (٣) في بعض الأصول: « النكاث » .

- ونحنُ في عَشْواءِ مُدْهَمَةٌ وظُلْمَةٌ ما مِثْلُها من ظُلْمَةٍ
تَأخِذُنا الصَّيْحَةُ كُلَّ يَوْمٍ فما قَلْدٌ مُثْلَةٌ بِنَوْمٍ
وقد نُصَلِّي العَيْدَ بالنِواظِرِ مَخافَةً من العَدُوِّ الشَّارِرِ^(١)
حَتَّى أَتانا العَوْثُ من ضِياءِ طَبَّقَ بين الأَرْضِ والسَّماءِ
خَلِيفَةَ اللهِ الَّذِي أَصْطَفاهُ على جَمِيعِ الخَلْقِ وأَجْتَباهُ
مِن مَعْدِنِ الوَحْيِ وَبَيْتِ الحِكْمَةِ وخَيْرِ مَنْسُوبٍ إلى الأُمَّةِ^(٢)
تَكِلُّ عَن مَعروفِهِ الجَنائِبُ وتَسُدُّ عَن جُودِهِ السَّحابُ^(٣)
في وَجْهِهِ من نُورِهِ بَرهانُ وكَفَّهُ تَقْبيْلُها^(٤) قُرْبانُ
أَحْياءِ الَّذِي ماتَ مِنَ المِكارِمِ من عَهْدِ كَعْبِ وَزَمانِ حاتِمِ^(٥)
مِكارِمُ يَقْضُرُ عَنا الوَصْفُ وغُرَّةٌ يَحْسُرُ عَنا الطَّرْفُ
وَشِيبَةٌ كالصَّابِ أوِ كالماءِ وَهَمَّةٌ تَرَقَّى إلى السَّماءِ
وَأَنْظُرُ إلى الرَفِيعِ من بُنيانِهِ^(٦) يُرِيكَ بِدَعَا من عَظِيمِ شانِهِ
لوخايلُ^(٧) البَحْرُ نَدَى يَدِيهِ إِذا لَجَّتْ^(٨) عَفاتُهُ إِلَيْهِ
لِغاضٍ أوِ لِسَكاذِ أن يَفِيضاً ولا أَسْتَحْيِ من بَعْدِ أن يَفِيضاً
مَنْ أَسْبَغَ النُّعْمى وَكانتِ مَحْفَافاً وَفَتَّقَ الدُّنْيا وَكانتِ رَتَقاً^(٩)
هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الأُمَّةِ وَجابَ عَنا دِامِساتِ الظُّلْمَةِ
وَجدَّدَ المُلْكَ الَّذِي قَدِ أَخْلَقا حَتَّى رَسَتِ أوِ تادَهُ وَأَسْتَوْسَقا^(١٠)
وَجَمَعَ العُدَّةَ وَالعَدِيدا وَكَشَفَ الأَجنادِ وَالْحُشودا

(١) النواظير ، وحذفت الياء للشعر : جمع ناظور ، وهو الحارس .

(٢) في بعض الأصول : « أمية » . (٣) الجنائب : جمع جنوب ، وهي ريح

تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا .

(٤) في بعض الأصول : « لفعله » . (٥) يريد كعب بن مامة وحاتم طيء ،

من أجواد العرب . (٦) في بعض الأصول : « وانظر إلى البديع من بيانه » .

(٧) الخبايلة : المباراة . وفي بعض الأصول : « كابل » .

(٨) في بعض الأصول : « إذا التجت » .

(٩) في بعض الأصول : « ورقق الدنيا وكانت فتقا » .

(١٠) في بعض الأصول : « واستوثقا » .

أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

ثم انتحى جِيَان^(١) في غزاته بعسكر يسعر من حُمَاهِ^(٢)
 فاستنزل الوحش من المضابِ كأنما حطَّت من السحابِ
 فأذعنت مرأقها سِرَاعًا وأقبلت حُصونها تداعى
 لما رماها بسُيوف العزَمِ مَشْحُوذة على دُرُوع الحزَمِ
 كادت لها أنفسهم تجودُ وكادت الأرضُ بهم تَمِيدُ
 لولا الإله زُلزت زِلزالها وأخرجت من رَهبة أثقالها
 فأنزل الناسَ إلى البَسِيطِ وَقَطَعَ البَيْنَ من الخَلِيطِ
 وافتتح الحصونَ حصنًا حصنًا وأوسع الناسَ جميعًا أمنًا
 ولم يزل حتى أنتحى جِيَانًا فلم يَدع بأرضها شيطانًا
 فأصبح الناسُ جميعًا أمه قد عَقَدَ الإلَ لهم والذِّمَّة
 ثم أنتحى من فوره البيرة^(٣) وهي بكلِّ آفةٍ مشهورة
 فداستها نَخِيله ورجله حتى تَوَطَّأ خَدَّها بنقله
 ولم يَدع من جنبها مَرِيدًا بها ولا من إنسها عَنِيدًا
 إلا كَسَاهَ الذَّلَّ والصَّغَارَا وَعَمَّه وأهله دَمَارَا
 فما رأيتُ مثلَ ذلك العامِ ومثلَ صنْعِ الله للإسلامِ
 فأنصرفَ الأميرُ من غزاته وقد شَفَاهَ اللهُ من عُدَاتِه
 وقبلها ما خَضعت وأذعنتُ إِسْتِجَّةً^(٤) وطالما قد صَنعتُ
 وبعدها مدينة السَّمِيلِ^(٥) ما أذعنت للصارمِ الصَّقِيلِ

٣٦٥
٢

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٤٩٩) من هذا الجزء .
 (٢) في بعض الأصول : « يسعد من حماته » . (٣) قال باقوت : لبيرة ، بوزن
 لخریطة وبعضهم يقول : بليرة ، وربما قالوا : لبيرة : كورة كبيرة من الأندلس .
 (٤) إستجة (بالكسر ثم السكون وكسر التاء) : اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال
 رية . (انظر معجم البلدان) . (٥) شميل : أحد نهري غرناطة وينحدر
 من جبل شاير . والآخر حدرة ، وينحدر من جبل بناحية مدينة وادي آش .
 وفي بعض الأصول : « النخيل » . وفي سائرهما : « الضنجيل » .

لما غزاها قائدُ الأميرِ باليمنِ في لوائهِ المنصورِ
فأسلمتْ ولم تكنِ بالمسلمةِ وزال عنها أحمدُ بنُ مسلمةِ
وبعدها في آخرِ الشهورِ من ذلك العامِ الزَّكيُّ^(١) النُّورِ
أزجفت القلاعُ والحُصونُ كأنما ساورها المنونُ
وأقبلتْ رجالها وفودًا تبغى^(٢) لدى إمامها السُّعوديِّ
وليس من ذى غزاةٍ وشده^(٣) إلا توافوا عند باب السُّدهِ
قلوبهم باخعةٍ بالطاعةِ قد أجمعوا النُّخولَ في الجماعهِ

سنة إحدى وثلاثمائة

ثم غزا في عقب عامِ قابلِ فجال في شدونة^(٤) والساحلِ
ولم يدع ربة^(٥) والجزيره حتى كوى أكلبها الهريره
حتى أناخ نى ذرى قرمونه^(٦) بكل كل كدرة الطاحونه
على الذى خالف فيها وأنزى يعزى إلى سواده إذا أعترى^(٧)
فسال أن يمهلهُ شهورا ثم يكون عبده المأمورا
فأسعف الأميرُ منه ما سأل وعاد بالفضل عليه وقفل

سنة اثنتين وثلاثمائة

كان بها القفول عند الجيِّهِ من غزو إحدى وثلاثمائه
فلم يكن يُدرِك في باقِها غزو ولا بعت يكون فيها

(١) في بعض الأصول : « الذكى » . (٢) في بعض الأصول : « مدى أيامها » .

(٣) في بعض الأصول : « وعده » . وفي سائرهما : « ومنعه » .

(٤) شدونة (بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون) : مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٥) ربة : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء . (انظر معجم البلدان) .

وفي بعض الأصول : « مرية » . (٦) قرمونة : مدينة بالأندلس في الشرق

من إشبيلية وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٧) وفي معجم البلدان : « قرمونية » . (٧) في ابن الأبار : « سواره » .

سنة ثلاث وثلثمائة

ثُمَّتْ أَعْرَبِي فِي الثَّلَاثِ عَمَّةٌ وَقَدْ كَسَاهُ عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ
 فَسَارَ فِي جَيْشٍ شَدِيدٍ ^(١) الْبَاسِ وَقَائِدُ الْجَيْشِ أَبُو الْعَبَّاسِ ^(٢)
 حَتَّى رَفِيَ بَدْرِي يُبَشِّرُهُ ^(٣) وَجَالَ فِي سَاحَاتِهَا بِالْعَسْكَرِ
 فَلَمْ يَدَعْ زَرْعًا وَلَا ثَمَارًا لَهُمْ وَلَا عَلِقًا وَلَا عُقَارًا
 وَقَطَعَ الْكُرُومَ مِنْهَا ^(٤) وَالشَّجَرَ وَلَمْ يُبَايِعْ ^(٥) عَلِيَّهَا وَلَا ظَهْرَهُ
 ثُمَّ أَتْنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَافِلًا وَقَدْ أَبَادَ الزَّرْعَ وَالْمَاكِيلَا
 فَأَيُّقِنِ الْخَزِيرُ عِنْدَ ذَاكَ أَنْ لَا بَقَاءَ يُرْتَجَى هُنَاكَ
 فَكَاتَبَ الْإِمَامَ بِالْإِجَابَةِ وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالْإِنَابَةَ
 فَأَخَذَ اللَّهُ شِهَابَ الْفِتْنَةِ وَأَضْمَحَ النَّاسُ مَعًا فِي هُدُنِهِ
 وَأَرْتَعَتِ الشَّاةُ مَعًا وَالذَّبَّابُ إِذْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا الْحُرُوبُ

٣٦٦
٢

٥

١٠

سنة أربع وثلثمائة

وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَاةُ أَرْبَعٍ فَأَيُّ صُنْعٍ رَبُّنَا لَمْ يَصْنَعِ
 فِيهَا يَبْسُطُ الْمَلِكُ الْأَوَاهِ كَلَّمْنَا بِيَدِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَذَلِكَ أَنْ قَوَّدَ ^(٦) قَائِدَيْنِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ظَاهِرَيْنِ
 هَذَا إِلَى الثَّمَرِ وَمَا يَلِيهِ عَلَى عَدُوِّ الشَّرْكِ أَوْ ذَوِيهِ

١٥

(١) في بعض الأصول : « صدوق » .

(٢) أبو العباس ، هو أحمد بن أبي عبيدة ، وسيأتي ذكره قريباً . (انظر ابن الأثير ٤ : ١٤١) .

(٣) انظر الحاشية رقم (٨ ص ٤٢٦) من هذا الجزء .

(٤) في بعض الأصول : « منه » .

(٥) كذا في بعض الأصول . وفي بعض آخر : « لم يصادر » . وفي سائرهما : « لم يضاف » .

(٦) في بعض الأصول : « يقود » .

وذا إلى شَمِّ الرُّبَا من مُرْسِيهِ وما مَضَى جرى إلى بَلَنْسِيهِ (١)
 فَسَكَانَ مَنْ وَجَّهَهُ لِسَاحِلِ القُرْشِيِّ القَائِدِ القَنْابِلِ (٢)
 وابن أبي عَبدَةَ نحو الشَّرِكِ في خَيْرٍ ما تَعْبِيهِ وَشِكِّ (٣)
 فَأَقْبَلَا بِكُلِّ فَتَحَ شَامِلِ وَكُلِّ تُجَكِّ لِلْعَدُوِّ ثَاكِلِ
 وبعد هذِي الفَرْوَةِ الفَرَاءِ كانَ أَفْتَحَ لِبَلَّةِ (٤) الحَمْرَاءِ
 أَغزَى بِجُنْدٍ نَحْوَهَا مَوْلَاهُ في عَقَبِ هَذَا العَامِ لا سِوَاهُ
 بَدْرًا فَضَمَّ جَانِبَيْهَا ضَمَّهُ وَغَمَّهَا (٥) حَتَّى أَجَابَتْ حُكْمَهُ (٦)
 وَأَسْلَمَتْ صَاحِبَهَا مَقْمُورًا حَتَّى آتَى بَدْرَ بِهِ مَأْسُورًا

سنة خمس وثلثمائة

وبعدها كانت غرأة خمس إلى السَّوَادِيِّ عَقِيدِ النَّحْسِ ١٠
 لما طَعَنِي وَجَاوَزَ الحُدُودَا وَنَقَضَ المِشَاقَ وَالْعُهُودَا
 وَنَابَذَ السُّلْطَانَ مِنْ شَقَائِهِ وَمِنْ تَعَدِّيهِ وَسُوءِ رَأْيِهِ
 أَغزَى إِلَيْهِ القُرْشِيُّ القَائِدَا إِذْ صَارَ عَن قَصْدِ السَّبِيلِ حَائِدَا
 تُمَّتْ شِدَّةُ أَزْرِهِ بِبَدْرِ فَسَكَانَ كَالشَّفَعِ لِهَذَا الوِتْرِ (٧)
 أَحَدَتَهَا بِالخَيْلِ وَالرِّجَالِ مُشَمَّرًا وَجَدَّ في القِتَالِ ١٥
 فَنَازَلَ الحِصْنَ العَظِيمَ الشَّانِ بِالرَّجُلِ وَالرَّمَامَةِ وَالْفَرَسَانِ

(١) مرسية (بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وباء مفتوحة خفيفة) : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير . وبلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير . (انظر معجم البلدان) .

(٢) هو إسحاق بن محمد القرشي . (انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٩) .

(٣) شك : جمع شكة ، بالكسر فيهما ، وهي السلاح .

(٤) لبللة (بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى) : قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية ، وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة ولها مدن ، وتعرف بلبللة الحمراء . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : «لبللة» بالثناة التحتية .

(٥) في بعض الأصول «وعمها» . (٦) في بعض الأصول : «عثوه» .

(٧) بدر ، هو بدر بن أحمد الحاجب . (انظر البيان المغرب ج ١ ص ١٧٩) . وفي بعض الأصول : «بها والوتر» .

فلم يزل بدرّ بها محاصراً
والكلب في تهوّر^(١) قد انغمس
فأفترق الأصحاب عن لوائه
وأقتحم العسكر في المدينة
مستسلماً للذل والصغار
فنزح الحاجب تاج ملكه
وكان في آخر هذا العام
غزاً وكان أنجمد الأنجاد
فسار في غير رجال الحزب
مُحارباً في غير ما مُحارب
وأجتمعت إليه أخلاط الكوز
حتى إذا أوغل في العدو
أسلمه أهل القلوب القاسية
فاستشهد القائد في أبرار
في غير تأخير ولا فرار

٥

١٠

١٥

سنة ست وثلثمائة

ثم أقاد الله من أعدائه
في مبدأ العام الذي من قابل
فكان من رأي الإمام الماجد
أن أحتّمى بالواحد القهار
وأحكم النصر لأوليائه
أزهد فيه الحق نفس الباطل
وخير مولود وخير والد
وافاض من غيظ على الكفار

٢٠

(١) في أكثر الأصول: « يتهور ». (٢) في بعض الأصول: « الضغينة ». (٣) كذا في بعض الأصول. وفي سائرهما: « مكما ». والمسكنع: المققع اليد أو المقطوعها. (٤) يريد: نكب الإسلام بأبي العباس، فقلب. وفي بعض الأصول: « نكت ». وفي بعض آخر: « ركت ».

٢٥

فَجَمَعَ الْأَجْنَادَ وَالْحُشُودَا وَنَفَرَ السَّيِّدَ وَالسَّوَدَا
وَحَشَرَ الْأَطْرَافَ وَالْمَغُورَا وَرَفَضَ اللَّذَاتِ وَالْحُبُورَا
حَتَّى إِذَا مَا وَفَتِ الْجُنُودُ وَاجْتَمَعَ الْحَشَادُ وَالْحُشُودُ
فَوَدَّ^(١) بَدْرًا أَمَرَ تِلْكَ الطَّائِفَةُ وَكَانَتْ النَّفْسُ عَلَيْهِ خَائِفَةُ
نَسَارَ فِي كِتَابٍ كَالسَّيْلِ وَعَسَكَرَ مِثْلَ سَوَادِ اللَّيْلِ
حَتَّى إِذَا حَلَّ عَلَى مُطْنِيهِ^(٢) وَكَانَ فِيهَا أَخْبَثُ الْبَرِيهِ
نَاصِبِهِمْ حَرْبًا لَهَا شَرَارُ كَأَنَّمَا أَضْرَمَ فِيهَا النَّارُ
وَجَدَّ مِنْ بَيْنِهِمُ الْقِتَالُ وَأَحْدَقَتْ حَوْلَهُمُ الرِّجَالُ
فَخَارَبُوا يَوْمَهُمْ وَبَاتُوا وَقَدْ نَفَتْ نَوْمَهُمُ الرِّمَاءُ
فَهُمْ طَوَالَ اللَّيْلِ كَالطَّلَاحِ^(٣) جَرَّاحُهُمْ تَنَفَّلَ فِي الْجَوَارِحِ
ثُمَّ مَضَوْا فِي حَرْبِهِمْ أَيَّامًا حَتَّى بَدَأَ^(٤) الْمَوْتُ لَهُمْ زُؤَامًا
لَمَّا رَأَوْا سَحَابَ الْمَنِيِّ تَمَطَّرَهُمْ صَوَاعِقُ الْبَلِيَّةِ
تَمَلَّغَلِ الْعُجْمُ بِأَرْضِ الْعُجْمِ وَانْحَشَدُوا^(٥) مِنْ تَحْتِ كُلِّ نَجْمِ
فَأَقْبَلَ الْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيثًا يَوْمَ الْجُمُعِيسِ مُسْرَعًا حَثِيثًا
بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّجْلُ وَالْفُؤَارُ وَحَوْلَهُ الصُّلْبَانُ وَالنُّوَاقِيسُ
وَكَانَ يَرَجُونَ يُزِيلُ الْعَسْكَرَا عَنِ جَانِبِ الْحِصْنِ الَّذِي قَد دُمِرَا
فَأَعْتَقَهُ بَدْرٌ بَيْنَ لَدَيْهِ مُسْتَبْصِرًا فِي زَحْفِهِ إِلَيْهِ
حَتَّى التَقَّتْ مَيْمَنَةُ بِمَيْسَرِهِ^(٦) وَأَعْتَقَتْ الْأَزْوَاحُ عِنْدَ الْخُنْجَرِهِ
فَفَازَ حِزْبُ اللَّهِ بِالْعِلْجَانِ وَأَنْهَزِمَتْ بَطَانَةُ الشَّيْطَانِ
فَقُتِلُوا قِتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ الْعِلْجُ ذَمِيمًا خَازِيَا^(٧)

(١) في بعض الأصول : « أفاد » . (٢) في البيان : « مطونية » .

(٣) الطَّلَاحُ : الإبل أعيت وتعبت . ونفل الجرح : فسد . وفي بعض الأصول :

« تشغل » . وفي بعض آخر : « تصل » . والجوارح : أعضاء الإنسان .

(٤) في أكثر الأصول : « ترى » . (٥) في بعض الأصول : « وانحشروا » .

(٦) اعتقت : اعترضت . وفي أكثر الأصول : « واعتلت » .

(٧) في أكثر الأصول : « خاسيا » .

وانصرف الناس إلى القليعة^(١) فصبّحوا العدو يوم الجمعة
 ثم التقى العليجان في الطريق التنبلوني مع الجليلي^(٢)
 فأعدا على أتهاب العسكر وأن يموتا قبل ذلك المحضر
 وأقسما بالجئبت والطاغوت لا يهزما دون لقاء الموت
 فأقبلا بأعظم الطغيان قد جلاوا الجبال بالفرسان
 حتى تداعى الناس يوم السبت فكان وقتاً ياله من وقت
 فأشرعت بينهم الرماح وقد علا التكبير والصياح
 وقارقت أعمادها السيوف وفجرت أفواهاها الحتوف
 وألقت الرجال بالرجال وأنغمسوا في غمرة القتال
 في موقفٍ زاغت به الأبصار وقصرت في طوله الأعمار
 وهب أهل الصبر والبصائر فأوعقوا^(٣) على العدو الكافر
 حتى بدت هزيمة البشكنس^(٤) كأنه محتضب بالورس
 فانقضت العقبان والسلافة زعقاً^(٥) على مقدم الجلائقه
 عقبان موتٍ تحطف الأرواحاً وتُسبع السيوف والرماحاً
 فانهزم الخيزير عند ذا كآ وانكشفت عورته هناك
 فقتلوا في بطن كل وادي وجاءت الرؤوس في الأعواد
 وقدم القائد ألف راس^(٦) من الجلائق^(٧) ذوى العماس^(٨)

(١) في بعض الأصول: « مظنة ». قال ابن عذارى في البيان (ج ٢ ص ٢٤٨):

« ثم مرجوا — يريد النصارى — على حصن بقرهم يعرف بالقليعة ... فانحشد
 إليهم جميع أهل المدينة بفارسهم ورجالهم ... فنحهم الله عز وجل آكتاف
 السكر ». (٢) في بعض الأصول: « الخليق ».

(٣) أوعق الفارة: بثها. وفي بعض الأصول: « فأرجفوا ».

(٤) البشكنس: سكان الأندلس. وانظر نفع الطيب للمقرى.

(٥) زعقه (كنمه): ذممه. وفي بعض الأصول: « رهقا ». والرهق (كالفرح):

أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه، ولا يستقيم بها وزن الشعر إلا مع إسكان الهاء.

(٦) في بعض الأصول: « فارس ». (٧) في بعض الأصول: « الجلائق ».

والجلائق: جمع جانيق (يفتح الثاء المثناة): رئيس للنصارى.

(٨) ذوى العماس، أو ذوى الشدة والبأس. ومنه: أمرعماس، كسحاب، أى شديد. وفي

بعض الأصول: « ذوى الفماس ». وفي بعض آخر: « العماس ». وفي سائرهما: « الفطارس ».

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

فتمَّ صنْعُ الله للإسلامِ وعمَّنا سرورُ ذاك العامِ
 وخيرُ ما فيه من السرورِ موت ابنِ حفصون به الخنزيرِ
 فاتصل الفتحُ بفتح ثاني والنصرُ بالنصر من الرحمن
 وهذه الغزاة تُدعى القاضية وقد أتهم بعد ذاك الداهية^(١)

سنة سبع وثلثمائة

وبعدھا كانت غزاة بلده^(٢) وهي التي أوذت بأهل الردة
 وبدؤها أن الإمام المصطفى أصدق أهل الأرض عدلاً ووفاً
 لما أتته مينة الخنزيرِ وأنه صار إلى السعيرِ
 كاتبه أولاده بالطاعة وبالدخول مدخل الجماعة
 وأن يُقرَّهم على الولاية على درور الخرج والجباية
 فأختار ذلك الإمام المفضل ثم لوى الشيطان رأس جعفرِ
 فنقض العهود والميثاقاً ولم يزل من رأيه التفضلُ
 وصار منه نافخاً في المنخرِ وأستعمل التَّشغيب والنفاقاً
 وضمَّ أهل التُّكث والخلاف من غير^(٣) ما كافٍ وغير وافي^(٤)
 فاعتاقه^(٥) الخليفة المؤيد وهو الذي يُشقى به ويُستعدُّ
 ومن عليه من عُيون الله حوافظ من كل أمر داهي
 فجنَّد الجنود والكتائب وقوِّد القواد والمقانبأ
 ثم غزا في أكثر العديدي مُستصحباً بالنصر والتأييدِ
 حتى إذا مرَّ بحصن بلده خلف^(٦) فيه قائداً في عده

(١) في بعض الأصول : « الرابية » .

(٢) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية ، وقيل من أعمال تبرة . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : « لغير » . (٤) في بعض الأصول : « ولا موافى » .

(٥) اعتاقه : صرفه وثبطه ، كما قاله .

(٦) في أكثر الاصول : « خلف فيها » .

يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْتِشَارِ خَيْلِهِمْ وحارساً^(١) في يومهم وليلهم
ثم مَضَى يَسْتَنْزِلُ الْحُصُونَا وَيَبْعَثُ الطَّلَاعَ وَالْعِيُونَا
حَتَّى آتَاهُ بِأَشْرَدٍ^(٢) مِنْ بَلَدَةٍ يَعدُو بِرَأْسِ رَأْسِهَا فِي صَعْدَةٍ
فَقَدَّمَ الْخَيْلَ إِلَيْهَا مُسْرِعَاً وَأَحْتَلَّهَا مِنْ يَوْمِهِ تَسْرِعَاً
فَخَفَّهَا بِالْخَيْلِ وَالرُّمَاهِ وَجَمَلَةَ الْحِمَاةَ وَالْكِمَاهِ
فَأَطَاعَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْقَابِهَا^(٣) وَأَقْتَحَمَ الْجُنْدُ عَلَى أَبْوَابِهَا
فَأَذَعَنْتْ وَلَمْ تَكُنْ بِمُدْعِنَةٍ وَأَسْتَسَلَمَتْ كَافِرَةً^(٤) لِمُؤْمِنَةٍ
فَقَدَّمَتْ كُفَّارَهَا لِلسَّيْفِ وَقَتَّلُوا بِالْحَقِّ لَا بِالْخَيْفِ
وَذَاكَ مِنْ يُمِّنِ الْإِمَامِ الْمُرْتَضَى وَخَيْرٍ مَنْ بَقِيَ وَخَيْرٍ مَنْ مَضَى
ثُمَّ أَنْتَحَى مِنْ فَوْرِهِ بِيَشْتَرَاً فَلَمْ يَدْعُ بِهَا قَضِيْبًا أَحْضَرَاً
وَحَطَّمَ النَّبَاتَ وَالزَّرْوَعَاً وَهَتَّكَ الرَّبَاعَ وَالرُّبُوعَاً
فَإِذَا رَأَى الْكَلْبُ الَّذِي رَأَاهُ مِنْ عَزْمِهِ فِي قَطْعِ مُنْتَوَاهُ^(٥)
أَتَقَى إِلَيْهِ بِالْيَدَيْنِ ضَارِعَاً وَسَالَ أَنْ يُبْقَى عَلَيْهِ وَادْعَاً^(٦)
وَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي طَاعَتِهِ عَلَى دُرُورِ الْخَرْجِ مِنْ جِبَابَتِهِ^(٧)
فَوَتَّقَ الْإِمَامُ مِنْ رِهَانِهِ كَيْلَا يَكُونَ فِي عَمَى^(٨) مِنْ شَانِهِ
وَقَبِلَ الْإِمَامُ ذَلِكَ مِنْهُ فَضَلًّا وَإِحْسَانًا وَسَارَ^(٩) عَنْهُ

(١) في أكثر الأصول: « حرسهم » .

(٢) باشر، أى مبشر . وفي بعض الأصول: « ياسر » .

(٣) أنقابها ، أى مداخلها ومنافذها وطرقها . وفي بعض الأصول: « أعقابها » .

(٤) في بعض الأصول: « واستسلم ابن كافر » .

(٥) في بعض الأصول: « في قطعه مشواه » .

(٦) في بعض الأصول: « وسأل الإبقاء له مواد » .

(٧) في بعض الأصول: « ورد » .

(٨) في بعض الأصول: « في غنى » .

(٩) في بعض الأصول: « وزال » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

سنة ثمان وثلاثمائة

تم غزا الإمام دار الحرب فكان خطباً ياله من خطب^(١)
فحشدت^(٢) إليه أعلام الكور^(٣) ومن له في الناس ذكراً وخطراً^(٤)
إلى ذوى الديوان والرايات وكل منسوب إلى الشامات
وكل من أخلص للرحمن بطاعة في السر والإعلان
وكل من طوع في الجهاد^(٥) أو ضمه سرّج على الجياد^(٥)
فكان حشداً ياله من^(٦) حشد من^(٧) كل حرّ عندنا وعبيد
فتمحسب الناس جرّاداً منتشر^(٨) كما يقول ربنا فيمن خسر
ثم مضى المظفر المنصور على جبينه الهدى والنور
أمامه جنده من الملائكة أخذة لربها وتاركه
حتى إذا فوز^(٨) في العدو جنبه الرحمن كل سؤ
وأنزل الجزية والدواهي على الذين أشركوا بالله
فزلت أقدامهم بالرعب وأستنفر وامن خوف نار الحرب^(٩)
واقتموا الشعب والمكامن^(٩) وأسلموا الحصون والمدائن^(٩)
فما بقي من جنّبات دور^(١٠) من بيعة لراهب أو دير
إلا وقد صيرها هباء كالتار إذ وافقت الأباء^(١١)

(١) في البيان المغرب: « وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة أمير المؤمنين إلى دار الحرب وهي غزاة موبش » .

(٢) في بعض الأصول: « نحاشدت » .

(٣) في بعض الأصول: « النار » . (٤) في بعض الأصول: « الجهاد » .

(٥) في أكثر الأصول: « تعديّة الحشاء » في مكان « مسرج على الجياد » .

(٦) في بعض الأصول: « لم يكن » مكان « ياله من » .

(٧) في بعض الأصول: « في » .

(٨) فوز: مضى . (٩) في بعض الأصول: « حر »

(١٠) في أكثر الأصول: « فما تبقى من جنّاب دور » .

(١١) الأباء: القصب؛ الواحدة: أباءة .

وزعزعت كتائبُ السلطان لسكر ما فيها من البُنَيانِ
فكان من أول حصن زعزَعُوا ومن به من العدو أَوْفَعُوا
مدينة معروفة بوخشمه فغادروها فحمة مسخمة
ثم ارتقوا منها إلى خواصر^(١) فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلاج يحثيهم^(٢) بجيشه يخشى ويقتفيهم^(٣)
حتى أتوا تَوًّا لوادى دى ففيه عني^(٤) الرشد سبل العنى
لما ألتقوا بجمع الجوزين وأجتمعت كتائب العليجين^(٥)
من أهل أليون وبنبلونه^(٦) وأهل أرنيط^(٧) و برشلونه^(٨)
تضافر^(٩) الكفر مع الإلحاد وأجتمعا من سائر البلاد
فاضطربوا في سفح طود عالي وصفحوا تعبئة القتال
فبادرت إليهم المقدمة سامية في خيلها المسومة
وردها متصل برد^(١٠) يمدده بحر عظيم المدد
فأنهزم العليجان في علاج ولبسوا ثوباً من العجاج
كلاهما ينظر حيناً خلفه فهو يرى في كل وجه حنقه
والبييض في إثرهم والسمر والقتل ماض فيهم والأسر
فلم يكن للناس من يراح وجاءت الرؤوس في الرماح
فأمر الأمير بالتقويض وأسرع العسكر في النهوض

(١) في بعض الأصول : « خواطر » . تحريف . وانظر البيان المغرب (ص ١٨٦)
ففيه تعداد للعدن والخواصر التي افتتحها المسلمون .

(٢) في بعض الأصول : « وينقيهم » . (٣) في بعض الأصول : « عض » .

(٤) العليجان هما أزدون وشانجه . (انظر البيان المغرب ص ١٨٧) .

(٥) أليون ، أي ليون وهي قاعدة من قواعد قشتالة . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

وبنبلونه : مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة ١٢٥ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٦) أرنيط : مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة ٣٠ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

وفي بعض الأصول : « يربص » : وفي سائرهما : « أربط » .

(٧) برشلونه : مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا . (انظر صفة جزيرة

الأندلس) . (٨) في بعض الأصول : « تظاهر » .

(٩) الرد : امتلاء الضرع من اللبن قبل النتاج . شبه به مدد الجيش .

فصَادَفُوا الْجُمْهُورَ لَمَّا هَزَمُوا وَعَايَنُوا قُوَادِمَهُمْ تَحْرُمًا
 فَدَخَلُوا حَدِيقَةَ الْعَمُوتِ إِذْ طَمَعُوا فِي حَصْنِهَا بِالْقُوَتِ
 فَيَا لَهَا حَدِيقَةً وَيَا لَهَا وَافَتْ بِهَا نَفْسُهُمْ آجَالَهَا
 تَحَصَّنُوا إِذْ عَايَنُوا الْأَهْوَالَ لَمَعَلِ كَانْ لَهُمْ عِقَالًا
 وَصَخْرَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِمْ صَيْلًا^(١) وَأَنْقَلَبُوا مِنْهَا إِلَى جِهَتَا
 تَسَاقَطُوا يَسْتَطْعَمُونَ الْمَاءَ فَأَخْرَجَتْ^(٢) أَرْوَاحَهُمْ ظِلَاءَ
 فَسَكَمَ لِسَيْفِ اللَّهِ مِنْ جَزُورٍ فِي مَادِبِ الْغَرْبَانِ وَالنَّسُورِ
 وَكَمَّ بِهِ قَتْلَى مِنَ الْقَسَاوِسِ^(٣) تَنْدِبَ لِلصُّلْبَانِ^(٤) وَالنَّوَاقِسِ
 ثُمَّ ثَنَّى عَنَانَهُ الْأَمِيرُ وَحَوْلَهُ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ
 مُصَمَّمًا بِحَرْبِ دَارِ^(٥) الْحَرْبِ قُدَامَهُ كِتَابٌ مِنْ عُرْبِ
 فِدَامَتِهَا وَسَامَتِهَا بِالْخَسْفِ وَالْهَتِكِ وَالسَّفِكِ لَهَا وَالنَّسْفِ
 فَخَرَّتُوا وَمَزَقُوا الْحُصُونَا وَأَسْخَنُوا^(٦) مِنْ أَهْلِهَا الْعَيْونَا
 فَأَنْظَرُ عَنْ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ فَمَا تَرَى إِلَّا لَهَيْبَ النَّارِ
 وَأَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ بِلَاقِعًا فَمَا تَرَى إِلَّا دُخَانًا سَاطِعًا
 وَنُصِرَ الْإِمَامُ فِيهَا الْمُصْطَفَى وَقَدْ شَفَى مِنَ الْعَدُوِّ وَأَشْتَقَى

سنة تسع وثمانمائة

وبعدھا كانت غزاة طرّش سَمَا إِلَيْهَا جَيْشُهُ لَمْ يُنْهَسْ^(٧)
 وَأَحْدَقَتْ بِحَصْنِهَا الْأَفَاعِي وَكُلُّ صِيْلٍ أَسْوَدَ شُجَاعِ

(١) الصيلم : الداهية والأمر الشديد . (٢) في بعض الأصول : « فاستخرجت » .

(٣) في بعض الأصول : « النسائس » . وفي سائرهما : « القوامس » .

(٤) في بعض الأصول : « يتدب بالصلبان » .

(٥) في بعض الأصول : « بديع أهل » . (٦) في بعض الأصول : « وأشخصوا » .

(٧) في أكثر الأصول : « طوس ... تمس » . وما أنبتنا من سائر الأصول . وطرش

(بضم أوله وتشديد ثانيه وآخره شين معجمة) : ناحية بالأندلس تشتمل على

ولاية وقرى . انظر معجم البلدان وابن الأبار (ج ص ٢١٤) والبيان المغرب

(ص ١٩٠) . ولم ينهس ، أي لم يبى ولم يجهد .

ثم بنى حصناً عليها راتباً يعْتور القوادُ فيه دائماً
حتى أنابت عنوةً جنانها وغابَ عن يافوخها شيطانها
فأذعنت لسيد السادات وأكرم الأحياء والأموات
خليفة الله على عباده وخير من يحكم في بلاده
وكان موت بدر بن أحمد بعدَ قفول الملك المؤيد
وأستحجب الإمام خير حاجب وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الأغر من بنى جدير^(١) عقيد كل رافة وخير

سنة عشر وثلثمائة

وبعدها غزاة عشر غزوه بها أفتتاحُ منتلون عنوة^(٢)
غزا الإمام في ذوى السلطان يوم أهل الفكت والطغيان
فاحتل حصن منتلون^(٣) قاطعاً أسباب من أصبح فيه خالعاً
سار إليه وبني^(٤) عليه حتى أتاه مُتقياً يديه
ثم أنثنى عنه إلى شدوته^(٥) فعاضها سهلاً من الخزونه
وساقها بالأهل والولدان إلى لزوم قبّة الإيمان
ولم يدع صعباً ولا منيعاً إلا وقد أذلهم جميعاً
ثم أنثنى بأطيب القفول كما مضى بأحسن الفضول

سنة إحدى عشرة وثلثمائة

وبعدها غزاة إحدى عشرة كم نبهت من نائم في سكرة

(١) كذا في نفع الطيب (١ ص ٢٢٩) والبيان المغرب (ص ١٩١). والذي في الذهبي

(ص ٤٣٩): «موسى بن محمد بن حدير الحاجب» بالحاء المهملة. والذي

في الأصول: «جرير».

(٢) في أكثر الأصول: «منه وعنوة» مكان «ميتلون عنوة».

(٣) في بعض الأصول: «ثروية». (٤) في بعض الأصول: «ثني».

(٥) شذونه. مدينة بالأندلس. وانظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء.

٣٧٢
٢

٥

١٠

٢٠

٢٥

غز الإمام يُدْتَحَى بِبِشْتَرٍ^(١) فِي عَسْكَرٍ أَعْظَمَ بِذَلِكَ عَسْكَرًا
فاحتملَ مِنْ بِيْشْتَرٍ ذَرَاها
فخرَّبَ العُمُرانَ مِنْ بِيْشْتَرٍ
فأدخلَ العُدَّةَ^(٥) والعديدَا
ثم أنتمحى بمُدْحُصُونَ العُجْمِ
ما كانَ فِي سِوَا حِلِّ البُحُورِ
وأدخلَ الطاعةَ فِي مِكانِ
ثم رَمَى الثغَرَ بِخَيْرِ قَائِدِ
بِهَ قِئَا^(٨) اللهُ ذِوَى الإِشْرَاقِ
وَأنتاشَ مِنْ مَهْواتِها تُطِيلُهَ^(٩)
وطَهَّرَ^(١١) الثغَرَ وما يَلِيهِ
ثم أنثنى^(١٢) بِالْفَتْحِ والنِجَاحِ
فِي عَسْكَرٍ أَعْظَمَ بِذَلِكَ عَسْكَرًا
وَجالَ^(٢) فِي شاطِئِ^(٣) وَفِي سِوَاها^(٤)
وأذعنتَ شاطِئَ رَبِّ العَسْكَرِ
فِيها وَلم يَتَرَكَ بِها عَنيدًا
فداسها بِالقَضْمِ بَعْدَ الخَضْمِ^(٦)
مِنها وَفِي الغاباتِ وَالوُعودِ
لَمْ يَذرُ قِطْطَ طاعةِ السُلطانِ
وذاذمَ عَنه بِخَيْرِ ذائِدِ^(٧)
وَأنقذَ الثغَرَ مِنَ الهِلاكِ
وَقَد جَرَتِ دِماؤها مَطُولَهَ^(١٠)
مِن شِيعَةِ الكُفْرِ وَمِن ذِوِيهِ
قَد غَيَّرَ الفِسادَ بِالصِّلاحِ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء . وفي بعض الأصول :

« يتغنى ببشترًا » .

(٢) في بعض الأصول : « وراز » .

(٣) شاط : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة كثير الشجر والفواكه والخبرات .

(انظر معجم البلدان) .

(٤) في بعض : « ومستواها » . (٥) في بعض الأصول « القوة » .

(٦) القضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . وفي

بعض الأصول : « بالقضم بعد القضم » .

(٧) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو

(٨) كذا في بعض الأصول . و « قأ » (بالهمز وسهل) : قمع . والذي في سائر

الأصول : « قضى » .

(٩) تطيلة (بالضم ثم الكسر وباء ساكنة ولام) : مدينته بالأندلس في شرقي قرطبة .

(انظر معجم البلدان) .

(١٠) في بعض الأصول : « ثوت ... مطوله » .

(١١) في بعض الأصول : « سهل » .

(١٢) في بعض الأصول : « ثم انتهى » .

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

وبعدها غزاة نُفِثَ عَشْرَةٌ وكم بها من حَسْرَةٍ (١) وَعِبْرَةٍ
 غزا الإمامُ حوله كَتَائِبُهُ كالبدرِ محفوفاً به كواكِبُهُ (٢)
 غزا وسيفُ النصرِ في يَمِينِهِ وطالعُ السَّعِدِ على جَبِينِهِ
 وصاحبُ العسْكَرِ والتدبيرِ (٣) موسى الأغرُّ حاجبُ الأميرِ (٤)
 فدَمَّرَ الحُصُونِ من تَدْمِيرِ وأَسْتَنْزَلَ الوحشَ من الصُّخُورِ (٥)
 فاجتمعتْ عليه كُلُّ الأَمَةِ وبايعته أمراءُ الفِئْتَمَةِ
 حتى إذا أوعب من حُصُونِهَا وجَمَّلَ الحقُّ طلي مُتُونِهَا (٦)
 مَضَى وسارُ (٧) في ظلالِ العسْكَرِ تحت لواءِ الأسدِ الغَضَفَرِ
 رجالُ (٨) تَدْمِيرِ وَمَنْ يَلِيهِمْ من كُلِّ صِنْفٍ يَمْتَرِي إِلَيْهِمْ
 حتى إذا حَلَّ على نُطِيلِهِ (٩) بكت على (١٠) دمانها المَطْلُولَةِ
 وعِظَمَ ما لاقَتْ من العَدُوِّ والحربِ في الرِّواحِ والغَدُوِّ
 فهِمَّ أَنْ يُدْبِخَ (١١) دارَ الحربِ وأن تَكُونَ رِذَاهُ في الدَّرْبِ
 ثم أَسْتَشَارَ ذا النُّهْيِ والحِجْرِ من صَحْبِهِ وَمِنْ رِجَالِ الثُّغْرِ
 فكَلَّمَهُمْ أشارَ أن لا يُدْرِبَا ولا يَجُوزَ الجبلِ المَوْشَبَا

(١) في بعض الأصول : « خيرة » .

(٢) في بعض الأصول : « كتائب » و « الكواكب » .

(٣) في بعض الأصول : « والتدبير » . (٤) في بعض الأصول : « صاحب » .

(٥) تدمير (الضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراءه) : كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة حيان ، وهي شرقي قرطبة . (انظر معجم البلدان) .

(٦) أوعب الشيء : أخذه أجمع .

(٧) في بعض الأصول : « وطار » . (٨) في بعض الأصول : « رجال » .

(٩) انظر الحاشية رقم (٥) ص ٥١٦ من هذا الجزء .

(١٠) في بعض الأصول : « نكب عن » .

(١١) يدبغ ، أي يقهرها ويستولى عليها . وفي بعض الأصول : « يربخ » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- لأنه في عسكري قد انخرم^١ بنذب كل العرفاء والحشم^٢
 وشنعوا أن وراء الفعج^٣ خمسين ألفاً من رجال العليج^٤
 فقال لا بد من الدخول^٥ وما إلى حاشاه من سبيل
 وأن أديخ أرض بنبلونه^٦ وساحة المدينة الملعونة^٧
 وكان رأياً لم يكن من صاحب^٨ ساعده عليه غير الحاجب^٩
 فاستنصر الله وعبي ودخل فكان فتحاً لم يكن له مثل^{١٠}
 لما مضى وجاوز الثروبا وأدرع الهيحاء والخروبا
 عبي له علاج من الأعلاج^{١١} كتاباً غطت على الفجاج^{١٢}
 فأستنصر الإمام رب الناس ثم أستعان بالندى والباس
 وعاد بالزغبة والذعاء وأستنزل النصر من السماء
 فقدم القواد بالحشود وأتبع المدود بالمدود
 فأهزم العليج وكانت ملحمه^{١٣} جاوز فيها الساقه المقدمه^{١٤}
 فقتلوا مقتلة الفناء فأرتوت البيض من الدماء
 ثم أمال نحو بنبلونه وأقتحم العسكري في المدينة^{١٥}
 حتى إذا جاسوا خلال دورها وأسرع الخراب في معمورها
 بكت على ما فاتها النواظر^{١٦} إذ جعلت تدقها^{١٧} الحوافر^{١٨}
 لفقده من قتل من رجالها وذلل من أيتم من أطفالها
 فكملها وحوها من أغلف^{١٩} تهمل عليه الدمع عين الأسقف^{٢٠}
 وكم بها حفر^{٢١} من كفائس

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٥١٣) من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : « خير حاجب » .

(٣) في بعض الأصول : « العلاج ... الفجوج » .

(٤) في بعض الأصول : « مدقة » . (٥) الأغلف : الذى لا يرى .

(٦) في بعض الأصول : « دمع عين » .

(٧) في بعض الأصول : « معزاء » .

يَبْكِي لَهَا النَّاقُوسُ وَالصَّلِيبُ كَلَامًا فَرَضَ لَهُ النَّحِيبُ
وَانصَرَفَ الإِمَامُ بِالنَّجَاحِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْفَلَاحِ
ثُمَّ تَمَّتِ الرِّايَاتِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَنِي ذِي النُّونِ مِنْ تَوْفِيقِهِ
فَأَصْبَحُوا مِنْ بَسْطِهِمْ فِي قَبْضِ قَدِ الصَّقْتِ خَدَّوْهُمْ بِالأَرْضِ
حَتَّى بَدَّوْا إِلَيْهِ بِالْبَرْهَانِ مِنْ أَكْبَرِ الأَبَاءِ ^(١) وَالوِلْدَانِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ حَمْدًا كَثِيرًا وَعَلَى تَسْديدِهِ

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ثُمَّ غَزَا بَيْمَنَهُ ^(٢) أَشُونَا ^(٣) وَقَدِ أَشَادُوا حَوْلَهَا حُصُونًا
وَحَفَّهَا ^(٤) بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَقَاتَلُوهُمْ أَبْلَغَ القِتَالِ
حَتَّى إِذَا مَا عَايَنُوا الهَلَاكَ تَبَادَرُوا بِالطَّوْعِ حِينَذَا كَأَ ^(٥)
وَأَسْلَمُوا حِصْنَهُمُ المَنِيعَا وَسَمَّحُوا بِخُرُوجِهِمْ خُضُوعًا ^(٦)
وَقَبْلَهُمْ فِي هَذِهِ القِرَاةِ قَدِ هُدِّمَتْ مَعَاقِلُ العُصَاةِ ^(٧)
وَأَحْكَمَ الإِمَامُ فِي تَدْبِيرِهِ عَلَى بَنِي هَابِلَ ^(٨) فِي مَسِيرِهِ
وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ ذَوِي العَشِيرَةِ وَأُمَرَاءِ الفِتْنَةِ المُغِيرَةِ
إِذْ حُبِسُوا ^(٩) مَرَاقِبًا ^(١٠) عَلَيْهِمْ حَتَّى أَتَوْا بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ
مِنَ البَنِينَ وَالعِيَالِ وَالْحَشَمِ وَكُلِّ مَنْ لَازِمِهِمْ مِنَ العَدَمِ
فَهَبَطُوا مِنْ أَجْمَعِ البُلْدَانِ وَأَسْكَنُوا مَدِينَةَ السُّلْطَانِ

(١) في بعض الأصول: « أكثر الأنبياء ». وفي سائرهما: « أكثر الإماء » .
(٢) في بعض الأصول: « بيقية ». (٣) كذا في بعض الأصول . ولعلها:
« أشونة » وهي حصن بالأندلس من كورة استجة . (انظر معجم البلدان وصفة
جزيرة الأندلس) . (٤) في بعض الأصول: « وخصها » .
(٥) في بعض الأصول: « عند ذلك » . (٦) في بعض الأصول: « سريعا » .
(٧) في بعض الأصول: « معاقد الآساءة » . (٨) في بعض الأصول: « هائل » . وما
أثبتنا من سائر الأصول و Spanish Islam 353 .
(٩) في بعض الأصول: « حسبوا » . (١٠) في بعض الأصول: « مرتبا » .

فَسَكَانَ فِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ بِعَدْ خُضُوعِ الْكُفْرِ لِلْإِسْلَامِ
 مَشَاهِدٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ عَلَى يَدَي عَبْدِ الْحَمِيدِ الْقَائِدِ
 لَمَّا غَزَا إِلَى بَنِي ذِي النُّونِ فَسَكَانَ فَتَحًا لَمْ يَسْكُنْ بِالذُّونِ
 إِذْ جَاوَزُوا فِي الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ بِقَتْلِهِمْ لِعَامِلِ السُّلْطَانِ
 وَحَاوَلُوا الدُّخُولَ فِي الْأَذْيَةِ حَتَّى غَزَاهُمْ أَنْجِدُ الْهَرَبِيَّةِ
 فَعَاقَبَهُمْ عَنْ كُلِّ مَا رَجَّوهُ بِنَقْضِهِ كُلِّ (١) الَّذِي بَنَوَهُ
 وَضَبَطَهُ الْحِصْنَ الْعَظِيمَ الشَّانِ أَشْنِينَ (٢) بِالرَّجْلِ وَبِالْفُرْسَانِ
 ثُمَّ مَضَى إِلَيْهِمْ زَحْفًا يَخْتَطِفُ الْأَرْوَاحَ مِنْهُمْ خَطْفًا
 فَانْهَزَمُوا هَزِيمَةً لَنْ تُرْفَدَا وَأَسْلَمُوا صِنُومَهُمْ مُحَمَّدًا
 وَغَيْرُهُ مِنْ أَوْجُهِ الْفُرْسَانِ مَغْرَبٌ (٣) فِي مَأْتَمِ الْغُرَبَانِ
 مُقَطَّعِ الْأَوْصَالِ بِالسَّنَابِكِ مِنْ بَعْدِ مَا مَزُقَ (٤) بِالنِّيَّازِكِ
 ثُمَّ لَجُّوا إِلَى طَلَابِ الْأَمَنِ وَبَذَلَهُمْ وَدَائِعًا (٥) مِنْ رَهْنِ
 فَتَقَبَّضَتْ رِهَانَهُمْ وَأَمَّنُوا وَأَنْفَضُوا رَهْمَهُمْ وَأَذْعَنُوا
 ثُمَّ مَضَى الْقَائِدُ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّصَرُّفِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ وَالتَّسْيِيدِ
 حَتَّى آتَى حِصْنَ بَنِي عِمَارَةَ وَالحَرْبُ بِالتَّدْبِيرِ وَالإِدَارَةِ (٦)
 فَانْفَتَحَ الْحِصْنَ وَخَلَّى صَاحِبَهُ وَأَمَّنَ النَّاسَ جَمِيعًا جَانِبَهُ

سنة أربع عشرة وثلثمائة

لَمْ يَغْزُ فِيهَا وَغَزَتْ قُوَادُهُ وَأَعْتَوْرَتْ يُبَيْشْتَرًا (٧) أَجْنَادُهُ
 فَسَكَّاهُمْ أَبْلَى وَأَغْنَى وَكَتَفَى وَكُلُّهُمْ شَفَى الصُّدُورَ وَأَشْتَفَى

- ٢٠ (١) في بعض الأصول: «على». (٢) كذا في بعض الأصول والبيان مغرب
 (ص ٢٠٢). والذي في سائر الأصول: «سرية».
 (٣) في بعض الأصول: «مسربلا». وفي سائرهما: «مغربا».
 (٤) في بعض الأصول: «ما فرض».
 (٥) في بعض الأصول: «بدينا» . وفي سائرهما: «وثائفا» .
 (٦) في بعض الأصول: «بالحرب والتدمير والإغارة» .
 ٢٥ (٧) في الأصول: «ببستر» تحريف . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء .

ثم تلام بعد لَيْتُ الْغَيْلِ عَبْدُ الْحَمِيدِ مِنْ بَنِي بَسِيلٍ (١)
هو الذي قامَ مقامَ الضَّيْفَمِ وجاء (٢) في غَزَاتِهِ بِالصَّيْلِمِ (٣)
برأسِ جالوتِ النِّفاقِ والحَسَدِ من جُمعِ الخنزيرُ فيه والأسدُ
فها كه مع صحبه في عِدَّةِ مُصَلِّينَ عِنْدَ بابِ السُّدَّةِ (٤)
قد أمتطى مطية لا تبرحُ صائمةً قائمةً لا ترمحُ
مطية إن يعرُها أنكسارُ يُطَبِّها النَّجَّارُ لا البيطارُ
كأنه من فوقها أسوار (٥) عيناها في كلتيمها مسنارُ
مباشراً للشمسِ والرياحِ على جوادٍ غيرِ ذى جِراحِ
يقول للخاطرِ بالطَّرِيقِ قولَ مُحَبِّ ناصِحِ شَفِيقِ
هذا مقامِ خادمِ الشيطانِ وَمَنْ عَصَى خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ
فما رأينا واعظاً لا يَنْطِقُ أَصْدَقَ مِنْهُ فِي الَّذِي لَا يَصْدُقُ
فقل لمن غرُّ (٦) بسوءِ رائه يَمُتْ إِذَا شَاءَ بِمِثْلِ دائِه
كم مارقٍ مضى وكم مُنَافِقِ قَدَارَتَقَى فِي مِثْلِ ذاكِ الحالِقِ
وعاد وهو في العصا مُصَلَّبِ ورأسُه في جذعِه مُرَكَّبِ
فكيف لا يَعتَبِرُ الخالِفُ بِحالِ مَنْ تَطَلَبَه الخلائِفُ
أما تراه في هوانٍ يرتع (٧) معتبراً لمن يَرَى وَيَسْمَعُ

سنة خمس عشرة وثلثمائة

فيها غزاه معتزماً (٨) ببُسترا (٩) نجال في ساحتها ودمراً

- (١) كذا في البيان المغرب (ص ٢٠٣) . والذي في ابن الأبار (ج ٤ ص ١٣٥) :
« عبد الحميد بن سبيل » . والذي في الأصول « نثيل » .
(٢) في بعض الأصول : « وجال » . (٣) الصيلم : الداهية والأمر الشديد .
(٤) في بعض الأصول : « عندنا السدة » مكان « باب السدة » .
(٥) الأسوار (بالضم والسكسر) : قائد الفرس ، والحميد الرمي بالسهم ، والثابت على
ظهر فرسه . (٦) في بعض الأصول : « عزاء » . (٧) في بعض الأصول :
« أما رآه من هوان يرفع » . (٨) في بعض الأصول : « مستعزماً » .
(٩) في الأصول : « بسترا » . وانظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء .
(٤ - ٦٦)

ثم غزا طنجيرة^(١) إليها وهي الشجيرة من بين أخذعينها
وامتدّها بابن السليم راتباً مشمراً عن ساقه محارباً^(٢)
حتى رأى حفص سبيل رُشده بعد بلوغ غايته من جهده
فدان للإمام قصداً خاضعاً وأسلم الحصن إليه طائعاً

سنة ست عشرة وثلثمائة

لم يغز فيها وانتحى ببشترًا فرمها بما رأى ودبرًا
واحتلها بالعزّ والتمكين ونحو آثار بني حفصون
وعاضها الإصلاح من فسادهم وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر من كل مُرتدٍ عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان عدوة الله والسلطان
فخرمت أجسادها تخرماً وأصليت أرواحهم جهنماً
ووجه الإمام في ذا العام عبد الحميد وهو كالضرغام^(٣)
إلى ابن داود الذي تقلعاً في جبلي شذونة^(٤) تمنعاً
فخطه منها إلى البسيط كطائر آذن بالشقوق
ثم أتى به إلى الإمام إلى وفي العهد والدمام

(١) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب (ص ٢٠٧) . قال ابن عذاري : « ثم

انتقل — يعني الناصر — إلى محلة طنجيرة ، فهدد بالبنان فيها وأقام بها » .
والذي في سائر الأصول : « ثم بنى طنجيرة عليها » .

(٢) راتباً ، من الرتب ، وهو الشدة والانصباب .

(٣) في بعض الأصول : « الضيقم الضرغام » .

(٤) في بعض الأصول : « شذونة » . تحريف . انظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤)

من هذا الجزء .

سنة سبع عشرة وثلثمائة

وبعد سَبْعَ عَشْرَةَ وفيها غزا بَطْلَيْوُسَ وما يليها ^(١)
 فلم يَزَلْ يَسُومُهَا بِالخَسْفِ وَيَنْتَحِبُهَا بِسُيُوفِ الحَتَفِ
 حتى إِذَا مَا ضَمَّ جَانِبَيْهَا مُحَاصِرًا ثُمَّ بَنَى عَلَيْهَا
 خَلِيَّ ابْنَ إِسْحَاقَ عَلَيْهَا رَاتِبًا مُتَابِرًا فِي حَرْبِهِ مُوَاطِبًا
 وَمَرَّ يَسْتَقْصِي ^(٢) حُصُونِ العَرَبِ وَيَقْتُلِيهَا بِوَيْبِيلِ العَرَبِ
 حتى قَضَى مِنْهُنَّ كُلَّ حَاجَةٍ وَأَفْتَتَحْتَ أَكْشُونِيَّةَ ^(٣) وَبَاجَةَ ^(٤)
 وَبَعْدَ فَتْحِ العَرَبِ وَأَسْتَقْصَايَهُ وَحَسَمِهِ الأَدْوَاءَ مِنْ أَعْدَائِهِ
 لَجَّتْ بَطْلَيْوُسُ عَلَى نِفَاقَيْهَا وَغَرَّهَا اللِّجَاجُ مِنْ مُرَاقِبَاتِهَا
 حتى إِذَا شَافَتْ الحُتُوفَا وَشَامَتِ الرِّمَاحَ وَالسُّيُوفَا
 دَعَا ابْنَ مَرْوَانَ إِلَى السُّلْطَانِ وَجَاءَهُ بِالعَهْدِ وَالأَمَانِ ^(٥)
 فَصَارَ فِي تَوْسِعَةِ الإِمَامِ وَسَاكِنًا فِي قُبَّةِ الإِسْلَامِ

سنة ثمانى عشرة وثلثمائة

فيها غَزَا بِعَزْمِهِ طَلِيظِلَهُ وَأَمْتَنَعُوا بِمَعْقِلِ لَامِثِلَ لَهُ
 حتى بَنَى جَرْنَكِشَ ^(٦) بِجَنْبِهَا حِصْنًا مَنِيعًا كَأَفْلَا بِحَرْبِهَا

- (١) بطليوس (بفتحين وسكون اللام وباء مضمومة وسين مهملة) : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غرب قرطبة . (انظر معجم البلدان) .
 (٢) في بعض الأصول : « يستصفر » .
 (٣) أكشونية (بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة) : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل لشبونة . (انظر معجم البلدان) . وفي الأصول : « شكوته » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ص ٢٠٥) .
 (٤) باجة : في خمسة مواضع ، منها باجة الأندلس هذه . (انظر معجم البلدان) .
 (٥) هو ابن مروان المنقري وكان على بطليوس . (انظر البيان المغرب ص ٢١٣) .
 (٦) كذا في تاريخ المسلمين بالأندلس لدوزي . وفي البيان المغرب (ص ٢١٨) : « جرنكش » . وفيه : حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليظة ، ثم أمر بالبيان في جبل جرنكش » . والنبي في الأصول : « جلنكشه » .

وشدّها بأبن سليم قائداً مجالداً لأهلها مجاهداً
فجّاسها في طول ذلك العام بالخسف والنسف وصرّب الهام

سنة تسع عشرة وثلثمائة

ثم أتى (١) ردّ قاله درّى (٢) في عسكر قضاؤه مقضى
فخاصروها عام تسع عشرة بكلّ محبوبك القوي ذى ميرة (٣)
ثم أتاهم بعدد بالرجال فقاتلهم أبلغ القتال

سنة عشرين وثلثمائة

حتى إذا ما سلفت شهور من عام عشرين لها ثبور
ألقت يديها بالإمام طائعه (٤) وأستسلمت قسراً إليه باخعه
فأذعنّت وقبلها لم تذعن ولم تقد من نفسها وتمكّن
ولم تدن لربّها بدين سبعا وسبعين من السنين
ومبتدى عشرين مات الحاجب موسى الذي كان الشهاب الثاقب
وبرز (٥) الإمام بالتأييد في عدّة منه وفي عديد
صمّدا (٦) إلى المدينة للعينه أتعسها الرحمن من مدينه
مدينة الشقاق والنفاق وموئل (٧) الفساق والرّاق
حتى إذا ما كان منها بالأمر وقد ذكّار الهجير واحتدم
أتاه واليها وأشياخ (٨) البلد مستسلمين للإمام المعتمد
فوافقوا الرّحب من الإمام وأنزلوا في البرّ والإكرام
ووجه الإمام في الظّهيره خيلاً لكي تدخل في الجزيرة (٩)

٢٠ (١) في بعض الأصول: « اثني ». (٢) درى، هو درى بن عبد الرحمن الصقلبي أبو عثمان، مولى أمير المؤمنين الناصر. (انظر البيان المغرب ص ٢٠٧)
(٣) في بعض الأصول: « أمره ». (٤) في بعض الأصول: « طائعه ».
(٥) في بعض الأصول: « وجوز ». (٦) في بعض الأصول: « صبرا ».
(٧) في بعض الأصول: « وتريد ». (٨) في بعض الأصول: « بأشياخ ».
(٩) في بعض الأصول: « لسكيا يدخل الجزيرة ».

جريدة^(١) فأندها درى^(٢) يلمع في متونها الماذى^(٣)
 فاقتحموا في وعرها وسهلها وذلك حين غفلة من أهلها
 ولم يكن للقوم من دفاع بخيل درى ولا أمتناع
 وقوض الإمام عند ذلك وقلبه صب بما^(٤) هنالك
 حتى إذا ما حل في المدينة وأهلها ذليلة مهينة
 أقمها بالخيل والرجال من غير ما حرب ولا قتال
 وكان من أول شيء نظرا فيه وما روى له ودبرا
 تهدم لبابها والشور وكان ذلك أحسن التدبير
 حتى إذا صيرها براحا وعابنوا حريمها مباحا
 أمر^(٥) بالتشديد والتأسيس في الجبل النامي إلى عمروص^(٥)
 حتى أستوى فيها بناء محكم فحاله عامله والحشم
 فعند ذلك أسلمت وأستسلمت مدينة الدماء بعد ما عتت

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها مضى عبد الحميد ملتئم^(٦) في أهبة وعدة من الحشم
 حتى أتى الحصن الذي تقلعا يحيى بن ذى النون به وأمتنعاً
 فخطه من هضبات ولب^(٧) من غير تعنيت وغير حرب
 إلا بترغيب له في الطاعة وفي الدخول مدخل الجماعة
 حتى أتى به الإمام راغباً في الصفح عن ذنوبه وتائباً
 فصصح الإمام عن جنابته وقبل المبدول من إنابته

(١) في بعض الأصول: «فوافقوا». (٢) في بعض الأصول: «الدرى». (٣) في بعض الأصول: «وقام صنديدا». (٤) في بعض الأصول: «أمر». (٥) انظر Spanish Islam 247 وابن الأبار (١٢٦). (٦) ملتئم، أى مصلحا أمر نفسه مستعدا. وفي بعض الأصول: «مستلم». (٧) كذا في الأصول.

ورده إلى الحصون ثانياً مسجلاً له عليها وآلياً

سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ثم غزا الإمام ذوالمجدين^(١) في مَبْتَدَا عَشْرِينَ وَأَثْنَتَيْنِ
 فِي فَيْلَاقِ مُجْمَهَرِ لِهَامِ .
 حَافِ الرُّبِّي لَزَحْمَهُ تَجِيشُ .
 كَأَنَّهُمْ جِيْنٌ عَلَى سَمْعَالِي .
 فَاقْتَحَمُوا مُلُونْدَةَ^(٢) وَرُومَهُ .
 حَتَّى أَنَاهِ الْمَارِقُ التَّجِيْبِي .
 فَخَصَّه الْإِمَامُ بِالْتَرْحِيْبِ .
 ثُمَّ حَبَاهُ وَكَسَاهُ وَوَصَلَ .
 كَلَامُهُمَا مِنْ مَرَكَبِ الْخِلَافِ .
 وَقَالَ كُنْ مَنَا وَأَوْطِنْ قُرْطَبَةَ .
 تَكُنْ زَوِيْرًا عَظَمَ النَّاسِ خَطَرَ .
 فَقَالَ إِنِّي نَاقَهُ مِنْ عَلِيِّ .
 فَإِن رَأَيْتَ سَيْدِي إِمْنَالِي .
 ثُمَّ أُوْفِيْكَ عَلَى أَسْتَعْجَالِ .
 وَأَوْثِقِ الْإِمَامَ بِالْعَهْدِ .
 فَقَمِيْلَ الْإِمَامُ مِنْ أَيْمَانِهِ .
 ثُمَّ أَتَتْهُ رَبُّهُ الْبَشَاقِصِ^(٦) .
 فِي مُبْتَدَا عَشْرِينَ وَأَثْنَتَيْنِ .
 مُدَّ كَدِكِ الرَّؤُوسِ وَالْآكَامِ .
 تَجِيْشُ فِي حَافَاتِهِ الْجِيُوشُ .
 وَكُلُّهُمْ أَمْضَى مِنْ الرُّبِّيَالِ .
 وَمِنْ حَوَالِيهَا حِصُونٌ حِيْمَةٌ^(٣) .
 مُسْتَجْدِيًّا كَالْتَائِبِ الْمُنِيْبِ .
 وَالصَّفْحِ وَالْفُغْرَانِ لِلذُّنُوبِ .
 بِشَاحِجٍ وَصَاهِلٍ لَا يُمْتَثَلُ .
 فِي حِلْيَةٍ تُعْجِزُ وَصَفِ الْوَاصِفِ .
 نَدْنِيْكَ فِيهَا مِنْ أَجَلٍ مَرَّتَبَةٌ^(٤) .
 وَقَائِدًا تَجِيْبِي^(٥) لَنَا هَذَا التَّغْرَ .
 وَقَدْ تَرَى تَغْيِرِي وَصُفْرِي .
 حَتَّى أَرَمَ مِنْ صَلَاحِ حَالِي .
 بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْعِيَالِ .
 وَجَعَلَ اللَّهُ مِنَ الشُّهُودِ .
 وَرَدَّهُ عَفْوًا إِلَى مَكَانِهِ .
 تُدْلِي إِلَيْهِ بِالْوِدَادِ الْخَالِصِ .

٢٠ (١) في بعض الأصول : « الجديد » .

(٢) ملوندة : من حصون سرقسطة بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : « حمة » .

(٤) في بعض الأصول : نزيك فيها في أجل مرتبه » .

(٥) في بعض الأصول : « يحيي » .

٢٥ (٦) يريد جمع بشكنس . وانظر الحاشية رقم (٤ ص ٥٠٩) من هذا الجزء .

وأنها مُرسلة من عنده وجَدَّها متصلٌ بِجَدِّه
 واكتفلت بِكُلِّ بنيِ لُونِي وأطلقت أُسرى بنيِ ذِي النُّونِ
 فأوعدَ الإمامُ في تَأْمِينِهَا وتكَبَّ العسكرَ عن حُصُونِهَا
 ثم مَضَى بِالْعِزِّ وَالتَّمَكِينِ وناصرًا لِأهلِ هَذَا الدِّينِ
 فِي جُمْلَةِ الرِّايَاتِ وَالعِساكِرِ وَفِي رِجالِ الصَّبْرِ وَالبَصائِرِ
 إِلَى عِدَى اللَّهِ مِنَ الجِلالِيقِ وَعابِدِي المَخْلوقِ دُونَ الخالِيقِ
 فَدَمَّرُوا الشُّهُولَ وَالقِلاعَا وَهَتَّكُوا الرُّبُوعَ وَالرِّباعَا^(١)
 وَخَرَّبُوا الحُصُونَ وَالمِداثِنَا وَأَنفَرُوا^(٢) مِنْ أَهلِها المِساكِنَا
 فَلِيسَ فِي الدِّيَارِ مِنْ دِيَّارِ وَلَا بِهَا مِنْ نَافِخِ لِغَارِ
 فغادروا عُمُرانِها خرابَا وَبَدَّلُوا رُبُوعِها يَبابَا^(٣)
 وَبالقِلاعِ أَحرقُوا الحُصُونَ وَأَسْمَخُوا مِنْ أَهلِها العِيونَا
 ثُمَّ نَبَى الإِمامُ مِنْ عِنايِهِ وَقَد شَفَى الشَّجِيَّ مِنْ أَشْجانِهِ^(٤)
 وَأَمَّنَ القِفارَ مِنْ أَنجاسِها^(٥) وَطَهَّرَ البِلاَدَ مِنْ أَرْجاسِها

٥

١٠

٣٧٨
٢

انتهت الأرجوزة

وكل كتاب المسجد الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

(١) في بعض الأصول: « الزروع » .

(٢) في بعض الأصول: « وأفقدوا » .

(٣) في بعض الأصول:

فغادروا الدور رمادا وبدلوا يابها سوادا

(٤) في بعض الأصول: « التجبي » .

(٥) في بعض الأصول: « إيجابها » .

٢٠

انتهى الجزء الرابع من العقد الفريد لابن عبد ربه حسب تجزئتنا
 ويليه الجزء الخامس وأوله: « كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والطلبين » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
	خطبة ابن الأهم بين يدى عمر بن
٩٣	عبد العزيز
٩٥	خطبة لعمر بن عبد العزيز
٩٥	خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد
	خطب بنى العباس
٩٧	خطبة أبى العباس السفاح بالشام
٩٧	خطب المنصور
٩٩	خطبة لسليمان بن على
٩٩	خطبة عبد الملك بن صالح بن على
١٠٠	خطبة صالح
١٠٠	خطب داود بن على
١٠١	خطبة للمهدى
١٠٢	خطبة هارون الرشيد
١٠٤	خطب المأمون
١٠٧	خطب عبد الله بن الزبير
١١٠	خطب زياد
١١٤	خطبة لجامع المحاربي
١١٥	خطب الحجاج
١٢٤	خطبة لظاهر بن الحسين
١٢٤	خطبة لعبد الله بن ظاهر
١٢٥	خطب لقتيبة بن مسلم
١٢٧	خطبة ليزيد بن المهلب
١٢٨	خطبة لفس بن ساعدة الإيادى
١٢٨	خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل
١٣٠	خطبة لعبد الله بن مسعود
١٣١	خطبة لعتبة بن غزوان بمد فتح الأبله
١٣٢	خطب لعمر بن سعيد
١٣٤	خطبة للأحنف بن قيس
١٣٤	خطبة ليوسف بن عمر
١٣٥	خطبة لشداد بن أوس الطائى
١٣٥	خطبة لخالد بن عبد الله القسرى
١٣٥	خطبة لمصعب بن الزبير

صفحة	
	فرش كتاب المجنبه فى الأجوبة
	جواب عقيل بن أبى طالب لمعاوية
٤	وأصحابه
	جواب ابن عباس رضى الله عنه
٧	لمعاوية وأصحابه
	مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن
١٣	الزبير
١٩	مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه
٢١	مجاوبة بين معاوية وأصحابه
٢٣	مجاوبة بين بنى أمية
٢٥	الجواب القاطع
٢٧	مجاوبة الأمراء والرد عليهم
٣٩	جواب فى هزل
٤٦	جواب فى نثر
٥٠	جواب ابن أبى دواد
٥٠	جواب فى تفحش

فرش كتاب الخطب

	خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٧	فى حجة الوداع
٥٨	خطب أبى بكر رضى الله عنه
٦٣	خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٦٦	خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه
	خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب
٦٦	رضى الله عنه
٨١	خطب معاوية
٨٣	ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية
٨٩	خطب يزيد بن معاوية
٩٠	خطبة عبد الملك بن مروان
٩١	خطبة الوليد بن عبد الملك
٩١	خطبة لسليمان بن عبد الملك
	خطب عمر بن عبد العزيز رحمها الله
٩٢	ورضى عنه

صفحة	
٢٠٠	قولهم في الخبر
٢٠١	وفي الأعلام
٢٠١	قولهم في الصحف

توقيعات الخلفاء

٢٠٥	عمر بن الخطاب
٢٠٦	عثمان بن عفان
٢٠٦	علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
٢٠٦	معاوية بن أبي سفيان
٢٠٧	يزيد بن معاوية
٢٠٧	عبد الله بن مروان
٢٠٨	الوليد بن عبد الملك
٢٠٨	سليمان بن عبد الملك
٢٠٨	عمر بن عبد العزيز
٢٠٩	يزيد بن عبد الملك
٢٠٩	هشام بن عبد الملك
٢١٠	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٢١٠	مروان بن محمد

توقيعات بني العباس

٢١١	السفاح
٢١١	أبو جعفر
٢١٢	المهدى
٢١٣	موسى الهادي
٢١٣	هارون الرشيد
٢١٥	المأمون

توقيعات الأمراء والكبراء

٢١٧	زياد
٢١٧	الحجاج بن يوسف
٢١٨	أبو مسلم
٢١٩	جعفر بن يحيى
٢٢٠	الفضل بن سهل
٢٢٠	الحسن بن سهل ذو الرياستين
٢٢١	ظاهر بن الحسين
٢٢٢	توقيعات المعجم

صفحة	
١٣٦	خطبة للنعمان بن بشير بالسكوفة
١٣٦	خطبة شبيب بن شيبة
١٣٧	خطبة لعتبة بن أبي سفيان

خطب الخوارج

١٤١	خطبة لفطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا
١٤٤	خطب لأبي حمزة
١٤٧	من أرتج عليه في خطبته
١٤٩	خطب النكاح
١٥١	خطب الأعراب

فرش كتاب التوقيعات والفصول

١٥٦	أول من وضع الكتابة
١٥٨	استفتاح الكتب
١٥٨	ختم الكتاب وعنوانه
١٥٩	تاريخ الكتاب
١٦٠	تفسير الأبي
١٦٠	شرف الكتاب وفضلهم
١٦٣	أيام أبي بكر رضى الله عنه
١٦٣	أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٦٤	أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه
١٦٤	أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
١٦٥	الدولة العباسية
١٦٧	أسماء من كتب لغير خليفة
١٦٨	أشراف الكتاب
١٦٩	من نبيل بالكتابة وكان من قبل خاملا من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها
١٧٠	صفة الكتاب
١٧٢	ما ينبغي للكتاب أن يأخذ به نفسه
١٧٥	خير حائك الكلام
١٧٩	فضائل الكتابة
١٨٠	ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها
١٨٩	البلاغة
١٩٠	تضمين الأسرار في الكتب
١٩١	قولهم في الأعلام

صفحة	صفحة
نسب أبي بكر الصديق وصفته رضى	فصول فى المودة ... ٢٢٣
الله عنه ... ٢٥٥	فصول فى الزيارة ... ٢٢٥
خلافة أبى بكر رضى الله عنه ... ٢٥٦	فصول فى وصاة ... ٢٢٧
سفينة بنى ساعدة ... ٢٥٧	فصول فى عتاب ... ٢٢٨
الذين تحلفوا عن بيعة أبى بكر .. ٢٥٩	فصول فى التنصل ... ٢٣٠
فضائل أبى بكر رضى الله عنه ... ٢٦١	فصول فى حسن التواصل ... ٢٣١
وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٢٦٣	فصول فى الشكر ... ٢٣٣
استخلاف أبى بكر لعمر ... ٢٦٧	فصول فى البلاغة ... ٢٣٤
نسب عمر بن الخطاب وصفته ... ٢٦٩	فصول فى المدح ... ٢٣٤
فضائل عمر بن الخطاب ... ٢٧٠	فصول فى التمدد ... ٢٣٦
مقتل عمر ... ٢٧٢	فصول فى الأدب ... ٢٣٧
أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان ٢٧٣	فصول إلى علي ... ٢٣٨
نسب عثمان وصفته ... ٢٨٤	فصول إلى خليفة وأمير ... ٢٣٩
فضائل عثمان ... ٢٨٥	فصول لعمر بن بحر الجاحظ ... ٢٤٢
مقتل عثمان بن عفان ... ٢٨٦	صدور إلى خليفة ... ٢٤٦
القواد الذين أقبلوا إلى عثمان ... ٢٩٢	صدور إلى ولي عهد ... ٢٤٦
ما قالوا فى قتلة عثمان ... ٢٩٥	صدور إلى ولي شرطة ... ٢٤٦
فى مقتل عثمان بن عفان ... ٢٩٨	صدور إلى قاض ... ٢٤٦
تبرؤ على من دم عثمان ... ٣٠٢	صدور إلى عالم ... ٢٤٦
ما نقم الناس على عثمان ... ٣٠٥	صدور إلى إخوان ... ٢٤٧
خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه ٣١٠	صدور فى عتاب ... ٢٤٧
نسب على بن أبى طالب وصفته ... ٣١٠	
فضائل على بن أبى طالب كرم الله	
وجهه ... ٣١١	
يوم الجمل ... ٣١٣	
مقتل طلحة ... ٣٢٠	
مقتل الزبير بن العوام ... ٣٢٢	
ومن حديث الجمل ... ٣٢٥	
قولهم فى أصحاب الجمل ... ٣٣٠	
أخبار على ومعاوية ... ٣٣٢	
يوم صفين ... ٣٣٧	
مقتل عمار بن ياسر ... ٣٤٠	
من حرب صفين ... ٣٤٣	
خير عمرو بن العاص مع معاوية ... ٢٤٥	
أمر الحكمن ... ٣٤٦	
احتجاج على وأهل بيته فى الحكمن ٣٥٠	
احتجاج على أهل النهروان ٢٥١	
خروج عبد الله بن عباس على على ٣٥٤	
مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ٣٥٩	
	فرش كتاب المسجد الثانية
	فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم
	أخبار الخلفاء
	نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم ٢٤٩
	مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤٩
	اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى
	الله عليه وسلم ... ٢٥٠
	صفة النبي صلى الله عليه وسلم ... ٢٥٠
	هيئة النبي وقدمته صلى الله عليه وسلم ٢٥٠
	شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥١
	أبو النبي صلى الله عليه وسلم ... ٢٥٢
	ولد النبي صلى الله عليه وسلم ... ٢٥٢
	أزواجه صلى الله عليه وسلم ... ٢٥٢
	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٤
	وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٤

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0022926925

DUE DATE

GLX SEP 30 1996

GLX AUG 15 1996

FEB 15 2010

Printed
in USA

893.78
Ib533
v.4

07237774

BOUND

JAN 11 1956

